



أجوان

(قصة من الخيال العلمي)



نورة أحمد النومان

روايات وكتب عربية وعالمية

أجوان (قصة من الخيال العلمي)

تأليف: نورة أحمد النومان

تصميم الغلاف: مي الضباح

إشراف عام: داليا محمد إبراهيم

جميع الحقوق محفوظة © لدار نهضة مصر للنشر

يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي صريح من الناشر.

الترقيم الدولي: 978-977-14-4654-5

رقم الإيداع: 2013/21291

الطبعة السادسة: إبريل 2018



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1998

21 شارع أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة

تليفون: 33466434 - 02 33472864

فاكس: 02 33462576

خدمة العملاء: 16766

Website: www.nahdetmisr.com

E-mail: publishing@nahdetmisr.com

حصريا على روايات وكتب عربية وعالمية

<https://t.me/riwayat2025>

يسعدنا انضمامك لنا



المحتويات

1. صفحة العنوان
2. حقوق النشر
3. إهداء
4. شكر
5. الوطن
6. نهاية المطاف
7. الظافر
8. بدايات
9. أسئلة وألغاز
10. مستقبل الأطفال
11. طوق النجاة
12. «قرصة قلب»
13. نقطة الصفر
14. من أجل الوطن
15. مكاسب وخسائر
16. كرايوتكا
17. نحو الأفق
18. تعميم
19. خيوط الدمار
20. السيد المعظم
21. التحقيق
22. خيار ليس. بخيار
23. النقب الأسود
24. أول السلم
25. الهالة
26. المستشار
27. كروفر
28. اكتشافات
29. العودة
30. المخلص
31. لاشكار
32. الحصاد
33. المهمة
34. القلادة
35. مفاجآت
36. نبذة عن المؤلف

إهداء

أسرتي: والدي ووالدتي أحمد وعائشة،

وإلى زوجي سلطان،

وإلى أطفالي ماجد وسعود

واليازية وحمة وروضة ومهرة

حصريا على روايات وكتب عربية وعالمية

<https://t.me/riwayat2025>

يسعدنا انضمامك لنا



شكر

يحمل غلاف هذه الرواية اسماً واحداً فقط، ولكن يعود الفضل في إصدارها لمجموعة مميزة من الأفراد الذين استخدموا جميع أنواع الدعم والإغراء والترهيب في سبيل مساعدتي على إنهاؤها.

إلى فريق (800 كلمة): إرم مظهر علوي وأميرة بن كرموري بن كرم، لولا مثابرتكم وإيمانكم بقدراتي ومقترحاتكم غير المعقولة في بعض الأحيان ما كنت أحلم باستكمال هذا المشروع الطويل.

وشكر خاص لحنان المحمود على إهدائي اسم (أجوان) الذي كانت قد حجزته لابنة المستقبل.

إلى أختي الغالية حمدة شبيب، فقد قرأت أول خمس عشرة صفحة وحثتني على المواصلة قائلة: (إن ما تفعلينه شيء مهم جداً، لا تدعي أحداً يفنيك عن إنهائه).

إلى الأديبة الأستاذة صالحة غابش، مثلي الأعلى وأكبر المشجعين لي، ففي لحظات الشك التي كانت تعتريني قالت لي: (فلتكن أول رواية خيال علمي إماراتية وتكون لك الريادة).

في المجال الفني: كيروين بوتر (متخصص في علم الأحياء المائية) ممتنة له لمناقشاتنا حول الفرق بين المياه المالحة والمياه العذبة بالإضافة إلى مقترحاته بالنسبة للحياة في الماء. والكاتب السعودي الأستاذ أشرف إحسان فقيه الذي كان لتشجيعه لي الأثر الأكبر في بداية اتصالي بدور النشر، بالإضافة إلى مساعدتي في العثور على مصطلح علمي أفضل من عبارة (تقمص المشاعر) (الاستشعار).

إلى عائشة بنت خالد القاسمي، أول شابة تقرأ أجوان بالكامل وتعجب بها، وعندما أنهتها سألتني: (أين الجزء الثاني؟).

إلى الرسامة الرائعة مي الضباح التي تحمست لقصة لم تقرأها بعد واجتهدت في رسم غلاف يجتذب انتباه أي يافع عربي.

وأخيراً الشكر العميق للأستاذة داليا إبراهيم (نهضة مصر) لمهنتها العالية في التعامل مع كل جانب من جوانب نشر الرواية.

نورة أحمد النومان

سبتمبر 2012



حصريا على روايات وكتب عربية وعالمية
<https://t.me/riwayat2025>

الوطن

فتحت عينيها.. وما إن عاد لها وعيها حتى تبعته أصوات الصراخ والنحيب..
عادت الذكريات كموجة تسونامي عارمة، تجتاح كل شيء.. وتسرق الأنفاس. أغمضت
عينيها ثانية؛ علّ الإغماء تعود مجدداً، كما عادت في السابق.. لتصمت الأصوات
المحيطة بها وتتلشى الذكريات.
ولكن جفونها المغلقة لم تخرس الأصوات أو تمخ الذكريات. ذكريات ثقيلة ثابتة، لا
تزحزحها أية قوة..

بكاء ونحيب متقطع من كل زاوية من زوايا المقصورة. أجساد تلتصق بها رغماً عنها.
فالمكان ضيق يترأض فيه كل الناجين من الكارثة. الجو خانق رغم أجهزة الفلترة التي
تحاول جاهدة تحريك الهواء وتنقيته.

الوجوه المحيطة بها تعكس مشاعرها وترسخ الذكريات. لا، لم يكن كابوشا فظيغاً.. إنها
بالفعل ذكريات حقيقية.. ما حصل فعلاً قد حصل!

الأضواء تتبدل من الأحمر إلى الأبيض المزرق إلى الأحمر، وهكذا هو الحال منذ أن
بلغتهم موجة الصدمة فهزت مركبتهم وجعلتها تتأرجح كقطعة بلاستيك في محيط
هائج. إنها أعجوبة أن الرجات العنيفة المتكررة لم تسبب ضرراً لهيكل السفينة الفضائية،
والا.. وإلا ماذا؟ هل يمكن أن نموت إذا تضررت السفينة؟ هل لجأث لهذه السفينة ظئاً
مني أنها منقذي الوحيد، ثم تكون سبباً في موتي؟ هل أخطأت في تأخري عن ركوب
السفن الأولى التي انطلقت في وقت مبكر؟

وللمرة الأولى خطر في ذهنها تساؤل: كم مركبة مثل مركبتهم نجحت في مغادرة
الوطن؟ وهل تمكن «ركان» من اللحاق بإحداها والنجاة من الكارثة؟

وقف ركان عند باب المسكن وابتسم لها بدفء وحنان معهودين وأجابها: «للمرة الألف
يا أجوان، سأكون حذراً مع الأسماك الكبيرة وسأكون لطيفاً معها أيضاً. أدرك تماماً أنك
تعرفين المخاطر التي تحيط بعملي، ولكن هذا القلق الذي يعلو وجهك ليست له أية

مناسبة؛ فأنا أعمل في هذا المجال منذ أكثر من 12 عامًا ولم أواجه أية مشاكل من قبل، وأنجزت ذلك كله من دون نضائحك الدائمة. تعرفين جيدًا مدى حرصى على اتباع كل إجراءات الأمان، طيب.. ارتحت الآن؟»

فتجيبه بصوت غاضب بعض الشيء، وهي تدق بقدمها المندسة في حذاءها القماشي على الأرض الباردة لغرفة المعيشة: «لا تعاملني كطفلة! للمرة الألف، لا تعاملني كطفلة». قهقهة وهو يعود برأسه للوراء: «إذن كُفّي عن التصرف كالأطفال».

رمته بالقرص الذي كان بيدها، فتفاداه وهو يضحك بملء فيه، ثم استدار ونزل السلم، فتبعته حتى وصلت إلى الطابق الأرضي، وراقبته وهو يمشي متجهًا نحو دراجته الخفيفة. وبعد أن توارى عن نظرها وراء المبنى الأخير في حيهم، عادت للطابق العلوي والتقطت القرص من عند باب المنزل، ودخلت وأغلقت الباب وراءها.

فتحت جهاز البث واختارت الأخبار السياسية، وشغلت نفسها بترتيب البيت وهي تستمع للأخبار. ما زال الوقت مبكرًا، ولن تحتاج للتوجه للبحر قبل ساعتين على الأقل. ورغم اشتياقها لموعد صباحتها اليومية فإنها كبحت شوقها وأكملت عملها الصباحي. ربما تتلقى اتصالًا من أخيها «إبار» اليوم. لقد ذكر لها مؤخرًا رغبته في زيارتها قريبًا، وربما يتصل بها اليوم ليلغها بأنه في الطريق.

المذيع الأول: «... وقد أكد لنا المرصد الفضائي أن الجرم الفضائي سيمر بمسافة لا تقل عن 500 ألف كيليك؛ مما يعني أن مروره لن يؤثر على الطقس أو على المد والجزر على كوكبنا الفيروزي».

المذيع الثاني: «ومن الذي يضمن لنا هذا؟ من يستطيع أن يتنبأ بما ستفعله صخرة في الفضاء؟!».

المذيع الأول: «سومري، أنت دائفا متشائم هكذا!! ألم تسمعي؟ إنه المرصد الفضائي. إنهم أكبر علماء فضاء على الكوكب».

المذيع الثاني: «اعذرنى، ولكن حضارتنا لم تتطور في هذا المجال بعد. لقد تركنا حياة الفضاء منذ مئات السنين عندما استوطننا هذا الكوكب. وحتى جيراننا (الهافيكى) المائيون لا يهتمون إلا بفضائهم الداخلي ومحيطاتهم الشاسعة؛ مما يعني...».

قاطعه المذيع الأول: «ما علاقة هذا بذلك؟ العلماء يرصدون كل الأجرام السماوية المحيطة بنا ويعلمون بخطوط سيرها ومداراتها.. وإلى آخر هذا الكلام العلمي».

المذيع الثاني: «الكلام العلمي؟ هاها.. هل تحاول أن تكون أكاديميًا الآن؟».

ضغطت «أجوان» المفتاح لتكتم صوت تلك المناقشة السخيفة. ما أسخف بعض الأوكامو! لا يحترمون بعضهم البعض.. يتصرفون كالأطفال معظم الوقت. لا احترام ولا حتى تظاهر بالاحترام. تحت الماء يتعلم أطفال الهافيكى الاحترام بسرعة لكي يكون لهم شرف الاختلاط بالكبار. ومن لا يفهم هذا الدرس، يبقى في صحبة الأطفال، حتى ينضج ويفهم أهمية الاحترام وضبط النفس. هكذا تُصنع الحضارات. أما الأوكامو الأرضيون فحضارتهم قائمة على الفوضى والعواطف المتضاربة. من العجيب أنها حضارة لم تدمر

نفسها بعد لولا علاقتهم بشعبها واتفاقياتهم حول نبذ الحروب وتسويتهم حول الحدود ومناطق النفوذ ربما كانوا السبب في دمار الكوكب بأكمله.

وهاهي متزوجة من واحد منهم.

رفعت أجوان رأسها باستغراب من موقعها؛ حيث جثمت بين الأجساد المتراسة حولها. لقد توقفت صفارات الإنذار المزعجة التي تواصلت لساعات طويلة، وتوقفت معها الأضواء المتغيرة، واستبدل بها ضوء مستقر مائل للون الأزرق الباهت. تلفتت حولها في هذا الضوء الجديد لتنظر للمرة الأولى لمن يحيطون بها. كلهم من الأوكامو، لم تر هافيكيا واحدا غيرها. ولكن هناك مقصورات أخرى على متن هذه السفينة.. ربما يحوي بعضها عددا من الهافيكيا. لم تجرؤ على التفكير في أسرتها التي تركتها في أعماق المحيط. لقد تركتهم مرتين؛ مرة لتنضم لركان على السطح، وهذه المرة الثانية.. ولكن هذه المرة نهائية.. فلا عودة لها بعد هذا.

«اجلسي يا أجوان. لا تجولي في الغرفة هكذا كسمكة محبوسة».

«أفضل الوقوف يا أبي. أتوقع أن تتدهور هذه المحادثات سريعا».

«لا تكوني سخيفة! اجلسي وستحدث كشخصين بالغين».

«تقصد، اجلسي وسأثنيك عن قرارك وسينتهي الموضوع».

تنهد «غاثي» ونظر لزوجته وكأنه يبحث عن عون منها. بادلت «رايانا» النظرة القلقة ذاتها ثم أطرقت برأسها. بينما أكملت أجوان دوراتها في الغرفة جيئة وذهابا.

«لم آت لاستصدار ترخيص منكما لكي أتزوج من أحب. جئت لإبلاغكما فقط لا غير. وتوقفا عن النظر لبعضكما وكأنني فتاة مجنونة! أنا امرأة بالغة ولي الحق في أن أختار شريك حياتي، حتى إن كان لا يستوفي شروطكما الصارمة لابتئكما الأميرة الساحرة! لا أريد أن أتزوج هافيكيا مثلي، ولا أريد أن تختارا لي شريكا! أتعلمان لماذا تخصصت في علم الكائنات المائية الحية، أكثر المواد شيوعا وإثارة للمل في العالم؟ كي لا أضطر إلى أن أعيش في هذه المدينة المكتظة التي كرهتها!! أكره رائحة الهواء المنقى! أكره عيون الناس أينما ذهبت! أكره أن قدري بيد أحد غيري! أكره أن شخصاً ما في الماضي السحيق قد قرر أن مسئولية ابنة كل ماندا أن تقوي الروابط السياسية بين المدن الهافيكية بارتباطها برجل من الأسر المالكة الأخرى! أكره...».

قاطعها والدها بحدة غير معهودة وقد احمر وجهه: «يكفي هذا! ألا تشعرين بالخجل وأنت تبدين كل هذه العواطف الحادة؟! انظري لوجهك! انظري للطريقة التي تلوحين بها بذراعيك! انظري إلى جسدك المتوتر! هل هذه أجوان ابنة الهافيكيا، أم أجوان الأوكامو التي تسمح لعواطفها بأن تظهر على وجهها وحركاتها؟ هذا ما يحدث عندما نختلط بشعب السطح! أرايت الآن لماذا هم أقل منا؟ ولماذا لا يجوز أن ترتبطي بواحد منهم؟».

توقفت عن التجوال وظهرها لوالديها.. وأغمضت عينيها وأخذت نفسا عميقا لتعيد

السكينة لنفسها ليس هذا ما كانت تخطط له عندما استقلت المكوك وهي آتية لزيارة أسرته. كانت الصورة مختلفة.. كانت ستدخل على والديها وتبلغهما بقرارها ثم ستكون مثالا للسكينة والإصرار عندما يحاولان أن يثنيها عما تعتزم فعله. وبدلاً من ذلك تحولت إلى أسوأ صورة ممكنة.. تماها تلك الصورة التي ستهدم خططها وتثبت لهما صحة شكوكهما وتوقعاتهما عندما سمحا لها بأن تعمل على السطح.. لا.. لا.. هذا غير مقبول.. تماشكي.. تنفسي بعمق.. تذكرني أنك امرأة راشدة في الثامنة عشرة من العمر.. ثم تصرفي كذلك.

استدارت وواجهتهما: «أمي، أبي.. أعتذر عما بدر مني. لقد فقدت أعصابي، وأعتقد أنها الرحلة الطويلة من السطح لمدينتنا العميقة. الاختلاف المتواصل للضغط قد يكون أثر على سكينتي. أمي... لماذا هذه الدموع؟»

«قلبي النابض.. اعتقدت للحظة أنهم أخذوا ابنتي وأرسلوا لي بديلاً عنها».

هرعت أجوان لوالدتها وركعت أمامها ووضعت يديها على ركبتي والدتها: «أمي! لن تفقديني.. كيف تقولين هذا؟ كل ما في الأمر هو أنني سأسكن على السطح لمدة أطول. ما الضرر في ذلك؟ لست الهافيكية الوحيدة التي تسكن على السطح. هناك عدة نقاط تجارية ومحطات أبحاث على السطح حيث يعمل مواطنونا. وهو أمر مقبول لدى الجميع».

«وهناك أيضاً من اختاروا البقاء على السطح وعدم العودة لمدن الهافيكي. ما الذي يضمن لي أنك ستعودين؟! من يضمن أن زوجك هذا لن يمنعك عن زيارتنا؟».

«أمي، ليس ركان كهذا النوع من الرجال. إنه لطيف وحنون، وليس كما كنا نتصوره عن رجال الأوكامو. لم أر منه سوى الاحترام والتقدير. ثم هو ليس بفتى صغير.. إنه رجل بلغ الثلاثين أو أكثر...».

فقاطعتها والدتها: «تريدين أن تتزوجي رجلاً يكبرك بأكثر من 12 عاماً؟!».

نهضت من مكانها بسرعة وارتفع صوتها: «لو كان ماندان مدينة أو ابن ماندان مدينة وفي العقد الخامس من عمره لما مانعت في زواجي منه!».

ارتسمت ملامح الذعر على وجه والدتها، ووقفت بدورها وهي تضع جسدها بين أجوان وزوجها: «مهلاً مهلاً.. اتفقنا على النقاش الناضج، أليس كذلك؟».

حل الصمت على الجميع.. الكل ينظر للأسفل.. ثم رفع والدها رأسه ووجه كلامه لها: «فهمت الآن. لا تريدان أن نرغمك على الزواج ممن لم تختاريه بنفسك، فأتييت بأول شخص قابلته لتفرضيه علينا».

«أنا أحب ركان.. وسأ تزوجه.. شتتاً أم أبيتما!» واستدارت متجهة للباب.. وصوت والدها يرن في أذنيها: «إن تزوجته، فلا عودة لك للوطن».

الوطن! لم يعد لهم وطن؛ فقد شاهدهو يتفتت أمامهم. تعجز الكلمات عن وصف كارثة بهذا الحجم. صخرة تنتقل بسرعات رهيبية فترتطم بكوكب.. فيتفتت الطرفان.. وتزهق

المليارات من الأرواح! هذه القصة ببساطة.. ولكن بين تلك الأرواح والدها ووالدتها وأخوها وأخوالها وأصدقائها وزملائها وزوجها... و...

تأخذ «أجوان» نفسها عميقًا لتخمد نار الألم والرعب والضياع المتأججة في صدرها. عليها أن تتماسك، فلا مجال لأي شيء آخر. إنها وحيدة هنا، فريدة من نوعها، من فصيلة توشك على الانقراض. وهي فريدة حتى بين من يحيط بها من الناجين. لم تحدد بعد إن كانت محظوظة لنجاتها أم كان من الأفضل لها أن تموت مع أسرتها!!

فإلى أين تأخذهم هذه المركبة؟ هل هناك وجهة معينة؟ هل يعلم قبطانها أين يقع بر الأمان؟ الفضاء واسع، والكواكب المأهولة تبعد عن بعضها البعض مئات السنوات الضوئية. إنها لا تعرف الكثير عن الفضاء، ولم تكن يومًا من المهتمين به؛ إذ لم تغادر كوكبها قط. وقد تخصصت فيما قد يسميه البعض الفضاء الداخلي - عالم الكائنات المائية الحية. تخصص سهل وشائع على كوكب تشكل مسطحاته المائية أكثر من 93% من سطحه. لم تختار مجال تخصصها بدافع التحدي، بل لأنه شائع وعادي، ولأنه سيمكنها من الانتقال من مدينتها المكتظة المملة إلى الجزر السطحية المثيرة، لتقابل سكان السطح أو من يطلق عليهم شعبها الأوكامو. كم كانت تتوق لزيارة مدنهم؛ لتبتعد عن مدينتها المزدهمة التي تحكمها تقاليد وأعراف بدأت تخنقها وتسحقها وتسلبها فرديتها.

رجة عنيفة أخرجتها من تأملاتها وأعادتها للحاضر الأليم. لم تعد «أجوان» من تقرر مصير «أجوان». فلم تبق أسرة حاكمة، ولم تبق «أميتيرا» أو أي من المدن الاثنتي عشرة.. ولم يعد هناك عالم على السطح أو تحت الماء.. كله زال وسيصبح قريبًا مجرد ذكرى باهتة. هناك فقط سستيمترات من الفولاذ الذي يفصل بينها وبين الموت المحقق في الفضاء الخارجي! رعب وصراخ في كل مكان.. أصوات تستغيث بعدة لغات، ورائحة الخوف تزكم الأنوف..

رجة أخرى أوشكت أن ترغمها على الاستسلام للفرع.. أحست بأن الهلع له أصابع أحكمت قبضتها على فكها وبدأت في الفصل بينهما لكي تفتح فمها وتجبر الصرخة على أن تخرج من حنجرة يعترضها الخوف.. ما أسهل أن تطلق العنان لتلك الصرخة.. أن تجعلها تتردد في أرجاء تلك المقصورة الصغيرة.. أن تخرس باقي الصرخات وأن تطمس الخوف الذي اتخذ لنفسه مكانًا مركزيًا من حياتها في الساعات القليلة الماضية. لم تشعر قط بهذا الخوف القاسي! إنه سكين حادة غرّرت في حلقها وقلبها وأحشائها.

منذ صغرها لم تمر بتجربة واحدة تستطيع أن تقول إنها مخيفة بأي مقياس.. وحتى عندما كان «برايدود» مدربها في فنون القتال (البن كاي) يحدها هي وزملاءها عن الخوف وعن الحاجة للسيطرة عليه، لم تكن تعي حقًا ما كان يعنيه.

وقف «برايدود» في وسط المجموعة يحادثهم وهو يجول بنظره من وجه لوجه. «الخوف أمر ضروري لغريزة البقاء.. علينا أن نشعر ببعض الخوف لكي نحمي أنفسنا من مخاطر لا نستطيع أن نواجهها».

من مكانه وهو يجلس بين المتدربين على أرض صالة التدريب، طرق سينار الأرض بقبضة يده ليستأذن المدرب في الحديث، وعندما أشار له «برايد» بالإذن بالحديث، قال «سينار» بنبرة ساخرة وفوقية: «أليس الخوف صفة الجبناء؟ وأنت تتحدث الآن وكأن الخوف شيء جيداً والذي يقول إن الرجل يجب أن يبقى دائماً قاهرًا للخوف».

فأجابه المدرب دون أن تتغير ملامح وجهه: «نعم.. عليك أن تقهر الخوف.. لن نختلف في هذا.. ولكنك لم تصغ جيداً.. عندما تكون في جلسة التدريب عليك أن تصغي جيداً لما أقوله يا سينار.. هنا أنا المدرب.. وليس والدك! أكرر ما قلته سابقاً: الخوف أمر ضروري لغريزة البقاء.. في بعض المواقف تحتاج إلى الخوف؛ ليمدك بالطاقة لتخليص نفسك من مأزق.. وهناك المواقف التي ستحتاج منك إلى أن تستمع لخوفك وتفزع بجلدك».

«ولكن...».

«ألم أقل لك أن تصغي فحسب؟! هل تريد أن تعتذر عن هذه الجلسة؟».

«لا سيدي».

«حسنًا.. والآن سأكمل ما بدأت به في حديثي عن الخوف: الخوف أمر مفيد.. ولكن يجب أن تكون أنت سيد الخوف.. ولا تسمح له بأن يكون سيداً لك.. هنا الفرق يا سادة.. إحم.. ويا أنسات.. ليكن الخوف أداة لك تساعدك على قياس الموقف واتخاذ القرار السليم؛ لذلك عليك أن تتدرب للسيطرة على الخوف».

عاد المدرب لينظر للمتدربين ليتأكد من إصغاء الجميع، وأكمل حديثه:

«عندما يواجهك موقف مخيف.. فأنت بحاجة لعقلك لاتخاذ القرار السليم للتخلص من المأزق.. هنا عليك أن تستخدم كل ما أوتيت من قوة ومن أدوات للسيطرة على خوفك وتطويعه من أجل النتيجة التي تريدها.. وقد تعلمت من أساتذتي ابتهالاً أردده كلما باغتنى الخوف.. رددوا معي:

أراك أيها الخوف لست سيدي، ولن تهزميني.

أنت ضَعْف وأنا لست بالضعيف.

ستكون سلاحي الذي أشحذ به ذهني وأستقي منه قوتي.

قوة تحررني وتصنع انتصاراتي.

انتصاراً يذيب الخوف ويلقيه ذكرى بعيدة لن تعود أبداً».

هي بحاجة الآن لتلك القوة التي تهزم الخوف وتشحذ الذهن.. هنا في الدقائق الأخيرة قبل نهاية العالم، عالمها الذي كان مصدر قوتها.. هنا على متن سفينة غريبة، يتوافر لديها متسع من الوقت لكي تستعرض تفاصيل حياتها، وتتأمل قراراتها والأسباب الكامنة وراءها.. وتبدأ في تعزف شعور جديد؛ الندم.

هل هذا هو المستقبل الذي كانت تخطط له عندما كانت فتاة صغيرة تنتقل من مرحلة لمرحلة في دراستها؟ قطعاً لا.. وتفوقها في دروسها النظرية والعملية معاً كان يجعلها

تجري بذهنها نحو بعد آخر، بل أبعاد أخرى، مخلفة وراءها عالفاً من المال والتقاليد التي لم تشع طموحها.

ملل.. ملل.. ملل.. هذا الدرس بالذات هو أكثر الدروس بعثاً للملل.. كل عام يجب أن تبدأ دروس التاريخ بهذا الدرس.. لماذا؟ هل يعتقد المعلمون أن الأعوام السبعة أو الأعوام العشرة السابقة التي تكررت فيها هذه الدروس قد حذفت من ذاكرة الطلبة؟ ما هذه السخافة والاستخفاف بالعقل؟!

«أنسة أجوان، من تعابير وجهك يبدو لي أنك تعانين ألفاً حاداً.. هل أنت بخير، صغيرتي؟».

انتفضت أجوان في مكانها وصلبت ظهرها وابتسمت وهي تهز رأسها بالنفي: «لا سيدتي. أقصد نعم سيدتي، أنا بخير.. لا أشكو من أي ألم.. أرجو أن تتابعي، فنحن متشوقون لمعرفة ما يلي في الأحداث».

«لا تبالي كثيراً، أعلم جيداً أنكم تحفظون هذا الدرس عن ظهر قلب وأنه ممل بالنسبة لكم.. ولكنه من ضمن المنهج.. كما أنه تاريخنا وتقاليدنا وأعرافنا التي يجب أن تكون محفورة في أذهاننا مدى الحياة».

تناهى إلى سمعها همس من الجانب الآخر من الفصل الدراسي: «حفر مؤلم لن يزول بمطارق تحملها جيوش من الأخطبوطات!» هذا صوت سينار؛ ذلك الفتى الرائع ذي الملامح المثالية والشعر البني الفاتح والعيون العسلية الذهبية النادرة. جميع الفتيات يراقبن كل حركة منه، ويصفين لكل حرف يصدره.. وهي بالطبع واحدة منهن.

«السيد سينار.. هل أخبرك أحد بأنني من الأوكامو بليدي السمع؟ أملك الأذنين المميزتين ذاتهما اللتين تمكنان من سماع معظم الهمس.. أرجو أن تمتنع عن تعليقاتك الساخرة.. إن لم يكن لديك مانع».

«أتقدم بخالص الأسف والندم لك سيدتي المعلمة.. هلا تسامحينني أرجو لي؟».

رمقته المعلمة بعيني امرأة رأت أجيالاً من قبله قاموا بما هو أسوأ من هذا.. وقلبت نظرها بين الطلبة المتحلقين حول الفصل الدراسي وقد جلسوا في مجموعات عمل حول طاولات مستديرة في فصلهم الصغير الرمادي الجدران الخالي من النوافذ.. ثم عادت لمتابعة سردها الممل: «وهكذا وجد المستعمرون أنفسهم على كوكب مأهول، لا كما أخبرهم المستكشفون بأنه خالٍ وجديد وجاهز للاستيطان. اختار الأرضيون - أو من نسميهم اليوم الأوكامو - أن يلجئوا للسلم مع أسلافنا، فلم تكن هناك خيارات كثيرة متوافرة لديهم. وهكذا تشاطر الكوكب شعبان؛ شعب يفضل الحياة تحت سطح الماء؛ وشعب يفضل الحياة على سطح الأرض. ونشأت معاهدات واتفاقيات سلام وتجارة على مدى القرون لتضمن حق الشعبين في الحياة الآمنة على كوكبنا الأزرق. وقام الأوكامو ببناء جزر اصطناعية إضافية مع ازدياد عددهم وحاجاتهم».

أخذت نفساً، وسألت الطلبة: «ولكن.. من يستطيع أن يقول لي الفرق بين الشعبين؟».

لم يرتفع الكثير من الأيدي المتحمسة.. بل لم ترتفع إلا يد «جيانا» المتحمسة لكل شيء في الوجود.

وسمعت أجوان همسة سينار ثانية: «أتمنى أن يخرسها أحدكم.. لم أعد أحتمل حماسها عامًا تلو العام!».

فالتفتت له المعلمة بسرعة وقالت بحق: «للمرة الثانية يا سينار، أرجو منك المشاركة الفعالة أو الصمت الرحيم.. نعم يا جيانا.. تفضلي يا صغيرتي».

اعتذلت جيانا في جلستها كمن يستعد لإلقاء كلمة في مجلس الماندانات، ومن ينظر لملابسها كان لا يصدق أنها ماندانة؛ فهي تتكلف كثيرًا في التأكد من كمال زيناها الدراسي الأسمر المصفر: «إن الفارق الأعظم بين شعبنا المتحضر وبين الأوكامو هو افتقارهم لأبسط مقومات التحضر. لا توجد لديهم قوانين وقواعد للتعامل بما يضمن للجميع التعايش دون المساس بحرية أو راحة الباقيين».

سردت جيانا هذا كله بنفس واحد دون انقطاع.. ثم أمسكت بضميرتها الطويلة السمكية ورمتها وراء ظهرها، وبعدها أخذت نفسًا ثانيًا وشرعت في سرد الجزء الثاني: «إن ازدحام مدننا الائتني عشرة يعني أننا أدركنا سريعًا حاجتنا لتلك القواعد التي تضمن رخاءنا وسعادتنا؛ ولذلك يتميز الهافيكي بقدرة بالغة على التحكم في المشاعر والأعصاب، حتى التحكم في تعابير الوجه. فإن إظهار المشاعر الحقيقية على تعابير الوجه يعد من علامات التربية السيئة. والأسوأ من هذا أنها علامة من علامات الضعف والفشل في السيطرة على النفس. وهذا ببساطة ما يجعلنا شعبًا أفضل من الأوكامو».

طرفت عينا المعلمة الواسعتان.. وبدأت عليها الدهشة من كفاءة إجابة جيانا، فهي معلمة جديدة على هذه المجموعة من الطلبة الذين ينتقلون مقًا من مرحلة إلى مرحلة، حتى انتهى بهم الأمر في عامهم الأخير إلى فصلها. «شكرًا لك يا جيانا على هذه الإجابة الرائعة والمستفيضة.. أرى أنني سأستمتع كثيرًا بتعليمكم هذا العام».

انخفضت أجوان في مقعدها وحدثت ظهرها، وأطلقت لمخيلتها العنان للتخليق في أماكن أخرى بعيدًا عن هذا الفصل الذي سيكون تمامًا ككل فصل ستدخله في هذا العام. مل..مل..مل.

نهاية المطاف

كم مضى على وجودهم في هذه السفينة التي أصبحت منقذهم وتابوتهم في الوقت ذاته؟ التفتت لجارتها الأوكامية العجوز التي بدا عليها الإعياء تمامًا: «مونا، في اعتقادك كم مضى من الوقت منذ أن تركنا الوطن؟».

فتحت مونا عينيها ببطء، واعتدلت في جلستها: «البارحة كنت أقف في طابور الأكل وسمعت القبطان يقول إن تاريخ اليوم ... إممم... سلسلة من الأرقام التي لم أفهمها بصراحة.. ولكنه أضاف أننا على متن هذه السفينة منذ 11 يومًا. لا أدري إن كان يقصد أيامًا نجمية أم أيام كوكبنا».

صمتت أجوان وبدأت تحسب الأيام في ذهنها. إن كان اليوم على كوكبها عبارة عن 33 ساعة نجمية.. وكان اليوم النجمي (كما فهمت من أحد أطقم السفينة) يتكون من 24 ساعة نجمية، فهذا يعني... ماذا يعني هذا؟ إنها متعبة جدًا، وذهنها مشوش من أيام من الظلام والصمت.. ولم تكن الرياضيات المادة المفضلة لديها.. بل كانت تمقت تلك المادة.. بالطبع كانت جيانا الأولى في الفصل.. في كل عام! أه يا جيانا.. لا أعتقد أنك كنت تتوقعين هذه النهاية عندما اتجهت للمجال الإداري في محطة طاقة المدينة. أعلم أنك كنت تطمحين لأن ترتقي لأعلى المناصب في المحطة. لا شك أنك كنت عاملاً مجتهدًا ومخلصًا. ولا شك أنك كنت في قلب المدينة عندما انتهى العالم!

تدحرجت دمعتان من عينيها وهي تفكر في تلك اللحظات الأخيرة. لم تعد ذاكرتها تساعد في تذكر تلك اللحظات.. يبدو كل شيء ضبابيًا.. كحلم مزعج تفتت أطرافه بسرعة وبدأت تهترئ حتى اختفت معظم معالمه، ولم تبق سوى ذكرى وقوعه. هل هذه طريقة عقلها في حمايتها من التفاصيل؟ لماذا لا تستطيع أن تتذكر كيف اتخذت ذلك القرار الأخير لركوب السفينة بدلًا من انتظار ركان. ولكن ركان أمرها أن تستقل السفينة بأسرع فرصة ممكنة.. وقال إنه سيلحق بها على متن أقرب سفينة متوافرة في منطقته.

لماذا ذهب في تلك المهمة؟ لماذا؟!!

ارتفعت صفارة جهاز الإعلان الداخلي. عادة، عندما يريد طاقم السفينة إبلاغهم بشيء

له علاقة بجميع الركاب يطلقون هذه الصفارة قبل البدء بالإعلان، وهي طريقة جيدة للفت انتباه الجميع والتأكد من وصول رسالة القبطان لكل من على متن السفينة: «أعزائي ركاب السفينة، إخواني وزملائي أعضاء طاقم السفينة. لقد مرت بنا 25 يوماً عصيبة حقاً. لا تخفى عليكم الصعوبات التي واجهتنا لكي نضمن سلامة هيكل هذه السفينة وسلامتكم وراحتكم جميعاً. لقد تحملتم كل يوم من أيام هذه المحنة دون شكوى أو مشاكل. وكان القاسم المشترك بيننا جميعاً أننا تائهون في هذا الفضاء الشاسع دون معرفة أقرب كوكب أو ميناء تجاري أو محطة فضائية. وأكرر أسفي لكم لتلف نظام الملاحة لدينا. تلك الرجة الأولى التي ضربت سفينتنا تسببت في الكثير من المشاكل كما تعلمون جيداً.

واليوم يسرني أن أبشركم بالتقاطنا إشارة من محطة تبعد أقل من 36 ساعة عنا...». هنا تعالت الأصوات من مئات الحناجر.. الحماس والأمل عملة نادرة لم يكن يملكها أي من ركاب السفينة قبل هذه اللحظة. ولم يحلم أحدهم بأن هناك نهاية سعيدة لقصتهم المأساوية التي عاشوها لخمس وعشرين يوماً بدت لهم وكأنها 25 عامًا. ولكن ها هو قبطان السفينة يبشرهم بقرب نجاتهم.

حاولت أجوان أن تسمع باقي ما كان يقوله القبطان عبر جهاز الإعلان الداخلي، فإن الصمت الذي كان قد أطبق على هذه السفينة منذ بدأت رحلتها المتعثرة قد انتهى. الكل يتحدث بصوت عالٍ، والبعض يبكي بدموع الفرح، والعديد منهم كانوا يعانون بعضهم البعض. وجاءت ذراعا مونا لتضاً جسد أجوان. حاولت أجوان أن تسحب نفسها من هذا العناق الجماعي، فهي ليست معتادة هذا النوع من الحميمية، ولم تتربّ عليه في مدينتها المحافظة. ولكن كل هذه التحفظات زالت عندما باغتتها راحة عميقة وهي تشعر بهذا الاتصال البشري الحنون الذي حرمت منه طوال الأيام الماضية. وانساب الدموع لتفرق وجهها وتبلل كنف مونا.

«أرايت يا صغيرة؟ سننجو.. سنعيش.. ستعيشين ومستخبرين أحفادك بأنك نجوت من كارثة عظيمة؛ لأنك لم تستسلمي، ولأنك ناضلت من أجل الحياة. أه! ليت رولند كان هنا! هذه نهاية حلوة مزة؛ لأنه ليس هنا ليشاركني إياها».

«أعلم يا مونا.. أعلم.. لولا تلك الإصابة في رأسه.. ولولا عدم وجود طبيب حقيقي على متن هذه السفينة لكان يحتفل معنا الآن بهذه الأخبار السارة».

جلستا في زاوية خصصت لمنطقة للأكل. فقد تمكن طاقم السفينة بتوجيهات من قبطانهم الذكي من حل مشكلة التكس من طريق تخصيص مناطق للنوم، ومنطقة للأكل، ومنطقة للمعيشة. كما وضع جدولاً زمنياً بالمناوبات؛ فهناك من ينام في ساعات معينة وهناك من يقضي باقي اليوم في منطقة المعيشة. وهكذا تمكن من حل مشكلة العدد الكبير للركاب.

«هل تعتقدان أن في هذه المحطة أناشاً سيساعدوننا؟».

«أجوان، أنا مثلك تماماً، ولدت على كوكبنا وترعرعت فيه ولم أغادره من قبل. ولم أكن في يوم مهتمة بأخبار الكواكب الأخرى. رولند كان يطلع على بعض الأخبار من وقت إلى

آخر، ولكن لا أعتقد أنه كان سيخبرنا بالكثير على أي حال. إنها مغامرة لنا جميعًا. إلا طاقم السفينة بالطبع. لا بد أنهم زاروا العديد من المحطات والموانئ من قبل».

«هل ستسألينهم؟ إنني قلقة يا مونا. لست مثلكم. ملابسي لا تناسبني، وجلدي جاف معظم الوقت، والطعام لا يناسب جهاز الهضمي. أخاف إن لم أجد حلاً قريباً أن تكون حياتي غير مريحة أبداً وقد أصاب بأمراض لا أعرفها. كيف أتعامل مع هذا الوضع الجديد؟».

«كما تعاملت مع وضعك في هذه السفينة.. كل يوم بيومه. لا تفكري في بقية حياتك بعد. لم نصل للمحطة ولا نعرف أين نهاية رحلتنا. لا تخافي، نحن رفيقتان الآن. سنكون دعمًا لبعضنا، اتفقنا؟».

هزت أجوان رأسها بالموافقة.. وإن كان القلق يأكلها من الداخل.

فتحت عينيها وسمعت همهمة وشهقات حولها. نهضت من مكانها وهي تتلفت حولها.. الكل قد هجر النوم وتجمع عند نافذة ضيقة في نهاية الردهة. إلّا من ينظرون؟ ترددت قبل أن تضع يدها على كتف أول شخص وجدته قريباً منها: «ما الذي حدث؟ إلى ماذا ينظر الجميع؟».

التفت الشاب الأوكامي نحوها فتعرفت إليه؛ إنه «يونين» أحد أفراد الميناء على كوكبها، وقد عمل أثناء رحلتهم مشرفاً على قسم توزيع البطانيات. رضى عينيه في ظلام الردهة محاولاً أن يرى من يحادثه، ورد عليها بهمسة متحمسة: «إنها المحطة الفضائية!! أخيراً وصلنا كما وعدنا القبطان».

حاولت أجوان أن تقف على أطراف أصابع قدميها وتمد عنقها لترى من فوق رؤوس المتجمهرين أمام النافذة، ولكنها لم تر شيئاً. جالت بنظرها بحثاً عن مونا ولكن لم تجدها. تركت هذه الردهة وتوجهت نحو منطقة الطعام. ولكن عند كل نافذة وجدت عدداً من الركاب يتنافسون ليفوزوا بلمحة من هذه المحطة الشهيرة التي سمعوا عنها ولم يروها من قبل. أليس من الأنانية أن يحظى البعض بمنظر المحطة ولا يترك الفرصة لغيره ليراها ولو لثانية؟!

وفي دقائق بدأت السفينة عملية الالتحام بالمحطة. يبدو أنها عملية معقدة جداً إذ سمعوا الكثير من الأصوات التي تشير إلى اصطدام هيكل السفينة بهيكل المحطة: «بوووم بووووم بووووم.. طاخ طاخ طاخ» لحظات حرجة ومزعجة ذكرتهم جميعاً بالساعات الأولى من رحلتهم السيئة. وهنا جلس معظم الركاب على أرضية السفينة الباردة، فسارعت أجوان لأقرب نافذة منها لتحظى بنظرة سريعة على المحطة..

كان هيكل المحطة ذا لون فضي مطفي.. تماماً كالون أي سفينة فضائية. ولاحظت أيضاً أشرطة طويلة من الرقع المتفحمة التي لم تر شيئاً مثلها من قبل. هل هي نتيجة لحرائق؟ ونظراً لقرب السفينة من المحطة، لم تستطع أن ترى المحطة بأكملها ولكن أدركت من زاوية اقترابهم منها أنها تفوق حجم سفينتهم أضعافاً وأضعافاً. لم تكن أجوان تتخيل أن أحداً يمكنه أن يصنع شيئاً بحجم السفن التجارية التي رأتها في ميناء

العاصمة الأرضية. والآن هي تقترب من منشأة تفوقهم حجفاً كم هو جبار هذا الشعب الذي يمكنه أن يبني منشأة بهذا الحجم! صحيح أن المدن الغارقة على كوكبها تجعل هذه المحطة قزمة، فإن بناءها استغرق قرونًا عديدة ولا توجد سجلات كافية عن تلك المرحلة من تاريخ حضارتهم لتبين لهم كيف تمكن أسلافهم من بناء هذه المدن الجبارة.

هناك حركة وراء هيكل المحطة.. هل تلك نوافذ كبيرة تتخلل الهيكل؟ نعم هي كذلك، أجساد تتحرك ذهابًا وإيابًا. ثرى ما نوع المخلوقات التي تقطن هذه المحطة؟ فقد سمعت من بعض أعضاء طاقم السفينة أن هناك تنوعًا عرقيًا هائلًا فيما أسموه اتحاد الكواكب.. أو ربما عصابة الكواكب.. لم تتمكن بعد من إتقان اللغة الهجينة التي يستخدمها طاقم السفينة. فلأنهم يأتون من كواكب مختلفة فقد تبنا لغة خاصة بهم تحوي كل العبارات والمصطلحات الهامة التي تعينهم على التواصل والتفاهم لضمان إدارة السفينة بطريقة فعالة.

لا شك أن الوضع مشابه في المحطة، إن كانت حقًا تتمتع بتنوع عرقي كما يدعون، فلا بد أن الرطانة على متنها تشابه ما جربته على سفينتهم. ولا شك أن الأوضاع أكثر تعقيدًا مما يمكن لعقلها أن يتصوره. ما عدد الأعراق والأجناس على متن المحطة: 10 أم 20 أم أكثر؟ ما قواعد الحياة بينهم؟ ما مصيرها ومصير مجموعتها في هذا المجتمع الجديد؟ قلبها ينبض كلما فكرت في مستقبل يمتد أمامها، لا وجود فيه لأسرتها أو زوجها. ما أقصى هذا القدر الذي فتح لها عوالم جديدة لم تكن تتخيلها عندما كانت تحلم بالحياة على السطح! ولكن ثمن هذه التجربة الجديدة التي لا تماثلها أية تجربة أخرى؛ هو فناء كل من تحب.

تشعر بحركة خلفها وتمتد يذ لتربت على كتفها: «تنحي أيتها الصغيرة. سنفتح الباب بعد دقائق». لم تنظر خلفها، فهي تعرف من هو. إنه قبطان السفينة اللطيف قليل الكلام. كلما اقترب منها شعرت بطيبة قلبه رغم أنه لا يظهر هذه الطيبة في تعابير وجهه أو في أي كلمات قليلة دارت بينهما؛ فهو ضخم الجثة وله لحية كثة، ولم تره يومًا بدون قبعته السوداء التي يخيل لأجوان أن لو لمستها لوجدتها بالغة النعومة. وكان القبطان دائمًا يخاطبها بـ «أيتها الصغيرة»، ولم يسألها قط عن اسمها أو قصتها. ولكنه يملك قلبًا كبيرًا، تشعر به كبطانية دافئة تغطي كتفيها كلما اقترب منها. لا تستطيع أن تفسر هذا الشعور، ولكن هذا هو الحال منذ أن التقت به لأول مرة بعد هروبهم بهذه السفينة.

عادت لموقعها الدائم في الكابينة الخامسة لكي تستعد لعملية إخلاء السفينة. بحثت عن أغراضها القليلة؛ تلك الأغراض التي حملتها معها وهي تفر من منزلها متجهة إلى ميناء السفن: حقيبة قماشية وبها سترة وقميص فضفاض طويل وبنتال وبعض الملابس الداخلية ونعلها المفضلة التي تلبسها على الشاطئ، وقطرة الدواء لعينيها الجافتين، وأخيرًا شال أمها المفضل. لازمها الشال طوال رحلتها؛ لأنه يدفئها في جو السفينة البارد طوال اليوم. فالفضاء المحيط بالسفينة بارد جدًا، ونظرًا لطول الرحلة ولتلف بعض أجزاء السفينة اضطر طاقمها إلى أن يقتصد في الطاقة، وهكذا لم تمض لحظة على متن السفينة أحست فيها بأي دفء. أصابع يديها الدقيقة دائمة باردة، وكذلك هو الحال مع

قدمها الصغيرتين. باتت تتساءل إن كان سيأتي يوم تشعر فيه بأي دفء وأمان.

أراحت الرائد «روهاني» يديها على طرفي لوحة التحكم الكبيرة أمامها. ثم انكأت عليها بكل ثقلها. كم هي متعبة! لقد أنهكتها المفاوضات التي أجرتها بين السفينتين التجاريتين المختلفتين حول شجار وقع بين اثنتين من أعضاء طاقميهما. لم تكن تتصور أن شعب الناكاي يمكن أن يكون بهذه الشراسة! والآن، عليها أن تتعامل مع هذه السفينة المعطلة التي تدعي أنها قادمة من كوكب ميت. هل من المعقول أن تكون رسالة القبطان حقيقية وليست مجرد إشاعة سمعها ويساهم في نشرها؟

«افتح قناة اتصال مع قبطان السفينة «جويت 5 س ر» - أريد أن أخطب القبطان. وتأكد من طاقم الميناء أنهم لم يفتحوا بوابة الدخول بعد».

«حاضر سيادة الرائد».

يضغط فني الاتصالات بضعة أزرار ويتحدث في ميكروفونه بهدوء، ثم يومئ لها برأسه مشيرًا إلى أن القناة مفتوحة بينها وبين القبطان. تلتقط «روهاني» السماعية الإضافية وتبثها حول رأسها:

«قبطان «جويت 5 س ر»، أرجو أن يكون فريق العمل الذي تواصل معك خلال الدقائق الأخيرة قد شرح لك قواعد السلامة والأمان على محطتنا!».

«نعم، سيادة الرائد. كل شيء واضح الآن».

«حسنًا. سيستقبلك مساعدتي الرقيب هاسان وسيرافقك إلى القسم الطبي. بعد أن تخضع للفحص الطبي المبدئي سيرافقك إلى مركز العمليات هنا. أثناء خضوعك لهذه الفحوصات، سيتحدث معك طاقم سفينتك أن يرسلوا لنظامنا الأساسي جميع الملفات الخاصة بأحداث الرحلة. وسناقشها معك عندما أجمع بك. لا يسمح تحت أي ظرف أن يخرج أي شخص من سفينتك قبل أن أصدر تعليماتي بذلك. هل كل ما قلته واضح يا قبطان؟».

«نعم، سيادة الرائد. هل أتقدم للبوابة الآن؟».

«تفضل، فالرقيب هاسان في انتظارك».

تقرير عن السفينة «جويت 5 س ر».

في التاريخ النجمي 55 / 405، في الساعة الواحدة و43 دقيقة وصلتنا رسالة الاستغاثة من السفينة «جويت 5 س ر» والمسجلة في قطاع 66 كسفينة تجارية. حسب إجراءات القوات المسلحة تم إرسال سفينة استقصاء للتحقق من رسالة الاستغاثة. واتضح أن السفينة المستغيثة تعاني أضرارًا متوسطة لهيكلها ومحركها الأيوني. وقد تم قطر السفينة إلى المحطة واتخذت جميع الإجراءات الأمنية اللازمة لتأمين الركاب والمواد المحمولة على متن السفينة.

تتسع السفينة لطاقم من 7 أشخاص، كما أنها مرخصة لنقل ما لا يزيد على 50 شخصًا

عبر المجرة. وتحمل المركبة حاويات تتسع لمواد تتم المتاجرة فيها عبر المجرة. يشير سجل السفينة إلى أنها كانت تزور الكوكب (ل - ش - 647) الذي يقع ضمن سلسلة الكواكب المرخص لها بالمتاجرة بينها. في اليوم الثاني لوصول السفينة لكوكب (ل - ش - 647) أعلنت السلطات على الكوكب حالة استنفار لاحتمال اقتراب جرم فضائي ضخم من الكوكب. وفي خلال ساعات اتضح أن الجرم الفضائي قد يقترب لمدى غير مريح وقد يسبب كوارث طبيعية على سطح الكوكب. وقامت السلطات بمنع جميع السفن القابعة على أرض الميناء من مغادرته. وفتحت أبواب السفن لأكبر عدد من السكان ممن يستطيعون أن يصلوا لها قبل اقتراب نافذة المغادرة - أي ما يقدر ب 12 ساعة قبل اقتراب الجرم الفضائي.

يقدر قبطان السفينة وجود ما لا يقل عن 23 سفينة على أرض الميناء في تلك الفترة، كما يقدر أن معظم من تمكن من بلوغها هم من سكان الكوكب الذين يعيشون على السطح، ويطلقون عليهم اسم «الأوكامو». بينما هناك شعب آخر وهو الهافيكي ويعيش تحت سطح الماء في مدن غارقة، ولم ينج منهم أحد إلا عدداً بسيطاً كان يسكن على السطح أصلاً ضمن بعثات سياسية وثقافية وعلمية. لا يعرف القبطان كم عدد الناجين إجمالاً. أما سفينته فقد تمكنت من إنقاذ 366 شخصاً (340 أوكامو و26 هافيكيًا)، توفي منهم 5 أوكامو و14 هافيكيًا على متن السفينة من جراء الظروف الصعبة خلال الرحلة. كما توفي هافيكيان آخران في المركز الطبي على المحطة (ب ر 66 - الظافر).

صرح عدة ركاب على متن السفينة بمشاهدتهم الكارثة من نوافذها. فقد أفلعت السفن جميعها عند امتلائها وقبل ساعة الصفر. وراقب الركاب اقتراب الجرم الفضائي الضخم (تصنيف 7ك) من الكوكب. تفيد الشهادات بأن ارتطام الجرم الفضائي بالكوكب لم يكن في الحسبان. ومن وصفهم للكارثة لا نتوقع بقاء أية حياة على ما تبقى من حطام الكوكب (ل - ش - 647).

هناك اقتراح بإرسال سفينة استقصاء للكوكب؛ لمعينة الكارثة والبحث عن ناجين آخرين إذ لم تصل للمحطة سوى سفينة واحدة. نرجو الإفادة.

انتهى ..

الرائد «روهاني بولكوفو».. المحطة الفضائية (ب ر 66 - الظافر).

الظافر

«هل لا تزال عيناك جافتين، حتى بعد أن وضعت القطرة فيهما؟»

ترددت أجوان في الإجابة. تبدو الدكتورة «دورا» مخلصة جدًا في عملها، كما أن سؤالها نابع من رغبة حقيقية في مساعدة أجوان. إن الألوان التي تتكون في ذهنها ثم تتلاحم لتشكّل شيئًا ليس له اسم، ولكن له صدى عاطفي في قلبها، ما هو إلا أمر جديد عليها لم تختبره من قبل. ما هذه اللوحة التي تتشكل في ذهنها كلما كانت مع أشخاص آخرين؟ وما يقلقها هو أنها ليست صورة واضحة لشيء معروف أو مجهول.. إنها ألوان متداخلة بطريقة معقدة تصنع تباينًا كهربائيًا يعزف على أوتار قلبها وذهنها معًا ويجعلها في لحظة تجلّ قادرة على استيعاب عواطف من حولها. منذ متى بدأت هذه الظاهرة؟ لم تكن تشكو من هذه الأعراض قبل أن تركب السفينة.

ولكن بعد أيام قليلة من وجودها في السفينة بدأت تشعر بهلع وجزع عظيمين. في البداية افترضت أنها مشاعر طبيعية لما حدث في تلك الأيام المأساوية. ولكن مع الوقت باتت تميز بين عواطف منشؤها في داخلها، وعواطف تجتاحها وتهاجمها من الخارج. كانت في بعض اللحظات النادرة تستطيع أن تميز عواطف من حولها؛ فهذا شخص حزين يسحقه الألم والجزع؛ وذاك تثور في داخله براكين غضب للظلم الذي وقع عليه؛ وتلك تشعر بقرصات الذنب نحو كل من تركته خلفها. وهناك عواطف سوداء لا يمكن أن تشعر بها في داخلها، ولذلك فليس لديها شك في أنها آتية من شخص آخر.

ربما يكون هذا كله وهماً. ربما تكون الفاجعة قد أفقدتها عقلها، وهي الآن تدور بين الناس مجنونة وتهذي ولا تستطيع أن تطلب المساعدة من أحد. أيمن أن يكون هذا ما حدث؟ هل الفاجعة شوّعت عقلها وقدرتها على التفكير السليم لدرجة أنها الآن تحاول أن تجد تفسيرًا منطقيًا لعاصفة العواطف التي تثور حولها كلما وجدت في تجمع صغير أو كبير؟ ولكن، ما تفسير هدوء تلك العاصفة عندما تكون وحيدة؟ أسئلة مخيفة تبقى دون إجابة؛ لأنها لا تجرؤ على مناقشتها مع أحد. فهي لا تعرف أحدًا، وحتى من أصبحت تعرفهم، فإنها لا تثق بهم كل الثقة.

مسكينة هذه الطيبة! فهي تحاول أن تعد قائمة بكل مشاكل أجوان الجسدية: جفاف

الجلد والعين. الأكل الذي لا يتوافق مع جهازها الهضمي. الأدوية التي لا تتوافق مع تركيبها العضوية. أما الشخص الجدير بإعجاب أجوان فهو الخبير الكيميائي على متن المحطة. إنه غريب الأطوار، وإن كانت أجوان غير متأكدة، إن لم يكن كل ما يقوم به ممارسات طبيعية اعتادها على كوكبه الأم. «سوروت» افتتن بقضية أجوان وغيرها من الهافيكى منذ اللحظة الأولى؛ فما إن اصطحبته الدكتورة «دورا» لغرفة الفحص التي ترقد فيها أجوان حتى بدأ يلزمها ويسألها أسئلة علمية تفصيلية، تعجز عن إجابتها معظم الوقت؛ نظراً لعدم إلمامها بالمجالات التي تدور حولها.

ما نسبة الأكسجين في غلافكم الجوي وفي محيطاتكم؟

ما الأملاح التي تتوافر في المحيطات وتعمل على تغذية جلدكم؟

ما مقدار القلوية في مياهكم؟

هل يؤثر التلوث على جهازكم التنفسي؟ كيف؟

ما مقدار السوائل التي يجب أن تشربها في اليوم الواحد؟

ما المواد التي تسبب لك الحساسية؟

مئات الأسئلة التي أصابتها بالهوس وسببت لها الاكتئاب الحاد. لماذا لا تكون لديها إجابات عن هذه الأسئلة؟ كيف يعقل أن تكون قد ولدت وتربت على كوكبها لما يزيد على 18 عامًا وتبقى جاهلة تمامًا بكل هذه التفاصيل البديهية؟ أنا غبية! لقد تربيت في بيئة تسمح لي بالحصول على أية معلومات حول كل ما يحيط بي، ومع ذلك سارعته بهجر ذلك كله. لماذا؟ لأحظى بالحياة على السطح! كم كنت طفلة مدللة وجاحدة! ولولا المصالحة التي بادر بها أخوها الأصغر «داما» ليلم الشمل بينها وبين والديها لبقيت على السطح وانقطعت للأبد عن أسرتها وشعبها.

نظرت لوجهها في المرأة للمرة الأخيرة قبل أن تخرج من غرفة نومها. حركت رأسها لليمين ولليسار لتتأكد من أن وجهها البيضاوي قد تغطى تمامًا بالمساحيق الواقية من الشمس، فبشرتها الملساء الناصعة البياض لا تتحمل أشعة الشمس الحارة، فهي شاحبة كطبيعة كل الهافيكى. والحياة تحت الماء لأشهر طويلة تزيد شفافيتها حتى يمكن رؤية شرايينها بين حاجبيها وأجزاء من رقبتها. يستغرب الأوكامو من شدة شحوبة الهافيكى، وقد سمعت أكثر من شخص يصفهم استهزاءً بسمك الكهوف. لمعت عينها الفيروزيتان بضحكة من جهل الأوكامو. وتذكرت التأثير الذي تسببه عينها لكل أوكامو قابلته حتى الآن، فالكل ينعقد لسانه عندما تلتقي عيناه بعينيها. حتى ركان عندما التقت به في المرة الأولى في محطة الأبحاث الألفية تلثم ولم يستطع أن يكمل تقديم نفسه، وقضى معظم الوقت يحدق إلى عينيها دون أن يعي ما تقوله له. نعم، الكل مأخوذ بعينيها. ولكنها لا تحب أنفها الطويل المدب، فهو لا يشبه أنف والدها أو والدتها، ولكن والدتها أكدت لها أنه نسخة من أنف جدتها لأبيها. كما هو الحال مع فمها الصغير الذي يميز الإناث في أسرة والدها. كم قضت ساعات وساعات تتمنى لو تجرؤ على أن تطلب من والدتها اصطحابها لعملية تجميل لتكبيره، ولكنها تعلم جيدًا أن أمها لم تكن من محبي

تتنهد وتمسح شعرها البني الغامق للمرة الأخيرة وتخرج من غرفة النوم متجهة لباب البيت. فينهض ركان من على الكنبه ويتفحص مظهرها بعيني العالم الخبير.

«قلت لك لا داعي لذلك المعطف، إنه أوكامي بشكل مبالغ فيه. أنت ذاهبة لمصالحة أم لحرب جديدة؟».

تفحصت أجوان المعطف الصيفي الأزرق الباهت الذي يمتد إلى ركبتها، وربطت الحزام حول وسطها بنصف عقدة، ورفعت رأسها بحركة عنيدة تعوّد ركان أن يراها منها عندما تدرك أنها على خطأ: «ماذا تعني بأنه أوكامي بشكل مبالغ فيه؟ إنه معطف، وانتهينا».

«لا ليس كذلك. فبعد أن انقطعت عن مدينتك وأهلك لأكثر من ثلاثة أشهر، لا اعتقد أن ظهورك أمامهم بهذا المظهر سيساعدك كثيرًا على كسب ودهم ومغفرتهم».

تدفقت الدماء إلى وجهها وقطبت جبينها ووضعت قبضتين محكمتين على خصرها وقالت بنبرة غاضبة: «مغفرتهم؟ وما الذي فعلته لكي أطلب المغفرة؟! إنني امرأة راشدة، ولي الحق في أن أتخذ القرارات عن نفسي، و...».

«مهلاً، مهلاً! أتحاضرين لي الآن؟ إنني أقف في صفك 100%؛ ولذلك فإنني لا أريد أن أرى أي أذى يصيبك. وإن انقطاعك عن أهلك فيه ضرر لك. كما أن اختيارك لملايسك يدل على أنك تريد أن تسجلي نقطة ضدهم. وهذا أيضًا فيه ضرر لك. أرجوك... استبدلي به ملايس مدينتك. فمهما تغيرت الأحوال، ستبقى دائمًا هافيك من مدينة أميتيرا».

مد يده للحزام وفكّه بسرعة ثم أدار جسدها وهو يخلع عنها المعطف، ويطويه بهدوء فوق ذراعه. أطرقت برأسها لتخفي وجهها عنه، وتنهدت وقالت:

«ليتك تذهب معي!».

نظر إليها بنظرة عاتبة فأشاحت بوجهها ثانية، وقالت:

«طيب، طيب... أعلم أننا تناقشنا في هذا الموضوع وأنا قررنا أن مجيئك معي اليوم لن يكون في صالحنا. وأنتك سترافقني في المرة القادمة».

الرحلة من الميناء السطحي إلى مدينة أميتيرا ليست قصيرة، ومع ذلك ما إن انتهت الرحلة حتى أحست أجوان بأنها كانت قصيرة جدًا، وتمنت لو كانت أطول من ذلك بكثير. استقبلها عند المنفذ الرئيسي أخوها الأصغر داما الذي أحبها - منذ صغره - حبًا عظيمًا وكان يلتصق بها طوال الوقت. ولأنه الأصغر فقد كان من الطبيعي أن يكون نقطة ضعف والديها؛ إذ كان من الصعب عليهما أن يرفضاً له أي طلب. وقد سارع داما للسطح ليحضر زفافها ويقف بجانبها، وهو ما لم يستطع فعله أخوها الأكبر خوفًا من غضب والده. لطالما كان داما جريئًا ومغامرًا وإيجابيًا، ولا يأبه بغضب من حوله.

اصطحبها داما لمنطقة منزل والديها ولم يكف عن الحديث طوال الطريق. داما متفوق لغويًا ولديه القدرة على الحديث دون انقطاع عن كل شيء يمكن أن يتخيله أو لا يمكن أن يتخيله أحد. كما أن له صداقات عديدة مع من هم أصغر منه وفي سنه ومن هم أكبر

منه يعرف أخبارهم وأخبار أسرهم. وهكذا قضى المدة يطلعها على آخر الأحداث. انتقلا من حزام نقل إلى حزام آخر دون راحة أو تردد. قد تكون قد غابت عن مدينتها لثلاثة أشهر إلا أن قدميها تملكان ذاكرة قوية لا يمكن أن يمحوها الغياب. هذا الدرب الذي تقطعه كل يوم من طرف المدينة إلى منطقة منزلها أو أكاديميتها أو منزل أحد أصدقائها. إنه مألوف كملامح وجهها. وأثناء مشيهما كانت تنظر للمدينة بعين مختلفة. كم هي صغيرة هذه الأزقة وأحزمة التنقل! كم هو مزعج صوت الأجهزة المحيطة بهم والتي تسمح لهم بالحياة في مدينة غارقة تحت أطنان من الماء. والسكان. تفحصت كل من حولها فوجدتهم ينساقون في حياتهم هذه دون تفكير أو اعتراض. عقولهم قد «تبرمجت» على خط سير من العمل إلى المنزل إلى مناطق التجمع الترفيهية إلى المنزل وهكذا. أرادت أن تصرخ فيهم: لستم مضطرين للعيش غارقين! هناك عالم فوق السطح؛ عالم جميل لا يمكن وصفه؛ السماء واسعة وزرقتها تؤلم العين. والشمس المانحة للحياة تحيي المخلوقات كل يوم فتبعث فيهم الأمل ليوم جديد. والبحار والمحيطات تمتد في كل اتجاه بلون لا يرى من أعماق آلاف الأقدام. والهواء.. الهواء فوق السطح نقي ومشبع بالرطوبة دون الحاجة لمروره في أجهزة اصطناعية تسلبه عذوبته والحياة التي يمنحها لكل المخلوقات السطحية.

ولكنها لم تصرخ.. ولم تقم بأية حركة تكسر بها بروتوكول الحياة في مدينتها العريقة. يكفي أنها «نفدت بجلدها» من هذه الحياة الخائفة. لا يمكنها أن تنقذ من لا يريد أن يُنقذ. ثم لا يبدو على السكان الضيق أو الاكتئاب، بل يتضح تمامًا أنهم يمضون في حياتهم برضا وعزيمة. ليست هذه مشكلتها، فهي اليوم جاءت فقط لتتصالح مع والديها ولتعود حياتها لطبيعتها. ومع مرور الوقت ستأتي بزوجها ركان لمنزل والديها وتعرفه إلى الأسرة كلها. وستحظى أخيرًا بما أرادت، وهو التوازن بين عالمين. وكل ما عليها فعله اليوم هو أن تكون الابنة المهيبة وتستمع لوالديها وهما يعظانها ويشكوان من قرارها «الخطأ» ثم تقبلهما وتغادر.

عند باب المسكن، أخذت أجوان نفسًا عميقًا ورسمت ابتسامة خجولًا على شفتيها وتبعت أخاها للداخل.

رفع داما صوته في بهو المسكن: «أمي، وصلت أجوان!!».

فيأتي صوت والدتها الدافئ الحنون: «داما! ما هذا يا ولد؟ أين أخلاقك؟ صراخ وزعيق في وسط المسكن الهادئ؟ لم تعد في الرابعة من العمر يا ولدا!».

ثم تراها أجوان تهبط من سلم الطابق العلوي وقد ارتدت ثوبها المنزلي المفضل، بتصميمه الفضفاض وبألوانه المحاكية للشعاب المرجانية في هذه المنطقة من المحيط. تنظر رايا نا إلى الأسفل فتقع عينها على ابنتها التي لم ترها منذ أشهر. تبتسم بطريقة لا يمكن أن تقوم بها إلا أم تربطها بأبنائها علاقة حب عميق يمكنه أن يتجاوز أي خلاف أو غضب أو ضيق. تجري أجوان نحو السلم، بينما تنزل والدتها بسرعة لقدم السلم وتحضنها بقوة. تنهمر الكلمات من فم أجوان وهي تقبل وجه أمها وكتفيها وكفيها:

«اشتقت لك يا أمي! اشتقت بصورة لا أستطيع أن أصفها لك! اشتقت لصوتك وللمسة

رايانا لا تقول أي شيء.. بل تبادل ابنتها الأحضان والقبلات والدموع التي تتخللها الابتسامات. تمسك بيدها وتقودها لغرفة المعيشة في الطابق السفلي. تجلس على كنبها المفضلة وتسحب أجوان لتجلس بجانبها وتضع رأسها على كتفها وتضمها بذراعيها. تبقى الاثنان هكذا تحادثان بصوت هامس تحيط بهما الكنبات المريحة المغطاة بالجوخ الفاتح اللون، والستائر الشفافة التي تغطي الجدران الصماء.. فيتركها داما وهو يمسح الدموع عن وجهه.

والدتي تحبني كثيرًا وتخاف علي، ووالدي أيضًا يحبني ويعتقد أنه أعلم بمصلحتي مني. تحديثهما كليهما من أجل فرصة لحياة جديدة ومثيرة. ومع ذلك ها هما يغفران لي هذا التحدي لتقاليد الأسرة وأعراف المدينة. قد يبدو أبي مترددًا بعض الشيء وهو يجلس بجانب والدتي، الآن يراقباني وكأنهما ينتظران أن أقوم بشيء غريب - ربما تنبت لي أجنحة مثل السمك الطيار وأطير حول الغرفة.

ابتسمت أجوان في داخلها ابتسامة ساخرة لأنها تحب السمك الطيار، وتحب معزوفة السمك الطيار التي يعزفونها في كل عيد. ولكن ابتسامتها لوالديها كانت حقيقية لا سخرية فيها. يكفي هذا، عليها أن تنفذ ما وعدت به نفسها و«ركان»، عليها أن تنهي هذا الخلاف وتنتزع عفواً كاملاً من والديها ثم تأخذ منهما عهداً بزيارتها على السطح.

تقف أجوان وتتجه نحو والديها وتبدأ بكلمات تدرت عليها طويلاً: «أبي، أمي، أريد أن ننسى كل ما حدث في السابق.. وبودي لو تزوراني في مسكني على السطح.. و...»

يدوي انفجار هائل وتظهر شقوق في حائط المسكن مباشرة وراء الكنب التي يجلس عليها والداها. ينظر غاثي ورايانا خلفهما وفي عشر الثانية يتحول الشق إلى حفرة تنفذ منها آلاف الأطنان من مياه المحيط الذي يبتلع كل ما في الغرفة في ثوانٍ..

تصرخ أجوان وهي تقبع في سريرها الصغير في عنبر القسم الطبي في المحطة. كابوس آخر! مجرد كابوس. كل ليلة ترى كابوساً مختلفاً.. ولكن القاسم المشترك بينها جميعها أن أسرتها تُباد في كل كابوس. تلك نهايتهم دائماً. الحزن الذي تشعر به دائماً، يتحول إلى غضب حارق.. تنظر حولها فتستغرب أن غضبها المشتعل بداخلها لم يذب كل شيء يحيط بها! كيف يمكن لغضب مثل هذا أن تحتويه في داخلها؟! تنهض من سريرها.. تقف في وسط الغرفة الضيقة وتضم ذراعيها حولها كأنها تريد أن تحتجز ما بداخلها.. أن تمنعه من الخروج.. تعصر جسدها بذراعيها، بينما تعتصر حلقها صرخة لا تتمكن من إخراجها. تضرب عينيها بقوة لتمنع أنهار الدموع التي تنساب بشكل يومي. تنفسها سريع وعنيف وعالٍ كالمنفاخ. تكون قبضة قوية بيد واحدة وتضرب على فخذه في محاولة منها لخلق ألم جديد يغطي على ألمها القديم.. على جرحها النازف الذي لا يمكن أن يتوقف. هناك هدير داخل رأسها، كهدير شلال الماء في قاعة الترفيه في مدينتها. تنفسها السريع يسبب لها الدوار.. فتعود لتجلس على طرف سريرها. يبدأ قلبها بالعودة لمستوى دقاته الطبيعي.. وتخور قواها فتستلقي ثانية.

تلاحظ وجود الممرضة عند الباب، إذ لم تتنبه لدخولها فقد كان ظهرها للباب، ولكن شعرت تلقائيًا بأحاسيسها. إنها تشعر بالشفقة عليها، يا للعار! لم تمض مدة طويلة على فناء شعبها وهاهي أجوان تفقد السيطرة على نفسها لدرجة أن من حولها بدءوا يرون حالتها المؤسفة ويشفقون عليها. تغمض عينيها وتشيح بوجهها عن الممرضة. تدخل الممرضة الغرفة وتتفحص الأجهزة المحيطة بأجوان لتتأكد من أن حالتها مستقرة. وبما أن أجوان تواصل تجاهلها لها، تستنتج الممرضة أنها لا تحتاج إليها فتغادر الغرفة بهدوء.

لا توجد نوافذ في هذه المنطقة من المحطة؛ لذا لا تستطيع أجوان الجزم بالمدة التي قضتها في الغرفة الخاصة بها التي انتقلت لها منذ ... هل مر يومان أم أكثر؟ لقد قضت معظم تلك الفترة نائمة نوماً عميقاً في البداية؛ نظرًا للإنهاك الذي كانت تشعر به، ولكنه تحول لاحقًا إلى نوم متقلب قلق تتخلله الكوابيس. تتذكر أن إحدى الممرضات دخلت غرفتها بصينية أكل. ها هو الأكل في الصينية .. لم تتذوقه.. كلما نظرت إليه انقلبت معدتها.

تقترب من الباب، وتجد لوحة تحكم بسيطة، فتضغط على مفتاح وحيد فينزلق الباب بهدوء، وتنظر للخارج. عندما اقتيدت لهذه الغرفة، شكل التنوع في الأصوات والمشاهد والأضواء والروائح تجربة عظيمة كصعقة كهربائية أوقفت التفكير في ذهنها؛ لذلك لا تستطيع في هذه اللحظة أن تتذكر ما رآته أو سمعته في رحلتها القصيرة من ميناء التحام السفن للقسم الطبي في المحطة. وقد انتقلت في خلال ساعات قصيرة من غرفة لغرفة، حتى إنها لم تعد تتذكر موقعها. أما الآن فهي أكثر استقرارًا، الباب يقود إلى ممر طويل تتخلله أبواب بيضاء مشابهة لبابها. ولكن في نهاية الممر هناك رجل يرتدي بدلة مشابهة لبدلة الرجال الذين اقتادوها للقسم الطبي. ينظر لها الرجل لبعض الوقت، ثم يلتفت لشخص ليس في مجال بصرها ويحدثه.

يبرز شخص آخر، ويتجه نحوها. هذا شخص جديد لم تره من قبل، يرتدي بدلة بسيطة خضراء باهتة تشبه بدلة الممرضات الزهرية اللون. يقترب منها ويبتسم لها ويقول: «أنستي، عليك أن تبقي في الغرفة». يقولها بطريقة من يحدث طفلة في الثالثة من العمر. تفكر أجوان مليًا قبل أن تجيبه: «أنا بحاجة لغسل وجهي».

«تريدين دورة المياه؟ هذه هي». ويفتح أحد الأبواب المنتشرة في الممر الطويل. تترك أجوان غرفتها وتدخل دورة المياه، ولكن تلاحظ أن الممرض ما زال واقفًا عند باب دورة المياه. تصدر منه أحاسيس غير مريحة. في تلك اللحظة تدرك أجوان أنها لن تستلطف هذا الرجل أبدًا. تنظر للوحة الباب، تضغط المفتاح بعنف فينزلق مغلقًا. تلفت حولها فتلاحظ أن دورة المياه صغيرة جدًا ولكن هناك امرأة مربعة صغيرة بجانب الباب. تقترب من المرأة لتنظر لانعكاسها. مضت مدة منذ أن نظرت لوجهها ومظهرها؛ ولذلك فوجئت بما رآته؛ وجهها البياضوي بدا نحيلًا بعض الشيء. أيام طويلة من الجوع والجزع والمعاناة قد كبدها الكثير من الخسائر ومنها وزنها وطبيعتها بشرتها. وجهها الناصع البياض الذي بدا في بعض الأيام شفافًا نظرًا لقلة تعرضها للشمس بشكل عام، بدا

الآن أكثر شحوبة ويميل إلى الخضرة بسبب شفافية جلدها الذي يكشف عن لون شرابيتها. عيناها اللتان كانتا تشعان بنور داخلي فيروزي صافٍ، تبدوان اليوم حفرتين سوداوين تخفيان محيطات عميقة تتأجج تحت سطحها دوامات تغرق من يستكشفها. أنفها الذي كان يوماً غير مناسب لوجهها ومصدر إزعاج لها خلال مراقبتها، ولكنه مع الوقت أصبح مثاليًا يتصدر وجهها.. عاد الآن ليغير ملامح وجهها الذي قلصته الفاجعة. وفمها الصغير الذي يميز الإناث في أسرتها لم ينفرج عن ابتسامة أو ضحكة منذ أن خرجت من منزلها ذاك اليوم المشنوم منذ عدة أسابيع.

شعرها البني الغامق الذي اعتنت به في حياتها السابقة حتى بلغ خصرها لم يعد كثيفًا وبراقًا؛ وقد قامت بتقصيره على متن السفينة.. لدى الهافيكي تقليد عمره قرون عديدة حتى لم يعد أحد يذكر مناسبته، فمن التقليد أن تقوم الإناث في الأسرة الحاكمة والكثير من الأسر التقليدية بالسماح لشعرهن بأن ينمو؛ إنها علامة النبيل والكمال. وكلما كان شعر الفتاة أطول كانت مكانتها أعلى واحترام من حولها لها أعمق. وفي المقابل، هناك تقليد آخر تتبعه بعض الأسر في المدن الاثنتي عشرة؛ فعندما تفقد الأسرة عزيزًا عليها، قد يبلغ الحزن بأفراد العائلة الإناث أن يقصصن شعرهن الطويل إشارة إلى عمق الحزن والفاجعة. وهل هناك فاجعة أكبر من أن يفقد المرء أسرته وشعبه وكوكبه؟ لذا وفي لحظة حزن مجنون على متن السفينة تناولت أجوان مقصًا وقصت شعرها بحرقه وعنف شديدين، ولم تبقَ إلا على بضعة سنتيمترات. وربما لو كانت لديها شفرة ويد ثابتة لحلقت رأسها تمامًا.

باختصار، لم تجد أجوان نفسها في المرأة، وبعد تأمل طويل لملامح هذه الشخصية الجديدة، لم تنظر لنفسها في مرآة بعدها - ولمدة أشهر طويلة. خرجت أجوان من دورة المياه فوجدت الممرض ذاته واقفًا في الممر ينظر لها بنظرة غير مريحة. تجنبت النظر إليه واتجهت بسرعة نحو غرفتها. دخلت الغرفة مسرعة ففوجئت بأنها ليست كما تركتها. وجدت في وسط الغرفة الصغيرة الخالية من النوافذ امرأة طويلة لم ترها من قبل. وقفت المرأة منتصبّة الظهر وكأنها مربوطة إلى عمود، وقد شبكت يديها وراء ظهرها. أكثر ما لفت انتباه أجوان هو شعر المرأة الذي كان بلون الشمس. لم تثر أجوان شعزًا بهذا اللون من قبل، فتسمرت في مكانها عند مدخل الغرفة وظهرها مستند للباب المغلق. من هذه المرأة التي دخلت غرفتها بهذه الحربة وتقف الآن كأنها الماندانة؟

ورغم عدم معرفة أجوان عمر المرأة فقد خمنت أنها ليست صغيرة في السن. قد تكون في سن والدتها أو أصغر قليلًا، ولكنها حتمًا ليست قريبة من سن أجوان. وجهها العريض لم يكن جميلًا ولكنه يحوي ملامح جذابة خاصة عظمة الخد التي بدت بارزة فأضافت لمحة أنثوية هي سر الجاذبية في وجهها. وقد تكون إضاءة الغرفة منخفضة بعض الشيء ولكن عيني أجوان استطاعت أن تميزا في هذا الوجه بعض التجاعيد حول الشفتين والعينين. نعم، لا يمكن أن تكون صغيرة. أدركت أجوان أن المرأة لم تتحرك من مكانها أو تحرك عينيها عن وجه أجوان. ساد الصمت بينهما لثوانٍ طويلة بدت كالساعات. وقفت «روهاني بولكوفو» وظهرها للجدار الأبعد من الغرفة. فقد استوقفتها هذه

الفتاة ذات العينين الفيروزيتين اللتين تجتذبان النظر وتشوشان التفكير لأول وهلة. إنها الشخصية الرابعة عشرة التي تستجوبها اليوم، فقد قضت روهاني معظم اليوم تنتقل من غرفة لغرفة تقابل طاقم السفينة والناجين الذين وصلوا على متنها. وقد قامت بانتقاء الأسماء بطريقة عشوائية منظمة. فهي بالطبع لا تستطيع أن تقوم بنفسها باستجوابهم جميعاً، فهناك أكثر من 370 شخصاً في القائمة، ولكنها انتقت عينات منهم. فقد استجوبت القبطان ومساعدته والمسئول التقني للسفينة. ثم انتقت من الأرضيين عدداً بسيطاً وآخر من المائيين. وفي مقابلاتها معهم كانت تحاول أن تصل إلى حقيقة تفاصيل الكارثة والرحلة بمطابقة الحقائق كما يرويها المستجوبون. بينما يقوم مساعدوها «هاسان» و«رونديل» باستجواب البقية على مدى الأيام المقبلة.

عندما دخلت الغرفة كانت تعلم أن الفتاة في دورة المياه؛ لذلك استغلت الفرصة في تفتيش أغراضها بسرعة. لم تجد سوى بعض الملابس التي تحتاج لغسيل، ولا شيء ثميناً بينها. وسمعت باب دورة المياه يفتح، فألقت الحقيبة تحت السرير تماماً كما وجدها واتخذت موقعها الحالي. عادة ما تتخذ روهاني هذه الوضعية عندما تستجوب الزوار بصفتها المسئول الأول والأخير عن أمن المحطة. فهي محطة عسكرية في نهاية الأمر، ويجب أن يتم التأكد من جميع الحقائق من كل من يمر بها حفاظاً على أمنها وعلى أمن الاتحاد. ولكنها فوجئت بمظهر الفتاة التي دخلت عليها. تبدو صغيرة، وقد أضافت الأحداث لعينيها عقوداً من الزمن. وشعرها القصير جداً يبدو غير منتظم.. هل قام أحد بقضه رغماً عنها؟ لا يمكن لفتاة في هذا العمر أن تسمح لشعرها أن يكون مبتوراً بهذا الشكل! ولكن، ما أدراكها بحضارات وثقافات شعوب الكواكب المختلفة! ربما يكون هذا الشعر مثلاً للجمال.. أو الموضة!

انقضت دقيقة كاملة وهما تتواجهان وتراقبان بعضهما. أجوان لم تشعر بالأمان والثقة الكافية لكسر الصمت. أدركت الرائد روهاني أن عليها أن تقول شيئاً. فقالت: «مرحباً. أنت واحدة من الناجين من السفينة جويت، أليس كذلك؟».

ترددت أجوان لثانية قبل أن تجيب عن السؤال: «نعم...». ولم تجد أية كلمات أخرى تسعفها في هذا الموقف. نعم هي من الناجين والقادمين على متن السفينة. نعم كوكبها انتهى. نعم أسرتها انتهت. نعم حياتها دمرت. ماذا تريد أن تسألني عنه أيضاً أيتها السيدة القاسية؟ ومع ذلك، بدأت تلك الحالة تصيبها ثانية.. ما هذا الذي يدغدغ ذهنها؟ بعض العجب.. والفضول.. والراحة النفسية.. والتعاطف. هل هذا ما تشعر به هذا المرأة؟ وهل هي مشاعر متعلقة بأجوان، أم كانت موجودة أصلاً وليس لها علاقة بها؟ جنون! هذا جنون! ما معنى كل هذه العواطف التي تتفتح أمامها وكأنها كتاب مصور واضح للعيان؟!

«تسمحين لي بالجلوس؟».

لم تعرف أجوان ما التصرف المناسب مع سؤال المرأة في هذه الحضارة المختلفة عن حضارتها. ولكنها نظرت تلقائياً لحافة السرير. وكأن المرأة كانت تنتظر منها هذا التنازل، إذ إنها أخذت الخطوة التي تفصلها عن السرير، وجلست على حافته ونظرت لأجوان.

رأت أجوان في ذلك دعوة لها للجلوس أيضًا، ولأنها فتاة مهذبة قضت مئات الساعات في التدريب على اللباقة، تركت مكانها بجانب الباب وجلست على أبعد حافة للسريـر.
عاد الصمت ليسود الغرفة، والتفتت روهاني إلى الطاولة الصغيرة البارزة من جدار الغرفة، حيث تركت الممرضة صينية الأكل.

«لم تأكلي وجبتك». لم تقصده روهاني كسؤال بقدر ما كان طريقة للبدء في الحديث.
حركت أجوان كتفيها بطريقة غريبة لم ترها روهاني من قبل. ورغم فضولها ورغبتها في معرفة معنى الحركة - هل هي نفي أم إيجاب - فإنها واصلت الحديث.
«اسمي الرائد روهاني بولكوفو، وأنا القائد في هذه المحطة. من واجبي إدارة شئون المحطة والحفاظ على الأمن، ولذلك فقد قضيت اليوم عدة ساعات مع أشخاص من سفيتكم. أردت أن أستوضح منك بعض الأمور».

لم تقل أجوان شيئًا، فهي لا تعرف كيف تواجه هذا الموقف. إنها وحيدة وضعيفة في يد أغراب من عالم آخر. هل لها أن ترفض أو تعترض؟ بالطبع لا. إذن فهي ستصمت وتصغي وترى أين يقودها قدرها.
«هل حقًا ما يقولون؟ هل دمر نيزك كوكبكم؟».

آه!! كم هي مؤلمة تلك الكلمات من فم شخص آخر! حتى هذه اللحظة، كان كل شيء كابوشا فطيغا شاركها فيه من عرفتهم على متن السفينة. ولكن الكابوس الطويل المؤلم لم يعد كابوشا، بل حقيقة مزة اختزلتها امرأة غريبة في عبارة قصيرة وكأنها تقرأ خبرًا علميًا خاليًا من العواطف أو تنقل إشاعة بغیضة عن حدث في مكان بعيد. امتلأت عينا أجوان بالدموع وانهمرت لتصنع دروبًا جديدة على خديها. وتسارع نبضها وتنفسها ثانية وهي تنظر لأرضية الغرفة بحثًا عن مكان مظلم صامت تختبئ فيه وتسدل الستار على حياتها.

روهاني التي استجوبت عشرات البشر والمخلوقات في حياتها المهنية، لم تكن غير مستعدة لما قد يحدث لشخص عانى كارثة أو أزمة شخصية، فهي قد تعودت على ذلك. ولكن لسبب غريب، مال قلبها لهذه الفتاة ذات العينين الغريبتين، ولم تشعر بنفسها وهي تأخذها بين ذراعيها محاولة أن تخفف عنها الحزن والألم: «أنا آسفة، اعذريني إن كان سؤالي قاسيًا، لم أقصد أن أوقظ الحزن ثانية».

أجهشت أجوان بالبكاء وهي تتعلق برقبة روهاني وكانت تردد: «ماتوا! كلهم ماتوا!! كلهم ماتوا!!!».

أحست روهاني بدموع الفتاة التي أغرقت سترتها ونفذت إلى قميصها ثم إلى جلدها. ولكنها لم تسحب ذراعيها أو تدفع أجوان بعيدًا، بل استمرت في تقديم المواساة والعزاء بالطريقة الوحيدة التي تعرفها. وفي الوقت ذاته كان ذهنها يعمل بسرعة هائلة. ماذا أفعل الآن؟ هل سأعود لدوري السابق، بعد أن أظهرت لها جانبًا إنسانيًا لم أظهره لأحد من قبل؟ لم يحدث في تاريخ حياتها المهنية أن حضنت شخصًا وهي تستجوبه، بل دائمًا ما كانت تزداد قساوة وجفاءً في جلسات الاستجواب التي تشرف عليها شخصيًا. وهادي

تنهار في أول دقيقتين من مقابلة فتاة لا تربطها بها أية علاقة أو معرفة من قبل. إنني ضعيفة! فقدت براعتي! قد لا أنفع حتى في إدارة هذه المحطة بعد اليوم!

خفت حدة بكاء أجوان فسحبت ذراعيها من حول رقبة الرائد وضمتهما حول نفسها. لم ترفع نظرها للرائد، فهي تشعر الآن بأنها طفلة حمقاء وقد جلبت لنفسها ولأسرتها العار بتصرفها الضعيف. لا بد أن هذه المسئولة تنظر لها باحتقار؛ لأنها لم تملك القدرة على السيطرة على عواطفها. ولكن، لم تشعر بأي موجات سلبية منبعثة منها. تجرأت أجوان ورفعت عينيها بهدوء لتنظر لوجه المرأة. في الوقت نفسه ركزت بذهنها ليستقبل ذاك الإحساس الذي اكتشفته مؤخرًا. أحست بتعاطف كبير من المرأة، وخلفه يختبئ شعور غريب.. هل هذا إحراج؟ ولكن لماذا تشعر المرأة بالإحراج؟ عليها أن تشغلها سريعًا لكي تطوي صفحة الدقائق المحرجة الماضية. أخذت نفسًا وسألتها:

«اسمك الرائد؟ انا اسمي أجوان».

خرجت ضحكة عفوية من حنجرة روهاني قبل أن تتمكن من السيطرة عليها.. وظهرت في وجهها غمازتان لطيفتان أزالتا عقدًا من الزمان من وجه الرائد: «لا، اسمي روهاني.. الرائد رتبتي».

«عفوا.. رتبتي؟ ماذا يعني هذا؟».

«الرائد رتبة عسكرية في القوات المسلحة للاتحاد الفضائي للكواكب».

صمت أجوان للحظة.. فاستدركت روهاني: «أليس لديكم قوات مسلحة على كوكبكم؟ أقصد.. ألم تكن لديكم أنظمة عسكرية؟».

هزت أجوان كتفيها، لأنها لم تفهم المقصود بالسؤال.

«لا يهم.. ليس هذا موضوعنا. هل لي أن أسألك عن بعض تفاصيل ما حدث قبل ركوبك السفينة؟».

أغمضت أجوان عينيها، وأخذت نفسًا عميقًا وأجابت بصوت منخفض يهتز قليلًا: «كنا نعتقد أن المذنب سيمر بعيدًا عنا.. لقد أصر العلماء على أنه لا يشكل خطرًا علينا... كانوا على ثقة كاملة!! لا أدري كيف تغير كل هذا؟ فجأة جاءتنا الإنذارات عبر العديد من قنوات الاتصال الإعلامي بأن الخطر يبعد ساعات قليلة وأن كل من يستطيع أن يصل إلى سفينة فضائية عليه أن يتوجه لها فورًا.... وهو ما فعلته.. ركان كان في محطة أبحاث بعيدة جدًا وألح في طلبه أن أتجه للميناء الفضائي وأن أستقل أول سفينة وأنتظره على متنها.. ولكن.. ولكن..».

صمت أجوان مدة.. فاستغلت روهاني الفرصة لتسألها: «من هو ركان؟».

خرجت أجوان من دوامة تفكيرها ونظرت لروهاني نظرة حزن وبأس: «زوجي.. ولكنه لم يستقل سفينتنا.. ولدي إحساس أنه لم ينج.. تمامًا مثلما أنا متأكدة أن أسرتي بأكملها لم تنج!».

أحست روهاني بالحزن من أجلها، وكمحاوله منها لبث بعض التفاؤل في نفسها، قالت وهي تبتسم: «ربما تمكنوا من النجاة بسفينة أخرى، فقد ذكر لي القبطان أن عدة سفن

«أنت لا تعرفين من المستحيل أن تكون أسرتي قد نجت. لقد حاولت أن أتواصل معهم في تلك الساعات الأخيرة، ولكن جميع قنوات الاتصال بمدننا كانت مزدحمة جدًا، فلم أتمكن من محادثة أي أحد. لا أدري حتى إن كان لديهم علم بالكارثة المحدقة بالكوكب... ربما فوجئوا في اللحظات الأخيرة».

وهنا اغرورقت عينها ثانية ودفنت وجهها في كفيها. هذه المرة، لم تتحرك روهاني لتهدئتها، فقد خفت حدة ذاك البكاء، ويمكن مواصلة الحديث بهدوء الآن. إن قصة أجوان ليست غريبة عليها، فقد سمعتها بطرق مختلفة ممن استجوبتهم حتى الآن.

«نعم، فهمت أن الكارثة فاجأت الكل، وحجمها الهائل جعل إيجاد الحلول لها أمراً مستحيلاً. الحل الوحيد كان في الفرار على أقرب السفن المتوافرة في الموانئ القليلة المنتشرة على الأرخبيلات. فهمت من ملفات السفينة أن كوكبكم مائي، وأن المساحات اليابسة كانت قليلة جدًا. وأنت بالطبع من الشعب المائي».

قاطعتها أجوان وهي تجفف دموعها: «الهافيكي.. نحن سكان الكوكب الأصليين، ونسمي أنفسنا هافيكي».

وَبُخَت الرائد نفسها ذهنيًا لعدم انتباهها لهذه التفاصيل، ولكن الحقيقة المرة أن المعلومات التي جمعتها في استجواباتها كانت عن الكارثة لا عن الكوكب وثقافته وشعوبه. ورغم عدم توافر إحصائيات دقيقة في ملفات السفينة عن عدد سكان اليابسة وعدد سكان المدن المائية، فإن ما أدركته من حديثها مع الكل هو أن الأرواح التي أزهدت تقدر بالمليارات، وبالمقابل فإن من تمكنوا من الفرار يشكلون نسبة ضئيلة. كارثة من حجم لم يسبق له مثيل في تاريخ هذا الجزء من المجرة.

اتخذت روهاني قرارًا تلقائيًا بعدم مواصلة استجواب هذه الضحية. فهي بالفعل ضحية، إذ ليس لها ذنب فيما حدث، ولو خُيرت لربما بقيت على كوكبها لتموت مع أسرتها. إذن أن الألوان لمعاملتها على أنها ضحية، وبالتالي فهي لاجئة. وللجوء قوانينه، وإن كانت ظروف هذه اللاجئة مختلفة بعض الشيء عن مروا عبر هذه المحطة في السابق.

«أجوان.. ما الذي تريدين فعله الآن؟ هل لديك أية خطط؟».

اتسعت عينا أجوان بينما ارتفع حاجبها للأعلى. واضح أن هذا السؤال مخيف بالنسبة لها؛ إذ إنها نظرة شخص مفاجئ ومشلول في الوقت ذاته.

«لا أدري. لا أدري.. لم أكن أتوقع أن أنجو حتى أصل لمحطتكم. ربما مرت في ذهني أفكار عديدة، ولكن لم أخطط لأي مستقبل. ولا أعرف أي شيء عن عالمكم.. أو أي عالم آخر. أنا.. أنا.. وحيدة.. و».

سكنت وأطرقت برأسها وهي تهذه من جانب إلى جانب، وكأنها تنكر اتهامًا صامتا وجه لها. أومأت الرائد برأسها بتفهم ولكنها لم تقترب منها، بل واصلت دورها المهني:

«لا بأس لا بأس.. سأشرح لك ما سيحدث من الآن فصاعدًا كما تنص عليه قوانيننا

وأنظمتنا. سنقوم بتسجيل كل معلوماتك في نظامنا في ملف خاص بك. وستصدر لك بطاقة تعريفية بحالة (لجنة). سنرسل المعلومات لإدارتنا المركزية التي ستقوم بدورها بإرسالها إلى إدارة شئون الأجانب واللاجئين. بعدها سننتظر منهم تحديد وجهتك القادمة. هل فهمت ما قلته لك؟»

«ماذا تعني كلمة لاجئة؟»

فوجئت روهاني بالسؤال. لم يطرح عليها أحد هذا السؤال من قبل. «اللاجئ هو الشخص الذي يخرج من بلده أو كوكبه بإرادته أو رغماً عنه ويريد اللجوء لبلد أو كوكب آخر ليعيش فيه».

«طيب.. وكم تستغرق مدة هذه العملية؟ هل هي عملية طويلة أم سيتم نقلي لكوكب آخر قريباً؟».

«بصراحة، لا أستطيع أن أجزم بالمدة المثالية. هذه قرارات سياسية، وفي معظم الوقت تأخذ الإجراءات مدة طويلة... قد تصل إلى سنة كونية أو أكثر».

«سنة؟! سنة كاملة على هذه المحطة؟! إنها أشبه بسجن! إنها أشبه بمدينةنا الفارقة... لا...».

توقفت أجوان عن الكلام ورمت روهاني بنظرة اعتذار: «آسفة.. لم أقصد أن أنتقد محطتكم أو أعييها. فأنتم قد أكرمتونا باستقبالنا ومساعدتنا.. أرجو المذرة».

ابتسمت روهاني، فلاحظت أجوان ثانية تلك الغمازتين على خديها، فوجدت قلبها ينفتح لهذه السيدة التي أظهرت لها بعض التعاطف والإنسانية في لحظة ضعفها.

«اسمعي يا أجوان.. لا أستطيع أن أعدك بأي شيء حالياً، ولكنني سأعود لأزورك قريباً لأطمئن عليك ولأبلغك بأية تطورات. اتفقنا؟».

أومات أجوان رأسها بخجل، ورغم إحساسها بتردد الرائد وحيرتها وهي تنهض وتتجه نحو الباب، فقد استبشرت خيراً.

زيارة أخرى من الطبيب، وفي هذه المرة اصطحبها عبر الممر إلى منطقة أخرى، ثم ممر أطول، وأخيراً للقسم الطبي. خلال تنقلها عبر الممرات، لاحظت أجوان أن كل غرفة مرت بها يوجد فيها أحد الناجين على متن السفينة. لمحت مونا جالسة، تحدث رجلاً يرتدي بدلة خضراء مشابهة لبدلة الرائد روهاني. أرادت أجوان أن تتوقف وتحدث مونا، حيث حثتها الطبيبة على متابعة المسير، ولكن ليس قبل أن تتمكن أجوان من لفت انتباه مونا والتلويح لها مع ابتسامة ووعد باللقاء ثانية. «أرجو فعلاً أن أتمكن من رؤيتها ثانية، فما رأيك أحياناً منذ أن دفعوا بي في تلك الغرفة الخائفة. هل أنا سجين؟ هل نحن جميعاً سجناء؟ إننا لم نرتكب جرمًا، ولم نختر أن نكون هنا، فليس ذنبنا أننا لاجئون».

لاجئون.. كلمة غريبة على فهمها، فليس لها مرادف في ثقافتها. كل من على كوكبها له وطن وله انتماء. وإن غادر أحدهم وطنه، مثلما فعلت عندما انتقلت من مدينتها إلى السطح، فلا يعامل على أنه لاجئ. الكوكب بأكمله موطن لهم، وللكل الحق في العيش

عليه دون تمييز أو اضطهاد.

أدخلتها الطبيبة إحدى الغرف الصغيرة وبدأت تأخذ منها معلومات إضافية عن تركيبتها العضوية وصحتها العامة. لاحظت ذاك الممرض البغيض وهو يمر بغرفتهم عدة مرات. في كل مرة كان ينظر إليها فتتقابل عيناها. كلما حدث هذا شعرت أجوان بالتقزز. إحساس لم تشعر به من قبل، ولم تكن تستطيع أن تضع له اسفاً أو وصفاً. ولكنه كان يقلب معدتها، تمامًا كما يحدث لها عندما تأكل طعاماً غير مناسب لمعدتها. لا.. ليس إحساساً جديداً.. بل قد مرت به من قبل.. ولكنها ذكريات مرّة لا تريد أن تفكر فيها الآن. لاحظت الطبيبة انتفاضة أجوان، فوضعت ظهر يدها على جبهة أجوان وسألته: «هل أنت بخير؟ هل تشعرين بالبرد؟».

قاومت أجوان الرغبة في التقيؤ، وهزت كتفها بعدم الاكتراث. ولكن الطبيبة لم تفهم حركة الكتف فأخرجت أحد أجهزتها اليدوية التي رأتها أجوان في أول فحص طبي لها، ومررته حول رأسها. أصدر الجهاز بعض الصفير وبعدها قرأت الطبيبة المعلومات على شاشته. وهنا طلبت من أجوان أن تستلقي على سرير الفحص. ورغم ضيق أجوان من كثرة استلقائها منذ أن وصلت لهذه المحطة، فإنها لم تشأ أن تكون غير مهذبة فاستلقت دون اعتراض. تناولت الطبيبة لوحة تحكم صغيرة وحركت أصابعها فوق اللوحة، فأصدر السرير الكثير من الأصوات المبهمة، كما بدا لها وكأنه أصبح دافئاً بعض الشيء.

حملت أجوان في سقف الغرفة. إنه سقف عادي جداً، ولعلّه مصنوع من المواد الصناعية نفسها التي صنعت منها الجدران الداخلية في معظم هذه المحطة. الأضواء التي ترصع السقف هي نفسها الأضواء التي في سقف غرفتها الصغيرة. أضواء باهتة تذكرها بأضواء مدينتها الغارقة. كم كانت تكره تلك الأضواء، خاصة عندما تعود للمدينة بعد رحلة قصيرة أو متوسطة للسطح! فبرغم قوة أشعة الشمس على سطح كوكبها، وحاجتها الدائمة لارتداء نظارة واقية عندما تكون السماء صافية، كانت أجوان تكره أضواء مدينتها وتتوق للعودة للسطح بأسرع فرصة ممكنة حتى تتمتع بالضوء الطبيعي الذي يعطي كل شيء حولها ألواناً رائعة تدل على الحياة والقوة والجمال.

شهقت الطبيبة بصوت خافت ونظرت لأجوان، فالتفتت لها أجوان بخوف ظناً منها أنها ارتكبت خطأ حضارياً وهي غافلة عنه. بدت الطبيبة مترددة بعض الشيء، ويبدو أنها حزمت أمرها في ثانية فقالت: «أجوان، هل تريدان أن أنادي أحداً ليستمع معك لتشخيصي؟ هل يوجد بين الناجين قريب أو صديق لك؟».

فوجئت أجوان من السؤال، وقعدت بسرعة وهي تنظر لوجه الطبيبة وتتفحصه، لعل ملامحها تخبرها بما تخفيه قبل أن تصرح به. «أنا وحيدة، ليس معي قريب أو صديق.. أرجوك أخبريني دون أي تأخير، فقد أرعبتني».

«لا تخافي، اعذريني على رد الفعل غير المهني، لا أدري ما حدث لي». تناثرت الكلمات من فم الطبيبة مما أزعج أجوان أكثر وأكثر، ولم تسعفها المشاعر الصادرة من الطبيبة، إذ لم تتعرف على أي منها. ولكنها لزمت الصمت وهي تنتظر حكم الإعدام الذي يوشك أن يصدر ضدها. ابتسمت الطبيبة «دورا» وأمسكت بيد أجوان وقالت لها: «عزيزتي، يسرني

أن أخبرك بأنك تحملين جنينا. وأتمنى أن يكون هذا خبزا سارا لك.

انقطعت كل الأصوات في الغرفة تماما كما يحدث عندما تغوص تدريجيا في بحار كوكبها، وخفتت الأضواء حتى أصبح وجه الطبيبة مجرد شبح. وتحركت أرضية الغرفة مندفعة نحو وجهها، ولكن أجوان لم تلحظ ما حدث بعد هذا، فقد فقدت الوعي.

فتحت عينيها، فوقع نظرها على وجه الطبيبة دورا وهي تربّت بكف يدها على خد أجوان الأيمن. «أجوان، أجوان، اصحي.. أنت بخير وكل شيء سيكون على ما يرام». ثم التفتت الدكتورة لجانب من الغرفة وقالت: «ترودي، أعطيني المنديل المبلل ثانية».

أغمضت أجوان عينيها ثانية وأحست ببرودة على خدها ثم جبهتها ثم رقبتها.. «هل كنت في إغماء؟ هل استيقظت من كابوس؟ ماذا حدث قبل أن توقظني الطبيبة؟» ذاكرتها صعقتها بتقديم آخر معلومة خزنتها قبل الإغماء، «أنا حامل!!!» شهقت أجوان وقعت بسرعة من وضعية الاستلقاء وكأنها تعرضت لصعقة كهربائية. والتفتت للطبيبة ولسان حالها يقول: أخبريني أن هذا كان كابوسا وليس حقيقة. ولكن النظرة على وجه الطبيبة محت أي فرصة لوجود سوء فهم.

جالت أجوان بنظرها حول الغرفة، كأنها تبحث عن من يساعدها في هذه المحنة. لو كان عقلها جهازا مكونا من دوالب وأرتال لارتفع الدخان منه من شدة دورانها. «ماذا أفعل الآن؟ من ينقذني من هذا المأزق؟ كيف أعيش؟ كيف أوفر العيش لهذا الطفل؟ لمن ألجأ؟» أسئلة كثيرة وتفصيلية مرت بذهنها مرارا وتكرارا، كل هذا وقلبها يدق كالمطارق في صدرها، وتنفسها يتسارع بصوت عال كأنها تجري لمسافة طويلة. وانتهت إلى أن دورا والممرضة تحاولان إعادتها للاستلقاء على ظهرها، ولكنها تدفع أيديهما بعيدا.

«أجوان، عزيزتي، إن لم تهدئي قليلا فستسببين في ضرر لك ولجنينك. أرجوك أن تهدئي وستفاهم على كل شيء. لا تجزعي هكذا، كل شيء له حل.. فقط اهدئي». موجات التهدة القادمة من دورا والممرضة نجحت أخيرا في اختراق جدار الجزع الذي يغلف ذهنها.. فبدأ تنفسها بالاعتدال وسمحت لهما بإعادتها للسرير. ولكن القبضة التي أمسكت بقلبها وحلقها لم تخفف ضغطها، والدموع التي تناثرت من عينيها أصبحت أنهارا تنساب من جانبي العين فتسيل على صدغيها إلى أذنيها ثم تتجمع على سطح السرير.

أخذت الممرضة المنديل ثانية وبدأت تمسح دموعها بهدوء ولطف بالعين. ابتسمت لأجوان وربت على كتفها الأيمن وهي تقول: «خطوة خطوة.. هكذا هي الحياة، خطوة خطوة. لا تفكري الآن، فكري غذا أو بعد غد. لا أعلم ما هي مدة حملك على كوكبك، ولكن لديك هذه المدة كلها للتفكير والتخطيط.. فهميني؟».

خطوة.. خطوة.

أغمضت عينيها، وتركت لذاكرتها الحرية في استرجاع كل ما هو جميل.. كل ما كان جميلا وخلفته وراءها. أشعة الشمس الدافئة على وجهها، وقرص الشمس المبتسم من

خلف نظارتها الواقية. النسيم العليل الذي يملأ رئتيها ويحرك ملابسها الخفيفة، يحمل رائحة البحر المالح الذي هو مصدر حياة الكوكب بأكمله. حبيبات الرمل الناعمة تتخلل أصابع قدميها الفاتصة في رمال الشاطئ. الحبيبات العلوية جافة ودافئة، وكلما غاصت قدمها في التراب، كانت الرمال أكثر برودة ورطوبة. دغدغة خفيفة على ظهر قدمها اليسرى تعلن عن مسيرة قوقعة صغيرة تشق طريقها عبر الرمال الممتدة على مدى البصر. وتغريد الطيور فوق رأسها وهي تطفو على تيارات الهواء كأنها معلقة بأسلاك خفية. لطالما حلمت بالطيران، إنه حلمها الدائم. تقف هنا على الأرض وتحلق روحها مع ذاك السرب. كيف تشرح لوالدها أو والدتها هذا الشعور؟ والدتها بالذات لم تغادر مدينتهم قط، حتى لزيارة مدينة أخرى! أما والدها، فهو لا يحمل سوى الاحتقار للسطح ولسكانه. في بعض الأحيان تشعر أجوان أن لوالدها ماضيًا لا تعرفه. ربما يكون قد مر بتجربة سيئة وتشكلت لديه فكرة سلبية جامدة عن السطح لم تتغير منذ لحظتها.

يعيدها لواقعها صوت طرق عال يعلن عن التحام سفينة جديدة بالمحطة. تفتح عينيها وتنتظر للمساعد الذي وقف بعيدًا عنها وهو يحمل حقيبتها الصغيرة. يبدو أنه واصل المشي أمامها عندما توقفت، ولم يلحظ أنها لم تعد بجانبه، فوقف الآن مكانه ينظر خلفه لهذه الفتاة البلهاء التي اختارت أن تقف في وسط المبنى الرئيسي (الموزع) للمحطة حيث تقبع المركبات الصغيرة التي تعمل كمكوك فضائي للمسافات القصيرة. وهو الموزع الذي يراه كل زائر بعد أن يفرغ من إجراءات التسجيل لدخول المحطة. يعتبر الموزع أكبر مساحة متوافرة على المحطة، فسقفه مرتفع جدًا، تمامًا مثل قاعة الترفيه في أيبليكا، وفي جانب منه تقع نوافذ هائلة الحجم تمكن الكل من رؤية السفن الفضائية الملتحمة بالمحطة، بالإضافة إلى منظر ساحر لهذا الجانب من الفضاء الخارجي. لولا معرفة أجوان ويقينها أنها حقًا في محطة في وسط الفضاء ل قالت إن ما وراء النوافذ لوحة سوداء وبها آلاف النقاط البيضاء المشعة بنور خفيف.

الإضاءة في الموزع أقوى من بقية المناطق في المحطة. فالسقف العالي والمساحات الكبيرة تحتاج لإضاءة قوية تمكن العاملين والزوار من إتمام أعمالهم بالكفاءة والسرعة التي تتميز بها المحطات العسكرية. الأصوات في هذه المنطقة عالية جدًا، فهي مزيج من صوت محركات السفن الخارجية، والطرق المنتظم الناتج عن التحام السفن بالمحطة، إضافة لكل العربات التي تذرع المكان ذهابًا وإيابًا، تنقل الأمتعة والشحنات والأفراد من الموزع لجهات أخرى لا يمكن لأجوان أن تتخيلها. وليس هذا كل شيء، فهذه الضوضاء تتخللها أصوات كل من يمر بالموزع من بشر ومخلوقات غريبة وعجيبة الشكل واللون والأصوات. فهناك مخلوق نحيف جدًا رمادي اللون تصل قامته إلى مترين ونصف المتر، عيناها السوداوان الواسعتان لا يبيض فيهما، وليس له أنف ولا أذنان ولا شفتان بارزتان يمكن أن تُرى من هذا البعد على الأقل. يرتدي العملاق بدلة فضائية تشع ضوءًا داخليًا يضيق العين. وتُضدّر من فم المخلوق أصوات مثل الصفير، وفوجئت أجوان أنه يحدث زميلًا له يشبهه تمامًا، ولكنه كان يمشي وراءه، ومن فرط نحافته لم تلاحظه من أول نظرة.

وفيما تقف محدقة في المخلوق الطويل وزميله، تمر أمامها مجموعة من النساء - نعم

لا بد أنهن نساء - بشرة حمراء وشعر أخضر منتشر في كل اتجاه. تتبادل النساء الحديث بأصوات عالية مثل تغريد الطيور الذي كانت تفكر فيه منذ لحظات. أدهشتها ملابس النساء بألوانها الصارخة، والمكونة من قطع صغيرة حيكت لتكون بدلة تبدو لوهلة كأنها جلد طبيعي ينبت منه الشعر الأخضر.

تعود أجوان لتنظر للمساعد الذي يبدو حائزا كيف يستدرجها لمواصلة المشي معه. ولكن يجذب انتباهها ثانية مخلوق غريب ولكنه مألوف في الوقت ذاته. هل هذا أخطبوط؟ أتلك ثماني أذرع؟ ثم ما هذا الهيكل الذي يحيط به؟ يجلس المخلوق الأخطبوطي بجسده الرخوي، في وعاء شفاف مغلق غامق اللون يعلو هيكلًا من المعدن الغامق البراق. يتكون الهيكل من ثمانية قوائم تتوزع عليها مفاصل عدة تنثني تمامًا كما تنثني ركبتي الإنسان عند المشي. أما المخلوق ذاته فلم تره أجوان يحرك ساكنًا؛ لذا بقيت تتساءل: كيف يدير الأخطبوط هذا الهيكل؟ وكيف يرى أو يسمع؟ ربما شعر المخلوق بعينها عليه إذ تباطأ في المشي والتفت الهيكل بأكمله نحوها. هنا انقلبت ألوان جلده الغريب من البرتقالي المحمر إلى لون غامق يماثل لون الوعاء الذي يجلس فيه. ثرى، هل هذا التغير موجه نحوها؟ وهل هي إشارة لغضب منها لمراقبتها إياه بشكل غير مهذب؟ إنه فضول.. نعم هذا ما تشكل في ذهنها لحظتها. فقد أثارت فضوله تمامًا كما أثار هو فضولها.

غريب! هل هذه المقدرة الجديدة تمكنها أيضًا من استشعار عواطف المخلوقات الأخرى؟ وليس فقط من يشابهونها في التركيبة؟ جنون! إنه جنون!

يقترّب المساعد منها، ما اسمه ثانية؟ اسمه طويل ومعقد وليست لديها القدرة على قراءة الشارة المثبتة على صدره الذي أشار إليه وهو يقدم لها نفسه، فالكثابة على الدبوس بلغة تجهلها، تمامًا كما هو الحال مع كل لوحة تعريفية في كل مفترق طرق - كلها مكتوبة بلغة لا تفهمها.

«أنستي، أرجو ألا تتبعدي عني أثناء سيرنا. لأسباب أمنية أنا مسئول عنك حتى نصل لمقر الرائد بولكوفو. مفهوم؟».

هزت أجوان رأسها بالموافقة، فمن هي لتعارض هذه اللفتة الكريمة من الرائد، فبعد اكتشاف حملها منذ أيام قليلة عانت أجوان من حزن عميق وشعور بالذنب. والبيئة التي تحيط بالغرفة الصغيرة التي باتت مسكن أجوان لم تكن تشجع على أي شعور يبعث على الراحة أو البهجة، بل سببت لها المزيد من الاكتئاب واليأس والرغبة في الاختباء في الغرفة طوال اليوم. وحتى محاولات مونا للتخفيف عنها باءت بالفشل. وزاد الطين بلّة أن هذا الجزء من المحطة خالٍ تمامًا ومخصص للحجز لأسباب صحية. وقد تكدس الناجون في هذا القسم الصغير وفي أقسام أخرى تم تخصيصها لمعيشتهم حتى إشعار آخر.

لسبب تجهله أجوان، قامت روهاني باعتماد نقل أجوان لمقر سكنها وبتعهد منها على التزامها بقوانين وأنظمة المحطة وعدم السماح لها بمغادرتها. إنها إنسانة فريدة من نوعها هذه القائدة التي يوحى مظهرها الخارجي بالقسوة والصرامة والتزمّت، بينما تأتي

تصرفاتها معاكسة لما يبديه مظهرها. وهكذا جاء مساعد الرائد ليصطحبها من القسم الطبي إلى مسكنها الجديد.

لحقت أجوان بالمساعد الطويل القائمة بخطوات أسرع من ذي قبل وتجنبت الالتفات حولها؛ حتى لا يشغلها مظهر باقي المخلوقات المحيطة بها والتي تبدو عادية للمساعد لا محالة. ترى ما عدد مخلوقات هذا الكون؟ وما أشكالها؟ وهل جميعها متطورة للتنقل عبر الفضاء، أم هناك حضارات متخلفة أخرى مثل حضارتها؟

تركوا الموزع وراءهما، وانتقلا من ردهة إلى ردهة. ضاعت أجوان في متاهة الممرات والردهات. كم هي هائلة الحجم هذه المحطة! في كل ممر وزاوية وردهة لا توجد مساحة غير مستغلة. وفي كل مكان هناك أناس يتحركون بطريقة تدل على أن لديهم هدفاً من ألوان ملابسهم وتصميماتها المختلفة، يتضح أن لكل تخصص بدلته الخاصة به. سمعت قرقعة من ممر جانبي فالتفتت إليه فرأت فتاتين ترتديان ملابس حمراء اللون، تقف إحدهما على منصة مرتفعة ويدها جهاز ألصقته بزاوية في الحائط وهو ما يصنع تلك القرقعة المصاحبة بشرر يطاير في كل اتجاه، كسمك اللومينس الصغير الذي يعيش في أعماق البحار ويومض بألوانه الصفراء. قاطعتها يد المساعد على كتفها، تحتها على مواصلة السير: «آنستي سنتأخر على الرائد، وستحاسبني أسوأ حساب! أنت لا تعرفينها جيداً».

استغربت أجوان من نبرة صوته ومن موجة القلق الصادرة منه.. كقرص خفيف على بشرتها. هل يخاف روهاني لهذه الدرجة؟ هل أخطأت أجوان في الحكم عليها؟ هل هي شخصية قاسية في داخلها لدرجة أن من يعرفونها يخشون غضبها؟ وكيف تستطيع أجوان العيش معها طوال مدة حملها دون أن تقع في خطأ قد يتسبب في ثورة غضب للرائد؟! مجرد طرح هذه الأسئلة أعاد لأجوان شعورها السابق بانعدام الأمان، وبزعزعة ثقتها بمحيطها تماماً. تذكرت ابتهاج مدربها «برايدود» وبدأت تردده في ذهنها: «أراك أيها الخوف، لست سيدي، ولن تهزمني...».

لا بد أن خوفها وقلقها كان واضحاً على وجهها؛ إذ إن المساعد ابتسم لها ابتسامة تشجيعية سطحية وأضاف: «هي مخيفة بالنسبة لنا؛ فهي قائدتنا الأعلى، أما أنت فضيفتها، وقد طلبت بنفسها أن تسكني معها.. أنا متأكد من أن شخصيتها مختلفة في المنزل.. أتمنى ذلك». تلك الملاحظة الأخيرة لم تبعث الطمأنينة في قلب أجوان، ولكنها تابعت السير بشكل تلقائي وكان المساعد قطعة مغناطيسية جاذبة وهي شظية حديد رقيقة تتبعها دون إرادة.

توقف المساعد دون سابق إنذار، وأوشكت أجوان أن تصطدم به لولا أنها توقفت في آخر لحظة قبل أن يلامس أنفها ظهره، فالتفت لها وفوجئ بقربها البالغ منه. ولكن تنحج وأشار للبواب الذي وقف أمامه: «هذا مسكنك الجديد.. مع الرائد طبعا. إنها من أفضل المجمعات السكنية في هذا الجزء من المحطة. انظري كيف نخطر الساكن بأننا عند الباب». مد يده للشارة التي تحمل اسمه وبحركة خفيفة فكّها من على صدره ومررها بسرعة أمام عين زجاجية متناهية الصغر لم تلاحظها أجوان من قبل. تلقائياً سمعت

أجوان موسيقى من الجانب الآخر من الباب.

وفي 3 ثوان، انزلق الباب للجانب، وظهرت وراءه الرائد وقد اتخذت نفس وضعيتها الصارمة التي تمثل شخصية القائد المتمكن من محيطه. لم تتحرك الرائد، ولكن عينها دارتاً للجانب لتحققاً في المساعد. لم تتغير تعابير وجهها ولكن الشعور الذي صدر من المساعد كان خليطاً من القلق والفرح والإحراج. وكدليل على صحة استشعارها للأمور اكتسى وجهه بموجة احمرار سريعة حولته من رجل إلى طفل صغير ينتظر محاضرة من والدته بعد أن ارتكب خطأ أحمق.

تلعنم المساعد وهو يحاول تبرير التأخير، ولكن الرائد استدارت وأشارت لهما بأن يتبعها لداخل المسكن. لم تتحرك أجوان من موقعها، ولكن تعابير وجه المساعد أوحى لها بأن تأخرها في تنفيذ أوامر الرائد قد يؤدي إلى كارثة بشرية عظيمة. فتحررت بسرعة لتتبع الرائد، فوجدت نفسها في ممر قصير يؤدي إلى عدة غرف صغيرة. لليمين باب مغلق، وأمامها مباشرة تبدو غرفة معيشة صغيرة بها العديد من الأجهزة المتطورة التي يخفى على أجوان وظيفتها. وقفت الرائد عند باب آخر وفتحتته وأشارت لمساعدتها بحركة فهمها، فاتجه بسرعة إلى الباب وفتحتته له ودخل للحظة ثم خرج ويده خالية بعد أن ترك حقيبتها في الداخل. وبفس السرعة خرج من المسكن وانزلق الباب وراءه بشفطة هواء أخيرة.

رفت عينا أجوان عدة مرات وهي تراقب السرعة التي جرى بها كل شيء، ونظرت لمضيفتها الكريمة، فوجدت الابتسامة العريضة بالغمازتين اللطيفتين قد حولتها لشخص آخر يختلف عن استقبلتهما عند المدخل. «تعالى يا أجوان لأريك غرفتك».

تبعها أجوان ودخلت الغرفة فوجدتها صغيرة ومتواضعة تماماً مثل غرفتها في الحجر الصحي، مع اختلاف بسيط. فقد قامت روهاني بإضافة لمسات أنثوية لطيفة. فالأرفف تعلوها بعض التحف الصغيرة التي جمعتها من حضارات مختلفة. والأرض تغطيها أقمشة مثل الشعر القصير. وهناك وسائل رقيقة وزاهية اللون على سريرها والكنبة الصغيرة المجاورة للسرير حيث وضع المساعد حقيبتها الصغيرة.

«أعلم أنها غرفة صغيرة الحجم، ولكن غرفتي لا تفوقها في الحجم بمقدار كبير. هذا شأن كل الغرف على المحطة، فهي تفي بالغرض فقط، تماماً كما هو الحال في كل شيء على متن هذه المحطة. فقد تم تصميم جميع أقسام المحطة لتأدية وظيفتها بالشكل الأمثل، ولم تكن الرفاهية أو الراحة من الأولويات».

التفتت أجوان للرائد، ولم تستطع أن تعبر عن تقديرها لهذا الجميل الكبير الذي أغرقها به هذه الإنسانية الطيبة. ولكن روهاني قرأت هذا كله في وجه أجوان، فأبتسمت، واتجهت لغرفة المعيشة: «تعالى لجولة سريعة في مسكني المتواضع».

لحقت بها أجوان وهي تجول بها من غرفة المعيشة إلى غرفة روهاني إلى دورة المياه وأخيراً للمطبخ الصغير جداً: «لا يخدمك المطبخ، فلست أطبخ فيه أي شيء.. فعملي هو حياتي ولذلك سيجديني في غرفة الطعام العامة المخصصة لقوات أمن المحطة».

وبعد أن اطمأنت من معرفة أجوان بكل شيء، قالت: «سأضطر إلى أن أترك الآن».

لأعود لمناويتي هذا مسكنك الجديد، وأرجو أن تترتاحي هنا. سأعود في خلال ساعات قليلة وسأكمل الحديث. اتفقنا؟»

وهكذا.. بدأت حياة أجوان في محطة «الظافر» في القطاع 66.

حصريا على روايات وكتب عربية وعالمية

<https://t.me/riwayat2025>

يسعدنا انضمامك لنا



بدايات

الكوكب: تشوتشان

إقليم : شايشي

تحلّق أفراد الفريق السبعة والعشرون حول قائدهم، وهم يضبطون ساعاتهم. ثم أغمض القائد عينيه، فحاكاه أفراد فريقه وبدءوا بالتمتمة في صلاة صامتة من أجل النجاح والنصر. ثم تقدم كل واحد منهم ليقف مقابل القائد ويضرب قبضته برفق على صدره، ويقول: «من أجل الوطن». فبربت القائد على كتفه بضربة خفيفة ويومئ برأسه فيتحرك الذي وراءه ليقوم بالحركة ذاتها، وهكذا حتى انتهى الأفراد كلهم.

ودون أي كلمة إضافية، تحرك أحد الأفراد في اتجاه متفق عليه، وانتظر بقية الفريق مع القائد الذي كان ينظر لساعته لقياس مرور دقيقة كاملة، وما إن انتهت، حتى أشار بيده وتقدم في الاتجاه نفسه، وتبعته مجموعته عبر الطريق الضيق المظلم في وسط الغابة الخفيفة. لم يكن من المتوقع وجود أي مقاومة في هذا الجزء الخالي من الغابة، وفي هذه الساعة المتأخرة من الليل، حسب تقاريرهم، ولكن إرسال كشف يسبقهم بدقيقة سيعطيهم إنذارًا كافيًا في حال وجود أية دوريات لم تكن في الحسبان.

كل التقارير تشير إلى أن هذه القاعدة الصغيرة قد فقدت أهميتها في المنطقة، وأن قرار إلغائها وشيك. ولذلك فإن القوة الحامية لها لن تتعدى 12 جنديًا وضابطًا، بينما يقوم هذا العدد البسيط بحراسة مخزون هائل من الأسلحة اليدوية وغيرها من المدرعات. وهو هدف هذه الغارة في منتصف الليل.

بعد نصف ساعة من المشي بسرعة متوسطة، برز أمامهم الكشف الذي كان قد سبقهم في الانطلاق، وأعطاهم إشارة التوقف والهدوء الكامل. جلست المجموعة القرفصاء بينما تشاور القائد مع الكشف لمدة ثواني معدودة. بعدها أشار القائد بإصبعين، ثم إلى اتجاهين معاكسين لليمين واليسار، فنهض اثنان من المجموعة واختفيا في الغابة في الاتجاهين المحددين. عندها أشار القائد لأحد أفراد المجموعة بالتقدم، فنهض من مكانه وهو يخلع الحقيبة الثقيلة المعلقة على ظهره، وفتحها بهدوء وأخرج أداة معدنية مستطيلة الشكل، قام في وقت سابق بطلانها باللون الأسود حتى لا تلمع في ضوء

الأقمار وتعتبر الشكوك. تقدم القائد معه إلى جدار من الأشجار الملتفة على بعضها، وتحركا حولها بهدوء حتى ظهر لهما سياج معدني مطلي باللون الأصفر. جثم المقاتل على ركبتيه ووضع الأداة على السياج وبدأ في استخدام حزم قصيرة من الليزر المركز لقطع سلاسل السياج واحدة تلو الأخرى. وقبع وراءه القائد وهو يراقب الممر الداخلي للقاعدة والملاصق للسياج.

سمع القائد صوت طائر ليلي شائع في المنطقة، فوضع يده على كتف المقاتل الذي كان مشغولاً بالقطع. فتوقف المقاتل عن العمل وتراجع مع القائد إلى ما وراء الأشجار وانتظرا في الظلام حتى سمعا صوت أقدام تدب على الحصى الصغير الذي يغطي أرض القاعدة. لم تتوقف القدمان، بل أكملتا سيرهما في الاتجاه المعاكس. وبعد ثوان، جاء صوت الطائر الليلي ثانية، فربت القائد على كتف المقاتل، فعادا إلى موقعهما بجانب السياج. استغرقت عملية القطع دقائق طويلة ومشحونة بالتوتر، ولكن ما إن تم قطع مساحة كافية في السياج حتى أشار القائد لمقاتل آخر باستدعاء بقية المجموعة. وبسرعة تدل على تدريب مكثف على المناورة ذاتها، حرك اثنان من المقاتلين الشق المقطوع من السياج وقاما بطئه للخارج حتى يتمكن باقي الأفراد من الدخول إلى القاعدة.

كانت أوامرهم واضحة لهذه الليلة؛ التقدم بسرعة إلى مخزن الأسلحة، وجمع أكبر عدد ممكن من الأسلحة اليدوية العسكرية المتقدمة الصنع، ثم الانسحاب على متن عربتي نقل أفراد مدرعتين. وقد حفظ الجميع مواقع المباني المنتشرة على أرض القاعدة، فاتجه كل نحو الموقع المحدد له. وانفصلت عنهم مجموعة من 7 مقاتلين، مهمتهم التصدي لأي حرس والتخلص منهم بالأسلحة البيضاء بكل هدوء دون السماح لهم بإطلاق الإنذار لزملائهم. وهو ما بدأت المجموعة بتنفيذه فوزا، بدءا بالحارس الذي مر بالسياج منذ دقائق.

كل شيء كان يجري حسب الخطة تماما، إلى أن وصل القائد ومن معه إلى موقع المخزن وفوجئ بوجود حارس يمر أمامه. كانت التقارير تشير إلى عدم وجود حراسة حقيقية أمام المخزن، فلم يكن من المتوقع أن تتعرض هذه القاعدة للهجوم، فهي ليست منطقة عسكرية حساسة الآن. ولكن الجندي الذي كان يمر بجانب المخزن لم يكن مكلفا بحراسته، بل كان أمين المخزن، وقد أصابه القلق بشأن زوجته الحامل في مدينة بعيدة، ولم يسمح له قلقه بالنوم، فكان يتمشى في الطرقات المحيطة بكننته، ففوجئ بمجموعة مسلحة تتجه نحوه.

نظر الجندي وراءه وأدرك أنه أمام مدخل المخزن، وفي عشر الثانية فهم الغرض من وجود هذه المجموعة من المقتحمين. ورغم أنه لم يكن جنديا مقاتلا، ولم يتدرب على المناورات العسكرية، فإن ذكائه البسيط أرشده إلى الخطوة المثالية، فزق واستدار بسرعة وفتح مزلاج المخزن وولج داخله وأغلق الباب وراءه، وأشعل الضوء الذي انتشرت مشاعله في سقف المخزن الكبير، فتحول الظلام الدامس إلى نهار مشمس. استمد أمين المخزن قوة وثقة من الضوء القوي، وانطلق نحو مكتب صغير قريب من

الباب، وفتحه بسرعة وأخرج بطاقة أمنية، وهرع إلى الباب الثاني الذي يشبه السياج، ففتحه ببطاقته، ثم أغلقه وراءه. وهنا سمع المجموعة وهي تحاول الدخول إلى المخزن، فأعطاه هذا قوة مجددة للجري نحو هدفه - الممر 14 الذي يحتوي على الرشاش الكبير. وما إن بلغ الممر 14 حتى رأى الرشاش المغطى بالقماش الشمعي المخصص لحماية الأسلحة. هرع نحوه وجثم بجانبه وأصابه تنفض من الحماس والخوف؛ إذ تناهت لسمعه محاولات المهاجمين لكسر قفل الباب الأول والتي بدت قريبة من النجاح. تمكن من التخلص من القماش، وسحب الرشاش على قوائمه الدولابية ثم جرى حوله وبدأ يدفعه نحو نهاية الممر حيث سيتمكن من رؤية الباب المسيج. ومع أن الرشاش مصمم للتشغيل لشخصين، فإن العجلات ساعدته على دفعه بسهولة ووضعه في موقع استراتيجي يسمح له برش كل من يقترب منه.

في تلك اللحظة هوى الباب الرئيسي المؤدي للمخزن، وتجمع المهاجمون وراءه وهم يتدافعون لدخوله. ابتسم أمين المخزن وهو يراقبهم ينتشرون في المدخل الصغير يبحثون عنه. ثم انتبه أحدهم لوجوده والرشاش في الممر، فصرخ لزملائه: «ها هو! إنه مسلح!» فتناثر المهاجمون في المدخل محاولين الاختباء وراء المكتبين والطاولات، بينما قام اثنان منهم بالخروج من الباب الرئيسي. وبهدوء ورباطة جأش، قام أمين المخزن بتحريك مفتاح الأمان في جانب الرشاش، وثبت قدميه على جانبي القاعدة، وضغط على الزناد وهو يحرك الرشاش لليمين واليسار.

ولكن الرشاش لم يصدر سوى «تكة» خفيفة، وأحس أمين المخزن بأن الزناد فارغ متخلخل. جُرَّ جنونه، وتحرك بسرعة يحاول أن يفحص الرشاش، وهو يعرف تمامًا أنه لو كان به خلل فلن يستطيع إصلاحه، فما هو سوى أمين مخزن. عندها فقط تبادر إلى ذهنه سبب عطل الرشاش.. لم يكن معطلًا، بل كان خاليًا من الرصاص. اتسعت عيناه واستدار بسرعة يبحث عن الممر الخاص بالعبوات النارية، ولكن الهلع منعه من التفكير بوضوح. لم يعد ذاك الرجل الوثائق الذي حبس نفسه في المخزن ليقوم بمحاولة بطولية لمنع عملية اقتحام للقاعدة العسكرية، وبدأ يتعثر من ممر لممر يمسك بالعبوات المكسدة على الأرفف ويرميها جانبًا، بحثًا عن العبوة المناسبة للرشاش.

أثناء هذا، لاحظ الفريق المهاجم أن الرشاش لم ينطلق، فأطل قائدهم برأسه بحثًا عن الحارس الذي سبب لهم هذه المتاعب غير المتوقعة، فلم يره عند الرشاش. فأشار لأحد أفراد فريقه المشهور بخفة حركته، فقفز الشاب فوق المكتب الذي اتخذ سائرًا له، وتسلق الباب السياجي بسرعة وخفة نادرتين، ونزل في الجانب الآخر ومد يده للحزام واستل خنجره المعقوف وبدأ يبحث بين الممرات عن هدفه. وفيما انشغل المقاتل بضحيته، تمكن أحدهم من كسر القفل الإلكتروني للباب، واندفعت المجموعة تبحث عن الأسلحة التي تم تحديدها قبل العملية.

في نهاية الممر ارتفعت صرخة ألم ويأس انقطعت بعدها على غرغرة وارتطام جسد بالأرض.

منذ اليوم الأول لانضمامها لسكن الرائد، فهمت أجوان أن الحياة اليومية في المحطة روتينية. وقد أفهمتها روهاني أنه نظرًا لكونها لاجئة فهي تحمل شارة تحتوي على كل معلوماتها، ويتم كشفها عند كل نقطة تفتيش في المحطة؛ لذا فمعظم أقسام المحطة محظور دخولها على أجوان ومن هم في وضعها. أما المناطق المسموح لها بدخولها فهي محدودة، مثل موزع المحطة الهائل الحجم، وبعض المناطق السكنية المجاورة لمنطقة سكنها، والقسم الطبي والمتنزه العام.

كما بدأت الصورة العامة تتضح بعد شرح تاريخي سريع من الرائد عن الوضع السياسي للقطاع، فهذه محطة عسكرية، وقد اضطرت روهاني إلى أن تتعمق قليلًا في شرح معنى «عسكرية» لأجوان التي أتت من كوكب ليس فيه مفهوم العسكرية. كما أوضحت لها معنى «رائد» والرتب العسكرية وما يترتب عليها من تسلسل في القيادة ونظام عسكري صارم لا يسمح بأهواء شخصية أو عواطف ضعيفة. وفهمت أجوان أن المحطة تتبع الاتحاد الفضائي للكواكب - إنه مثل اتحاد المدن الاثنتي عشرة على كوكبها، ولكن عدد الكواكب يفوق عدد مدنها بالمئات. وهناك مجلس نواب أعلى مسئول عن شئون هذه الكواكب، وبه ممثلون من جميع الحضارات التي تعيش على تلك الكواكب. تعتبر هذه المحطة نقطة دفاع في هذا القطاع من المجرة ولكنها تخدم أغراضًا أخرى، منها أغراض تجارية، ويعود ذلك لقوة ونفوذ الاتحادات التجارية في المجرة. معلومات كثيرة لم تستوعبها أجوان كلها في جلسة واحدة، ولكنها احتفظت بأسئلتها لنفسها حتى لا تثقل على الرائد بأسئلة سخيفة وهي شخصية مهمة تشرف على إدارة محطة بهذا الحجم الهائل.

قضت أجوان الأيام الأولى في التعرف على مسكنها الجديد، وعلى طباع وروتين الرائد. كانت روهاني مخلصة جدًا لعملها، فهي تخرج مبكرة كل يوم، وتعود متأخرة. تذكر أجوان بوالديها اللذين كُرسا حياتهما لخدمة شعبهما، فكل دقيقة من يوم الماندان «غائي» والماندانة «رايانا» مخصصة للتخطيط لمصلحة سكان المدينة. والدها يتابع الأمور الإدارية والسياسية مع طاقم إدارته الكفاء، بينما تتخصص والدتها في دعم عمل والدها عن طريق الخطط الاجتماعية التي تستهدف المحافظة على مستوى معيشي جيد وشعب مستقر نفسيًا. وقد حرص كلاهما على غرس هذه القيم في أبنائهما الثلاثة، وخاصة في إبار وأجوان، فأبار قد يرث منصب والده في يوم ما، وأجوان قد يختار لها ماندان مدينة أخرى؛ لتقترن به أو بأحد أولاده - وهكذا جرت العادة... إلى أن قامت أجوان بكسر هذه القاعدة عندما اختارت زوجها بنفسها ومن خارج المدن، مسببة الإحراج لوالديها.

توقفت أجوان عن احتساء الشراب الذي أعدته لنفسها هذا الصباح. عندما تفكر في حياتها السابقة، يعترها شعور بأنها حياة غير حقيقية.. كأنها حلم وانقضى. ولكن المشاعر التي تجتاحها كلما فكرت في تلك الحياة هي مشاعر حقيقية ومؤلمة جدًا. وما يجعلها أكثر تألفًا هو أنها لا تعرف ما مصير كل من خلفتهم وراءها. هل حقًا ماتوا؟ كلهم قتلوا في الكارثة؟ هل نجا أحد منهم؟ هل تمكن أحدهم من بلوغ إحدى السفن؟ وحتى إن لم يبلغوا السفن.. لعل النيزك لم يدمر الكوكب بأكمله. من الممكن أن يكون قد أحدث

ضرراً هائلاً بالجانب الذي ارتطم به، ولكن ماذا عن الجانب الآخر؟ إن مدن شعبها الانتني عشرة تنتشر في كل محيطات الكوكب. قد يكون بعضها ما زال قائماً. ومن يستطيع أن يجزم أن مدينتها ليست من ضمن تلك المدن التي نجت؟

جمدت أجوان للحظات وهي تحديق في أعماق كوبها. بدت أفكارها معقولة ومنطقية جداً. نهضت من كرسيها في المطبخ الصغير تاركة الكوب وراءها - رغم معرفتها بقانون روهاني بغسل جميع الأواني فور الانتهاء من استخدامها. اتجهت لغرفتها وأخذت شال والدتها من داخل الدرج الصغير المرتبط بسريرها. اتجهت لباب المسكن وهي تضع الشال على كتفها. وخرجت من المسكن، ومع كل خطوة تخطوها أحست برغبة ملحة بالاستعجال، فتسارعت خطواتها، حتى بدأت تهوّل ثم تركض بسرعة. كل من رآها في الممرات اندهش من استعجالها وتحرك بعيداً ليفسح لها الطريق. لم تكن أجوان متأكدة من أنها على الطريق السليم، فكانت تستوقف بعض المارة وتسالهم عن الطريق للموزع. وكل من رآها اقتنع بوجود حالة طارئة تستوجب استعجالها، فكان يوجهها بسرعة وكفاءة.

وجدت أجوان نفسها في الموزع حيث يتدافع الناس لوجهات مختلفة وسط الأصوات المتناغرة الصادرة من المركبات والمعدات والناس. وقفت في وسط هذا المحيط الهائل وهي تتلفت في كل اتجاه تبحث عن وجه مألوف. لا بد أنه هنا، فأين سيكون ربان سفينة إن لم يكن في موزع المحطة؟ أرجو أن يكون هنا! أرجو ألا يكون قد غادر المحطة وتركنا لمصيرنا هنا غرباء منبوذين.

ترأى لها وجه مألوف من طاقم السفينة، الفتى الصغير الذي يتبع الربان في كل مكان وينفذ أوامره. لا تذكر اسمه ولكن تذكر أنه يبجل الربان ويعتبره مثله الأعلى. اتجهت نحوه بسرعة وهي تدفع كل من يقف في طريقها. أمسكت بذراعه تهزها بعنف: «أين القبطان؟ أين قبطان السفينة؟ دلني على مكانه الآن».

اتسعت عينا الفتى كحجم فتحة كوبها الذي تركته في المسكن، وتراجع للوراء وهو يهز رأسه يميناً وشمالاً، ويرفع كفه ليضعها بينه وبين أجوان وكأنه يتعرض لهجوم. لم تلاحظ أجوان أنها روعت الفتى بتصرفها العنيف، واستمرت في هز ذراعه وسؤاله عن مكان القبطان، مما زاد خوفه وتقهقره للوراء. انتقل فزع الفتى لذهن أجوان، فتحولت لهفتها إلى فزع متزايد، كلما هزت الفتى زاد خوفه وانتقل الخوف لها ليزيدها لهفة وعنفًا. حلقة مفرغة ترتفع حدتها حتى انتهت بتعثّر الفتى على صندوق لم يلحظه، فسقط على ظهره بعنف بالغ أفرغ الهواء من رثتيه. ولم تتمكن أجوان من السيطرة على توازنها فسقطت فوقه وهي تصرخ.

لم يأخذ هذا كله أكثر من ثوانٍ قليلة، فإنها كانت على مرأى ومسمع من كل من كان يحيط بهما. ولأن المحيطين بهما لا يعرفونها ولا يعرفون الفتى، لم يتدخل أحد لفك الاشتباك، واعتقد الجميع أنهما في عراك حول مسألة شخصية بينهما، فوقفوا يتفرجون عليهما وهما يحاولان الوقوف. امتدت يد كبيرة لتمسك بذراع أجوان وتجرها لتقف على رجليها. اليد القوية التي سحبتها وكأنها لعبة خفيفة كانت تنتمي للقبطان الذي كان ينظر

لها بضيق واستغراب. «ما الذي يحدث هنا؟ كيف...؟»

تلعنت أجوان وهي تحاول أن تشرح له ما يجول في خاطرها: «كوكبنا.. لم يقل لدينا عدة مدن، في كل مكان.. سنعود ومعنا المؤن وفرق الإنقاذ وسنساعدكم.. وعليك أن تساعدني.. أنت الوحيد الذي أعرفه، وحتما لديك إحداثيات الكوكب.. يجب أن تأخذني.. اليوم.. الآن! ليس لدينا وقت نضيعه.. لقد مضت..»

ولكنها لم تكمل جملتها.. فتعابير وجهه.. ومشاعر الشفقة العميقة التي تصدر منه حبست بقية الكلمات في حلقها.. تلفتت حولها لتجد نفسها في مركز جزيرة صغيرة من البشر والمخلوقات.. كلهم ينظرون إليها باستغراب وفضول بالغين.. بينما تستمر الحياة النشطة والمزعجة خارج هذه الجزيرة الصامتة من الوجوه المتفرجة.

«اسمعي، أجوان.. اسمك أجوان، أليس كذلك؟ أعلم أن فقدانك لأسرتك شيء مريع ولا أستطيع أن أتخيل موقفك.. ولكن... الحقيقة.. ما أقصده أن.. كوكبكم لم يتحمل صدمة الارتطام.. تذكرين كيف كانت تصلنا موجات عنيفة واحدة تلو الأخرى؟ إنها آخر نفس للكوكب.. تلك كانت انفجارات عنيفة فتتت الكوكب وحولته إلى أشلاء في الفضاء.. لو عدنا إليه اليوم لوجدنا غيمة هائلة من الصخور الطافية في الفضاء البارد.. لم ينج أحد يا أجوان.. يؤسفني أن أقولها لك بهذه القسوة.. لم ينج أحد إلا من كان على بعض السفن.. إن تمكنت السفن الأخرى من أن تسبق الموجات العنيفة بالطبع.»

في الطابق العلوي المطل على الموزع وقفت الرائد روهاني بولكوفو وهي تراقب الشاشات المنتشرة في كل زوايا مركز عمليات المحطة، وبجانبتها مساعدتها الإداري زاميس سودي الشثيري وهو يمسك بلوحة معلومات إلكترونية بكل يد من أذرعه الأربعة، يقرأ لها آخر تقارير الصيانة والمشتريات، وينتقل من لوحة إلى لوحة للتأكد من كل معلومة كلما طرحت عليه الرائد سؤالاً جديداً. هكذا تعودت الرائد على العمل هنا في مملكتها الخاصة، فهي تستخدم عينيها وأذنيها في الوقت نفسه؛ حتى تبقى مطلعة على كل صغيرة وكبيرة من شئون هذه المحطة الهائلة. وهي تعلم جيداً أنه لولا طاقم مساعدتها الكفاء لتدهورت الأحوال على متن هذه المحطة في خلال ساعات قليلة. إن إدارة محطة مثل هذه ليست بالمسألة السهلة، وهو تماماً ما قاله كل من انتقد قرار المجلس بتفويضها هذه الأمور. بالطبع معظمهم كانوا من المعسكر المعادي لوالدها الأميرال الشهير «فينو سليفني»، ولكن الأسباب الرسمية لاعتراضهم كانت صغر سنها وقلة خبرتها. وكان المجلس قد اطلع على ملف خبرتها الإدارية واستشف منه ذكاءها الحاد وقدرتها على التعامل مع عدة أزمات في الوقت ذاته، وهو تماماً ما يؤهلها لشغل هذا المنصب الصعب. لا تشعر روهاني بأنها مفعمة بالحياة إلا عندما تقف هنا في غرفة العمليات.

قاطع حبل أفكارها أحد الموظفين بتقرير جديد: «سيدتي، هناك مشكلة في الزاوية الشمالية من الموزع.. شجار.. الشاشة 7».

التفتت روهاني بضيق للشاشة المذكورة، كم تكره هذه المشاحنات التي تحدث بين

أطلق السفن المختلفة عادة يكون السبب الظاهر سخيًا، ولكن الأسباب العميقة هي وجود عدة أعراق من كواكب مختلفة في مكان مغلق بعيدًا عن الوطن وعن الأهل لا يمر يوم من غير شجار أو عراك عنيف، وتضطرب في بعض الأحيان إلى أن تتدخل بنفسها إن لم ينجح أحد مساعدتها في فك الاشتباك وترضية جميع الأطراف. أمعنت الرائد النظر في الشاشة المخضرة اللون، فرأت التجمهر المعهود يتحلق حول شخصين لم تميزهما لأول وهلة، ثم أدركت أن أحدهما أجوان! ما الذي تفعله تلك الفتاة في الموزع؟ ألم تتحدثا منذ أقل من ساعة على الهاتف الداخلي لمسكنهما؟! فزعت الرائد وهي تتخيل أحد هؤلاء الهمجيين يسدد لكمة لفتاة رقيقة تحمل جنينًا. لم تشعر روهاني بنفسها وهي تجري نحو الباب متجهة للطابق السفلي من الموزع. أرجو أن أصل لها قبل أن يؤديها أحدهم!

لم ينج أحد.. لم ينج أحد. دوت تلك العبارة في داخل جمجمة أجوان وترددت بين جنباتها، كصدى في قاعة كبيرة خالية. ظلت أجوان جامدة في مكانها وعيناها على وجه القبطان. هكذا.. بكل بساطة، وُلد أمل جديد في صدرها، ثم في خلال دقائق قُبِر في مهده. ولكنه مخطئ... ماذا يعرف هذا القبطان الجاهل؟ لا شيء!

راقبت أجوان أصابع يدها وهي تُطبّق على ياقة القبطان وتلويها بقوة وتجرح وجهه لتقربه من وجهها: «أنت جئت بي إلى هنا، والآن ستأخذني لكوكبي. مفهوم؟» أكدت على الكلمة الأخيرة بهزة عنيفة لم تتخيل يومًا أنها تملك القوة لتحقيقها.

في نفس الوقت، كان جانب آخر من شخصيتها يقف بجانبها ويقول لها: عزيزتي أجوان، لقد جئت، وفقدت السيطرة تمامًا!

وضع القبطان يده على قبضتها وبهدوء وسهولة قام بفك أصابعها من ياقته، وبدأ يحدثها برفق: «أجوان، السفينة ما زالت قيد الإصلاح. لن أستطيع أن أعدك برحلة العودة قبل أن أتأكد من جاهزية سفينتي لرحلة طويلة وخطرة. فهمت؟».

أدركت أجوان أنه رأى الجنون في عينيها وتصرفاتها، وأنه الآن يحاول تهدئتها وأن يشغلها حتى تنسى ما جاءت من أجله. صرخت أجوان غاضبة وصدمة بجسدها بكامل قوتها التي ولدتها أيام من الذعر واليأس والإحباط. فسقط على الأرض، وقبعت أجوان فوق صدره تكيل له الصفعات وهي تبكي بحرقة. حاول القبطان أن يمسك بيديها ويتقي ضربها في الوقت ذاته دون أن يسبب لها أي أذى، فهو رجل ضخم الجثة وأية حركة منه قد تحدث ضررًا غير مقصود لفتاة صغيرة ومحطمة.

أنقذه من هذا الموقف أحد ضباط الموقع إذ طوق خصر الفتاة بذراعيه ورفعها وهي تصرخ وتلوح بذراعيها وتركل الهواء. أنزلها الضابط بعنف حتى خرت على ركبتيها وبدأ بالصراخ فيها: «توقفي.. إن لم تتوقفي سأضطر لحجزك لتسببك في شجار عنيف وأضرار جسيمة.. هل تسمعينني؟! توقفي الآن عن البكاء والصياح.. من أي سفينة أنت؟ من مسئولك المباشر؟ أجيبيني».

استغل القبطان تلك اللحظات في النهوض وأعاد قبعته لرأسه.. ثم وقف بين الفتاة

والضابط وحاول تهدئته. وضع راحة يده على صدر الضابط ودفعه برفق. «حضرة الضابط، إنه سوء فهم فقط.. لم يقع أي ضرر.. بيننا معرفة، ولسنا غريبين.. ولست بحاجة للتدخل.. أؤكد لك ذلك».

بدت الحيرة والتشوش على تعابير الضابط وهو يقلب نظره بين الفتاة الرقيقة الجائئة على ركبتيها وهي تبكي بحرقة، وبين هذا الرجل الضخم بأنفه الهائل وشعره الأشعث ولحيته الحمراء: «ألن تقدم تقريرًا ضدها لتعديها عليك؟!».

نظر قبطان السفينة للضابط بضيق، ثم أشاح بوجهه عنه وركع بجانب أجوان التي كانت تبكي غير مبالية بكل ما يجري حولها. «لا عزاء لهذه الفتاة المسكينة، وهذا الغبي يريدني أن أقدم تقريرًا ضدها».

حصريا على روايات وكتب عربية وعالمية

<https://t.me/riwayat2025>

يسعدنا انضمامك لنا



أسئلة وألغاز

الكوكب: إيسبليندور

سلطنة سيغوفيا

مدينة انتيكوادو

مد «زامينادو» يده إلى قبعته المعلقة في مكانها المعهود، ووضعتها على رأسه بهدوء وهو ينظر لمظهره في المرأة. ظهرت من جانب المرأة يد أخرى صغيرة رقيقة وامتدت للقبعة ومالت بها لليساار وللأمام قليلاً بحيث غطت حاجبه الأيسر. رفع زامينادو يده للقبعة وأعادها لموضعها السابق. فعادت اليد الصغيرة للظهور في المرأة وإلى إمالة القبعة للأمام واليسار. نظر زامينادو إلى اليسار وقال لابنته الصغيرة: «هل تريدين أن يقولوا إنني متصاب الآن في هذه المرحلة الحساسة من الانتخابات؟».

فردت عليه «ناريسا» والشقاوة تقفز في عينيها: «بل سيقولون إنك أصبحت تفهم الشباب. ألا تريد أن تفوز بأصوات 30% من الناخبين؟ إننا فئة هائلة في الإقليم، ومن يفوز بقلوبنا سيفوز بأصواتنا».

ضحك والدها وهو يستدير متجهاً للباب، ويربت على خد ابنته برفق وحنان وسخرية خفيفة: «ريسا.. أنت في الخامسة عشرة من العمر، ليس لديك صوت».

عبست ناريسا متظاهرة بالضيق والغضب: «نعم، أنت تذكرني بهذا دائماً.. ولكنني أعرف أن كل الشباب الذين قد بلغوا سن التسجيل يهتمون فكرة التصويت لعجائز متحجرين لا يفهمون أفكار وطموحات جيلهم!».

قهقه زامينادو ولم يعرف إن كانت جادة أم تمزح معه أم هي تخلط بين الاثنين: «عجائز متحجرين؟ يا للهول! لست أكبر منك بأكثر من 20 عامًا يا بنت! تتكلمين وكأننا ولدنا في قرنين مختلفين من الزمن!».

«أبي.. كن واقعياً!! لا أحد يريد أن يسمعك تتحدث عن النظام التعليمي المتحضر أو الاقتصاد المبني على المعرفة! لقد سئم الشباب هذه المحاضرات الطويلة التي يسمعونها من كل مرشح. إنهم يريدون من يخاطب قلوبهم أولاً وأخيراً. ولكي تنجح في دخول قلوبهم يجب أن ترتدي ملابسك بطريقة أقل تحجراً وجموداً!».

حذق إليها والدها للحظات بدت طويلة بعض الشيء، حتى أحست ناريسا أنها ربما قد تمادت في صراحتها ونقدها. ولكنه في النهاية، وضع يده على كتفها وضغط عليها برفق وقال: «سأفكر فيما قلته.. خاصة وأن السموم التي يبتها منافسي بدأت تجتذب الشباب الغاضب. إنه يخاطب قلوبهم كما قلت، ولكنه يملؤها حقذاً وكرامية ضد اتحاد الكواكب وهو شيء لم أسمع به من قبل.. شيء مقلق حقاً..».

استغرق زامينادو في التفكير حتى نسي يده فوق كتف ابنته، فتحركت قليلاً فتذكر أنه لا يزال يقف في مدخل المنزل، وقد حان موعد خروجه لعمله في المكتب القانوني الذي يتشارك فيه مع شقيق زوجته. ابتسم لناريسا وقبلها على خدها، والتقط حقيبته من على الكرسي المجاور للمرأة في مدخل المنزل، ثم اتجه للخارج، حيث توقفت مركبته. فتح بابها، ورمى بحقيبته في المقعد الخلفي كما يفعل كل يوم. ثم استقر في مقعد القيادة، واستوقفته مجموعة أوراق متناثرة على أرضية المقعد المجاور، فتأفف من أنه نسيها بالأمس ولم يطلع عليها، وهي لها علاقة بالقضية التي يعمل عليها مؤخرًا، كما أن موعد الاجتماع في أقل من ساعة. مما يعني أن عليه أن يختلي بنفسه في مكتبه قبل الاجتماع لكي يقرأها بسرعة ويكون ملئًا بتفاصيلها قبل اللقاء بالمدعي العام. خرجت منه أف ثانية، ثم وضع يده على مقود القيادة، فانطلقت صفارة قصيرة من المركبة وتبعها صوت امرأة تلقي السؤال المعتاد: «الهوية لو سمحت!» فأجابها زامينادو وهو ينظر لكومة الورق بضيق: «زامينادو ترينفادور».

عاد صوت التسجيل في المركبة ليقول: «سيتم تشغيل النظام.. هناك خلل.. هناك خلل.. هناك خلل.. هناك خلل!»، وقبل أن يعي زامينادو ما تعنيه الرسالة الصوتية، تحولت المركبة إلى كرة من اللهب، وتطايرت أجزاؤها في كل اتجاه، لتتشم كل ما ارتطمت به. واخترقت بعض الأجزاء نوافذ منزله لتستقر في المدخل الذي تركه منذ دقيقتين.

تكررت أجوان على جنبها فوق سريرها في غرفتها الصغيرة في مسكنها الصغير.. تخيلت أن الحيز المحيط بها يصغر ويصغر فيعصرها حتى يخنقها فتموت. فكرة الموت لم تزعجها، بل بدت فكرة جيدة ومريحة.

جلست روهاني على الكرسي الوحيد تراقبها، بينما تتصارع في ذهنها عدة أفكار وعواطف.

بادلتها أجوان النظرات، وقالت بصوت رتيب خالٍ تمامًا من المشاعر: «أنا أحس بما تحسین به».

سمعت روهاني العبارة ولم تفهم القصد منها، فمالت برأسها لليمين وضيقت عينها اليسرى بطريقتها المعهودة عندما تريد أن تطلب من المتحدث أن يشرح ما يعنيه. ولكن أجوان لم تضيف أية تعليقات بعد تلك العبارة الغريبة. فنهضت روهاني من مكانها وجلست على الأرض بجانب سرير أجوان ووضعت يدها على يد أجوان. تلك اليد ذات الأصابع النحيلة جدًا.. لا بد وأن عظامها دقيقة جدًا.. هل هي الحال مع كل أفراد عرقها أم هي حالة نادرة؟ لا تذكر روهاني أيدي باقي الهايكي الذين التقت بهم.

«أجوان، أنت لا تزالين تعانين من صدمة فقدانك لأهلك. لكنك اليوم أوشكت أن تتسببي في مشكلة عويصة بيني شخصيًا وبين مفوض الاتحاد التجاري. فبما أنني المسئولة عنك وأنا في الوقت نفسه المسئول الأمني، فإن ذلك يضعني في موقف محرج كلما..»

«أعرف.. أحس بما تحسني به. أنت تشعرين بالشفقة علي، وتتعاطفين معي، وفي الوقت ذاته، أنت الأمر الناهي في هذه المحطة، والكل يحسب لك ألف حساب، ولا يجوز لأي أحد أن يمسك عليك أية زلة. أنت محرجة منهم وغاضبة منهم.. ومتضايقه مني في الوقت ذاته. موقفك حساس ولا تعرفين كيف تتصرفين... أعرف كل ذلك. لست بحاجة لشرحه لي.»

فغرت روهاني فمها مندهشة من الوصف المفصل لمزيج المشاعر المتضاربة الذي كان سيعصب عليها هي نفسها أن تضعه في عبارات قصيرة ودقيقة كما فعلت هذه الفتاة الغريبة. كيف عرفت هذا كله؟

«والآن أنت قد فوجئت وتشعرين بالصدمة والقلق مما أقوله... و... تتساءلين إن كنت قد تسرعت في دعوتي للسكن معك..»

تركت روهاني يد أجوان، ونهضت بسرعة وتراجعت حتى التصق ظهرها بخزانة الملابس الصغيرة المستقرة في جدار الغرفة. نظرت بريية لأجوان وقلبها يخفق في صدرها ويوشك أن يخرج من حلقها.

«من أنت؟ بل ما أنت؟! كيف لك أن تعرفي هذا كله؟ هل.. هل تقرئين الأفكار؟ هل أنت من تلك الفئة النادرة التي تتمتع بالقدرة على قراءة الخواطر؟!»

اعتدلت أجوان في جلستها وسحبت نفسها حتى استندت للجدار المعاكس الذي التصق به سريرها. رفعت ركبتيها لصدرها وضمتها بذراعيها وحذقت فيهما: «بصراحة.. لا أدري ما أتمتع به.. أو أعاني منه. لا يمكنني أن أقرأ أفكارك، لا تخافي. ولكن.. لا أعرف كيف أصف لك ما أشعر به عندما أكون قريبة من شخص آخر. إنها كالموجات الكهربائية المنبعثة منه وأنا أشعر بها.. أو كنسيم بارد.. أو كمياه دافئة.. تنبعث من الشخص.. وتصطمم بي.. وأشعر بما يشعر به. الخوف أو الرعب.. الفرح.. الغضب.. القلق أو الانزعاج.. ومشاعر أخرى لم أعها أو أختبرها من قبل.»

رفعت أجوان عينيها الفيروزييتين لتنظر في عيني روهاني، فرأت ما كانت تتوقعه تمامًا. الخوف والشك: «هل أنا مجنونة؟ إذا كنت تعتقدين أنني جننت، فلن ألومك. أنا شخصيًا سلمت بأنني قد فقدت عقلي. كل ما أحتاج إليه هو إعلان رسمي لهذه الحقيقة، وسأرتاح بعدها.»

فضلت روهاني الصمت على أن تقول شيئًا سخيًا مثل ما قالتها منذ لحظات. خيم الصمت على الغرفة الصغيرة، إلى أن قطعه صفير جهاز اتصال الرائد. قفزت أجوان من المفاجأة، ولكن روهاني التي تعودت على أن يكون هذا الجهاز جزءًا لا يتجزأ من حياتها لم تتردد في تشغيله ووضع السماعة في أذنها. استمعت لتقرير مساعدتها، وأجابته بكلمات مقتضبة، وبحركة سريعة أغلقته.

«اسمعي.. يجب أن أعود لمناوبتي.. لكن من الواضح أنني لا أستطيع أن أتركك وحيدة.. على الأقل ليس قبل أن أتأكد من بعض الأمور. لذلك.. سأعيدك للقسم الطبي».

«لا، أرجوك، لا تعيديني لهم.. لن..».

رفعت روهاني يدها لتستوقف أجوان: «لا أقصد أن تعودني للسكن هناك.. فقط في هذه الساعات القليلة حتى انتهاء مناوبتي.. إنه مجرد إجراء احتياطي.. لضمان سلامتك أولاً وأخيراً».

تهدت الرائد روهاني: «وبعدها سنتناقش في خطوتنا القادمة».

حصريا على روايات وكتب عربية وعالمية

<https://t.me/riwayat2025>

يسعدنا انضمامك لنا



مستقبل الأطفال

القطاع:

السفينة: شوفاي

أنهى بريهون آخر خطوة من خطوات الفحص الدوري لجهاز دعم الحياة لسفينته، وخلع السماعة من على رأسه، وأراحها على الدبوس الخاص بها. مظ رقبته ليريح عضلاته من انقباضها لساعات طويلة، ثم نظر لزميله في الكابينة الصغيرة، وأوماً برأسه بأنه سيخرج الآن، فقد انتهت مناوبته. ابتسم له زميله وهو يغبطه على انتهاء مناوبته، فيما يواصل هو لثلاث ساعات أخرى قبل نهاية مناوبته الشخصية. نهض بريهون من مقعده، وتمطى بأذرعه الأربع، وهزّ رجله ليحرك الدورة الدموية فيها، ثم خرج من الكابينة، واتجه مباشرة إلى جناح الطعام في الطابق التقني. سارع بالتقاط أطباق الطعام واختار ركنًا منزويًا بعض الشيء، وبدأ يتناول وجبته بسرعة وعينه لا تفارق المدخل. لمح الفني ورفيقتة وهما يدخلان الجناح ويتلفتان حولهما، فرفع ذراعه الثالثة يلوح لهما دون أن يتوقف عن الأكل. لمحته رفيقة الفني أولاً، ودون إشارة منها استدار الفني نحو بريهون ولوح له، ثم توجه الاثنان إلى المائدة الرئيسية حيث يتم تقديم الطعام، واختارا وجبتين متماثلتين، وانضما لبريهون على طاولته الصغيرة، فازدحمت الطاولة بصوانيهم، ولكن لم يلاحظوا ذلك نظرًا لانشغالهم بما هو أهم.

أنهى بريهون وجبته قبل الرفيقين، فمسح فمه بمنديل ورقي مبلل، وأسند ظهره للمقعد، وراقب الفني ورفيقتة وهما يتناولان طعامهما بهدوء. لولا طول شعر أورو لما تمكن من معرفة أيهما الأنثى، فهما متطابقان في الملامح والبنية. وكان من الواضح في تعابير وجهيهما عدم ارتياحهما لهذا اللقاء. لم يكن يلومهما على قلقهما وعدم ارتياحهما، فالحديث الذي جرى بينهم على مدى 3 جلسات مختلفة لم يكن حديثًا عاديًا، وقد يوقع بهم جميعًا في سجن السفينة بتهمة الخيانة العظمى للاتحاد الفضائي للكواكب. ولكن بريهون ما كان ليفاتحهما في فكرته لولا مراقبته لهما على مدى عدة أشهر منذ أن انتقل للعمل على متن «شوفاي» سفينة الركاب الفاخرة التي يملكها تكتل برانسليه. فقد اتضح له أنهما ينتميان إلى الفئة المستعبدة من حزام الجيزاو، لا من الطبقة الحرة التي تعيش في المدن المرفهة. لا يعلم بريهون كيف انتهى بهما المطاف للعمل على متن هذه

السقينة، فنادراً ما يكسر الجيزاو طوق العبودية وينجحون في الحصول على حياة كريمة خارج حزام كواكبهم المنغلقة عامة عن باقي القطاع. وهو ما دفع بريهون للتقرب منهما وكله أمل أن يتمكن عن طريقهما من اختراق التجمع الذي ساعدهما على الخروج من حزام جيزاو.

انتهى الاثنان من وجبتهما في الوقت نفسه، ومدا يديهما في نفس الوقت للمناديل الورقية، ولكن أورو تأخرت لتوانٍ قبل أن تضع يدها على المنديل، حيث كانت تعلم أن بوروس أولى بالمنديل الأول. عجيب هذا الشعب النحاسي اللون، الازدواجي الشخصية، فالكل يضع توائم ذكرًا وأنثى، وبيقيان رفقاء طوال حياتهما. وإن كانت هناك حالات متزايدة من الجيزاو الذين اختاروا أن يتزوجوا توائم أخرى. مجرد التفكير في هذه التوليفة بين توأمين يجعل رأس بريهون يدور كلعبة الدوامة الصغيرة التي صنعها له والده من الخشب الرخيص وهو طفل.

«بوروس.. وأورو.. لماذا هذا التردد؟ أنتما تعلمان جيدًا أننا نتشارك في المبادئ.. وأن ما أنادي به هو حلم تحلمونه أنتم وغيركم منذ عقود من الزمن. وييدي اليوم أن أجعل الحلم حقيقة، مجرد خطوة أخيرة تتخذانها ونكون شركاء في تكوين مستقبل رائع يحفظ لأطفالنا كرامتهم. إننا نفعل ذلك لأطفالنا لا لأنفسنا».

لم ينظر التويمان لبعضهما، وتساءل بريهون للمرة الألف إن كان توارد الخواطر من بين قدرات الجيزاو، فليست هناك معلومات كثيرة متوافرة عن هذا الشعب الذي يتكون من طبقتين فقط، طبقة ثرية جدًا ومنغلقة تمامًا إلا على من يشاركها الأعمال، وطبقة مستعبدة لخدمة الطبقة الثرية. وكالعادة، تكلم بوروس أولاً:

«نعم، نحن مستعدون للتضحية بحياتنا».

وأكملت أورو: «.. من أجل أطفالنا».

وتلك صفة أخرى يعجز بريهون عن فهمها أو الاعتياد عليها، فهي مزعجة في بعض الأحيان. فيندر أن يقوم أحدهما بالتعبير عن فكرة كاملة وحده، وإنما دائمًا ما يبدأ أحدهما بالفكرة، ليكملها الرفيق الآخر، وهو دليل آخر على احتمال تمتعهم بتوارد الخواطر. ولكن هذه ليست قضيتهم الآن، إنه بحاجة لأن يكسب الرفيقين، وقد فكر في هذا التكتيك الأخير كأسلوب لإقناعهما بأهمية انضمامهما له، فمن لا يتأثر عندما يأتي ذكر الأطفال وأمنهم ومستقبلهم؟! ويبدو أنهما قد تأثرا بالفعل، فقرر أن يستغل هذه الفرصة:

«إذن أنتما موافقان.. عندما تلتحم شوفاي بالمحطة القادمة، ونحصل على إجازتنا ستأخذاني لقيادتكم؟».

زَمَّ بوروس شفتيه النحيلتين، وللحظة بدا وكأنه سيلتفت لرفيقته، مما أثار استغراب بريهون، ولكنه فسر ذلك لخطورة القرار الذي يوشكان على اتخاذه، فحبس أنفاسه في انتظار الإجابة.

أدار بوروس يديه بحيث أصبحت كفاه تواجهان السقف، وشاركته أورو الحركة ذاتها،

فتحت عينيها على صوت المنبه: «الساعة الآن السادسة صباحا. الساعة الآن السادسة صباحا». مدت أجوان يدها وأطفأتها. إنها الساعة السادسة صباحا.. ولكن كلمة صباحا تعتبر مجرد فكرة وليست انعكاسا عن الواقع. فلو كان في غرفتها نافذة وأطلت أجوان منها الآن لوجدت صفحة سوداء.. 24 ساعة في اليوم. لا يوجد صباح أو مساء على متن هذه المحطة. ولا يوجد طقس.. ولا توجد أية عوامل طبيعية. قطعة من المعدن المليء بالهواء والمخلوقات، تطفو في الفضاء المظلم. وضع يدعو للكآبة حقًا. ولكنها مستعدة الآن لنبذ الكآبة، ولتبني نظرة متفائلة، فالיום أول يوم لها في وظيفتها الجديدة.

نهضت من سريرها وأعدت ترتيبه كما كانت تفعل في منزلها. حركة لا إرادية تعودت عليها، وهي ممتنة الآن لإصرار والدتها على هذه العادة، فهنا في مسكن الرائد روهاني تنص القوانين أيضًا على ترتيب كل شيء. بعد دقائق التقت بالرائد في مطبخهم الصغير، حيث تعودت الرائد أن تحتسي شرايبها الدافئ مع قطعة من «الكعك» - وهو غذاء ممتع أحبته أجوان لأنه حلو ويعطيها طاقة لساعات طويلة.

ابتسمت الرائد لها ودفعت صوبها بكوبها الخاص: «أول يوم يكون مثيرا بعض الشيء، ولكن لا داعي للقلق. فالمديرة سيدة لطيفة جدًا - بالطبع يجب أن تكون لطيفة بحكم طبيعة عملها. وهي أيضًا متفهمة جدًا وحكيمة».

انتهتا من وجبتيهما وخرجتا بسرعة من المسكن، واتخذتا اتجاهًا لم تعهده أجوان من قبل. وفي خلال دقائق قصيرة تغيرت ألوان الجدران المحيطة بهما إلى مزيج مجنون من الأشكال الزاهية والمرحة. استغربت أجوان من هذا التغيير الجذري ولكنها لم تعلق عليه. «ها هو المدخل، اتبعيني». فتحت الرائد الباب، وتبعتهما أجوان إلى عالم غريب يختلف تمامًا عن كل شيء في الخارج. فهنا الألوان المجنونة تكمل غزوها لكل بوصة من الجدران والأثاث حولها.

«سيادة الرائد، صباح الخير!!!! كم تسرني رؤيتك، فلا نحظى هنا بزيارات منتظمة من حاكمتنا البارة، كما تحظى باقي الأقسام».

ضحكت روهاني لهذا الإطراء المبالغ فيه: «قسّمك يا نازلي هادئ جدًا.. إن رغبت في رؤيتي فعليك أن تفتلي شجارتا بين عملائك. وستجدينني أهرع لقسمك ومعني فرق التدخل السريع!».

شاركتها نازلي الضحك بصوت مثل طقطقة وحفيف في الوقت نفسه.. فوجئت أجوان من هيئة نازلي، فهي أقصر منها طولًا، ولكنها عريضة الكتفين والجذع. أما وجهها وما ظهر من يديها تحت البلوزة الوردية، فيقطيه جلد فحמי اللون، يبدو لأول وهلة كالصخر المغطى بالنتوءات، ولكنه طري كجلد الإنسان ويتشكل للتعبير عن أية مشاعر. التفتت نازلي لأجوان بعينين سوداوين ليس فيهما أي بياض وأضافت بنبرة لطيفة: «وهذه هي متدربتنا الجديدة. مرحبًا عزيزتي!» وقبل أن ترد أجوان وجدت أذرع نازلي الأربع تطوقها في حضن دافئ فاجأ أجوان بطراوته، فكانت تتوقع أن يكون صلبًا كالصخر.. ثم

أطلقتها الأذرع الأربع بالسرعة نفسها، حتى فقدت أجوان توازنها لثانية ولكنها تمكنت من استعادته بسهولة وتلعثمت وهي تبحث عن كلمات لتحية السيدة وشكرها على تقديمها هذه الوظيفة.

«حسنًا، هل سترافقينا يا سيادة الرائد؟ أم ستتجهين للعمل مباشرة؟ ربما أستطيع أن أؤخرك قليلًا لتصلي لناوبتك بعد زوجي العزيز الذي كثيرًا ما يتمنى لو يسبقك معظم الأيام».

تبادلت السيدتان بعض الحكايات الشخصية المرحية التي كشفت لأجوان وجود صداقة قديمة بينهما. وعند أحد الأبواب الخضراء اللون، توقفوا جميعًا، وبهدوء بالغ قامت نازلي بفتح الباب وأطلت في الداخل، ثم وضعت إصبعًا سوداء عند شفتين رماديتين كناية عن الهدوء، وأشارت لهما بأن تتبعها. وضعت الرائد راحة يدها على ظهر أجوان ودفعتها برفق لتدخل قبلها. فدخلت أجوان وقلبها يخفق بشدة، فوجدت نفسها في غرفة غير كبيرة، تنتشر على جدرانها مئات القصصات المغطاة بصور وألوان مبهرجة. وفي جميع أنحاء الغرفة جلست مجموعات من الأطفال بمختلف الأعراق والأصناف؛ هنا من يرسم وقد ارتسمت على وجهه نظرة تركيز عميق، وهناك من يتصفح شاشات صغيرة تغطيها كتابات ورسومات مسلية، وفي وسط الغرفة تجمع البعض حول امرأة بشرية صغيرة الحجم وهي تحادثهم بصوت هادئ وبكلمات لحنية تشد انتباههم.

نظرت نازلي لأجوان وعلى وجهها ابتسامة حب وفخر.. «هؤلاء عملاؤنا يا أجوان. وهم أطفال كل من يعمل على هذه المحطة. إنهم أمانة لدينا، وأنا بدوري أضعهم أمانة في يديك. لن تقومي بتعليمهم بالطبع، ولكنك ستساعدين المعلمة في إدارة المجموعات بطريقة تضمن النظام والهدوء والسلاسة المطلوبة في مجال عملنا».

جلست أجوان في الزاوية المخصصة للنوم في دار الحضانة، وفي حضنها طفلة فيلينية في الثانية من عمرها. نامت الصغيرة الفاتنة متكورة في حضن أجوان بعد أن أنهكها البكاء. وكانت مهمة أجوان تهدئتها وشغلها حتى تتمكن أمها من مغادرة الحضانة، وبالتالي مرت قرابة الساعتين والطفلة تلعب لدقائق، ثم تتذكر غياب أمها فتبكي لدقائق. دموعها التي كانت تنهمر على وجهها المغطى بالشعر القصير الناعم، حوَّلت لونها الذهبي إلى بقع بنية غير جذابة. ورغم أنها الآن غارقة في النوم، فإن أطرافها الأربعة كانت ترتعش من فترة لفترة وكأنها تجري أو تمشي في نومها. ولسانها الزهري الرقيق يخرج من بين شفتيها ليلعق الهواء ثم يعود لداخل فمها.

وهكذا حال أجوان منذ قرابة الساعة، لم تتحرك من مكانها خوفًا من إيقاظ مو مو الصغيرة. أو هذا هو السبب الذي بررت به موقفها عندما سألتها مشرفة المجموعة عن سبب جلوسها في هذه الزاوية بينما هي بحاجة لها في غرفة اللعب. ولكن الحقيقة أن السكون الذي ينبعث من الصغيرة كان ينتشر ليظل أجوان بدفته اللذيذ. وهي بأمر الحاجة لهذا الشعور، كما أن وجود طفلة في حضنها يذكرها بالجنين في أحضانها، ويعطيها أملًا في مستقبل سيمكنها من أن تحضن طفلها وتشعره بالأمان والاستقرار. هل

هذا ما تشعر به كل أم عندما تمسك بطفلها؟ هل هذا سيكون شعورها عندما يضعونه بين ذراعيها للمرة الأولى؟

إن وجودها في دار الحضانة أبعدا عن الساعات الموحشة التي كانت ستقضيها وحيدة في مسكنها مع الرائد. وقد اختارت أن تعمل ساعات طويلة متطابقة مع ساعات عمل الرائد حتى لا تقضي الوقت وحدها في المسكن. اعتقدت أجوان أنها لن تتمكن من مواصلة هذا الروتين لمدة طويلة، ولكنها في شهرها الرابع هنا في محطة الظافر. ورغم أنها ليست في قمة السعادة، فإنها لا تشتكي من شيء. بالطبع، سوى أنها وحيدة بلا أهل ولا أصدقاء. صحيح أن في المحطة أناسا من كوكبها، إلا أنها لم تكن تعرف أحدهم قبل الكارثة. ثم إنها ليست معجبة كثيرا بصحبة الهافيكي وإلا فما كانت استعجلت في مغادرة مدينتها سعيًا وراء حياة مختلفة. بالطبع، تكررت زياراتها شبه اليومية لغرفة مونا، حيث كانت تقضي معها بعض الدقائق الهادئة وتحديثها عن يومها وعن الأطفال والناس الذين تقابلهم، والمصطلحات التي تتعلمها والتجارب الجديدة التي تمر بها.

وفي بداية كل شهر تتوجه أجوان بالتزام بالغ إلى القسم الطبي حيث تلتقي بالطبيبة دورا التي تسألها أسئلتها المعهودة عن صحتها العامة، وتقوم بفحصها بأجهزتها، ثم تطمئن على حالتها وتنتهي الزيارة بوعدها من أجوان بالعودة في الشهر المقبل. تلك الزيارات كانت من الممكن أن تكون مملة لولا لطف الطبيبة الذي يغمرها بالحنان والاهتمام الحقيقي. ولولا سوقية الممرض سليخور الذي لا يتوقف عن مراقبتها بطريقة مقززة، ويبت نحوها مشاعر كراهية تشعرها بحاجة ملحة للفرار والاختباء.

ولهذا فهي تجلس في هذه الزاوية؛ إذ لم يتبق على موعدها مع الطبيبة إلا أقل من الساعة، وهي تماطل قبل أن تستأذن نازلي وتتجه نحو القسم الطبي. ثرى هل سيكون سليخور مناورًا هذا الصباح؟ تتمنى من أعماقها أن يكون في إجازة أو أن ينشغل في جزء آخر من القسم أثناء وجودها في غرفة الفحص. ليست لديها أية رغبة في أن تقع عيناها على وجهه الشاحب القبيح، أو أن تتعرض لموجة من موجات مشاعره المقززة. تلك المشاعر التي تذكرها باليوم الذي خرجت فيه مع أخيها إبار ومجموعة من أصدقائه في نزهة قرب جزيرة صغيرة. كانت في العاشرة من العمر، ويكبرها إبار بعامين، وقد توسلت مارازا لوالدتها لتسمح لها بمرافقته هو وأصدقائه. بالطبع لم تكن مجموعتهم وحيدة، بل كان يشرف عليها ثلاثة أساتذة ووالدة أحد أفراد المجموعة.

تعود شعبها على هذه النزهات في مياه الجزر المرجانية الاستوائية خارج نطاق سيطرة الأوكامو. فبالرغم من سكنهم في مدن تحت الماء، فإن خروجهم للسباحة في تلك الأعماق السحيقة أمر مستحيل. لذلك يحاول الجميع إيجاد الفرصة للتنزه في المياه الضحلة في إجازاتهم الأسبوعية أو غيرها من الفرص. كم كانت سعادتها عظيمة بحرية السباحة في مياه دافئة وصافية دون وجود والدتها التي كانت تصر على أن ترافقها في كل مكان أثناء سباحتها. فأخوها انشغل بأصدقائه وبمرحهم وألعابهم، بعد أن أعطاهم التحذيرات المعتادة وطلب من والدة صديقه أن تراقبها. استمتعت أجوان بالغوص حول الشعاب المرجانية بأشكالها وألوانها التي تحير الناظر من تنوعها الهائل، ومن مخلوقات

الماء بكل أنواعها وأحجامها المختلفة.

نعم، تدرس أجوان كل هذه المخلوقات في حلقاتها الدراسية وتعرف أسماء وأجناس العديد منها، إلا أن رؤيتها على الواقع تثبت فيها حياة تجعلها أكثر من مجرد معلومات جافة عليها أن تحفظها ثم تجيب عن أسئلة تتعلق بها. إنها مخلوقات حقيقية، وها هي تلمسها بيدها، وتركها لترقص بين أصابعها، وتقضم أطراف أظفارها وشعرها الذي تسال من تحت القبة الواقية. لم تنتبه أجوان للانقليس المختبئ في حفرة ضحلة بين قطعتي مرجان، إلى أن برز من حفرة وقد فتح فمه وهو يحدق إليها بعين صفراء مخيفة. فزعت أجوان وحركت رأسها جانباً، فاحتك خدها الأيسر بقطعة ميتة من المرجان. فزعت أكثر وخافت أن ينتشر دمها فيجذب الانقليس لها، فسارعت بالعموم متجهة للسطح ولأخيها وهي تبكي خوفاً وحرماً.

تلك اللسعة المؤلمة على خدها هي الشعور الذي ينتابها كلما كانت قريبة من سليقور.. وهو ما تود أن تتجنبه اليوم.

حصريا على روايات وكتب عربية وعالمية

<https://t.me/riwayat2025>

يسعدنا انضمامك لنا



طوق النجاة

أخيرًا!!!! أحكمت روهاني قبضتها على القرص الذي استلمته من مساعدتها المتدرب إيلوير، وسيطرت على ضيقها من بلادته وغبائه. لا، لن ينجح هذا المتدرب في اجتياز اختباراتنا اليومية ليحظى بمكان بجانبها في غرفة العمليات. إنه لا يستطيع حتى أن ينفذ تعليمات بسيطة مثل نقل معلومات لقرص! ولا يهتمها إن كان ابن أخت زوج ابنة عمه السفير الأرغوني! إن لم يرق لمعاييرها العالية للكفاءة فليس له مكان معها. هزت روهاني رأسها وهي تفكر فيما سيفعله السفير عندما يستلم رسالة الاعتذار منها عن عدم قدرتها قبول الفتى في طاقمها. لا يهم! ما يهتمها الآن هو أنها أخيرًا ستتمكن من إبلاغ أجوان بخطتها التي أخفتها عنها طوال الأسابيع الماضية. أخيرًا ستخبرها بأنها كانت تحاول جاهدة استصدار تصريح زيارة لكوكبها «تيرا 8» يمكنها من اصطحاب أجوان معها. وقد أتى الترخيص في الوقت المناسب؛ إذ لم تتبق إلا أسابيع قليلة على موعد إجازتها، ولم تكن روهاني تتخيل ما سيكون عليه وضع أجوان لو تركتها وحيدة وغادرت المحطة لقضاء إجازتها مع أسرته.

ولذلك قامت روهاني بما لم تكن تسمح لنفسها بفعله من قبل.. توصلت لوالدها الأميرال سليفني، القائد الأعلى لأسطول الربعية جنان ليضغط على المسؤولين لاستصدار هذا الترخيص، وبتعهد منها أن تكون المسئول الأول والأخير عن أجوان. وها هو الترخيص بين يديها، ولكن مناوبتها لا تنتهي قبل ساعتين على الأقل. ضحكت روهاني من هذا الهاجس الذي يجعلها تلتزم بساعات العمل رغم أنها القائد الأعلى لهذه المنشأة. وقررت أن تخرج لدقائق لتزف الأخبار السارة لأجوان، ثم تعود ثانية لغرفة العمليات. تركت القيادة في يد سودي.. هم! هل تقول في يد أم في أيدي؟ هاها.. مضحكة جدًا يا روهاني عندما تكونين سعيدة!

هرعت روهاني إلى دار الحضانة لتجد أجوان مع مجموعة من الأطفال الصغار المتحلقين حولها. وقفت روهاني بعيدًا وراقبت الفتاة وهي تغني مع الأطفال وتصفق معهم في مجموعة غريبة من الحركات والأصوات. أعجبت روهاني بمهارة أجوان في الاستحواذ على انتباه الصغار، وبقدرتها الغريزية على معرفة احتياجاتهم

وتلبيتها بسرعة وذكاء. لا يمكن لروهاني أن تقلدها في أي من هذا، ففكرة وجودها بقرب أي صغار لمدة تتجاوز الدقيقة ترعبها كثيرًا. فهم مخلوقات فوضوية وعاطفية ومأكرة في تلاعبها بمشاعر الكبار. لا يستمعون للقوانين والأنظمة ولا يفهمونها وبالتالي يخرقونها في كل لحظة من لحظات حياتهم الخالية تمامًا من المسئوليات. انظر لذلك الصغير، أدخل إصبعه في أنفه ثم أخرجه ونظر لما علق به، ثم مسحه في فستان البنت الصغيرة الجالسة بجانبه. انتهت الصغيرة لما فعله فانكمشت ملامح وجهها وبرزت شفتاها للأمام وانسابت الدموع أنهازا وفتحت فمها لتصدر صراخًا مزعجًا يضاهي صوت صفارات الإنذار في المحطة! مخلوقات مزعجة ومقرفة حقًا! لا يمكن أن تسمح لنفسها أن تنجب مخلوقات كهذه.. وهو سبب طلاقها من زوجها أودن الذي كان يرغب في إنجاب الأطفال.

بعد محاولات طويلة من أجوان والمعاونة الثانية هدأت البنت الصغيرة، وأخيرًا لاحظت أجوان وجود الرائد عند باب الغرفة. انفرجت شفتاها عن ابتسامة عريضة، وسارعت بالانضمام إليها ثم خرجتا من الغرفة. «لم أعتد على زيارتك لي في مقر عملي. هل كل شيء على ما يرام؟»

«بالطبع..». وهنا لوحت بقرص المعلومات الذي بيدها:

«أجوان هل تذكرين حديثنا عن وجهتك القادمة بعد مغادرتك هذه المحطة؟»

فردت عليها أجوان مازحة:

«نعم.. تقصدين المجرة بأكملها؟ هل لديك أقراص سياحية تخفيها وراء ظهرها؟»

«هاها.. بل لدي ما هو أفضل من ذلك بكثير! ما رأيك أن تقضي الأشهر القادمة معي

في تيرا 8؟»

استغربت أجوان ما قالته روهاني، فاحتارت في الإجابة، وسألتها: «هل تمزحين؟! اعذريني.. لم أعود على الفكاهة منك.»

أحست «روهاني» بالأسف لما تمر به هذه الفتاة، فوضعت ذراعيها حولها وضمتها بقوة مرددة:

«لا..لا..لا.. ليست دعابة يا صغيرتي.. أعلم أن الوضع محير بالنسبة لك.. ولكني أؤكد لك.. سنصنع لك وطنًا جديدًا».

دفعتها أجوان قليلًا لتنظر في عينيها.. يبدو من وجهها أنها تحاول أن ترى شيئًا يوجد في مكان أبعد مما تقع عليه عيناها.. رفت عيناها الفيروزياتان المميزتان وبدأت تعابير وجهها تتخذ ذاك القالب الجامد الذي تتبناه أجوان عندما تخاف أن تظهر أية مشاعر على الإطلاق.

«أنت جادة! نعم.. أحس بأنك جادة.. أحس بالحماس الذي يجعل قلبك يدق بسرعة وراء قفصك الصدري. أنت صادقة ولكن هناك خوف يختبئ وراء هذا كله. اشرحي لي ما تخططين له.. أرجو!»

بلعت روهاني ريقها وأخذت ثواني لتلملم أفكارها.. إنها علامات تلك الموهبة الغامضة.

فهي تمكنها من معرفة الصدق من الكذب.. لا تستطيع أن تقول إنها تقرأ الأفكار - فهذا أمر مستحيل طبعا - أم ليس مستحيلا؟ لا تدري.. المهم أن أجوان لديها قدرة غريبة على ترجمة أحاسيس الذين حولها - مع استثناءات بسيطة. تستطيع أن تستشف مشاعرهم وهو ما يجعلها رفيقة مثالية في بعض الأحيان، وهو بالضبط السبب وراء الصداقة السريعة التي نشأت بينهما. فلم تكن روهاني بحاجة للتعبير عن مشاعرها في كلمات لكي تفهمها أجوان بسرعة وبساطة فريدتين. لا تستطيع روهاني تفسير هذه الموهبة.. ولكن من لا يريد أن يحاط بأناس يفهمونه من دون كلمات أو شرح؟! أو ربما هناك من يحبذ أن تبقى مشاعره خفية عن حوله.. لا شك أن المخادعين والكاذبين والحاquدين يفضلون الخفاء على الشفافية.

أعادتها أجوان للحاضر بهزة خفيفة لكتفها: «أخبريني.. ما الذي تقولينه؟! إنني أستطيع مغادرة هذا السجن المتجول؟!»

«بالضبط! ولكن بشرط أن تكوني معي بالطبع.. فليس من عادة اتحاد الكواكب أن يترك اللاجئين يتجولون من غير مرافق».

«لم أفهم قط لماذا تعاملوننا هكذا! لم نختر أن نكون لاجئين من كوكب مدمر! ثم لم نرتكب جرما يستحق أن نسجن بسببه. ولا نحمل مرضا أو وباء يلزم العزل عن باقي المخلوقات في المجرة!».

«أعلم، أعلم يا عزيزتي.. سامحيني.. لا أقصد أن أجرح مشاعرك.. ولكنني جئت بهذا التصريح الآن. نستطيع أن نذهب لكوكبي وتستطيعين هناك أن تبدئي حياة جديدة. أليست هذه أخبارا سارة؟!»

خفضت أجوان رأسها وبدت على وشك البكاء. هذه هي حالها منذ أن جاءت للمحطة.. تأرجح بين الهدوء والتأمل وبين الاكتئاب واليأس. وضعت يدها على بطنها الذي بدأ يبرز وأغمضت عينيها، وقالت:

«أعلم أنك مسرورة يا روهاني ولكنني لا أعرف إن كان علي أن أشعر بأي شيء غير الحزن والأسى في كل لحظة أعيشها بعيدة عن أهلي وشعبي! إن الانتصارات الصغيرة التي أحققها كل يوم تأتي على حسابهم. هذا ما أشعر به عندما يمر بي أي شعور جميل. كل ابتسامة خيانة لذكراهم. كل شهيق وزفير تدنيس لتضحياتهم. حتى حياة طفلي أحس وكأنها صفقة لهم. كأن نجاتي لم تكن كافية، بل قمت أيضا بخلق حياة أخرى..».

أمسكت روهاني بذراعها وسحبته لكرسي قريب وأجلستها عليه، وهي تخفف عنها بكلمات تأمل أن تؤتي نفعا: «أجوان أجوان! حسبك!!! من حقا أن تتمتع بحياتك. لقد نجوت.. ونجا غيرك.. وليست النجاة ذنبا، لم تفعل شيئا فظيحا.. لم تتسببي في دمار كوكبك وشعبك. إنها كارثة طبيعية. وليس لك يد في هذا! وبما أنك نجوت فمن واجبك أن تخلدي ذكرى شعبك بأن تستمري في حياتك.. بل وأن تتمتع بها.. ما الضرر في ذلك؟ هل تعتقدن حقا أن والديك أو أفراد أسرته يريدونك أن تستلقي على الأرض وتموتي الآن؟!».

هزت أجوان رأسها بحزن: «لا أعرف ما الذي علي فعله الآن! حقا أنا تائهة تماما!!! لا

يوجد في تجربتي في الحياة شيء واحد يعدني للمرحلة هذه. كل الساعات الطويلة التي قضيتها أتدرب على هذا وذلك... كلها لا فائدة منها الآن!!! كلها! كلها مزحة سخيفة لعبتها الأقدار ضدي!!! ما الذي سأفعله على كوكبك يا روهاني؟! لا أعرف حرفة تعيلني وتعيل طفلي القادم!

«سنجد لك حرفة... كما فعلنا هنا. ولكن حتى ذاك اليوم أنت ضيفتي! ألم أقل لك إنني أنحدر من عائلة ثرية وذات نفوذ؟ وأن الألوان أن أستفيد من كل هذا للمساعدة صديقتي العزيزة أجوان. اتفقنا؟!»

«..... اتفقنا».

الكوكب: أوراد التصنيف: صحراوي

كانت الرمال تحت صدر ماندو ويده حارة جدًا، مما يحثه على إنجاز التمرين بسرعة. سبع عشرة ضغطة أخرى وينتهي هذا التمرين. وبعدها بالطبع سينقلب على ظهره وينفذ تمارين البطن، مما يعني أن الحرارة ستنتقل لظهره وفخذه. عليه ألا يتوقف ولا يبدي أي ألم أو ضيق، فالمعلم يراقبه الآن. انسالت قطرة عرق أخرى بين أهداب رمشه لتدخل عينه وتسبب له حرقة، ولكنه لا يستطيع أن يمسح عينه أو حتى جبهته الغارقة في العرق. ولولا قميصه لتساقطت حبات العرق من على جسده وبللت كل الرمال المحيطة به.

إنهم يضغطون علينا يوميًا بتدريباتهم القاسية. المعلم يقول إن كوكب أوراد الحار هو النيران التي تصنع المعدن الصلب الذي يتحول لسلح فتاك، وهو مصيري في يوم قريب - سلاح فتاك. سلاح سيعاقب كل من ألقى بنا هنا كالمهملات على هذا الكوكب البعيد القاحل. لا أحد يهتم بنا، إنهم قد غسلوا أيديهم منا منذ عقود طويلة. أخي بينداري قال إن كوكبنا كان يملك ثروة كبيرة من السيليكا الذي تصنع منه كابلات الطاقة في السفن الفضائية. وهو ما جعل أعدادًا كبيرة من الأسر تنتقل لهذا الكوكب البعيد القاحل منذ أكثر من قرنين من الزمن. أفرغت السفن الاستيطانية حمولتها البشرية ومعها مواد البناء والمعدات التي سيحتاجها المستوطنون. ونشأت بعدها عدة مدن صغيرة حول المناطق الغنية بحقول السيليكا.

وازدهرت المدن في مدة قصيرة جدًا، فالمجرة بأكملها تحتاج لتلك المادة من أجل الأساطيل الفضائية ولسفن التجارة والسياحة. لقد كانت الحاجة ماسة جدًا وبكميات هائلة حتى أمست أونصة السيليكا بأسعار خيالية أدخلت النشوة في قلوب سكان أوراد، والفرع في قلوب التجار والكواكب الأخرى. ولكن التطور العلمي لا يبقى على حاله، فالدراسات والأبحاث لا تتوقف من أجل إيجاد مصادر طاقة جديدة ووسائل نقل أسرع، وهكذا تم اختراع مواد جديدة لصناعة كابلات أقوى تنقل الطاقة بصورة أسرع. بالطبع لم تفقد مدن أوراد أهميتها بين ليلة وضحاها، ولكن نجمها بدأ في الأفول منذ تلك اللحظة. هناك من أدرك نقطة التحول تلك فتمكن من إنقاذ ما يمكن إنقاذه والانتقال

لكواكب أخرى وفرض أخرى. ولكن الأسر التي لم تفهم كيف يمكن للاقتصاد أن ينتقل من مرحلة إلى مرحلة بهذه السرعة، استمرت في أسلوب حياتها ولم تدرك ما يحمله لها المستقبل فاستيقظت في يوم لتكتشف أن كوكبها لم يعد ذا أهمية وأنه ليس سوى علبة موارد استنفدت أغراضها، وأن الألوان لرميها في القمامة.

انتهى ماندو من التمرين الأول وانقلب بسرعة على ظهره وزاده الغضب الذي يشعر به قوة ساعدته على تجاهل الألم. سيرون جميعهم.. سنديهم ألم الذل والخوف تمامًا كما قال «الطارق» تمجد اسمه. إنه المنقذ لنا جميعًا، ورغم ظلم وعجرفة باقي الكواكب فإنه وعد بإنقاذهم أيضًا. سينقذهم من جهلهم وسيعيد لهم صوابهم وسيعلمهم أن لكل شخص قيمته وأن عبادتهم للأموال وللجاه لم تجلب لهم سوى الحقد والغضب. أه كم يكرههم ويرغب في معاقبتهم. هل يعلمون أنه فقد أختين بسبب الجوع والمرض على هذا الكوكب اللعين؟ لا يوجد طعام جيد أو كاف ولا يوجد دواء حقيقي في حالة الأمراض الصعبة. ولولا بعض المنظمات الخيرية التي لا تزال تعمل في منطقته لمات معظم سكان المنطقة. ماذا سيكلفهم اهتمامهم بنا؟ لا نريد الكثير، كل ما نريده الحياة الكريمة، مسكن آمن ووجبات منتظمة ووحدة صحية تشرف علينا. ومدارس.. نعم كنت أحلم بمدرسة حقيقية بها صفوف ومدرسون وأجهزة تعليم أساسية. لو تعلمت لما اضطررت أن أتدرب لأكون جنديًا.

ولكنني جندي الآن، وسأكون سلاحًا قاسيًا على كل من حرمني الحياة التي أستحقها. سأخدم في جيش سيدي الطارق وسأصل لأعلى المناصب لأفوز بلقائه وبخدمته بجانبه. المعلم يقول إن هذه الشهور الأولى هي التي تفرق بين الرجل والطفل، وأنا لن أكون طفلًا، فقد بلغت الخامسة عشرة منذ أسابيع. سأصبر على كل اختبار جسدي وسأثبت لهم أنني أهل لأن أكون عضوًا في جيش سيدي الطارق. ثم سأغادر هذا الكوكب، تمامًا كما غادره بينداري منذ عامين. ثرى أين ذهب بينداري وهل سأنضم له؟

«قرصة قلب»

انتهت الطيبة من فحصها وأعلنت أن كل شيء يدل على أن موعد ولادتها بعد 6 أسابيع وأنها ستكون ولادة طبيعية ولله الحمد. ابتسمت لها أجوان وشكرتها على لطفها ودعمها الدائم، وخرجت الطيبة من الغرفة لتمنحها الخصوصية لتبديل ملابسها. قامت أجوان من على السرير ببطء وحذر بالغين، فهي ثقيلة الآن ولا تستطيع أن تتحرك بنفس الخفة والثقة التي كانت تتمتع بها قبل أن يكبر بطنها. جلست على طرف السرير لتوان لتأخذ نفسا عميقا، فالاستلقاء على ظهرها يجعل الجنين ينزلق ليجثم على صدرها ويجعل تنفسها صعبا. وهو أيضا ما يجعل نومها غير مستقر في الآونة الأخيرة. وعندما اشتكت للطيبة من هذه الأعراض، ابتسمت دورا ابتسامة ودودا وأخبرتها أنها أعراض طبيعية تشكو منها الحامل في شهورها الأخيرة. وهزت رأسها عجبًا كيف أن هذه الأعراض متشابهة بين العديد من الأعراق والأصناف - الأمومة هي الأمومة أينما ذهبنا.

نزلت من على السرير بحذر واستدارت لتتناول ملابسها من على الحائط المقابل. وقبل أن تخلع قميص الفحص شعرت بحركة خلفها، فتوقعت أن تكون إحدى الممرضات قد دخلت لتساعد في ارتداء ملابسها. التفتت ورائها لتخبر الممرضة بأنها قادرة على ارتداء ملابسها لوحدها ولتشكرها على لطفها، فباغتتها يد تمتد لوجهها. فقفزت للوراء من أثر المفاجأة فارتطم رأسها وجسدها بالحائط، وأدركت أن اليد تنتمي للممرض سليقور وأنه كان على وشك أن يلمس شعرها عندما استدارت وفاجأته. انقلبت معدتها فوزًا وشعرت برغبة في القيء. راقبت سليقور الذي بدا مفاجأ من تصرفه ومن رد فعلها. جمد في مكانه وعلى وجهه ارتباك كمن لا يعرف ما يجب أن تكون حركته التالية. وفي لحظة تبدلت هذه الحيرة إلى قرار إذ تقدم للأمام ويده ممتدة نحوها.

أصاب أجوان الهلع، ولأنها كانت في الوقت نفسه تقاوم الموجات العاطفية المتلاطمة الصادرة منه، فقد قامت بحركة يائسة منها لإيقافه. وضعت راحة يدها على صدره ودفعته للوراء بكل قوتها وصرخت في الوقت نفسه: «ابتعد عني!!!». فترجع سليقور واصطدم بالممرضة التي كانت تتوقع أجوان دخولها منذ دقيقة. أحست أجوان بألم حاد في عضلات بطنها، فأنحنت للأمام ويدها على بطنها وهي تجد صعوبة في التنفس من

أما سليقور فقد دفع الممرضة للجانب وفز خارج الغرفة لا يلوي على شيء. بينما زعقت الممرضة وراءه بأن يتوقف، وهمت أن تتبعه، فإنها لاحظت حالة أجوان فعاتت إليها. وبعبارة وحرق شديدتين قادتها للسريـر وخفضته لأقل مستوى ممكن حتى تجلس عليه أجوان ثم تستلقي على جانبها. ويبدو أن كل هذا الصراخ والزعيق استولى على اهتمام كل من في القسم، إذ تجمهرت الوجوه حول فتحة الباب، كل يريد أن يرى بنفسه ما سبب هذه الضجة غير المعهودة في هذا القسم الهادئ.

«إنه مجنون بالتأكيد إذا كان يعتقد أن باستطاعته الاعتداء على إحدى المريضات ثم الخروج من الغرفة دون أن يلاحظه أحد! ولذلك يجب أن تعثروا عليه!».

«عزيزتي دورا، لن نتوقف عن البحث حتى نعثـر عليه. لا تنسى أن أجوان ضعيفتي ومسئوليتي، وهذا السافل لن ينجو بفعلته الخسيسة. سأحرص على تأديبه بنفسـي! أشعر بالغثيان كلما تخيلته في نفس الغرفة معها. ترى ماذا كان سيحدث لو أفقدها وعيها!! آه، كلما فكرت فيما جرى في تلك الغرفة انتفضت غضبا!».

«لو كان موظفاً جديداً لقلت إنه لم يعتد على نظامنا.. ولكنه يعمل معنا منذ أن جئت إلى المحطة منذ عامين. إنه من الموظفين الذي أسسوا معي هذا القسم! لم أكن أرتاح له شخصياً فهو متكبر ولا يحب أن يختلط بالمجموعة، وعيناه مزعجتان، ولكنه دقيق في عمله ومنضبط تماماً ولا ينسى شيئاً. ما الذي جعله يتصرف بهذه الطريقة المشينة؟!».

كان الحديث يجري بصوت منخفض في غرفة المعيشة بمسكن الرائد روهاني. وقد تأكدت روهاني من أن أجوان نائمة في غرفة نومها قبل أن تغلق الباب بهدوء وتنضم لدورا في غرفة معيشتها الدافئة الصغيرة التي لا تتسع إلا لحفنة من الأشخاص. تمتد روهاني لو لم تقم بتأجيل سفرها لكوكبها إلى ما بعد ولادة أجوان، فإن الطبيبة كانت قد أقنعتها بضرورة التمهـل في هذا القرار. فهذا الحمل الأول لأجوان، ثم إنها الطبيبة الوحيدة المطلعة على حالتها، وماذا سيكون مصيرها إن باعنتها ولادة مبكرة على متن سفينة فضائية عسكرية؟! وهكذا قررت روهاني تأجيل السفر إلى ما بعد الولادة. وكان هذا يعني أيضاً تأخيراً آخر لاستصدار ترخيص لسفر الرضيع مع والدته إلى تيرا 8. إجراءات معقدة تصعب حياة الناس الأبرياء! محقة أجوان عندما تساءلت بغضب وحزن عن ذنبها وذنب اللاجنين حين يقعون ضحية كارثة، ثم ضحية نظام بيروقراطي عقيم.

أخذت روهاني نفساً عميقاً وهي تفكر: المهم، الفتاة بخير ولم يصبها أذى جسدي، ولو أن الأذى النفسي لا يمكن قياسه في هذه المرحلة. ألم يكف أنها وحيدة بعد أن فقدت أهلها وكوكبها، حتى يستهدفها رجل مجنون؟! آه لو أستطيع أن أضع يدي حول عنقه في هذه اللحظة، لخنقته ببطء حتى يزرق وجهه وتجنح عيناها!

لاحظت الطبيبة قبضتي روهاني المطبقتين على المخذة الصغيرة فرفعت عينيها لوجه روهاني وأدركت أنها في عالم آخر. انزلقت لتجلس أقرب للرائد ووضعت يدها على يد صديقتها لتهدئتها: «انسي ذاك الرجل الكريه لبعض الوقت. أعلم أن طاقمك يعمل جاهداً

للعثور عليه. ونحن بحاجة إلى أن نهدأ قليلاً لصالح أجوان. لقد عانت تلك الفتاة الأمرين وهي بحاجة لأن نتحلى بهدوء واستقرار نفسي حتى لا تربكها عواطفنا أكثر».

«نعم، أنت على حق. كم تبقى على موعد ولادتها؟ هل تعتقدين أن حالتها مستقرة وأن ولادتها ستكون عادية؟ أقلق كثيرًا عليها فنحن لا نملك معلومات كافية عن طبيعة الحمل لدى شعبها».

«لا داعي للقلق. هذه مهمتي، أخبرتك في السابق بأنني استعنت بباقي الهافيكي الموجودين في القسم الطبي. وفهمت من النساء أن عملية الولادة لن تكون غريبة على فريقتي. سنساعدنا على إخراج طفلها للحياة بكل سهولة. لا تقلقي يا روهاني. وفي مدة قصيرة ستستطيعين اصطحابها معك بعيدًا عن محطتنا الكئيبة. إنني فخور حقًا بأنك صديقة مخلصه لها. وهي محظوظة بالفعل بصداقتك وحرصك على راحتها».

ابتسمت روهاني ببعض الخجل وهي تقول بصوت هادئ: «تعلمين يا دورا؟ لا أعرف ما الذي يشدني لها ويجعلني أهتم بها. منذ اللحظة الأولى لم أعاملها كما أعامل كل من يمر بمحطتنا. وأنت تعلمين جيدًا عدد المخلوقات التي تمر بالمحطة».

توقفت عن الحديث وقد فوجئت بما كشفته أمام زميلتها، ولكن إيماءة رأس دورا شجعت روهاني على متابعة اعترافها الذي لم تفصح به لأحد من قبل. «أعتقد أنها تذكرني بأختي سيمي.. سيمي الصغيرة التي تتصرف مثل الكبار وتريد أن تستقل بسرعة لتحلق حرة بعيدًا عني وعن والدي وقوانيننا وتحفظاتنا. ولكنها تنسى أنها ما زالت صغيرة - مجرد مراهقة في السادسة عشرة من عمرها. لو كنت قد تزوجت بعد تخرجي في الأكاديمية مباشرة وزُيقت بطفلة لكأنت الآن في عمر سيمي. وهذا ما يجعلني أنسى في بعض الأحيان أنها أختي بل ابنتي، وهو ما تكرهه سيمي في علاقتنا بالطبع».

ضحكت روهاني وابتسمت دورا لها لأنها لم تشأ مقاطعة هذه اللحظة الحميمة، فرغم أنهما تعيشان في هذه المحطة منذ عامين ورغم علاقتهما الجيدة، فإنهما لا تتناقشان في تفاصيل حياتهما الشخصية كثيرًا. ولكنها كانت تعلم جيدًا أن سيمي تحب أختها الكبيرة حبًا عظيمًا وتعتبرها محور عالمها، بعد أن توفيت والدتهما إثر مرض أصابها جراء الولادة المبكرة لسيمي. ومن الواضح أن الحب الذي تكنه روهاني لأختها الصغيرة قد انتقل شيء منه إلى ضيفتهم الجديدة أجوان. وإلا كيف تفسر هذا القلق والاهتمام الكبير الذي دفع الرائد أن تستضيف فتاة دخيلة في مسكنها الذي لا تسمح لأحد في المحطة أن يدخله إلا المقربين جدًا ولأسباب عملية بحتة. نعم، إنها مرحلة جديدة في حياة روهاني، وسيكون من المثير مراقبة هذا الوضع الجديد الذي يبرز الجانب الإنساني للرائد التي كانت تفضل أن يراها الناس قاسية القلب صلبة الشخصية.

وأكملت روهاني حديثها: «المهم.. تعتقدين أن ما حدث سيؤثر على صحتها؟ هل هي بحاجة لرؤية الطبيب النفسي؟».

«لا أدري بالضبط». ترددت الطبيبة هنا وهي تقلب السؤال في ذهنها. «تبدو أجوان فتاة قوية رغم ما حدث لها. ولكن لاحظت أنها تتقلب بين الوضع العادي والاكتئاب في بعض الأحيان. ربما تكونين قد لاحظت ذلك؟».

«نعم نعم.. قد يمر يومها بطريقة عادية معظم الوقت، ولكن في بعض الأحيان تنخفض روحها المعنوية بصورة حادة ومفاجئة فأجدها شخصاً مختلفاً تماماً عما كانت عليه قبلها بدقة. إنه مثل ما ذكرت.. تقلب مفاجئ وملحوظ. وقد عزوت ذلك للكارثة التي مرت بها، بالإضافة إلى الهرمونات التي تتذبذب في فترة الحمل».

أومات دورا برأسها موافقة على تحليل روهااني للموقف: «وهو ما يجعلني أتردد في التوصية برؤية طبيب نفسي. ثم فلنكن واقعيين.. من يقول إن الطبيب النفسي سيستطيع أن يساعدنا إن كان لا يعرف شيئاً عن عرقها أو ثقافتها! إنها معضلة، فنحن نواجه هذا معها من الناحية البيولوجية. ونحتاج أن نكون حذرين عندما نفكر في تقديم أي دواء لها. فليس في ملفاتها أية معلومات عن عرقها».

«آه! صحيح.. لقد طلبت من القيادة العامة البحث في مسألة دمار كوكبهم وإن كانت لديهم أية معلومات عن العرق والحضارة التي تنتمي إليها. ولكن الأوضاع العسكرية والسياسية هذه الأيام قد جعلت طلبي آخر أولوياتهم».

عقدت دورا حاجبها ووجهت سؤالها لروهااني بحذر: «ما الحكاية وراء كل هذه الهجمات على السفن الفضائية؟ أعلم أن هناك معلومات سرية لا تستطيعين الكشف عنها، ولكن ربما لديك معلومات يمكنك مشاركتي فيها؟».

زقت روهااني شفتيها وأخذت نفساً وكأنها تتدبر مقدار ما يمكن أن تكشفه دون المساس بأمن المحطة والقوات المسلحة. إنها تأخذ مهامها بجدية كاملة، وتذكر جيداً أن بعض الضباط يسمحون لأستنتهم أن تنطلق دون تحكم، خاصة عندما يجتمعون بأصدقائهم أو بفتيات جديرات، فيندفعون بالبوح بأسرار ليثبتوا لمن حولهم مقدار أهميتهم كضباط. وقد سبق لها أن أرسلت هذه الأنواع لمحاكمات عسكرية لتأديبهم وكعظة وعبرة لغيرهم. وها هي صديقة عزيزة تسألها عن معلومات تهمهم جميعاً.

«لا أخفيك سراً، التقارير التي تردنا غير قادرة على تحديد الجهة المتسببة في هذه الهجمات. إن الهجمات مفاجئة وعنيفة جداً ولذلك فليس لدينا شهود أحياء يخبروننا عما رأوه أو سمعوه. إنها الحال منذ شهور، ولم تصلنا الأخبار إلا مؤخراً. فقد كانت مجرد حوادث متفرقة ولم يدرك أي مسئول ارتباطها ببعضها البعض. ولكن عندما توصل أحد المحللين لهذه العلاقة المحتملة، قام بإخطار السلطات العليا. كل ما نعرفه أنها في البداية كانت مجموعة من السفن التي لا تحمل علامة مميزة تحدد انتماءها. ثم بدأت تردنا تقارير بعلامات على جوانب بعض هذه السفن، ولكن لا نملك نموذجاً عن هذه العلامات والرموز لنكتشف مصدرها وجهة انتمائها. شيء محير حقاً. أحمد الله أن مهمة البحث والتقصي لا تقع على عاتقي...».

تنهدت روهااني وشاركتها دورا في ارتياحها من حقيقة بعدهم عن مركز النفوذ وهموم اتخاذ القرار.. ولكن ارتياح روهااني لم يدم؛ إذ سارعت بالقول:

«ومع ذلك، فإن مسئوليتي لا تقل عن باقي ضباط القوات المسلحة. فعلياً أن نبقي يقظين وحذرين، وخاصة لأننا في موقع بعيد عن مركز القوات المسلحة مما يجعلنا هدفاً لذيذاً لبعض المجانين».

قطبت دورا جبينها ونظرت لروهاني بحدة. «ماذا تعنين يا روهاني؟ لا تخيفيني هكذا
أهناك ما تخفيه عني؟»

ابتسمت الرائد روهاني، وطبّطت على يد صديقتها وهي تردد: «لا .. دورا، ما هذا
القلق؟ بالطبع لا أخفي عليك أمورا تهدد حياتك أو حياة من يسكن هذه المحطة! كل ما
قصدته أن الوضع حرج وعلينا جميعا أن نتوخى الحذر في داخل المحطة وخارجها. وهو
أمر مفروغ منه؛ لأننا بطبيعتنا محطة عسكرية أولا وأخيرا والأمن من أولوياتنا في السلم
والحرب».

استعنت عينا دورا وزعقت بصوت عال: «حرب؟!.. أنت قلت..».

قاطعتها روهاني وهي تلتفت نحو باب غرفة أجوان: «شششش... اخفضي صوتك!
تعرفين أن الأصوات تنتقل بسرعة في هذه الغرف الصغيرة. دورا، لسا في حرب! أقسم
لك بأن هذا ليس ما أقصده من كلامي.. أقصد أن الوقاية والأمن من واجبنا تحت كل
الظروف. فهمت؟».

تفحصت دورا وجه روهاني لثوان، وكأنها تريد قراءة ما تخفيه في ذهنها. ولكنها
أومات برأسها أخيرا بأنها تفهم ما تقصده. وخطر في ذهن روهاني في تلك اللحظة أن
الحديث في هذه الأمور مع المدنيين يسهل سوء فهمه وتفسيره بطريقة قد تؤدي إلى
نتائج عكسية. ووعدت نفسها أن تكون أكثر حذرا من الآن فصاعدا عند الحديث مع
المدنيين، وبالأخص الموظفين الذين لم يخوضوا حربا من قبل.

إنه اليوم المرتقب.. انتظرتة أسابيع طويلة كانت مؤلمة بالنسبة لها. ولهذا فقد صحت
في ساعة مبكرة جدًا، حتى عندما رأتها والدتها استغربت وعبرت عن دهشتها بطريقتها
المعهودة؛ إذ ارتفع حاجبها الأيسر عاليًا وهي تراقب ابنتها وهي تعد لنفسها الفطور في
هذه الساعة المبكرة.

«خيزا إن شاء الله؟ من أين أتت تيارات الخليج الدافئة هذا الصباح؟».

هزت أجوان كتفها بطريقة غير مبالية، محاولة إخفاء حماسها هذا اليوم: «إنه يوم
الرحلة الدورية يا أمي. أخبرتك عنها بالأمس».

ضحكت رايانا وقالت: «تعنين بالأمس واليوم الذي يسبقه والذي يسبقه والذي
يسبقه»..

غضبت أجوان، ووقفت في وسط المطبخ ويدها في خصرها: «أنت تبالغين يا ماما!
ليس الموضوع بهذه الأهمية حتى أذكره كل يوم».

«بل قولي كل ساعة!!!» وخرجت والدتها من المطبخ وهي تهقه لنفسها.

زمت أجوان شفتيها وزاد الاحمرار الذي يعلو وجهها. ولكنها سرعان ما نسيت كل هذا
وهي تكمل استعداداتها للخروج.

غادرت البيت بسرعة وعرجت على بيت صديقتها كيوني التي تبعتها بسرعة وهما
تتحدثان بحمايس وحرارة. ولكن ما إن وصلتا للممر الرئيسي خارج حيتهما السكني،

وانضمتا لتيار المشاة، حتى سيطرتا على تعابير وجهيهما وبدأتا بالتصرف كالجميع. المشي المحتشم، والوجه المتزن والصوت الهادئ الممر يعج بالمشاة. ومع ذلك، فالأصوات منخفضة، والجميع يمشي بانتظام ووتيرة. لا يوجد من يهرع بين المشاة أو من يسارع في خطاه ولو قليلاً، إذ يجب إظهار الاحترام والحساسية نحو الجميع وعدم إزعاج أي أحد بتصرفات صيانية غير مسنولة.

تشعر أجوان أنها تختنق من هذه الأجواء، من هذه الرتابة والاحتشام المقرفين. إنها تريد أن تجري، أن تحلق نحو سينار.. مهلاً.. هل هذا هو السبب؟ صحيح أنها ستستمتع بالرحلة مع صديقاتها وأصدقائها في مرحلتهم الدراسية بعيداً عن المدينة الغارقة وجوها الكثيف المظلم.. ولكن.. حماسها الحاد يأتي من معرفتها أنها ستقضي بضع ساعات مع سينار. إنه ساحر وفاتن وجميل ولبق، وكل فتاة في المدرسة تريد أن تكون مركز اهتمامه ووده. ومع ذلك، فإنه لا ينظر لأي منهن.. إن عيونه مركزة عليها هي فقط.

في بعض اللحظات الضعيفة التي تتابها وهي وحيدة، تتساءل أجوان إن كان هذا الاهتمام نابهاً من واقع أن والدها «ماندان» المدينة. وبالطبع فإن الجميع يرغب في اكتساب رضا الماندان وعضو مجلس قيادة المدن الاثنتي عشرة. ولكن.. سينار يأتي من سلالة عريقة في مدينتها، ولديه خالة متزوجة من ولي عهد مدينة طنفة، وهذا يعني أنه يعرف قيمة نفسه، ولن يحاول أن يكسب ودها فقط من أجل التقرب من السلطة والنفوذ. لا.. سينار أفضل من أولئك الذين يلجئون لتلك الحيل من أجل الصعود على أكتاف الغير. إنه طيب وأخلاقه نبيلة.. ثم إن حديقته معها يدل على أنه لا يهتم إلا بالأوقات التي يقضونها معاً أثناء الاستراحات بين الدروس.

تلتقي الفتاتان بمجموعة الطلبة والطالبات ويتجه الجميع بسرعة للمكوك الذي ينتظرهم في حوض المدخل الشمالي. تحاول أجوان أن تجد سينار بين وجوه المجموعة المتجمهرة أمام مدخل المكوك ولكنها لا تراه. وعندما يغلق باب المكوك ويبدأ بالصعود إلى السطح تدرك أنه قد انتهى به الأمر بركوب المكوك الثاني. تأسف لهذه الفرصة الضائعة لقضاء الساعتين القادمتين في صحبته، ولكن تعزي نفسها بفكرة أنها ستحظى باهتمامه الكامل عندما يلتقيان على السطح. لقد وعداها أن يسبحا لمناطق ضحلة بعيدة بعض الشيء ويقضيا معظم النهار في صحبة بعضهما. وقد وعدته أجوان أن تغني له بعض المقاطع المفضلة من الأغاني التي يحبها.

طوال الرحلة لا تنفك كيوني عن الغرثة عن هذا الفتى وتلك المجموعة من الفتيات، إلى آخر القصص والنميمة التي تعتاد عليها بعض فتيات المرحلة. لا تحب أجوان هذه التصرفات، ولولا طيبة قلب كيوني وحبها الحقيقي لأجوان وصادقتها منذ الثالثة من العمر، لكانت أجوان قد قطعت علاقتها بها هذا العام، إذ بدأت كيوني هذه العادة السيئة مؤخراً فقط. تفكر أجوان في الكشف لها عن مشاعرها الحقيقية نحو هذه التصرفات ونحو النميمة عامة. ربما في طريقهم للعودة للمدينة، فهذا الوقت غير مناسب للحديث في موضوع حساس مثل هذا، وقد يشوه أجواء الحماس والمرح لساعات للأمام.

يطفو المكوك على السطح وتخرج منه قوارب مطاطية مصممة خصوصاً كمنصات

كبيرة الحجم تسمح للسباحين بالدخول والخروج من الماء بسهولة. إنهم يتركزون عند إحدى الجزر المتناهية الصغر في هذه المنطقة، وتقع هذه الجزر ضمن اتفاقية مدينتها مع الأوكامو. ورغم أنها ليست كبيرة فإنها تسمح بوضع مخيمات صغيرة لمن يستخدمها في النزعات الأسبوعية، ويتم تركيب كابينات تغيير الملابس، ووضع طاولات حيث يعمل بعض الطلبة على تحضير الأطعمة والمشروبات للجميع. كما أنها مقر جلوس لجنة الإشراف المكونة من بعض الأساتذة لمراقبة ما يجري وضمان التزام الكل بأصول الأمان والسلامة.

تتجه أجوان وكيوني ومجموعة صغيرة من الصديقات إلى جانب من الجزيرة الصغيرة لتغيير ملابسهن. ثم يبدأ الصراخ والضحك والجري نحو الماء والطرشة واللعب. ساعات من المرح الخالي تماثا من أية مسئوليات أو تحفظات كانت تلزمهم في وسط المدينة. تبدأ أجوان في البحث عن سينار، وتجده أخيرا بين مجموعته المفضلة من الأولاد المزعجين المتعجرفين الذين يعتقدون أن انحدارهم من سلالات معروفة يعطيهم الحق في التعالي على باقي الأولاد والبنات. كم هي تمتعت تصرفاتهم وتستغرب من تفاعل سينار معهم بشكل يومي. ما الذي يجذب شخصا رائغا مثله لهذه الأشكال من الهافيكى؟!

يلمحها سينار فيشير لها برأسه في اتجاه المنصة الأخيرة المتجهة نحو الجزيرة الصغيرة المجاورة. تسارع أجوان بدخول الماء الدافئ، وتستمتع بالمياه وهي تغمر ساقها بتدرج حتى تصل المياه إلى خصرها. وتتغفل أصابع قدمها في التراب الذهبي الناعم وهو يتطاير بين ساقها متأثرا بحركتها في الماء. هذه هي الحياة، الاتصال المباشر بالماء والعودة إليه والسماح له أن يملأ رئتيها. غاصت في الماء، فصمت الأصوات حولها، ولم تعد تسمع إلا بقايا باهتة من الصراخ والطرشة. استنشقت الماء وشعرت بدفنه يملأ رئتيها ويمدها بطاقة لا يفهمها إلا أبناء شعبها. ولو نظر إليها أحد في تلك اللحظة لرأى التغير المباشر للون عينيها من الفيروزي الفاتح، للون الفوسفوري الذي يوحي بضوء ينبعث من داخلها. الألوان تحت سطح الماء تختلف عما هي عليه خارجه. فهنا يضيف الماء بعدا جديدا لا يمكن للشمس أن تحاكيه. ففي الشمس يبدو كل شيء واضحا وناضرا، حتى إن وضوح الأشياء يؤلم العين أحيانا. ولكن تحت الماء، تخف حدة الألوان والزوايا، وتبدو الصورة لطيفة غامضة كالأحلام.

تعوّم أجوان نحو الجزيرة الأبعد عن المنصات، وتخرج رأسها فقط عندما يبلغ عمق المياه نصف المتر. لا تريد أن تلفت انتباه أحد من الشباب بوجودها في هذا المكان البعيد، وبالأخص الأساتذة. لو رآها أحدهم لأرغمها على العودة لوسط المجموعة. وهي لا تريد أن يزعجها أحد الآن، فهو يومها الذي تنتظره منذ أسابيع. تراقب المنصة الأخيرة في انتظار قدوم سينار، ويطول انتظارها. هل مرت 5 دقائق أم نصف ساعة؟ شيء مزعج حقًا، أن تنشغل بالتفكير حتى لا تدرك مرور الوقت! ما هذا، هل هي طفلة في الخامسة من العمر؟!

تفاجئها قرصة حادة في أعلى ساقها فتصرخ وتجدف للوراء وتخفض رأسها لترى

مصدر القرصة. هل هي عضة سمكة؛ أم قرصة من قنديل بحر؟ يا رب، أرجو ألا يكون قنديل بحر فأثار قرصاته المؤلمة تستمر لأيام عدة، ثم إن جلدتها سيكون بنفسجياً وقبيح اللون لمدة أطول. ما إن تنزل رأسها في الماء حتى يقابلها وجه سينار وهو يضحك ضحكة شقية. دفعته أجوان بعيداً وعادت للسطح وهي غاضبة. تبعها سينار للمكان الذي جلست فيه ونصفها في الماء.

«هل ضايقتك القرصة؟ هل سببت لك الألم؟ دعيني أرى.»

حاول أن يمسك بساقها ليخرجها من الماء ولكنها سحبتها بعيداً عنه ثم طوتها تحت جسدها، ومع ذلك لم تبتعد عنه، بل بقيت في مكانها.

«جونني! لماذا هذا كله؟! كنت أمزح معك.»

نظرت إليه أجوان نظرة عتاب: «لا أحب اسم جونني. ولا أحب المزح الصياني. ثم إنك تعرف جيداً أن اللمس من غير إذن تصرف طفولي ووقح جداً. كيف تسمح لنفسك بالإمساك بساقي دون طلب الإذن مني؟»

«طيب، طيب.. أنا آسف.. آسف جداً حتى النخاع. هل تسامحينني؟»

رأت الإحراج والألم في وجهه الجميل، فرق قلبها وابتسمت له. ومن لا يبتسم لتلك العيون العسلية النادرة الجذابة، والشعر الأسود المموج، والأنف الكامل والشفيتين المكتملتين؟ مد يده مفتوحة لها، فبرزت عضلات ذراعيه وبطنه الرياضي، وأشار برأسه ليده وكأنه يطلب الإذن بالإمساك بيدها، فأعطته يدها اليمنى وسحبها نحو المياه العميقة. تنقلا من صخرة مرجانية إلى أخرى، يلعبان مع الأسماك الملونة بجميع أحجامها، ويتظاهران بالاختباء بين الصخور ولعب الاستغماية. وحرصت أجوان أن تبقى بعيدة عن الجحور الكامنة بين الشعاب المرجانية خوفاً من الانقليسات المختبئة في أعماقها. كان سينار أكثر جرأة منها، إذ كان يمسك ببعض الأسماك ويقدمها وجبة للانقليسات. وفاجأها مرة بالتعلق ببطن شيطان بحر عملاق، فإن أجوان أمسكت بكاحله وسحبته بعيداً عن الشيطان وقلبها يكاد يخرج من فمها. مجنون هذا الولد! ماذا لو ضربه الشيطان بشوكتة؟ نعم إنه مجنون! منظره وهو متعلق ببطن الشيطان أنساها ما حذرته منه منذ أقل من ساعة عندما عثفته على لمسها دون إذن منها، بينما هي تمسك بكاحله دون إذن. مجنون هذا الولد، ولكن أمها دائماً تقول إن الأولاد مجانيين ويحتاجون لعناية البنات حتى لا يرتكبوا حماقات تؤدي بحياتهم.

بعد ساعتين من اللعب والتجوال، قررا العودة لجزيرتهما الصغيرة. ابتسمت أجوان لنفسها وهي تفكر كيف بدأت تعتبر الجزيرة ملكاً لهما. لو كان بيدها لطلبت من سينار أن يعيشا على هذه الجزيرة لآخر العمر. من يريد أن يعود لتلك المدينة المعتمدة الثقيلة الجو، المزهقة للمتعة والمرح؟ تلك ليست حياة، إنها سجن! الحياة الحقيقية هي حياة المياه الضحلة والشواطئ، حيث تتبدل الألوان في كل لحظة، وتحرك النسائم لتجدد الهواء وتجلب روائح جديدة. رائحة البحر هنا لذيذة وساحرة. ورمال الشاطئ تدغدغ الأقدام وتعزز الشعور بالحيوية والمتعة.

جلسا على الشاطئ لدقائق والابتسامة والسكينة تعلو وجهيهما. خلعت القبة وكشفت

عن شعرها البني الطويل، ومشطته بأصابعها وهي تحاول أن تعصره وتترك الهواء يجففه، فانساب الشعر حتى غطى نصف جسدها. نظر لشعرها بإعجاب واضح، ثم تأمل وجهها، لمحت ما يفعله بطرف عينها ولكن لم تنظر له مباشرة، وتظاهرت بأنها لم تلاحظ تأمله لها.

«أتعلمين ماذا كانت تخطط له نيفي؟»

«نيفي؟»

«نعم.. كانت تخطط أن تأتي هنا في هذه الجزيرة.. أنا وهي فقط.»

«نيفي قالت هذا؟ ولماذا تقول هذا الكلام؟ ولك أنت بالذات؟... هل.. هل أبدت لها أمراً؟»

«لا لا!!! أقسم لك أن معرفتنا ببعض عادية وسطحية.. ليس كعلاقتي بك.»

قال ذلك وهو يحثق بمقدمة بدلتها المبللة.. تسلسل شعور غريب وجديد إلى قلب أجوان.. هل هذا ما تسميه أمها في لحظات القلق «قرصة قلب»؟ كلما استخدمت والدتها هذه العبارة، كانت هي وأخواها يضحكون في الخفاء لأن فكرة القلب المقروص تبدو مستحيلة ومضحكة في الوقت ذاته. ومع ذلك، فإن هذا الشعور الذي تمر به في هذه اللحظة لا بد أن يكون «قرصة قلب». قلبها المقروص بدأ يقرع بسرعة، ولكنها لم تتحرك، ولم تشح بوجهها عنه، بل استمرت في النظر إليه وهو يجلس على يمينها، وراقبته وهو يعتدل في جلسته ليزحف أقرب لها. مد يده نحوها ووضع طرف سبابته على كتفها الأيمن ثم حرك إصبعه بشكل دائري وكأنه يرسم دائرة على كتفها المكشوف.

«أنت تعرفين أن علاقتي بك علاقة مميزة جداً. فلست مهتماً بنيفي أو غيرها من الفتيات التافهات...»

مع كل كلمة يقولها كان يقترب أكثر وأكثر منها.. الموقف كله كان «قرصة قلب».. هل هذا سينار النبيل الذي علقت عليه آمالها؟ كيف يخرق كل قوانين الشرف والشهامة معها في الوقت ذاته الذي يدعي أن علاقتهما مميزة؟! قرصة القلب تحولت إلى ألم انتشر في جميع أجزاء قفصها الصدري. وبدأت الشكوك تساورها ثانية.. هل هو صادق فيما يقوله؟ هل يعتبرها مميزة؟.. هل تعتبره إنساناً محترماً بعدما أسقط جميع الحواجز؟

أغمضت أجوان عينيها رغبة منها في إسكات هذا الصوت الذي يطرح كل هذه الأسئلة المخيفة. حاولت أن تتخيل الموقف المثالي.. سيكملان الحديث بكل هدوء واحترام.. ربما ستسمح له بالإمساك بيدها لدقائق.. سيقول لها إنه يود لقاءها مرة أخرى.. وسيُعاهدان على ذلك.. ثم سيسبحان للمجموعة ويكملان يومهما..

فتحت عينيها إثر إحساسها بأنفاس حارة على وجهها.. إنها أنفاس سينار فقد انكشفت المسافة بين أنفه وأنفها لستيمترات قليلة فقط. أعادت رأسها للوراء وهي تتمنى أن يفهم من حركتها أنها غير مرتاحة من تصرفه. ولكنه استمر في الاقتراب منها، وكانت أنفاسه تتسارع وهو يراقب فمها. هل تخيلت في يوم أن أنفاسه ستكون رائعة ومنعشة؟ لكنها الآن أنفاس ساخنة ومزعجة وتنبعث منها رائحة غير مريحة. أشاحت بوجهها

للناحية الأخرى واعتدلت في جلستها.. ولا تدري هل هي طريقة تنفسه أم حركة رأسه أم شيء آخر جعلها تدرك في تلك اللحظة أنه غضب منها. التفتت نحوه لتفتح فمها وتعتذر، ولكن ما رأيته في وجهه خنق الكلمات في حلقها. نعم، إنه حقًا غاضب الآن.

«أهذه لعبة من الألعاب الفتيات المدلات يا أجوان؟ هل هذه لعبتك اليوم؟ إنني لست في مزاج يسمح لي باللعب اليوم. مفهوم؟».

استغربت طريقته.. بل استغربت هذا الجانب الجديد الذي لم تره من قبل. هزت رأسها يمينًا وشمالًا ولكنها لم تجد كلمات مناسبة لترد بها وهي تراقب غضبه يتزايد وعينه تضيقان ووجهه يحمر. أمسك الجزء العلوي من ذراعها الأقرب إليه، وأحكم قبضته وبدأ يضغط بقوة.

«اسمعي، لم أضيع فرصتي مع نيفي حتى ألعب معك. أنت تفهمين جيدًا أنني اخترتك بين كل الفتيات، وهذا يعني أن لديك التزامًا نحوي لتنفيذ ما أريد. هذا هو الاتفاق»..

«عن أي اتفاق نتحدث؟! لم يذر بيننا أي حديث عن اتفاق أو التزامات! لا أفهم ما تلمح له»..

زفر بعصبية، ونظر إلى الأفق.. ثم خفض عينيه لينظر للرمال أمامهما.

«حسنًا.. كيف تريد أن نلعب هذه اللعبة؟ ستمنعين قليلًا، وسأتوسل لك أن تسمح لي بقبلة.. ثم ستطلبين مني أن أقوم بعمل مجنون لأثبت لك حبي الخالد.. ثم بعدها ستسمحين لي بقبلة، وهكذا.. حسنًا، ليس لدي مانع.. ولكن الوقت يجري وسنعود للمجموعة قريبًا».

حدقت أجوان إلى وجهه باستغراب بالغ.. ما الذي يقوله؟ ماذا يعني بهذه التفاصيل؟ يبدو جادًا تمامًا في كل كلمة، ويبدو أنني غافلة تمامًا عما يريد..

«سينار.. لماذا تقول هذا الكلام؟ لم أفهمك.. هل جئت معي اليوم فقط لكي تحصل على قبلة؟ ليس لقضاء وقت ممتع في الحديث؟ هل كنت تعتقد طوال الفترة الماضية أنني من الفتيات اللاتي لديهن استعداد للتخلي عن كل الأخلاقيات التي نشأ عليها؟ لماذا تحذق بي هكذا؟ أنت تخيفيني!!».

هزها بعنف فسبب لها ألفا لم تشعر به من قبل.. لم يسبق أن عاملها أحد هكذا، ولم تمتد يد لتسبب لها أي ألم. ولذلك فإنها في صدمة منعته من التفكير، ولم تع ما يحدث إلى أن دفعها سينار على ظهرها وانحنى فوقها ووضع يده اليمنى على بطنها ليثبتها بثقله بينما بقيت يده اليسرى ممسكة بذراعها الأيمن.

ولكن الشلل الذي تسببت به الصدمة انتهى عندما أدركت أنها فقدت السيطرة على الموقف، وأن هذا الشخص الذي كانت تعتقد أنها تعرفه وتثق به قد كشف عن وجه آخر كان يخفيه عنها طوال الأشهر الماضية. ملأ الرعب ذهنها، وغطت ضربات قلبها واندفاع الدم في أذنيها أصوات الأمواج والطيور وملأت عالمها كله. ومع كل دقة قلب تضج في أذنيها جاءت عبارة من الابتهاال: «أراك أيها الخوف. لست سيدي، ولن تهزميني».. تذكرت أن يدها اليسرى ما زالت حرة، فغrst أصابعها في تراب الشاطئ وغرفت منه

ملء قبضتها وحركتها بقوة حتى ضربت وجهه ومرغته بالتراب. دخل التراب في عينيه وفمه، فصرخ وأفلتها وهو يمسح عينيه بيده محاولاً إخراج الرمل منهما.

ما إن رفع جسده عنها حتى قفزت واقفة، ولكنها استمرت في مراقبته وهو يبصق الرمل من فمه ويصرخ فيما سالت الدموع على خديه وتدلّت خيوط من اللعاب على ذقنه. في تلك اللحظة لم يكن هذا المخلوق المؤسف الجاثم أمامها سينار، إذ فقد سحره ووسامته في ثانية واحدة، فلم تملك أجوان نفسها من الضحك. بدأت بضحكة خفيفة ولكنها تحولت إلى قهقهة عالية، ولم تستطع أن تمنع نفسها من أن تشير إلى وجهه وهي تضحك. سمعها سينار فرفع رأسه للأعلى ليكتشف أنها تضحك من مظهره. بل إنها تضحك على فشله وخيبته. اجتاحتها موجة غضب مجنون فصرخ وقفز من مكانه وصفعها بظهر يده صفقة عنيفة أدارت وجهها للجانب وتبعه جسدها بالكامل ففقدت توازنها وسقطت على جانبها.

وقف فوقها وهو يلهث من الغضب، ولأنه ما زال يسمع ضحكتها في ذهنه، ركلها في خصرها، فصرخت وتكورّت في مكانها من الألم، محاولة حماية جسدها خوفاً من أن يستمر في ركلها.

«أنا لست بالفاشل! أنت الفاشل! أنت الفاشل! هل تسمعينني؟! كل الفتيات ينتظرن مني نظرة واحدة. وأنت نكرة! ولا تستحقين أن أقضي معك لحظة واحدة!»

سمعته يرمي بنفسه في الماء ولكن الألم الذي في خاصرتها لم يكن يسمح لها بالحركة، فبقيت في وضعيتها لدقائق أخرى بدت لها كأنها ساعات من الألم الحاد. عندما استطاعت أن تلتقط أنفاسها بمستوى ألم أقل، بدأت في محاولة الجلوس. شيء يدغدغ شفتها العليا.. وضعت أطراف أصابعها لتلامس شفتها العليا برفق ونظرت إلى أصابعها فوجدتها مغطاة بالدم الأحمر الفاتح الذي سال من أنفها. ولاحظت طعماً حاداً في فمها فبصقت على التراب فتشكلت بقعة حمراء صغيرة.

أنا غبية.. تافهة وغبية.. بل إنني أغبى وأتفه فتاة في المدينة! هل هذا هو الفتى الذي اختارته ليكون شريك حياتها كما يقولون في الدراما الرومانسية؟ كيف يمكن أن يكون حكمها على الأشخاص سيئاً لهذه الدرجة؟ كيف استطاع أن يخدعها بالكلام العذب والرقيق طوال أشهر طويلة؟ إنه خطؤها، فقد اختارت أن تسمح له أن يختلي بها، وهو أمر غير مقبول في مجتمعها. سمحت له أن يفتنها بحديثه عن جمالها وذكائها وحاجته أن يقضي وقتاً معها لوحدهما فقط. وهذه هي النتيجة. ألم ودم ولوعة ومهانة كبيرة. ولن تستطيع أن تبوح بأي من هذه التفاصيل لأي أحد، فتلك ستكون تجربة أكثر مهانة حقاً. لا، لن تخبر أحداً بما حدث اليوم.. حتى كيوني لن تعرف عن أحداث اليوم. ستبقى كلها ذكريات مدببة الحواف تنغرز في ضميرها لتذكرها بعدم الوقوع في الفخ ذاته مرة أخرى.

الكوكب: لايتوس
المدينة الصناعية الرابعة

تأهب ميناها ن وهو يحرك ملعقته في كوبه للمرة العاشرة منذ أن حطّر الشراب لنفسه إنها ليلة طويلة ومملة، مثل كل ليلة منذ أن بدأ العمل في هذا المبنى لما يقارب السنوات السبع. ليست وظيفة المجد والشهرة بلا شك، فهو مجرد حارس ليلى عند بوابة المدخل، وقد عمل في بعض الأوقات في النهار، ولكنه يفضل الليل. في الليل يعم الهدوء المكان، وينقطع عدد الزائرين إلا ممن يعملون في المناوبة الليلية في الطابق السابع. يقولون إن هذا الطابق مقر لمنشأة عسكرية سرية، ولكنه لم يسبق له أن رأى عسكريين يزورون الطابق. على الأقل ليس في ساعات الليل.

ثرى ماذا يفعلون في تلك المنشأة العسكرية؟ هل هي وكر للقوات الخاصة؟ أم مخزن للمعلومات السرية؟ أو ربما تكون مركزًا لتجارب علمية بالغة الأهمية؟ ها هو عقله المجنون يخلق قصصًا من فراغ، إنها تلك القصص الخيالية التي يقرأها في المساء كلها مليئة بالجرائم الغامضة والأسرار المخيفة، وهو ما يجعله يحب عمله الليلي الهادئ. ففي خلال 8 ساعات يستطيع أن يقرأ جزءًا كبيرًا من رواياته المفضلة دون أن يقاطعه أو يزعجه أحد. وخاصة دون أن تزعجه زوجته وأطفاله كما يفعلون في المنزل. ولكن الجانب السلبي من هذا كله هو أنه ينهي القصص بسرعة، ثم يضطر للانتظار أياها وأسابيع قبل أن يستطيع أن يشتري كتابًا إلكترونيًا جديدًا، فراتبه كله يذهب لتسديد ديونه لقرض المنزل ولدراسة أطفاله. وما يتبقى له تختطفه زوجته كل أسبوع من أجل حاجات البيت ولتلبية بعض حاجاتها الشخصية. ولكنه في بعض الأحيان يتمكن من شراء رواية جديدة يستطيع تخزينها في محموله الإلكتروني، ويصطحبها مكانه المفضل للاستمتاع بقراءتها.

ولأنه سريع القراءة، انتهى من الرواية الجديدة لكاآبه المفضل منذ ساعتين تقريبًا، وها هو يجلس في هدوء ممل، يقلب شراآه ويتأهب، في ليلة هادئة تبدو ككل ليلة قبلها. أو كانت كذلك حتى مرت به المجموعة الجديدة المتجهة للطابق السابع منذ ساعة من الزمن. لم يتعرف إلا على واحد منهم إذ يتردد كثيرًا على المبنى، وهو الذي أشار له بأنهم معه وأن لديهم تصريحًا بدخول المبنى. وبالطبع قام ميناها ن بأداء واجبه على أكمل وجه، فاطلع على بطاقتهم الإلكترونية وأدخلها في النظام للتأكد من صحتها ومن وجود تصريح لأصحابها بدخول المبنى. لم تتعد تلك العملية دقائق قصيرة، حتى عاد للجلوس في مكانه والتحديث في سطح الطاولة التي تحوي جميع أجهزته الأمنية.

تناهت لمسامعه أصوات من الممر المؤدي للمصاعد، فالتفت لشاشة العرض ليرى من سيغادر المبنى، واستغرب مما رآه. فإنها المجموعة ذاتها التي دخلت منذ فترة، وكل واحد منهم يدفع أمامه عربة كبيرة محملة بصناديق فضية اللون. ليس المنظر - في حد ذاته - غريبًا، ولكن هذا النوع من النشاط لا يرى إلا في ساعات النهار في هذا المبنى. ولذلك، فقد احتار ميناها ن فيما يتوجب عليه فعله عندما يصلون إلى طاولته. هل يسمح لهم بالمغادرة مع الصناديق، وهو لا يعلم إن كانت لديهم تصاريح بنقلها؟ أم هل يوقفهم ويطلب التصاريح؟ وإن لم تكن لديهم تصاريح، فهل يتركهم يرحلون أم ماذا؟.. فهل يمنعهم من أخذ الصناديق؟ وهل سيتعرض للشكوى والمتاعب إن حال بينهم وبين أخذهم صناديق تنتمي لمؤسستهم بلا شك؟ وقبل أن يتوصل لإجابة عن كل التساؤلات

التي تدور في عقله الحيران، برزت المجموعة من الممر واتجهت إلى حيث كان يجلس،
فنهض من مكانه ودار حول الطاولة وتوقف أمام البوابة الإلكترونية ويده على جهاز
الاتصال المحمول على حزامه.

ابتسم متحرّجاً ووجه كلامه للوجه الوحيد المألوف لديه، وهو ذاك الرجل العجوز
القصير الضعيف البنية الذي اعتاد أن يتردد على المبنى كل ليلة تقريباً منذ ما لا يقل عن
سنة أشهر: «سيد بنتشوري، لقد كانت زيارتك قصيرة هذه الليلة. هل هناك ما أستطيع أن
أخدمك به؟».

علت وجه بنتشوري تعابير الضيق فبرزت تجاعيد وجهه بطريقة قبيحة وهو ينظر
للحارس بعينين ذهبيتين، ثم وقف على أطراف أصابعه ونظر خلف ميناهان، وقال: «ماذا
تنتظران؟ دعوة رسمية؟ أنها المهمة!».

لم يدرك ميناهان أن هناك من يقف خلفه، فاستدار بسرعة وفوجئ بشخصين يرتديان
ملابس سوداء وفي أيديهما أسلحة. لم يواجه ميناهان رجلاً مسلحاً من قبل، ولذلك كان
رد فعله بطيئاً، فبينما كان عقله يحاول استيعاب ما يراه أمامه، اخترقت رأسه قذيفة
صغيرة، دخلت عينه اليمنى، وشقت طريقها عبر الفص الأيسر من مخه، ثم خرجت من
وراء أذنه اليسرى. تسمر في مكانه للحظات، ثم انهار جثة هامدة.

حصريا على روايات وكتب عربية وعالمية

<https://t.me/riwayat2025>

يسعدنا انضمامك لنا





نقطة الصفـر

فتحت عينيها.. فسمعت صوت امرأة تصرخ.. قعدت في السرير.. تلفتت حولها.. إنها وحيدة في غرفة نوم ضيقة.. أدركت أنه صوتها.. لقد صحت من الكابوس وهي تصرخ.. ولكن الكابوس لم ينته.. فما زال وليدها مفقودا.. انتزعوه من أحشائها.. ولم يكلفوا أنفسهم حتى أن يصلحوا ما تبقى من جسدها المفتوح.. تركوها لتموت بعد أن استنفدت أغراضها.. هل كان هذا منذ أسبوع؟ أو أكثر؟

نظرت إلى بطنها الصغير وأجهشت بالبكاء.. هي وحيدة في عالم من الخوف والألم.. هل هذا الألم الذي يعترضها نتيجة العملية الجراحية أم أنه ألم جسد يعبر عن افتقاده لطفل حملته أشهرا عديدة وعلقت عليه آمال شعبيين منقرضين؟

تدخل الغرفة ممرضة أوتوماتيكية. «سيدتي، أحتاجين إلى مساعدة؟» .. غريب، كم هو ودود ودافئ صوت هذه الآلة الباردة! لقد نجح مصمموها في صنع ملاك رحمة يلبي طلبات المريض الجسدية والنفسية معا. ومع ذلك، فإنها ليست تعويضا حقيقيا عن البشر. لا بد أن صمتها أقلق الممرضة؛ إذ كررت سؤالها بصوت أكثر حدة: «سيدتي، أحتاجين إلى مساعدة؟».

«لا.. شكرا.. كان مجرد كابوس... كم الساعة من فضلك؟» - استوقفتها نبرة الأدب واللباقة التي استخدمتها وهي تحدث الآلة.. وفكرت ساخرة: هذا هو ما تنتجه 18 سنة من التدريب على البروتوكول في أميتيرا!

«الساعة الثالثة وأربع وثلاثون دقيقة وسبع عشرة ثانية بعد منتصف الليل، سيدتي.. هل هناك أمر آخر تودين المساعدة فيه؟ دواء يساعدك على النوم؟».

«لا، شكرا.. تصبحين على خير». فتستدير الآلة وتخرج من باب الغرفة الذي ينسحب بهدوء وراءها، ويعيد أجوان إلى عزلتها.

أدويتهم وعقاقيرهم تسبب لها آثارا جانبية مزعجة جدًا.. فأدوية التخثر تسبب لها الفثيان، وأدوية النوم ومسكنات الألم تسبب لها صعوبات في التنفس.. حتى الغذاء الذي يأتيها في مكعبات مشبعة بالمواد المفيدة التي صممت خصوصا لمريض في حالتها، أيضا

يسبب لها متاعب معوية. إنها مخلوق من كوكب آخر وعلى الطاقم الطبي أن يقوم بتجارب متكررة قبل أن يستطيع أن يوفر لها أدوية وأغذية تفيدها مع أقل قدر ممكن من الضرر. ها قد انتهى بها المطاف لتصبح حيوان تجارب. هزت رأسها لتزيل غيمة المرارة التي تطفو فوق رأسها. يجب ألا تفكر في هذا الأمر على أنه سلبي.. إنها حية اليوم بسبب محاولاتهم العظيمة لإنقاذ حياتها. عليها أن تشعر بالامتنان لهم، لا أن تنأف وتذمر.

استلقت ثانية.. وحملت في سقف الغرفة. في هذه الليلة غرفتها خالية من البخار، إذ لم تعد بحاجة للهواء المشبع بالماء.. عادت الدماء لتجري في عروقها مشبعة بمياه كافية لتبقى حية معافاة. عندما كانت على كوكبها لم تكن بحاجة لأي من هذه الإجراءات، فالجو كان دائمًا مشبعًا بالرطوبة.. كما أن المحيطات والبحار تطوق الكوكب بأكمله ويمكنها أن تسبح في أي وقت شاءت، فشعبها يعتمد في حياته وصحته على مياه البحار والمحيطات المالحة. إن اعتماد شعبها الكلي على البحر أمر غامض المنشأ. في هذا الأمر، انقسم شعبها إلى قسمين، قسم يؤمن بأنهم خلقوا هكذا، وقسم آخر يعتقد بأن أسلافهم جاءوا إلى هذا الكوكب ووجدوا أنهم بحاجة للعيش في أعماق البحار فسحروا علم هندسة الجينات لتحويل الجيل التالي إلى شعب يستطيع التنفس تحت الماء. فيمكن للهافيكي السباحة في البحار واستخلاص الأكسجين من الماء برنات طبيعية تم تصميمها جينيًا لتنجز عملاً مزدوجًا ومعتقدًا، يمكنهم من العيش فوق السطح وتحت البحر.

لماذا سألها الخاطفون كل تلك الأسئلة عن كوكبها وأسلوب حياتهم عليه؟ عندما خرجت ذاك اليوم الأسود من مسكنها متجهة لدار الحضانة، لم تكن تتخيل أن سليفور كان ينتظرها في زاوية مظلمة من زوايا الممرات الطويلة. كان يحمل في يده جهازًا صغيرًا تخوفت أن يكون سلاحًا. وضعت يديها حول بطنها لتحمي جنينها وانطلق صوت خافت من الجهاز، شعرت بعده مباشرة بالألم في كل نقطة من أعصاب جسدها. وعندما استيقظت كانت محاطة بمجموعة من الرجال وامرأة واحدة. هددها بالقتل إن لم تتعاون معهم، واستشعرت صدق تهديدهم وخطورة عزيמתهم. حاولت أن تستفسر عن مكانها وعن الغرض من احتجازها بهذه الصورة، ولكنهم لم يجيبوا عن أية أسئلة، واستمروا في طرح أسئلتهم وتسجيل كل ما قالته. وقد بدا عليهم الضيق الواضح عندما كانت تعجز عن الإجابة عن معظم أسئلتهم التقنية حول أجواء كوكبها وطبيعة جسدها. مع كل سؤال كان يزداد ذعرها وإحساسها بأن شيئًا فظيغًا على وشك الحدوث. لا تتذكر جيدًا كيف فقدت الوعي بعدها، ولكن عندما استيقظت ثانية كانت محاطة بفريق من الأطباء ومعهم روهاني التي بدت على حافة الانهيار من شدة قلقها عليها.

في البدء لم يبلغوها بما حدث، ولكن مع الوقت تكشفت لها الأحداث.. بأنها تعرضت للاختطاف وأن خاطفيها أجروا عملية لانتزاع جنينها، وبأن كل جهود روهاني وفريقها لمعرفة هوية الخاطفين ومكانهم لم تحرز أية نتائج، ولكن السؤال الأهم من كل هذا والذي بقي السر الغامض الأكبر هو: ماذا تريد مجموعة من الأغراب بجنين فتاة من كوكب ميت؟! ولماذا لم يأخذوها معه؟ مهما كانت أسبابهم وأغراضهم، فهي لا تزال عاجزة عن استيعاب ما حدث لها. كيف يمكن لأي أحد أن يرتكب جريمة كهذه بدم بارد؟

ما هذه المخلوقات التي وجدت نفسها تعيش بينها وهي التي أتت من كوكب مسالم يندر أن يتسبب فيه أحد بالضرر ضد أي شخص آخر! ورغم ساعات من النقاش مع روهاني ودورا حول ما يمكنها تذكره من الحادثة، فإنها عجزت عن أن تذكر كل التفاصيل، فالصدمة شوهدت ذاكرتها وربما عجزت عن أن تتذكر كل ما جرى في ذلك اليوم اللعين.

هل تجرؤ على الاتصال بروهاني في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟ صحيح أنها أوصتها ألا تتردد في الاتصال بها إن احتاجت إليها، ولكن هذا لا يعني أن توقظها في هذه الساعة لتحدثها عن مخاوفها وعن الوحدة التي تشعر بها. فما الجديد؟ منذ أن غادرت كوكبها وهي تعيش مع هذه المخاوف والوحدة والألم! عزاؤها الوحيد كان الجنين الذي تحمله كذكرى تخلد كوكبها تلاشى وشعبين انقرضا.

«ولكنك قائد في جيش هذا الاتحاد الكبير العظيم يا روهاني، كيف لا تستطيعين أن تجدي مجموعة صغيرة من المجرمين؟!».

«أجوان، اسمعيني، أعلم أنك محبطة، وأن ما حدث ما زال يشكل مصدر صدمة لك، ولكن يجب أن تفهمي أن الاتحاد الكبير الذي تتحدثين عنه يتكون من مجرة بأكملها. إننا نبحث عن إبرة في جبال من القش، ليست كومة واحدة!».

«القش! ماذا يعني القش؟».

«عذراً، انسي مثال القش! إننا نبحث عن سمكة صغيرة في محيطات شاسعة. أفهمت ما أقصد؟».

بالطبع، أجوان تفهم جيداً ما قصدته روهاني، فانتقال مشاعرها المباشر يقول لها إن روهاني صادقة ومخلصة في كل ما تقول وإنها تشعر بنفس الغضب والإحباط الذي تشعر به أجوان، بل تزيد على ذلك شعورها بالذنب والتقصير لفشلها في حماية ضيفتها.

«لا أستطيع أن أبقي هنا مقيدة في محطة فضائية وطفلي في مكان ما في يد أوغاد لا يتوانون عن إيذائه!! آه أشعر أنني سأحترق من الغضب، هذه العاصفة التي بداخلي، كيف أخمدها؟!».

جلست روهاني بجانبها وضممتها بقوة، محاولة أن تنقل لها كل ما تشعر به من حب وطمأنينة. ولكن الفتاة كانت غارقة في عالمها الأسود الذي لا يمكن لأحد أن يتخيله. وكانت محقة في رفضها لكل التقارير التي تأتيها بنتائج سلبية، فهي محبوسة في محطة فضائية وتريد أن تخرج لتبحث بنفسها، على الأقل، بدلاً من شعورها بالعجز الكامل. وهو الشعور ذاته الذي يعتصر قلب روهاني حالياً. إنها تتحرق لقيادة سفينة فضائية والبحث عن المجرمين الذين تجرءوا أن يدخلوا محطتها خلسة ويختطفوا ضيفتها ويستجوبوها ثم يأخذوا جنينها ويتركوها شبه ميتة. لولا أن أهمل أحدهم إعادة إقفال باب ذاك القسم القديم لما وصلت الإشارة الإلكترونية لمكتب مساعدتها الأمني وجعلته يبعث بفريق تقصٍ للتأكد من سلامة الباب. وفوجئ الفريق بوجود أجوان في غرفة العمليات القديمة وهي تنزف من بطنها المفتوح، وقد تجمعت الدماء في بركة واسعة تحت طاولة العمليات.

هزت روهاني رأسها بعنف وهي تحاول أن تمحو من ذاكرتها منظر الفريق الطبي وهو يحاول إنقاذ أجوان بعد أن تم نقلها للقسم الطبي.. ربما كان التحدي الأكبر الذي واجهوه هو تصنيع دماء بديلة لها بسرعة كافية لإنقاذ حياتها.. من حسن حظهم أن «دورا» كانت قد بدأت تلك العملية في الأسبوع السابق تحسباً لعملية ولادة أجوان وخوفاً من احتمال نزعها أثناء الولادة. بالطبع، لم يكن مخزون الدماء كافياً لتعويض الخسارة، ولذلك تفرغ طاقمها الطبي لتصنيع كمية أكبر.

واضح أن المجرمين قد خططوا لعمليتهم بدقة بالغة، ويبدو أن الممرض كان متورطاً معهم منذ البداية. وها هو يفلت بفعلته مرتين، لا بد أنه يسخر الآن من غبائها وعدم كفاءتها هي وفريقها! لقد قامت روهاني باتباع جميع إجراءات الأمن منذ اللحظة التي أدركت فيها ما حدث، إذ تلقى كل منفذ في المحطة أوامر بإغلاق المحطة تماماً، فلا دخول ولا خروج منها دون إذن من القائدة نفسها. وتم تفتيش كل شبر من كل سفينة ملتحمة بالمحطة. ولكن لا أحد يعلم تماماً متى انتهى المجرمون من جريمتهم وبالتالي متى غادروا المحطة. والنافذة الزمنية المتاحة تفيد أنهم استقلوا واحدة مما يزيد على 15 سفينة قد غادرت في تلك الفترة الزمنية. ومع ذلك فما زالت التحقيقات جارية مع كل محطة قريبة قد تكون استقبلت تلك السفن.. لا بد أن أحدهم سيجد المعلومات التي تساعد على تقفي أثر تلك المجموعة الغامضة من المجرمين.

ما الغرض من هذه العملية بأكملها؟ كيف يخاطر أحد باقتحام محطة فضائية عسكرية لمجرد اختطاف جنين؟ ما الذي سيجنيه المجرمون من اختطاف جنين.. دون أمه؟ ثم ما الغرض من ذلك الاستجواب الذي استمر لساعات على حد قول أجوان؟ إنها أسئلة تقلبها في ذهنها منذ أيام، ورغم تراكم عدة سيناريوهات كإجابة عن أسئلتها، فإنها جميعها غير منطقية ولا تعني شيئاً. إنها بحاجة لمعلومات أكثر.. ولكنها في الوقت ذاته ليست مخولة بإكمال تحقيقاتها خارج نطاق هذه المحطة. وأجوان بحاجة لمن يبقى معها ويدعمها في هذه الفترة العصيبة التي صدمتها حتى أكثر من فقدانها لأسرتها ووطنها. من كان يتخيل أن هناك كارثة أخرى يمكن أن تجعل تلك الكارثة الأولى منسية تماماً؟!

وقفت أجوان وأنفها ملاصق لنافذة هائلة الحجم تفصلها عن صقيع الفضاء الخارجي. تخيلت أنها تمسك بإحدى الأدوات المحيطة بها وتضرب بها النافذة، فتنتشر الشقوق في النافذة وتكبر وتكبر حتى تغطي الواجهة كلها، ثم تنهشم لآلاف القطع فتتطاير في كل مكان. أو ربما لن تتطاير داخل المحطة إذ إنها قرأت في أحد المراجع الإلكترونية عن الفضاء وعن الضغط، وقد فهمت من المرجح أن أي ثقب في هيكل المحطة يعني اختلالاً في ضغطها يجعل الهواء يندفع إلى الفضاء الخارجي ويسحب معه كل شيء. هذا يعني أن القطع المهشمة ستندفع للخارج.. وتسحبها معها، حيث ستموت في ثوان معدودة بسبب البرودة البالغة وانعدام الأكسجين واختلاف الضغط بين داخل جسدها والفضاء الخارجي. نهاية سريعة وربما لا تشعر بكثير من الألم.. الألم الذي لا يتركها في كل لحظة من نهارها وليلاً.

لم تعد تحتل الجلوس في مسكنها دون حركة أو شيء تقوم به ليشغل ذهنها. حتى المراجع الإلكترونية التي تستخدمها لتثقيف نفسها ولشغل ذهنها لم تفلح تمامًا في إلهائها عن أحزانها ومخاوفها. ولم ترجع للعمل في دار الحضانة، فكيف تحيط نفسها بالأطفال دون أن تتذكر طفلها المختطف؟ ولكن عدم انشغالها يتيح لها ساعات طويلة خلال اليوم للجلوس وحيدة مع أفكارها السوداء وغضبها الأحمر. إنها منحوسة، نعم إنها منحوسة وقد جلبت النحس لنفسها عندما خرجت على تقاليد أسرتها وشعبها وضربت بها عرض الحائط. ولكن عندما كشفت لروهاني عن تلك الفكرة التي عشت في ذهنها، ابتسمت صديقتها المحبة ابتسامة حانية وقالت لها إنها فكرة سخيفة لأن المنحوس يأتي بالنحس على نفسه وعلى بعض المقربين له، ولكنه لا يمكن أن يتسبب نحسه في تدمير كوكب بأكمله!

ومع ذلك، كيف تفسر ما حصل لها في الأسابيع الأخيرة؟ لقد تعرضت للهجوم من أغراب اختطفوا جنينها واختفوا دون أثر. وكل محاولات روهاني وفريقها للعثور على خيط ولو بسيط يقودهم لسبب أو اسم أو أي شيء مفيد، كلها محاولات باءت بالفشل. ولديها إحساس أن محاولات البحث قد انتهت، ولكن روهاني لم تستطع أن تبلغها بالحقيقة خوفًا على مشاعرها. وهو ما يسبب لها نوبات الغضب التي تتزايد كل يوم. فأمس الأول بلغت بها ثورة الغضب أن حطمت التحف الرقيقة التي وضعتها روهاني في غرفتها. وعندما حاولت روهاني أن تخفف عنها، وأن تضم لها الجرح الذي أصاب كفها من إحدى شظايا التحف، طردتها أجوان من الغرفة وأغلقت الباب في وجهها.

حملت أجوان في الضمادة التي تغطي راحة يدها اليسرى، كأن الضمادة يمكنها أن تضيق شيئًا يفسر ما تمر به من ضياع. عندما تتذكر أجوان ما حدث لأسرتها ولكوكبها تخفت الأضواء المحيطة بها ويكتسي كل شيء بلون أحمر. ويبدأ الهدير في أذنيها ليغطي على باقي الأصوات، حتى على صوت تنفسها الغاضب. وتتحول يداها إلى قبضتين تفرز أظافرهما في بطن كفيها. في تلك اللحظات تشعر أجوان أن بإمكانها أن تحطم المحطة، بل أن تهزم مئات الرجال بقبضتيها المجردتين. ليس من الإنصاف أن تفقد أهلها، ثم أن تفقد طفلها الذي كان عزاءها الوحيد بعدهم. إنها مؤامرة ضدها لتجربتها من أي شيء جميل يمكن أن يخفف عنها حزنها وألمها. لذلك تنظر لكل شيء بغضب وشك، وتتمنى لو تستطيع أن تحول الغضب لقوة محطمة تنشر الذعر والألم؛ حتى لا يملأ صدرها وحدها.

لهذا جاءت هذا الصباح لتجلس في المتنزه العام، لكي لا تبقى وحيدة في غرفتها، ولكي لا تسمح لغضبها أن يوسوس لها بأفكار سوداء مغرية. ولكنها جاءت محفلة بتلك الأفكار، فلا مفر منها أصلًا. استدارت لتعود للجلوس على الكرسي الطويل المخصص للمتزهين، ففوجئت بأن الكرسي لم يعد لها وحدها، إذ جلست عليه الرائد روهاني، ولم تكن ترتدي بدلتها الرسمية.. ترتدي روهاني اليوم ملابس بسيطة كتلك التي يلبسها طاقم المحطة في غير أوقات العمل الرسمي؛ بلوزة خضراء ضيقة مصنوعة من تلك المادة التي تكرهها أجوان لعدم تقبل جلدها لها، وبنطلونًا أزرق غامقًا تعتبره روهاني من القطع المفضلة لديها، ولذلك فهي تلبسه طوال الوقت. لم تفهم أجوان لماذا قررت روهاني أن

تغير ملابسها لتلتقي بها في المتنزه، ولكنها سئمت البذل الرسمية المنتشرة في كل مكان، ولذلك فإن مظهر روهاني بهذه الملابس كان مريخاً أكثر بالنسبة لها.

لم تتحرك روهاني من مكانها، ولكنها راقبت أجوان وهي تجر قدميها بخطوات قصيرة نحو الكرسي. كم هي ضعيفة ومنكسرة اليوم! في بعض الأحيان تجد روهاني نفسها مقتنعة بأن الشيء الوحيد الذي يجعل هذه الفتاة تصحو كل صباح هو الغضب الذي يشتعل بداخلها. إنه وقودها الوحيد للاستمرار في الحياة في وضع لا تملك السيطرة عليه. مرت أسابيع منذ أن خرجت أجوان من القسم الطبي، ولكن من ينظر لوجهها وجسدها في تلك اللحظة سيستغرب أن الطبية سمحت لها بالخروج، فهي لا تأكل جيداً، كما أنها لا تنام جيداً، فروهاني تسمعها في بعض الليالي وهي تصحو بصرخة خفيفة، ثم تجهش في البكاء، قبل أن تهدأ ثانية وربما تعود للنوم. في البداية كانت روهاني تهرع لغرفتها لتواسيها، ولكن أجوان تغيرت الآن، لم تعد تلك الفتاة التي تسمح لأحد أن يواسيها. إنها غاضبة معظم الوقت وكأنها تنتظر كلمة أو حركة لتثور وترمي شيئاً أو تصرخ وتغادر المكان. كيف لي أن أساعدها؟ إنها ترفض أن تخضع للعلاج النفسي الذي توصي به دورا كلما التقنا وتحدثنا عن أجوان وحالتها.

ولكنها اليوم جاءت مسلحة بعرض جديد، وكلها أمل ألا ترفضه أجوان. جلست أجوان بجانب الرائد وتنهدت:

«هل أخذت ساعات راحة اليوم لتأتي للمتنزه وتجلسي معي؟»

راقبتها روهاني بحثاً عن مؤشرات الغضب المعتاد فلم تجده: «تقريباً. لم تبق إلا ساعتان على مناوبيتي على كل حال، واليوم بطيء، لم تحدث أية مشاكل أو أزمات تستحق اهتمامي. وأنا بحاجة لأن أقضي بعض الوقت في المتنزه وأستنشق بعض الهواء شبه الطبيعي بين هذه الأشجار الباهظة الثمن».

ابتسمت أجوان لذلك التعليق، فهناك نكتة يتناقلها طاقم المحطة عن العناية الكبيرة التي تحظى بها هذه الحديقة من قبل قسم الصيانة على متن المحطة؛ فلهذه الأشجار أهمية كبيرة في مساعدة الفلاتر الصناعية على تنقية الهواء، ولأنها بالغة الأهمية فإن فريق العناية بها يتقاضى رواتب عالية بعض الشيء، كما أن المواد الضرورية للحفاظ على حيويتها أيضاً ليست بالرخيصة. ولكن لا يوجد في المحطة من لا يريد أن يقضي بضع دقائق بين هذه الأشجار الجميلة التي تعد الشيء الطبيعي الوحيد الذي يذكر الكل بكواكبهم. بالطبع، بالنسبة لأجوان، لم تر مثل هذه الأشجار من قبل، ولو أن بعضها يملك بعض القواسم المشتركة مع النباتات على سطح كوكبها.

«بصراحة.. كنت بحاجة لبعض الوقت للتفكير في أمر يشغل بالي منذ أيام. تعرفين طبعا أن موعد إجازتي جاء وانقضى منذ عدة أشهر».

نظرت لها أجوان بعينين مذنبتين، فندمت روهاني على انتقائها السيئ للكلمات:

«لم أقصد أن ألومك على تأجيل سفري لموطني، عزيزتي. عذراً، لم أقصد ذلك، أبداً. اسمعي.. تلقيت رسالة من والدي بأنه سيكون على تيرا 8 خلال أسبوعين. وبما أنني لم أراه منذ أكثر من عام، منذ أن مر بهذه المحطة في طريقه لإحدى مهامه الرسمية، فهذه

فرصتي المثلث لأراه هو وأختي أيضًا».

فوجئت أجوان بهذا الخبر وأطرقت برأسها محاولة ألا تظهر لروهاني ضيقها لمعرفة أنها ستسافر وتركها هنا في هذه المحطة الخائفة. تماكنت نفسها ورفعت رأسها وابتسمت لروهاني ابتسامة مشجعة، أرادت بها أن تطمئن صديقتها بأنها مرتاحة لقرارها. «نعم، بالطبع هذه هي الفرصة المثلث لرؤية أسرتك يا روهاني. لو كنت مكانك لاستغللتها أيضًا».

انزلت روهاني على سطح الكرسي لتجلس أقرب لأجوان ووضعت ذراعها حول كتفها وقربت رأسها وقبلتها بحنان على صدغها الأيمن.

«هل كنت تعتقدين أنني سأسافر بدونك؟ لقد وعدتك منذ شهور بزيارة كوكبي، ولم أنس ذلك الوعد، ثم إن رخصتك للسفر جاهزة منذ حينها وما علينا سوى استخدامها».

تأملت أجوان وجه روهاني تبحث عن أي دليل على أن عرض روهاني ناتج عن حرج من وعد قديم، ولكنها لم تجده. روهاني حقًا تريدها أن ترافقها في هذه الرحلة، تمامًا كما كانت تريد ذلك بصدق منذ شهور.

«ولكن، ماذا سيحدث لعملية البحث عن طفلي؟ ماذا لو عثروا على دليل وأرادوا الاتصال بي؟».

«بالطبع لم أنس هذا الموضوع! فهو يهمني كثيرًا كما تهمني راحتك واطمئنانك. ولذلك فإن طاقمي المساعد سيتواصل معي على تيرا 8، في حالة توافر أية معلومات».

صمتت أجوان لدقائق وعيناها تنتقلان بين النجوم التي تملأ النافذة المقابلة. أي منها وجهتها القادمة؟ وهل تجرؤ على أن تترك محطة الظافر التي باتت موطنها بعد دمار كوكبها؟ ورغم أنها لم تحب المحطة وجوها الذي يذكرها بمدينتها، ورغم أنها كانت تعترض على فكرة احتجاجها فيها لأنها لاجئة، فإنها المكان الوحيد الذي عرفته خارج عالمها. ماذا سيكون حالها عندما تغادر هذه الأجواء المألوفة، وتتضمن لمليارات البشر والمخلوقات في خليط مخيف من العوالم والثقافات والحضارات؟! عقلها يعجز عن التعامل مع هذا الكم الهائل من الاحتمالات، وهي التي كانت تعتقد أن خروجها من مدينتها للعيش على السطح سيكون المغامرة الكبرى في حياتها والتي ستجعلها المميزة دائمًا في أسرتها ومدينتها. صحيح أنها ليست أول من حقق ذلك، فقد سبقها الآلاف عبر القرون السابقة، فإنها كانت الأولى في أسرتها على الأقل.

واليوم تقف على عتبة حدث ضخم، يفوق أي فكرة قد مرت في ذهنها أو ذهن من سبقها في عالم الريادة والمغامرة. ومع ذلك فهي تتردد أمام هذه الفرصة الذهبية التي قلما غرّضت على أي أحد. ربما لأن الفرصة جاءت بئمن باهظ جدًا! فقد فقدت كل عزيز لديها، والآن فقدت طفلها وعادت وحيدة غير مرتبطة بأية التزامات تمنعها من أن تنطلق في أي اتجاه تتخيله. لا شك أن هناك الملايين من الفتيات اللاتي سيقفنز لاقتناص فرصة كهذه. فلم لا تكون منهن؟! والأهم من هذا كله أنها بخروجها من سجن محطة الظافر ستتمكن أخيرًا من المشاركة في عملية البحث عن طفلها، بدلًا من أن تبقى

متفرجة على الهامش، مقيدة اليدين وهي تراقب كل يوم ضائع

التفت أجوان لروهاني فوجدتها تراقبها عن كتب.. وأحست أنها تحاول أن تقمع مشاعر الترقب والأمل التي جعلتها تأخذ ساعات من دوامها وتستبدل ملابسها وترتدي حلة الصداقة والمحبة وتتجه للمتنزه لتطرح على صديقتها طوق النجاة لإنقاذها من دوامتها القاتلة. أحست أجوان بحب عظيم لهذه المرأة الكريمة التي تبنت فتاة غريبة مبتورة الأهل، واحتضنتها وأعطتها أملاً جديداً في الحياة؛ حيث لم يكن قبله أمل. ابتسمت لها ووضعت يدها على يد روهاني التي كانت تمسك بركبتها بقبضة متشنجة خوفاً من رفضها للفكرة.

«أنا أسفة يا روهاني»..

انطفأ ضوء الأمل في عيني روهاني وبدأت خيبة الأمل واضحة على ملامحها، فأخفت نظرتها عن أجوان بالنظر إلى النافذة الكبيرة المطلة على الفضاء.

«أسفة على كل ما بدر مني في الفترة الأخيرة. لم أعد أعرف من أنا بعد كل ما حدث لي. لم تكن هذه هي شخصيتي في السابق.. ليتنا التقينا في ظروف أفضل من هذه؛ إذن لوجدت فتاة طيبة وحسنة المعشر.. ولكن اليوم أنا شخص مختلف تماماً. إنني في حالة غضب دائم، ولا أعرف كيف أطفئه أو إن كانت هناك طريقة لإطفائه قبل أن أؤدي أحداً». بدأت الدهشة على وجه روهاني، فاعتدلت في جلستها ورفعت ذراعها من على ظهر الكرسي ووضعت يدها فوق يد أجوان ونظرت مباشرة في عينيها؛ لكي تتأكد من أنها تملك انتباهها الكامل.

«اسمعي يا فتاتي الصغيرة الضائعة، لم أجد فيك سوى فتاة طيبة حسنة المعشر! فلا تكوني قاسية على نفسك هكذا. إن التجارب التي مررت بها في فترة قصيرة تحطم الجبال وتكسر النفوس والهمم. ومع ذلك فقد تعاملت معها بصبر وحكمة بالغة لا نراها في الفتيات من سنك. وبالطبع لهذه الأحداث أثر قد تسبب في جرح كبير في نفسك لن تستطيعي معالجته بالسرعة التي قد تتخيلينها. وهذا أيضاً شيء طبيعي. لن تلتئم الجراح بسهولة يا أجوان، وسوف تترك ندبة كبيرة لا شك.. ولكن لدي إيمان بأنك ستخطين هذه الأزمة وستكونين شخصاً أقوى وأكثر قدرة على مواجهة أي شيء.. سترين!».

دمعت عينا أجوان من هذا الإطراء، ومن دفء الحب والحنان الصادرين من روهاني الإنسانية الرائعة.

«سأرافقك لكوكبك يا روهاني».

من أجل الوطن

طارأت أصابع الضابط كالاما على لوحة التحكم لتنفيذ أوامر القبطان هويتزيلين، فكل دقيقة تمر تعني تأخيرهم في تنفيذ مهمتهم. قامت بتأكيد إحداثيات الجهة المستهدفة وأعطت الأمر لأجهزة بوابة القفز الفضائي لتفتح الثقب الفضائي الزمني كي تعبره السفينة الحربية للجانب الآخر، الذي كان يبعد آلاف السنوات الضوئية، لولا وجود البوابة لتقصير المسافة. من نافذة برج القيادة في داخل السفينة، نظر الجميع إلى الفضاء الذي يحيط به إطار البوابة. إنه منظر لا يمل أحد رؤيته، ولا يراه الكثيرون خارج القوات المسلحة، وبالذات القيادات العليا التي توجد على برج قيادة السفينة. انبجعت الأضواء المحيطة بهم وبدا المنظر من تلك الزاوية وكأنه لوحة مسحها أحدهم براحه يده فخلط الألوان وشوهها. ثم سرعان ما تشكل ثقب أسود يطل على فضاء آخر، فانطلقت السفينة من خلاله لتنتقل للإحداثيات المحددة لها.

زعم القبطان بصوته المعتاد عند إصدار الأوامر في برج القيادة: «زافيير، ما تقارير أجهزة الكشف؟»

«سيدي، ثوان..».

فرقع القبطان أصابعه عدة مرات بعصبية وهو ينبج على عريف الملاحين: «ليس لدينا ثوان يا زافيير، هناك من يموتون في هذه الثواني، وليس لديهم الوقت لانتظارك حتى تتعلم استخدام الكاشف!!!».

بدأت خدمة زافيير تحت القبطان هويتزيلين منذ عامين، ولذلك فقد تعود على هذه الكلمات فهي طريقة القبطان في التعبير عن عصبية في هذه اللحظات الخطيرة. لذلك فهو يريد التأكد من كل المعلومات قبل أن يجيب عن أسئلته، فلا مجال للخطأ في ميدان المعركة: «السفينة الفيض قد تعرضت لأضرار هائلة في نهاية جوفها. لم تعد دروعها الوقائية تعمل، وهي تتعرض لضربات عنيفة عند المدفع الوحيد الذي يعمل في متراس الجانب الأيمن».

«صوفيا، هل هناك استجابة من قبطان الفيض؟».

ردت عليه ضابطة الاتصالات بصوت هادئ وواضح: «منذ أن قفزنا وأنا أرسل نداء تلو

الأخر، ولم أجد منهم استجابة. أغلب الظن أن اتصالاتهم معطلة»

«زافيير، تقرير العدو؟»

«أربعة زوارق سريعة مدججة بالسلاح. إنها مجهزة بأسلحة قوية جدًا! لم أر مثلها من قبل».

«أريد تقريرًا كاملاً عن دفاعاتها وأسلحتها، وإن تمكنت من الحصول على إشارة منشئها فسامنحك أسبوع إجازة برية».

أنباء هذا كله، كانت كالاما تستمع لما يحدث، وتسترق النظر للنافذة الأمامية، ولكن رغم خلو المنظر من أي أحداث فإنها كانت تعرف جيدًا أنهم قريبون من المعركة التي تدور في ناحية لا تواجهها نافذتها. فعلى بعد كيلومترات قليلة هناك أناس يموتون من انفجارات القذائف أو من اختراق هيكل السفينة الذي يخلف وراءه ثقبًا يسمح للفضاء الخارجي بشفط كل شيء للخارج. نهاية مخيفة!!

«كالاما، سنتوجه للأمام بهدوء في انحدار بزاوية 244.. بهدوء، مفهوم؟».

«حاضر سيدي، للأمام بهدوء في انحدار بزاوية 244».

خيم الصمت على البرج وكان أي صوت سيصدر من أحدهم سيكشف وجودهم للعدو. ومع انتقال موجات الصوت لهيكل السفينة بدأت تصلهم أصوات بعيدة لدوي الانفجارات. «تاي هيون، هل أسلحتنا جاهزة؟»

«جاهزون، سيدي!».

«أطلق جميع المدافع في الميمنة، مع تحويل جميع الدروع للجهة ذاتها. وزافيير، أخبرني عن العدو».

«أربعة زوارق سريعة تحمل مدافع غير اعتيادية. إنها تصميم خاص، ليس في ملفاتنا.. أحجامها تدل على طاقم صغير جدًا.. سأبث المعلومات للقيادة العامة الآن».

«جيد، جيد.. ما..».

«امممم... هناك تشويش على اتصالاتنا.. الملفات لم تبث بعد.. و...».

اهتز برج القيادة بعنف حتى سقط بعض أفراد الطاقم من مقاعدهم. المفاجأة عقدت لسان القبطان الذي كان على وشك أن يسأل عن نتيجة الموجة الأولى من القذائف. هل هذه الرجة جراء انفجار أحد الزوارق الصغيرة؟ لا يعقل أن تكون ضربة من أحدهم، فسفينته «الديسق» ثانية كبرى مدمرات الأسطول ولها دفاعات جبارة. وهو ما جعل قيادة الربعية جنان ترسلها للاستجابة لنداء الاستغاثة القادم من السفينة التجارية الفيض..

امتلات الأجواء بأصوات الإنذارات والانفجارات وصياح أفراد الفريق، كل يقدم تقريرًا عما تخبره به أجهزته.

«لا دروع.. أكرر.. لا دروع! هناك عطل في الدروع، وعندما استدارت الزوارق وأطلقت مدافعها نحنونا لم تكن الدروع فاعلة».

بدأت الصدمة واضحة على وجه القبطان، وقد اتسعت عيناه وهو ينظر لشاشته ويستمع للتقرير من عريف الملاحين. ومع ذلك فإن سنوات من التدريب والخبرة أعادت إليه صوابه، فتحرّكت أصابعه على لوحة التحكم ليطلع بنفسه على سير المعركة.. وراعه ما رآه من أضرار. فأجزاء كبيرة من مقدمة ميمنة السفينة قد تلقت دكًا قويًا من مدافع الزوارق وهو ما لا يمكن إصلاحه إلا في ميناء متخصص. ولا شك أن كل من كان يعمل في ذلك القسم قد قتل في لحظات. ولكن كيف حدث هذا؟ أين الدروع؟

صرخ في عريف الملاحين، وهو يمسح العرق من على جبهته: «زافبييرا أين الدروع؟ لماذا لم ترفعها عندما أمرتك بذلك؟».

تهت زافبيير وهو يحاول أن يضع إجابته في كلمات مفهومة: «س..سيدي.. لقد رفعتها بالفعل.. أقسم بأنني رفعتها حتى قبل أن تنهي توجيه الأمر لي، فهو الإجراء المتبع في هذه الحالات من القتال.. لا.. لا أدري ما حدث»..

«اصمت! وتتبع أسباب عطل الدروع»..

التفت القبطان لزواية قسم التنقل الفضائي وبدأ بتوجيه الأوامر: «كالاما، أريدك أن.. أين هي؟ أين ذهب كالكاما؟»

خرجت كالاما من المصعد المؤدي للبرج وهي تخطو خطوات واسعة. ولأن بدلتها الرسمية السوداء تدل على أنها ضابط مسئول في برج القيادة، فقد أفسح لها الطريق كل من رآها، رغم أن أصوات الانفجارات والإنذار قد هزّت الجميع وأخرجتهم من فقاعة الأمان التي كانت تحيط بهم منذ دقائق، فصاروا يتراخضون في الممرات، وكل لديه مهمة محددة في وجهة مختلفة. شقّت كالاما طريقها عبر هذا السيل من الناس، وعلى وجهها نظرة تصميم. ولجت إلى ممر جانبي يؤدي إلى أحد المداخل الثانوية لغرف المحركات. استخدمت بطاقتها للدخول لغرفة المحركات «4» وأسرعت في إغلاق الباب وراءها. تلفتت حولها في الغرفة المعتمة وتلمست طريقها إلى الزاوية التي تركت فيها الصندوق الصغير. لامست أصابعها الصندوق، فسحبته من تحت الصهريج الضخم الذي كان يختبئ تحته.

رفعت الصندوق ووضعت على سطح مستو، وبعناية فائقة فتحت الصندوق. وفي حركة قد حفظتها خلال ساعات التدريب الذي تلقته لهذه المهمة، شغلت الجهاز المستقر في قلب الصندوق. وبعد أن تأكدت من أن الأضواء التي تصدر منه تدل على أنه يعمل بالشكل المطلوب، أغلقت الصندوق ببطء وبحركة تلقائية وبطيئة جلست على أرضية الغرفة. أخرجت من جيب داخلي في سترتها زجاجة صغيرة جدًا يملؤها سائل شفاف اللون، ولها قاعدة معدنية دقيقة الصنع. وضعت القاعدة المعدنية للزجاجة على جلد رقبتها وضغطت عليها بإحكام، فأصدرت القاعدة هسهسة خافتة تدل على خروج هواء مضغوط، واختفى السائل بسرعة. بلعت كالاما ريقها ورفت عينها بسرعة وهي تغلب على ألم دخول السائل إلى جسدها. خفضت الزجاجة ونظرت إليها بهدوء وبلادة غريبة، ثم رمت الزجاجة جانبًا، فتدحرجت محدثة صوتًا رنًا شاذًا بين أصوات الدوي والهدير.

بدأت تشهق وتزفر ببطء فأسندت ظهرها ورأسها للمحرك الدافئ، ووضعت يديها في
حضانها وأغمضت عينيها في استسلام كامل. وانخفض رأسها ببطء حتى التقى ذقنها
بصدرها.

تمتت كلماتها الأخيرة: «من أجل الوطن، يا أمي.. من أجل الوطن».

ثم انفجرت العبوة المختبئة في الصندوق.

حصريا على روايات وكتب عربية وعالمية

<https://t.me/riwayat2025>

يسعدنا انضمامك لنا



مكاسب وخسائر

إنه الخوف ذاته.. الخوف الذي بات مرتبطًا بالسفر على متن سفينة فضاء. لم تكن أجوان تتخيل في يوم أنها ستسافر في سفينة فضائية وتغادر كوكبها. ولو عرض عليها أحد هذه الفرصة منذ سنة واحدة لربما غمرتها الفرحه والترقب لتجربة فريدة كهذه، ولم تكن لتتردد في قبول العرض واستقلال أول سفينة متوافرة. ولكن تجربتها الحقيقية جاءت مغايرة لذلك كله، فقد استقلت أول سفينة فضائية في حياتها جراء كارثة فظيعة أرغمتها على الفرار مع أغراب على متن سفينة أغراب. في تلك السفينة عرفت هي ومن معها معنى الرعب والهلع والألم وعدم الاستقرار. في تلك السفينة رأت عالمها يتفتت وينتشر في فضاء هائل. وفي تلك السفينة شهدت موت أناس ظنوا أنهم نجوا من كارثة محققة، ولأول مرة في حياتها رأت الموت وشمّت رائحته النتنة. ومنذ لحظتها تلك لا تستطيع أن تنظر لسفينة دون أن تعتريها كل تلك الأحاسيس الكريهة. حتى الأصوات التي تصدر من أي جزء من أجزاء السفن تجعلها تسترجع كل صوت وإحساس ورائحة جربتتها في تلك الرحلة.

وها هي تجلس في سفينة أخرى بملء إرادتها مسافرة لوجهة جديدة. ولكن في هذه المرة كانت الرحلة أقصر من السابقة. فقد استعملت رحلتهم بوابتي قفز فضائي - كما وصفتهما روهاني لها. أخبرتها بأن هذه البوابات تصنع ثقبًا عبر الفضاء والزمن، وكل سفينة فضائية مرخصة ومجهزة بالمرشد اللاسلكي السليم تستطيع أن تشغل البوابة وتستخدمها للعبور لمناطق بعيدة في المجرة. وعندما تساءلت أجوان عن سبب عدم استخدام جويت لهذه التقنية، عندما كان اللاجنون يفرون على متنها من دمار الكوكب، بررت لها روهاني ذلك بأن نظام الملاحة كان قد تضرر من موجات الانفجار الصادرة عن كوكبها، مما تسبب في جنوح السفينة عن مسارها وضياعها في الفضاء الشاسع لاسابيع. ولو كان نظام ملاحتها لم يتضرر لتمكن الناجون من الاستفادة منه وبلوغ أقرب محطة في مدة لا تتعدى اليومين أو الثلاثة أيام. لقد اخترعت هذه الحضارة وسيلة جبارة للتنقل عبر المجرة الهائلة الاتساع، وهو ما يجعل أجوان تحترم اتحاد الكواكب بإمكاناته وعقوله الجبارة. كما أن الاتحاد يذكرها باتحاد مدن الهافيكي، إذ اتحدت جميع المدن

لتشكل شعباً واحداً يملك التقنيات والقيم ذاتها، وإن تنوعت ثقافته وأعرافه.

لم تطل رحلتها، إذ تشير الساعة الكونية لديها بأنها استغرقت 5 أيام فقط، قضتها أجوان في الجلوس في غرفتهما الصغيرة، وفي تصفح بعض المعلومات عن وجهتهما - تيرا 8. إنه كوكب قديم تم استيطانه منذ قرون. وقد استوطنه شعب بشري بغرض التوسع عبر المجرة. وجرت عبر القرون اتحادات وانقسامات مختلفة للتجمعات البشرية على سطح الكوكب. أما اليوم فالكوكب بأكمله عبارة عن جمهورية واحدة تخضع لمجلس قيادي واحد، وهو يتبع بدوره اتحاد الكواكب. ويشتهر تيرا 8 بأن أبرز جنرالات الأسطول الفضائي للاتحاد يأتون من هذا الكوكب الذي تخرجت روهاني في أكاديميته.

التفتت أجوان لتراقب الرائد روهاني وهي تمشي في الممر المتوسط لصقوف المقاعد. إنها تمشي بخطى كلها ثقة وراحة، فحياتها في الفضاء جعلتها مطمئنة تماماً للأجواء المحيطة بها. وقفت للحظات لتحدث أحد الجالسين في المقاعد الأمامية، ولم تطل الوقوف بل أكملت طريقها إلى أن وصلت لمقعدها المجاور لأجوان، وجلست فيه. لاحظت عيني أجوان عليها، فنظرت لها وهي تبتسم، ووضعت يدها على يد أجوان الممسكة بتوتر بجانب الكرسي.

«يبدو عليك القلق.. لقد أنهيت كل الإجراءات، وسيتم نقل أمتعتنا من غرفتنا فور التحامنا بالميناء الفضائي فوق تيرا 8».

«لست قلقة. ولكن.. هل اتصلت بمحطة الظافر اليوم؟»

رمقتها روهاني بنظرة عتاب: «وهل يمر يوم دون أن أتصل بهم؟ ... يؤسفني أن أقول لك إنها الإجابة ذاتها.. لا توجد أية معلومات بعد.. آسفة يا أجوان».

وجمت أجوان وأدارت عينيها نحو النافذة الصغيرة المطلة على الفضاء الخارجي. إن فرصة إيجاد طفلها في هذا الفضاء الشاسع تبدو مستحيلة مع كل يوم يمر دون معلومات. ولكن ماذا تملك سوى السؤال والأمل؟ لا تستطيع أن تئيس من احتمال العثور على شخص أو معلومة تؤدي لاكتشاف تفاصيل هذه الجريمة الفظيعة التي مزقت حياتها وجعلتها تعود إلى اليأس والضياع الذي شعرت به بعد فناء عالمها.

وكان حزنها ويأسها لا يكفيان، فإنها أيضاً مضطرة لاستشعار حزن روهاني وأسفها وقلقها عليها، مما يضاعف سوء حالتها النفسية. كيف لها أن تتخلص من هذه اللعنة التي لا تفارقها أبداً؟ في بعض الأحيان تسميها روهاني «هبة»، وفي أحيان أخرى «موهبة». ولكن أجوان لا تشاركها هذا الانطباع، فهي مرهقة تماماً من كل هذه المشاعر التي تشتعل في داخلها كلما التقت بأحد. فكل ما يمر بهم من مشاعر يداخلها هي أيضاً ويتلاعب بها حتى لا تستطيع أن تفرق بين أصل مشاعرها وما هو صادر من غيرها. مما يضعها في بعض الأوقات في مواقف محرجة جداً مع من حولها.

بدأت عملية التحام السفينة بالميناء الفضائي في مدار تيرا 8. وفازت أجوان بلمحة سريعة من جانب الميناء بهيكله المعدني ونوافذه الواسعة وأضوائه المتعددة الألوان. إنه يشبه محطة الظافر ولا يشبهها. رغم انتماء كل هذه الحضارات لاتحاد واحد فإن طريقة تصميم المنشآت والسفن والأجهزة تحكمها قواعد مختلفة من حضارة إلى حضارة، كما

تحكمها وجهات نظر مختلفة، ناهيك عن اختلاف التركيبة الجسدية لشعب كل حضارة. ترى، لو قُدر لشعبها السفر في الفضاء، فكيف تكون أشكال محطاته وسفنه؟ أه، ليست بحاجة للتذكير بكل مأسيتها، حتى في هذه اللحظة الرائعة تستمر في الرثاء لحالها! توقفي عن هذا كله يا تعيسة!!! إنك تجلسين في جوف سفينة فضائية تدور فوق الغلاف الجوي للكوكب لم يزره أي من شعبك من قبل. استمتعي بهذه التجربة الفريدة وكوني شاكراً لحسن حظك!

انتهت عملية الالتحام واقتادتها روهاني لداخل الميناء حيث تسارعت خطواتها وصدرت منها موجات الشوق والسعادة لعودتها للوطن. راقبتها أجوان وهي تنهي إجراءات التسجيل والدخول. الجميع يعاملها بمنتى الاحترام والتقدير، وهي بدورها تتصرف بحرية وثقة بالفتين، فغبطتها أجوان لهذا كله. ربما هو نضجها في السن، أو رتبته العسكرية، أو كونها قد عادت للوطن، وربما السبب كل ما ذكرته. هل يمتد العمر بأجوان لتصبح مثل روهاني في مستوى الحكمة والثقة والإيمان؟ ما الذي يخبئه لها المستقبل القريب على هذا الكوكب الجديد؟

الكوكب: جونكسين

المدينة: جويزي

ارتفعت الأصوات في القاعة الكبيرة وتردد صداها حول الجدران مضاعفاً الأصوات. لم تكن تلك هي المرة الأولى التي تشهد فيها هذه القاعة هذا المستوى من الضجة والخلاف، فقد مر الاتحاد بظروف سيئة من قبل، ولكنه تمكن من التغلب على كل تلك التحديات. مسح دوجين القائد الأعلى للقوات المسلحة لاتحاد الكواكب وجهه براحتيه كما يفعل عادة عندما يطول الاجتماع وترتفع الأصوات المختلفة ويبدو الأمر ميئوساً منه. رفع رأسه ليحدق في سقف القاعة المرتفع جداً، وهو ما يميز المبنى من الخارج، فهذا السقف المرتفع من هذه الزاوية، عبارة عن قبة مثلثة هائلة الحجم ومعقدة الصنع والزخارف. وتعد معلقاً معمارياً بارزاً في مدينة جويزي، عاصمة الكوكب ومقر القيادة العليا.

راقب دوجين ممثلي الأسطول السابع والأسطول الرابع عشر وهما يتشاجران كصبيين في وسط فناء مدرسة. لم يعد أحدهما يصغي لما يقوله الآخر، فقد ارتفع صوتهما بالتعبير عن رأيهما، فأغرق كل الأصوات الأخرى وتحول النقاش إلى مسابقة أعلى صوت. بالطبع ممثل الأسطول السابع، الأميرال مارام دامين، كان متفوقاً في هذه المسابقة بجذعه الضخم وذراعيه الهائلتين وصوته الجهوري. فمن يستطيع أن يتفوق على شعب الأوسو بجثتهم الضخمة المغطاة بالشعر الكثيف، وأسنانهم ومخالبهم الطويلة الحادة؟! ومع ذلك، يبدو أن الأميرال نيرو سادني، ممثل الأسطول الرابع عشر يخطط لأن يكون أول بشري يحقق تلك المعجزة. قلب دوجين عينيه في محجريهما معبراً عن ضيقه مما يجري أمامه، ولاحظ أن الأميرال فينو سليفني يراقبه من الجانب الآخر من القاعة. التقت عيناهما فبادلا نظرة قديمة يعرفانها جيذاً، نظراً لقدم الصداقة بينهما.

تنحج القائد الأعلى بصوت عالٍ، وتناول كأسه المعدنية وطرق بها سطح طاولته في

حركة تدل على الضيق والحزم في الوقت ذاته. توقف المتشاجران عن الصراخ وعن التلويح بذراعيهما، وبدت عليهما المفاجأة والإحراج مغا، وإن كان من الصعب تمييز الإحراج على وجه أوسوي، ولكن كشفت حركات جسده عما فسره دوجين إحراجا.

«أيها السادة، إن كانت مسابقتكما الصوتية لم تنته بعد، فأرجو منكما أن تؤجلاها لما بعد هذه الجلسة الهامة جدًا. إننا نمر بأزمة قد مست عدة أساطيل تابعة للربعية جنان وما نحتاجه الآن هو بعض الحكمة والتفكير العميق، لا الغضب والصراخ وتوجيه اللوم لكل من يحيط بنا».

أمعن النظر في الغريمين حتى اتخذا مقعديهما وعم الهدوء في القاعة. فأعاد نظره للشاشة المضيئة والمعلومات الخطيرة التي تكشفها.

«ثلاث فرقاقات وثلاث وعشرون سفينة استطلاع، وسفيتتان علميتان، و... المدمرة «الديسق».. ناهيك عن عدد غير محدد من السفن التجارية والخاصة. هذه هي الأرقام دون ذكر أسماء وألوان وانتماءات. ولا أريد أن أسمع لوفًا أو تجريخًا الآن. أريد أن أعرف كيف يمكن أن نخسر هذا كله ولا ينتبه أحد إلى ارتباط هذه الأحداث ببعضها البعض؟»

«إنه الخمول يا سيدي الكريم».

التفت دوجين لصديقه القديم وعقد حاجبيه: «الخمول يا فينو؟ هل هذا هو تفسيرك المهني لما حدث؟»

ابتسم له الأميرال ونهض من كرسيه ليستدير ويواجه زملاءه واحدًا واحدًا: «بماذا تفسرون الأرقام إذن؟ إن خسارة فرقاقة واحدة تعتبر مؤشرًا خطيرًا في وقت السلم.. ومع ذلك، فقد فقدنا ثلاث فرقاقات ولم ترتفع أية إنذارات من القيادة العليا..»

«أعتقد أنني تطرقت منذ لحظات إلى البعد عن اللوم والتجريح..».

«لست ألوم أحدًا، ولكن بينما يعمل فريق منا على إيجاد العدو المسئول عن هذه الهجمات، يجب أن يوجد فريق آخر لينظر في أمر أنظمتنا البالية التي تسببت في إغفال هذه العلاقة بين الحوادث. نحن نواجه عدوين يا سادة. وأحدهما يسمى البيروقراطية!».

ارتفعت الهمهمة بين الحضور، وهز البعض رأسه موافقة على ما قاله الأميرال. رمقه دوجين بنظرة عتاب، ولكن علاقته القريبة بزميله جعلته يقدر ما قاله فينو ويفهم أن المقصود من كلامه ليس التجريح أو اللوم أو إيجاد الأعذار، بل هو لمصلحة الاتحاد أولًا وأخيرًا.

«حسنًا حسنًا، أعرف ما تعنيه تمامًا، وأعدك بأن أجري التحقيق في هذه التجاوزات.. ولكن الأميرال فينو سليفني لم يخلق لمحاربة البيروقراطية، أليس كذلك يا صديقي العزيز؟».

ابتسم فينو ابتسامة من فهم المغزى، وأومأ برأسه: «إنن تريدني أن أسحب سفيتتي إلى الربعية جنان وأتحقق بنفسي من هذه الأحداث المريبة؟»

«هذه فكرة ممتازة يا سيادة الأميرال!».

«بكل سرور يا سيادة القائد الأعلى!».

حصريا على روايات وكتب عربية وعالمية
<https://t.me/riwayat2025>



كراسوتكا

الكوكب: تيرا

الربعية : ناندونغ

القطاع:

الفئة : صناعي - عسكري

المدينة : كراسوتكا

فتحت عينيها .. فصددها مقدار الضوء الذي يملأ الغرفة، فأغضت عينيها بسرعة.. ثم عادت ففتحتهما بحرص أكبر. أين هي؟ ولماذا غرقتها مضاءة هكذا؟ هل نسيت الأضواء تعمل طوال الليل؟ تحركت في مكانها وقلبت عينيها في الغرفة، وتذكرت أنها في غرفة نوم الضيوف في منزل روهاني على كوكب تيرا 8! كانت الغرفة أكبر من أي غرفة عرفتها أجوان خلال الأشهر الماضية، إذ كانت تحوي سريزا يكفي لشخصين، ودولاب ملابس ضخما، وطاولة وكريسين وأرفقا جميلة .. ونافذتين كبيرتين تغطيهما الستائر التي لم تغلقها أجوان بعناية في الليلة الماضية، فتسللت للغرفة أشعة الشمس الوضاء لتصنع خطوطا ساطعة عريضة على أرضية الغرفة. لم تنهض أجوان من السرير بل حدقت في سقف الغرفة وهي تتنفس بعمق. هواء طبيعي.. منذ متى لم تتنفس الهواء الطبيعي؟! منذ أشهر، أي منذ أن فرت من كوكبها الهالك. أخذت نفسا آخر.. إن رائحة الأغذية والمخدرات لطيفة ولم تسبب لها الضيق أثناء النوم. فالروائح النفاذة، وخاصة الصناعية منها تضايقها وتسبب لها ضيقا في التنفس. والشمس!!! آه ما أجمل الشمس ونقاوتها وانعكاسها على كل سطح يحيط بها.

دار في ذهنها شريط أحداث الأمس، حين استقبلتهم عند البوابة سيمي، شقيقة روهاني الصغيرة. وما إن وقعت عينا روهاني على أختها حتى زعقت واندفعت تجاهها وذراعاها في الهواء، وارتمت الأختان في أحضان بعضهما. جمدت أجوان في مكانها وهي تراقب المشهد بانغماس كامل، وتقاوم دموع الوله والحب. وبعد أن انتهت الأختان من القبلات والكلام الذي ينهمر أمطارا، التفتت سيمي إلى أجوان وعلى وجهها ابتسامة عريضة وعيناها تلمعان من الدمع والفرحة: «وهذه أجوان بالطبع!».

لم تدرك أجوان ما فعلته إلا بعد أن وجدت نفسها تحضن سيمي وتقبل خديها بشوق وتمسح على رأسها، وعندما نظرت إلى وجه سيمي ورأت الدهشة البالغة منها، توقفت عن هذا كله، وطال الاحمرار وجهها حتى بلغ منبت شعرها. فأنزلت ذراعيها وخفضت رأسها في إحراج بالغ قلما شعرت به من قبل. ما الذي جرى؟ إنها لا تعرف الفتاة ولم تعرف عنها سوى القليل الذي ذكرته لها روهاني. ثم إنها لم تتشوق لرؤيتها أو تشعر بأي شيء نحوها. ما الذي يجعلها تتصرف هكذا؟ شيء محرج جدًا لا بد أن الفتاة تعتقد أنها مجنونة تمامًا وستتجنبها في المستقبل.

وحتى روهاني كانت مندهشة من تصرف أجوان، ولكنها غطت دهشتها بطريقتها الدبلوماسية اللطيفة: «أنا محظوظة جدًا، إذ إن أعز فتاتين على قلبي قد التقنا أخيرًا واستلطنا بعضهما البعض. ولكن أين والدي؟»

«اممم! أرادني أن أبلغك أسفه يا روني! فقد تم استدعاؤه منذ ثلاثة أيام لاجتماع هام جدًا في القيادة العليا في كوكب جونكسين. تضايق كثيرًا لأنه لن يستقبلك، ولكنه أكد لي أنه عائد بأسرع وقت ممكن حتى يقضي معنا بضعة أيام».

تغير وجه روهاني للحظة وبدا عليها القلق، ولكنها تماكنت نفسها بسرعة، ولولا قدرة أجوان على التقاط هذه المشاعر لاعتقدت أن الأمر غير هام. تحركت روهاني لتتوسط الفتاتين ووضعت ذراعا على كتف أجوان والأخرى على كتف سيمي، ووجهتهما نحو المخرج وهي تشرح لأجوان ما تراه في قاعة الاستقبال، بينما تبعهن الحامل الأوتوماتي للأمتعة.

ذاك التيار المندفِع من المشاعر قد أخرجها الباردة. فقد أدركت بعد فوات الأوان، أن عواطف روهاني لرؤية أختها شملتها أيضًا فجعلتها تتصرف بتلك الطريقة المخرجة جدًا. ألا توجد طريقة للسيطرة على هذه الموهبة اللعينة؟ هل عليها أن تعيش مشاعر كل من حولها، حتى باتت لا تعرف الفرق بينها وبين مشاعرها الخاصة بها؟!

تناهت لمسمعها الحساس جدًا أصوات، فأزاحت البطانية من فوقها وقعدت في السرير وتمطت قليلًا. وفي دقائق قصيرة انتهت من طقوسها الصباحية من غسل وتمشيط شعر وتبديل ملابس، وفتحت باب غرفتها بهدوء ودلفت منه إلى الممر المؤدي إلى باقي الغرف. إنه منزل كبير جدًا، لم تعهد أجوان بيوثًا بهذا الحجم. ففي مدينتها كانت مساكنهم صغيرة وعملية، نظرًا لضيق المساحات في المدن الفارقة المكتظة بالسكان. حتى منزلهم - وهو منزل الماندان، أكبر منصب في المدينة - كان لا يتميز كثيرًا عن باقي المنازل. وعلى السطح لم تكن المساحات اليابسة تسمح بمنازل واسعة، بل كانت دائمًا عبارة عن وحدات سكنية متراسة فوق بعضها البعض في مبانٍ عالية تكتظ بالسكان. وبالطبع في المحطة الوضع كان أسوأ بكثير، فكل شبر من المحطة كان مستغلًا، ولذلك فلم يكن هناك مجال للرفاهية والاتساع، حتى كانت غرف النوم والمكاتب أشبه بالخزانات.

عندما أنزلتهم مركبتهم أمام البيت في ضوء المساء الخافت، أدركت أجوان أنها تقف أمام منزل شخص هام وثرٍ في الوقت ذاته. فرغم عدم اتضاح معالم المنزل في عتمة

المساء فإنها لاحظت اتساعه وترامي أطرافه والحدائق المحيطة به. والآن - وهي تمشي بهدوء في الممر الطويل - مرت بنافذة واسعة تطل على الحديقة الخلفية، فشهمت ووضعت يداً على فمها وبذا على صدرها. أول ما سرق أنفاسها ضوء الشمس الباهر في هذا الصباح الرائع، فقد فرشت الأشعة كل بوصة من ذلك المنظر الساحر، وأظهرت كل تفاصيله الدقيقة. السماء زرقاء وتخللها بعض الغيوم البيضاء المائلة للون الرمادي الفاتح الذي يعطي وعذا بمطر بديع في المستقبل القريب. وهنا تحت نافذتها انتشرت كل أطراف مدينة كراسوتكا بحدائقها ومبانيها ومنازلها وهضابها وسهولها وممراتها المائية وجسورها العظيمة.

انتقلت عينا أجوان من منطقة لمنطقة ومن تشكّل طبيعي إلى المباني التي من صنع البشر. إنه منظر لن تستطيع أن تستوعبه في نظرة واحدة. فبعد الحديقة الخضراء الباهية المحيطة بالمنزل تتدرج المنازل الأخرى منخفضة على هضبة تمتد لعدة أميال. وكل المنازل تغطيها سقوف نصف دائرية صنعت من أحجار طينية برتقالية اللون. لا بد أنها منازل جميلة وواسعة تماماً مثل هذا المنزل الذي تقف فيه مشدوّهة، ولا بد أن سكان هذه المنازل لا يشبعون من هذا المنظر الخلاب. وحيث تنتهي الهضبة والمنازل تبدأ منطقة سهلية ضيقة تتخللها ممرات مائية متشعبة كشرايين تغذي كل ما يحيط بها. وتراءت لها مباني ضخمة واسعة تغطيها قباب عظيمة الصنع والدقة. فحتى من هذه المسافة تستطيع أن ترى القطع الصغيرة المكونة للقباب بألوانها الخضراء اللامعة. ترى هل هي مباني مقدسة أم مقرات رسمية؟ وهل ستتوافر لها فرصة لرؤيتها عن قرب؟ عليها أن تسأل روهاني.

عندما تمنع النظر تدرك كثرة الممرات المائية في تلك الناحية. أشرطة زرقاء تسطع عليها أشعة الشمس فتنعكس مرآة تنشر ضوء الشمس مضاعفاً في كل اتجاه. قد تكون تلك الأشكال الغامقة سفناً بحرية كالتي يستخدمها الأوكامو على كوكبها، ولكنها غير متأكدة من هذا البعد. وعادت لتنظر للحديقة المحيطة بالمنزل، لتلاحظ العناية الكبيرة التي تتمتع بها هذه الرقعة من الأشجار الخضراء. الأرض تغطيها نباتات صغيرة جداً، عرفت أجوان اسمها من حديقة المحطة، أعشاب لونها أخضر مائل للصفرة، ولا بد أنها في رقعة مثيلها من الأعشاب في المحطة. أما باقي الحديقة فتنتشر فيها كراسي جميلة من مادة صلبة باهتة اللون، تظللها أشجار مختلفة الأطوال والأشكال. لا تشبه هذه الأشجار تلك التي عهدتها في المحطة. فهي طويلة ومتناسقة ومدببة في الشكل بحيث تنتهي في قممها في رأس مثلث. وحتى أوراقها غريبة الشكل فهي مثل الإبر ولونها أزرق مخضر. وتبرز على بعض الأغصان تكتلات صغيرة بيضاء اللون تبدو كالقمماش.

سمعتها الحساس جلب لها صوت رجل في نهاية الممر، فجمدت في مكانها. من في المنزل غير روهاني وسيمي؟ والدها غائب كما أكدت لهما سيمي، ولن يعود قبل أيام. هل عاد خاطفوها ليكملوا ما بدؤوه؟ ماذا عليها أن تفعل الآن؟ لقد فكرت مراراً فيما كان يمكن أن تقوم به في ذلك اليوم المشنوم عندما التقت بسليقور. تخيلت لو أنها فرت منه على الفور، لو صرخت طالبة النجدة. تخيلت أنها تضربه بحركة دفاع علماً إياها مدبرها برايود. منذ ألف عام مضت! حتى ولو كانت حاملاً وثقيلة الحركة، فلا بد أنها كانت

قادرة على المقاومة. ولكنها لم تقاوم، بل وقفت في مكانها كالبلهاء وتركته يصعقها بسلاحه. لن يحدث هذا اليوم.

هفت بالركض نحو غرفتها في الاتجاه المعاكس ولكنها سمعت روهاني تتكلم بهدوء وصوتها خال من الانزعاج أو الخوف. ترددت للحظة، ثم سيطرت على رعبها بتمتمة قصيرة من الابتهاال، وعندما عادت دقات قلبها لسرعتها الطبيعية، تتبعت الأصوات، حتى بلغت باب المطبخ المفتوح. أطلت برأسها داخل المطبخ بحركة بطيئة، فوجدت روهاني تجلس على كرسي عند طاولة الطعام وقد أدارت ظهرها للباب. وفي الناحية المقابلة يجلس رجل وسيم يرتدي بدلة رسمية تشبه ملابس طاقم العمل في المحطة الفضائية، ولكن تختلف عنها في الوقت ذاته.. وكان الرجل الغريب يحتسي كوب شراب ساخن. انتبه الزائر لأجوان وخفض الكوب وهو ينظر لروهاني نظرة ذات مغزى. استدارت روهاني بجسدها فראت أجوان وابتسمت لها وأشارت لها بالدخول:

«صباح الخير عزيزتي، لم أسمعك وأنت تدخلين! هل كانت ليلتك مريحة؟».

لم تعرف أجوان كيف تجيب إذ استغربت وجود الرجل في المطبخ في تلك الساعة المبكرة. وحتفًا هو ليس والد روهاني إذ يبدو مقاربًا لسن صديقتها. انسلت إلى الداخل بهدوء وعيناها مثبتتان على الضيف، ووقفت بعيدًا عنهما وأسندت ظهرها للحائط.

«نعم، كنت متعبة وكان السرير ناعمًا».

استمرت في مراقبة الضيف الذي عاد يحتسي شرابه وعلى وجهه ابتسامة خفيفة. بدا شخصًا لطيفًا، ومن الواضح أنه قريب من روهاني إذ يبدو من تصرفاته أنه لا يحتاج أن يكون رسميًا معها رغم ملابسه الرسمية. كما أنها متأكدة من أن هناك مشاعر وُد بينهما، وهو ما يجعل عينيها متعلقتين بوجهه. ولا بد أن روهاني لاحظت كل الأسئلة في عينيها، فقالت:

«أجوان، أقدم لك الرائد أودن بولكوفو».

لمعت عينا أجوان وابتسمت ابتسامة عريضة وأسرعت نحو الطاولة وجلست على الكرسي المجاور لروهاني.

«كان لدي إحساس أنه زوجك».

تغير وجه روهاني، وضحك الرائد ضحكة خفيفة قبل أن تحدجه روهاني بنظرة حنق ثم تنظر لأجوان ببعض الضيق: «لسنا متزوجين. إننا صديقان الآن».

احمر وجه أجوان لتلك الغلطة السخيفة، إذ بالطبع هي تعرف مسبقًا أنهما منفصلان مع بقاء علاقتهما الودية. ولكن تحمسها للقاءه أخيرًا أنساها حدود الأدب واللباقة. تمامًا كما كانت تفعل مع والدها في العديد من المواقف، وكان دائمًا يتضايق من تصرفاتها وتجاهلها لكل ما كانت تتعلمه بشكل يومي في دروس البروتوكول. أن تتعلم شيئًا أبدًا! لم تعد تلك الفتاة الطائشة التي تتكلم أولاً وتفكر لاحقًا، ولكنها ما زالت ترتكب الأخطاء ذاتها!! أخذت على نفسها عهدًا ألا تتحدث دون تفكير بعد اليوم!

«سمع أودن بعودتي، فقرر زيارتي قبل أن يعود لمنزله في نهاية مناوبته الليلية. ولهذا

فهو هنا في هذه الساعة المبكرة».

تفحصته أجوان بعيني فتاة شابة لا تملك خبرة كافية في الحكم على الشخصيات. إنه وسيم حقًا، ويملك جسدًا رياضيًا رغم أنها تعرف أنه ليس من القوات المقاتلة، فهو من الإداريين في القوات المسلحة. مما يعني أنه يعتني جيدًا بلباقته. أو ربما جيناته تساعد على ذلك. عندما يدير رأسه للجهة الأخرى وهو يحدث روهاني تبرز صغيرة صغيرة جدًا مندسة في شعره الطويل الكثيف. هل هي لمسة شخصية تقليدًا لموضة؟ أم هي علامة على شيء في ثقافتهم؟ ستسأل روهاني عنها لاحقًا. عيناه سوداوان، وهو ما يجذب أجوان لهما طوال الوقت، فاللون الأسود نادر لدى الهافيك، بينما تتميز عيون معظم الأوكامو بأطياف الرمادي والبني. هل يرى الأشياء بنفس الطريقة التي تراها بها بعينها الفيروزييتين؟ سؤال سخيف! بالطبع اللون لا يؤثر في الرؤية! أنفه القوي يتفوق عليه فقط ذقنه القوي المربع، إنه ذقن رجل قوي المسيطر على الأمور - أو هذا الانطباع الذي يوحي به على الأقل.

سألته: «هل تسكن قريبًا من هنا في هذه المنطقة الجميلة؟».

ابتسم أودن ابتسامة ساخرة، ونظر لروهاني نظرة شقية وأجاب: «في الحقيقة أنا أسكن في الجانب الآخر من الجسر، وهو مكان قريب من مقر عملي. ولكن، من يسمع بعودة روهاني ولا يخوض كل الصعاب لرؤيتها؟! هذا حقًا إنسان مغرور ومجنون! أليس كذلك يا روهاني؟!».

احمر وجه روهاني وأشاحت بوجهها ونهضت من مكانها في محاولة لتغيير الموضوع: «أجوان، هل تودين أن تتذوقي فطورًا كراسوتكيًا تقليديًا؟ سأغير بعض المقادير لتناسب مع هضمك. وأنت يا أودن، هل ستعود لمنزلك الآن؟».

لم تجب أجوان على سؤالها مباشرة، إذ كانت تشغلها مشاعر أودن وهو ينظر لظهر رأس روهاني وقد بدت في عينيه لمحة حزن وندم.. فسبقها في الإجابة على سؤال روهاني.

«لقد غيرت رأيي.. نعم سأبقى وأتناول الفطور معكما إن لم يكن لديك مانع يا روهاني».

تغيرت وقفة روهاني وزفرت بصوت خافت لم تلتقطه سوى أذني أجوان الحساستين، ثم انخفض كتفها في حركة استسلام وبدأت تعمل بسرعة في تحضير الفطور. ومع ذلك استمرت في الحديث: «أودن، أخبر أجوان عن الأحداث التي أخبرتني بها منذ دقائق».

فوجئ أودن بطلبها، ولكنه أخفى دهشته باحتساء شرابه مجددًا. وبعد نظرة سريعة لظهر روهاني ثانية، قال: «أحم.. نعم.. هناك الكثير من التقارير التي تصلنا من الربعية جنان القطاع 66، فقد زاد عدد السفن التجارية التي فقدت، كما أن.. أممم.. هناك بعض التقارير عن خسائر عسكرية».

اتسعت عينا أجوان وسألته بسرعة قبل أن يسترسل في الحديث: «ومن يقوم بهذا كله؟ هل هناك جهة مسئولة؟ ومن سيعاقبهم؟ الاتحاد الفضائي؟».

نظر لها أودن بحذر مستتر، لكنها أحست به رغم ذلك، وأجاب بطريقة ديبلوماسية ملتوية بعض الشيء: «هناك مؤشرات تعطينا بعض المعلومات عن المجرمين الذين يرتكبون هذه الجرائم، وسوف يتم القبض عليهم ومعاقبتهم لا محالة. خاصة أن هناك العديد من الوفيات بين المدنيين، مما يعني أنها قرصنة، وكما تعلمين فإن القرصنة جريمة يعاقب عليها القانون بأقصى العقوبات، وقد تصل في معظم الأحيان للإعدام».

سكنت حركة أجوان تمامًا، وعيناها متسعتان ومثبتتان على وجه الرائد. توقفت روهاني عما كانت تقوم به عندما لاحظت الهدوء الكامل وراءها، فالتفتت لترى ما حدث، ولاحظت رد فعل أجوان. ونظرت بحق لأودن ولسان حالها يقول: ماذا فعلت بالفتاة؟ «أجوان؟ هل أزعجك شيء ما؟».

نظرت لها أجوان وبدا عليها التردد للحظة ثم سألت: «ماذا تعني كلمة قرصنة؟ وهل تقصدون بالإعدام.. القتل؟».

أجابتها روهاني بسرعة قبل أن يفتح أودن فمه ويتفوه بشيء أحرق: «القرصنة هي أن يعتدي بالسلاح شخص أو أكثر على مجموعة أخرى في الفضاء (أو في البحر) ويتسبب في أضرار أو قتل، وبالطبع بغرض السرقة أو الاحتجاز أو الإرهاب... ولذلك فإن العقوبة تكون قاسية جدًا».

«الموت؟ أنتم تقتلون من يخطئ؟».

«لا نقتل من يخطئ خطأ بسيطًا، أو حتى من يقتل بالضرورة.. ولكن يجب أن تفهمي أن القرصنة جريمة شنيعة يقوم بها المجرم مع سبق الإصرار والترصد، وهو بذلك يزعزع الأمن والاستقرار ويروِّع المسافرين، وتكون النتيجة الموت والتشويه والحرمان. لذلك فالعقوبة الوحيدة يجب أن تكون من جنس العمل.. القتل».

فكرت أجوان فيما قالته روهاني.. ورغم صعوبة تقبل أمر كهذا بالنسبة لها، حيث لم يعد القتل عقابًا مقبولًا على كوكبها منذ مئات السنين، وهو ما تعتبره مؤشرًا على تحضر شعبها.. رغم هذا كله، فإنها حاولت أن تتفهم الوضع من منظور أودن وروهاني، خاصة وهي تجلس بجانبهما وتحس بحاجتهما لتبرير هذا الوضع لها. لذا لم تعترض ولم تبد رأيًا آخر واحتفظت برأيها لنفسها في الوقت الحالي على الأقل.

راقبها أودن بنفس طريقتة منذ أن دخلت المطبخ.. مزيج من الفضول واللفظ مع القليل من انشغال الذهن بأمور أخرى أكثر أهمية منها. ولم تتمالك نفسها فباغتته بالسؤال: «هل أخبرتك روهاني عن مشكلتي؟».

راقبت وجهه، وفي نفس الوقت لاحظت سكون حركة روهاني عند الموقد. أومأ أودن برأسه بمعرفته بما حصل: «نعم.. أرجو ألا تتضايقي، فقد كانت تطلب مني أن أساعدها في حل المشكلة. وفي الحقيقة، أنا مستعد تمامًا لمعاونتكما في بحثكما. ولكن في الوقت ذاته أريدك أن تدركي أن الفضاء مساحته كبيرة جدًا، وأن البحث بين الكواكب والسفن قد يستغرق أشهرًا طويلة... وربما... أعوامًا».

قال الكلمة الأخيرة بصوت منخفض متردد، وهو يصدر موجات الحزن والأسف!

احتبست الأنفاس في صدرها، وأحكم الإحباط والحسرة بقبضة قوية على قلبها، فخفضت رأسها لتنظر لسطح الطاولة أمامها. أعوام؟! وأحست بالدمع يتجمع بين جفنيها ويملا عينيهما، ثم يتحول إلى قطرات سميكة تتساقط على سطح الطاولة فتصدر صوتًا مكبوتًا.

وقفت روهاني وراء كرسيها ووضعت يدها على كتفها وضغطت برفق عليه كإشارة بوجودها ودعائها المتواصل لها: «لن نتوقف عن البحث. هذا وعد مني لك، وسأكون بجانبك مهما طالت هذه الرحلة.»

«أودن!! أنت هنا؟!»

دخلت سيمي المطبخ بسرعة ورمت بحقيبة عريضة على سطح الطاولة، ووضعت ذراعيها حول الرائد وهو يحاول أن يقف لتحتيتها، وقبلته قبله عنيقة على خده وهي تضحك، في الوقت ذاته الذي حاولت فيه أن تبدو غاضبة: «أطلب منك زيارة كل مرة نتحدث فيها، وفي كل مرة تتحجج بهذا العمل وتلك المناوبة، وما إن سمعت بعودة روهاني حتى هرعت إلى هنا في ساعات الصباح الباكر! ها!!!».

إنها فتاة مرحة.. وحتى عندما لا تكون باسمه، تبدو وكأنها تبتسم. شعرها الأشقر مرفوع في ربطة معقدة تثبتها قطعة مدببة غريبة اللون والشكل، مما أضاف بعدًا جديدًا إلى جمال وجهها. العينان والأنف هما عينا وأنف روهاني، أما الفم فيختلف عنها تمامًا، فالشفتان ممتلئتان والخدان مازالا يحملان بعض استدارة الطفولة. ربما كانت روهاني هكذا في صغرها. التفتت سيمي بوجه ضاحك فوقع نظرها على روهاني ثم على وجه أجوان المحطم. فاختفت الضحكة من على شفاهها وأدارت عينيهما بين كل من في المطبخ: «ماذا حدث؟ هل جرى شيء لأبي؟!».

تنهدت روهاني ببعض المبالغة وقالت: «أووف! لا يا سيمي!! أبي بخير.. وكالعادة توقيتك سيي. اجلسي وساعد لك الفطور.»

«لا أريد فطورًا.. أنا أفطر في الأكاديمية التقنية دائمًا..».

قلبت نظرها بين المجموعة.. ثم بدت غير مهتمة بتفاصيل ما يحدث في المطبخ، فهو أمر لا يعينها مطلقًا، وبسرعة حزمت أمرها بالرحيل، فالتقطت حقيبتها ولمست ذراع أودن بحركة أخوية: «سأتأخر إن لم أخرج الآن.. أراكم جميعًا في المساء.. أجوان غدا سنأخذك للحي الأرجواني. حسنا؟ إلى اللقاء جميعًا!!».

وخرجت من المطبخ تمامًا كما دخلت، بسرعة فائقة وبصوت عال.

أدار أودن رأسه لروهاني وقال في نفس اللحظة التي تكلمت فيها روهاني، فجاء صوتهما متزامنًا: «الإعصار سيمي!» وضحك الاثنان ضحكة مألوفة لبعضهما، فابتسمت أجوان رغما عنها.

نحو الأفق

الكوكب: جونكسن

المدينة: جويزي

أسند هالولاني كوعه على درابزين السلم المؤدي لمحطة القطار، ولكن سرعان ما سحب ذراعه للبرودة البالغة للثلج الذي يغطي الدرابزين. تمللم في وقفته، فعاود الذهاب والإياب كما كان يفعل منذ ثوان قبل أن يتوقف ويحاول الاستناد إلى الدرابزين. أين بينداري؟ لماذا تأخر؟ لو كان قد اتصل على الأقل ليخبره بتأخير في اللقاء؟ استوقفته الفكرة، وويخ نفسه لمجرد التفكير فيها. بالطبع لا يستطيع الرجل أن يتصل بي، فالتعقيم هو أول درس نتعلمه في هذه المهمات. لا نستخدم أية وسائل اتصال عامة ونحافظ على الطريقة القديمة في الاتصال. بالنسبة له، طريقة التواصل معه بسيطة جدًا: بطاقة بلاستيك تغطيها مادة إعلامية عن منتج وهمي، توضع في إصيص النباتات عند باب مسكنه الصغير. بالطبع النباتات تموت ويستبدلها بشكل دوري، فليست النباتات من اهتماماته، ولكنها هامة من أجل وسيلة الاتصال المعهودة.

في صباح هذا اليوم، خرج من مسكنه وهو يرتدي معطفه الثقيل، ونظر إلى الإصيص أيضًا كعادته كل يوم، فوجد البطاقة فيه. وها هو يقف في المكان المتعارف عليه، في الساعة المتعارف عليها، ولكن بينداري تأخر نصف ساعة، وهو ما لم يألفه منه. علت وجهه النحيب تكشيرة أضافت لسنه عشرة أعوام، وهو من يشكو دائفاً من أن مظهره يعطي انطباعاً بأنه أكبر من سنه، خاصة وقد بدأ الصلع المبكر يغطي مساحات من رأسه. استدار ليعود لرأس السلم فأوشك أن يصطدم بينداري. رمقا بعضهما للحظة واعتذرا لبعضهما البعض كما يفعل المارة عندما يصطدمون مصادفة، ثم اتجها نحو المحطة دون أن يتحادثا أو يشيرا بأي طريقة لمعرفة السابعة السابقة. من الضروري جدًا ألا يشعر أحد بأن هذا لقاء متفق عليه وأنهما يتعارفان. فالسرية الكاملة هي سر نجاح كل المهمات حتى الآن. حرص هالولاني أن يبقى على مسافة شخصين من بينداري، وتبعه إلى بوابة الدخول. وأخرج بطاقة المواصلات ومررها على الماسح، ثم أكمل طريقه عبر البوابة بسلسلة معتادة. لحسن حظهما كان القطار التالي على وشك التوقف عند منصة الركاب.

لم يكن من المهم وجهة القطار، فليس لهما وجهة محددة، فالقطار طريقتهما للتحدث دون مراقبة، والجلوس فيه يسمح برؤية كل من حولهما ومعرفة إن كانا تحت المراقبة. انفتحت جميع الأبواب فدفد بينداري لداخل القطار وتبعه هالولاني. لم تكن المقصورة مزدحمة في هذه الساعة، بل كانت تقريباً خالية إلا من 7 - 10 أشخاص. فجلس بينداري في زاوية فارغة تماماً، وتبعه هالولاني ليجلس في مقعد في الصف الذي يليه.

نظر بينداري عبر نافذة القطار وكأنه يفكر وحيداً، ولمح انعكاس صورته في النافذة. لم يكن راضياً تماماً عن شكله، فأنفه عريض، وعيناه متباعدتان، وجسده نحيل - ربما نتيجة لسنوات طويلة من الفقر والحرمان والقهر. وتمنى لو تمكن يوماً من إصلاح أسنانه المتبعثرة بعشوائية قبيحة حول فكه الأسفل. أغلق فمه، وبلغ ريقه، ثم تمتم: «السفينة (روهستوف - رقم التسجيل 826) ستغادر كوكب نارينغ صباح التاسع من هذا الشهر. حمولتها ثمينة جداً، ولا بد أن يتم اعتراضها والاستحواذ على حمولتها. فمخزون الطاقة الذي تحمله سيزود عدة سفن لمدة أسابيع، وهي من أولويات السيد المعلم».

أسند هالولاني جبهته على ظهر مقعد بينداري وكأنه يريح رأسه قليلاً، وسأل بصوت منخفض: «هل هناك قوة حامية للسفينة؟»

ارتسمت ابتسامة ساخرة على فم بينداري، وأضافت إلى شكله غير المريح، فلاحظته إحدى راكبات المقصورة، فقطبت جبينها، وعندما أحس بينداري بعينها عليه، حلق فيها بتحدٍ فأشاحت بعينها. هز رأسه في ضيق، وقال لهالولاني: «زورقان فقط. الدروع والذخيرة المعتادة. لا شيء يدعو للقلق. إنهم بلهاء، وتعودوا على الرفاهية لعقود طويلة، وأعمتهم عنجهيتهم عما يحدث حولهم».

«طيب. هل الشفرة الدفاعية معك؟»

قطب بينداري جبينه ضيقاً ولكنه لم يغير اتجاه رأسه قيد أنملة: «هل تظنني مبتدئاً؟ بالطبع أحمل معي الشفرة! ستجدها على المقعد عند نزولي».

تنحنح هالولاني حرجاً: «عفواً.. كان مجرد سؤال.. ماندو يبعث لك بسلامه. إنه يتطور في تدريباته بصورة جيدة».

أغمض بينداري عينيه في ارتياح، وخفق قلبه شوقاً لأخيه ولأسرته. «شكراً. أنا ذاهب الآن».

ودون أية كلمة أخرى أو إشارة إلى أنهما كانا يتحدثان، نهض بينداري بسرعة من مقعده واتجه نحو باب القطار الذي كانت تتباطأ سرعته تدريجياً، حتى توقف القطار وانفتحت الأبواب. خرج بينداري مسرعاً دون أن ينظر خلفه وانطلق بخطأ واثقة نحو المخرج.

نهض هالولاني من مقعده وجلس في المقعد الذي أخلاه بينداري منذ ثوان. تناول القرص الصغير من على المقعد وبهدوء وسرية كاملة فتح معطفه ثم أمسك بنهاية السترة الداخلية وكشف عن شق صغير وخفي فيها ودس القرص فيه. تحرك القطار مسرعاً نحو وجهته التالية، بينما حلق هالولاني نحو الأفق وهو يفكر في خطواته التالية.

جلست أجوان على العشب الأصفر في وسط المدينة، وقد غمرتها تجربتها الأولى في مدينة بشرية على كوكب جديد. أينما نظرت هناك ألوان جديدة وتفاصيل مذهشة، أناس كثيرون يجولون ويجرون ويجلسون في كل مكان. أصوات عالية من عشرات الأطفال تحيط بها وتدل على الابتهاج والحماس. البشر المحيطون بها يرتدون ملابس ثقيلة بعض الشيء، نظرًا لبرودة الطقس في هذا اليوم. كل لون يذكرها بكل ما تحت محيطات الهافيكي، ولكنه يختلف هنا فوق سطح الماء. حولت نظرها من الناس إلى النباتات. العشب الناعم الذي تجلس عليه، والأشجار المتوسطة الطول التي تفصل بين زحمة المدينة وضفاف النهر لتخلق بيئة منعزلة وأكثر هدوءًا. التجمعات الغريبة لبعض الأشجار التي تشكلت بأشكال هندسية.. استغربتها أجوان فسألت روهاني كيف يجعلون الشجر ينمو بهذه الأشكال فضحكت روهاني وأخبرتها بأنهم لا يستطيعون السيطرة على نموها ولكن هناك فريقًا من المتخصصين - أسمتهم بستانيين - يقلمونها بمقصات خاصة لتكوين الأشكال المناسبة. عجبًا، كيف يقطعون الأشجار الحية ولا يؤنبهم ضميرهم لإيذاء كائن حي؟

الجو البارد أرغمها هي أيضًا على التدثر بملابس ثقيلة أعارتها إياها سيمي مؤقتًا إلى أن يخرجوا في المساء ليتسوقوا ملابس جديدة لها شخصيًا. إنها لا تقوى على تحمل البرودة وتعيش دائمًا مع شعور البرد، منذ أن غادرت كوكبها الدافئ. ومع ذلك فالشمس لطيفة هنا، ولم تضطرها لارتداء نظارة شمسية لحماية عينيها الحساستين.

وهناك النهر الأزرق الغامق الكبير الذي يقسم المدينة إلى نصفين رئيسيين، بينما تقسم تفرعاته المدينة إلى أحياء متعددة الأشكال والأحجام. أخبرتها روهاني أن أسلافهم قرروا تسمية الأحياء بأسماء الألوان، وهي الآن في الحي الأرجواني. لا تدري لماذا تم اختيار هذا الاسم بالذات لهذا الحي، فهي لا ترى شيئًا مميزًا باللون الأرجواني، سوى اللوحات الإرشادية التي تنتشر بين الشوارع وكلها باللون الأرجواني. لا بأس به كنظام، فالنظام في مدينتها أبيليك يتبع الأرقام والحروف، وهو نظام خال من الإبداع، من وجهة نظرها على الأقل. عادت لتنظر للنهر الذي تمتد مياهه عدة كيلومترات أمامها، حتى بدت الضفة الثانية بعيدة جدًا فلا تثرى تفاصيل شوارعها والمركبات التي تنساب عبرها. ويقع على يسارها جسر عملاق يصل الضفة البعيدة بهذه الضفة. وهناك جسور أخرى غيره كما سمعت، ولكن هذا أكبرها وأعظمها تاريخًا واسفًا. لقد أطلق عليه اسم السفينة الاستيطانية الأولى «نوفغورود» التي جاءت بالسكان الأوائل لهذا الكوكب. تاريخ عريق عبر قرون طويلة، وما هي ترى آثاره محيطة بها. قيل لها إن النهر عذب المياه، ليس مالخًا كالبحار التي تعودت عليها. فتشوقت للنزول في مياهه وتجربتها، ولكن روهاني ترددت في السماح لها بذلك نظرًا لقوة التيار فيه.

مرت فوقها سحابة قاتمة فنظرت إلى الأعلى لتكتشف أنه سرب من الطيور السوداء بأجساد كبيرة ورعوس صفراء صغيرة، تصدر صيحات متحشجة وهي تحوم في دوائر فوق رعوس الناس. وبإشارة خفية تنفصل مجموعة في تشكيلة جميلة فتتجه صوب النهر وتسقط جميعها بحركة واحدة محدثة «طرطشة» عالية، ثم تعود المجموعة لتقفز في الهواء محملة بأسماك فضية في مناقيرها الصغيرة.

جلست سيمي بجانبها فجأة، ثم استلقت على جنبها وثبتت كوعها الأيمن على الأرض العشبية وأسندت رأسها على يدها. سمحت روهاني لسيمي أن تأخذ أجوان معها في هذه الرحلة القصيرة، بينما تنهي روهاني بعض أمورها. وهكذا أتت بها سيمي إلى هذا المتنزه الواسع على ضفاف النهر. زفرت سيمي بقوة ثم أخذت نفساً عميقاً.

«قولي لي يا أجوان، ما قصتك بالضبط؟»

فوجئت أجوان من السؤال الصريح، فلم تجب فوزاً، بل نظرت للنهر ثانية وهي تفكر في كيفية الإجابة عن السؤال.

لم تنتظر سيمي الإجابة بل شرعت في التعبير عما يدور في ذهنها:

«هل حقاً وقعت في حب رجل ليس من عرقك؟ هل تقبل والدك هذا الخيار؟ أم غضبا منك؟ هل كان عرسك جميلاً؟ وفي أي مدينة تمت مراسم العرس؟ في البحر أم على السطح؟ أوه ما أجمل أن يكون لي عرسان، عرس في مدينتي وعرس في مدينة عريس المستقبل! هاهاها!»

أدركت أجوان أن قصتها ليست محور هذا السؤال، فأرخت عضلات كتفها التي تشنجت إثر سماع أسئلة سيمي.. لطيفة وبريئة هذه الفتاة، وخالية تمامًا من الهموم، أو التفكير بهموم الدنيا. ربما نظرًا لصغر سنها.. ولكنني لا أكبرها بأكثر من 3 - 4 أعوام.. هل كنت خالية الذهن والهم مثلها في يوم من الأيام؟ قبل أن تسلبني الظروف كل ما أملك؟ قبل أن يذكرني القدر بأنني كنت واهمة عندما اعتقدت أن باستطاعتي السيطرة على مجرى حياتي. لا أحد يملك السيطرة على قدره، وكلنا واهمون! نظرت للبشر المحيطين بها، وشعرت بالرغبة بالوقوف بينهم والصراخ ملء رئتيها: أنتم واهمون!!!!!! لستم سوى سمكة صغيرة تسبح حرة طليقة تحت سطح الماء فيأتيها القدر من فوقها بين منقاري طير!!!! لا توجد خطة، لا يوجد مستقبل مهني، لا توجد خريطة طريق.. في لحظة يمكن أن ينتهي كل شيء.. ولكنها بقيت جالسة في مكانها، وبجانبها سيمي، تترثر دون توقف في الأمور الصغيرة اللطيفة التي تشغل الفتيات في سنها.

«وهذه أجوان، سيدي».

وقفت أجوان أمام الأميرال فينو سليفني وأحست كطالبة صغيرة تقف أمام مدير الأكاديمية تنتظر تقييمه لها بلهفة وخوف اليافعين. بالطبع هي صورة ليست بعيدة عن الحقيقة، فلا بد أن الأميرال في الستينيات من العمر وقد مر عليه آلاف المجندين والأشخاص الذين تعرضوا لتقييم كامل منه، فمنهم من حاز رضاه ومنهم من لم يحظ بذلك الشرف. وما لا تستطيع أجوان إنكاره هو أنها بحاجة ماسة لرضا الأميرال عليها في هذه اللحظة. فماذا يمكن أن يحدث لو لم يرض عنها بعد أن تعلق بابتها الكبيرة وأصبحت صديقة لابنته الصغيرة؟!

نهض الأميرال من على كرسيه الذي تم وضعه في وسط الحديقة تحت أشعة الشمس الدافئة. ودار حول الطاولة المنخفضة والكراسي المحيطة بها ومد يده لأجوان وعلى ملامحه ابتسامة مهذبة. مدت أجوان يدها لمصافحته على طريقة البشر، تمامًا كما

«أجوان.. يسعدني وجودك هنا معنا.. لقد أخبرتني روهاني عن الأخت الجديدة التي عثرت عليها في الفضاء.. وأثار هذا فضولي؛ لأنه ليس من عادة ابنتي الكبرى أن تأتي بزوار من محطاتها».

إنه رجل صريح ولا يلف ويدور عند التعبير عن مشاعره - تمامًا مثل والدها. لم تشعر بأية أحاسيس سلبية صادرة منه، مجرد الفضول الذي تحدث عنه، وبعض الشفقة على حالها. كما أحست تحت هذا كله بطبقات من القلق والتفكير العميق، ولكن لم تشعر أن لهذا علاقة بها شخصيًا. إنه رجل ذو منصب هام في القوات المسلحة، ولا بد أن ذهنه مشغول في كل دقيقة من يومه. شعره الذهبي كان قصيرًا جدًا تمامًا بنفس طول شعر رجال محطة الظافر. وجهه العريض يغطيه الشعر القصير جدًا على الذقن والرقبة، ولكن لا توجد سوى مسحة داكنة فوق شفته العليا. راقبتها عيناه الواسعتان الرماديتان بحنكة وثبات. واستمر في الإمساك بيدها في قبضتين هائلتين اختفت يدها النحيلة بينهما كيد طفلة صغيرة. تشكل لديها شعور بأنه اختبار لها، ليس الاختبار الذي كانت تتوقعه بالضبط، ولكنه يملك كل مقومات الاختبار - وهذا ما كشفته لها مشاعره أيضًا. ربما يسأل نفسه: هل هذه فتاة تستحق كل هذه الحفاوة والاهتمام؟

ارتسمت ابتسامة عريضة وودود على شفتيه، كأنه قد اكتشف شيئًا أرضاه أخيرًا. فربت على يدها بيد كبيرة حانية، وسحبها وهو يعود لكرسيه، وبإيماءة من رأسه فهمت أنه يريد لها أن تجلس على الكرسي المجاور له. نظرت لروهاني بحثًا عن رأي يعينها في هذا القرار، فهل يليق أن تجلس بجانبه تمامًا بينما تبقى روهاني واقفة. وجدت روهاني ما زالت تقف في مكانها حيث قامت بتقديمها، وقد بدت على وجهها علامات الرضا والارتياح وبعض من العرفان أيضًا. أومأت روهاني لها بالجلوس كما أمرها الأميرال، فجلست بحركة تلقائية، ولكنها لم تسند ظهرها لظهر الكرسي، بل جلست بظهر منتصب كما تعلمت في دروس البروتوكول في آميتيرا.

«ماذا رأيت حتى الآن من مدينتنا العظيمة يا أجوان؟».

أمسكت أجوان بكُم بلوزتها الأيسر وشدته ليغطي معصمها البارد، وهي تعتدل في جلستها. أعجبها كثيرًا ملمس البلوزة الدافئة عندما وضعتها سيمي في يدها أثناء رحلة التسوق الطويلة التي قضتها معها. لم يكن هذا حال كل ملابسها على متن المحطة، ولذلك فلم تهتم كثيرًا بلون البلوزة الرمادي الكئيب، وكل هقها كان منصبًا على إيجاد ملابس مريحة لا تسبب لها الحكة والحساسية والضييق. رفعت رأسها وابتسمت للأميرال وردت على سؤاله اللطيف:

«إنها مدينة كبيرة جدًا، تنتشر على مسافات واسعة، ليست كمدينتنا. ولكنني رأيت أطرافها المترامية من خلال نوافذ منزلكم الجميل. وأخذتني سيمي لضفة النهر في الحي الأرجواني. كلما رأيت شيئًا جديدًا أدركت أنني لم أر شيئًا بعد، وأن الجمال في هذه المدينة يأخذ أشكالاً وأبعادًا كثيرة».

تظاهر الأميرال بالدشأة العظيمة: «سيمي أخذتك للمتنزه؟ غريبة! كنت أتوقع منها أن

تهرع بك لأقرب مركز تسوق لقضاء أحلى مغامرة من مغامراتها العديدة التي تكلفني الكثير الكثير».

ضحكت روهاني وهي تأخذ مكانها على جانبه الآخر، وقالت: «لا تخف يا أبي، لم تتغير ابنتك ولم تنس دورها الأول والأخير كأكبر المبشرين لأموالك، بل سحبت أجوان وراءها منذ ليلتين لشراء ملابس دافئة لها. بالطبع أجوان لم تكن متعودة على كل النوعيات التي رأتها، ولكنها اختارت كمية متواضعة جدًا من الملابس، فحطمت قلب سيمي التي كانت تعتقد أنها ستشتري ملابس تكفي جيوشًا جرارة!».

غرق الاثنان في الضحك، وكان من الواضح أنها دعابة مألوفة في هذه الأسرة اللطيفة. امتلأ قلب أجوان بالراحة والدفء الذي يغمر قلبي روهاني ووالدها وهذا المنزل بأكمله. قد يكون القدر سلبها أسرتها ووضعها في مأزق مريع وظروف مشوشة، إلا أنه أيضًا وضع في طريقها هذه الأسرة الطيبة القلب.. نعم، لقد ابتسم لها الحظ أخيرًا، وهو ما لا يمكن أن تنكره من الآن فصاعدًا.

تجاذبوا الحديث حول الطقس في هذا الوقت من العام، وأفضل الأماكن التي يزورها الناس في هذا الموسم، وعن إعداد جدول زيارة لأجوان لكي تطلع على معالم كراسوتكا والأرياف المحيطة بها. ولكن مع الوقت اتضح أن الموضوع الذي يشغل ذهن الأميرال لم يعد يحتمل التأجيل، حتى بوجود أجوان التي لا تنتمي للقوات المسلحة. وهكذا انقلب النقاش إلى الأحداث الأخيرة التي دقت ناقوس الخطر لدى القيادة العليا. لم تجرؤ أجوان على إصدار صوت أو حركة أو حتى على التنفس أثناء الحديث بين روهاني ووالدها، فقد أيقنت أن نسيانهم لوجودها سيسمح لها أن تتعرف على أسرار عملهم وعلى ما يحدث في هذه الأوقات في قطاعهم.

تهدد الأميرال وهو يجيب عن سؤال روهاني عن انطباعاته حول ما يجري على الساحة: «لست أدري لماذا يراودني شعور بأن هناك خطة لم نَع تفصيلها حتى الآن. إن ما نراه يذكرني بذاك المشعوذ الذي رأيناه في مدينة كالينجار العريقة، أتذكرينه يا روهاني؟ ذاك العجوز ببسلايه المختلفة الألوان والأحجام، ومجموعته المثيرة من الأفاعي؟».

رفعت روهاني نظرها لأعلى محاولة التذكر، ثم ابتسمت وهزت رأسها بالإيجاب. «رأيت كيف كان يحرك بوقه أمام الأفعى فتتمايل معه، بينما تنقض يده بسرعة فائقة لتطوق رقبتها؟ لقد كان يشغلها بيد واحدة حتى يتمكن منها باليد الأخرى».

قطبت روهاني جبينها وبدت منزعجة: «هل تعني أن ما نراه من هجمات ونهب ما هي إلا مؤشرات على شيء أكبر؟ ولكن من يجرؤ على تحدي الاتحاد بكل كواكبه وأساطيله وشعوبه؟! هل هو عرق جديد لم نلتق به من قبل؟ لا أتخيل أن يقوم شعب من شعوب الاتحاد بتحدي القيادة العليا بهذه الطريقة بلا خوف من عقاب أو حساب! ثم لا يوجد من يستطيع أن يتحدى أساطيلنا بأكملها!».

زفر الأميرال وهو ينظر بعيدًا. ثم أعاد نظره إلى يديه المستقرتين في حضنه - لم يكن ممن يحركون أيديهم أثناء الحديث، وهو ما استغربته أجوان أثناء دراستهم اليوم.

أعجبت بهدونه وسكينته وتدبره للكلمات قبل الإجابة على أي سؤال، وبحرصه على انتقاء الكلمات المناسبة تمامًا دون الهدر أو الإطالة. حتى ملبسه غير العسكرية كانت تفي بالفرض تمامًا، سترة دافنة في لون بني غامق يليق بسنه ومكانته، وتبرز من تحتها ياقة قميص رملي اللون، وكان يرتدي بنطالًا بنفس اللون بدا دافئًا ومريحًا في الوقت نفسه.

«كما ذكرت سابقًا. هي انطباعات لا أكثر.. كل الاحتمالات الأخرى لا تبدو منطقية. فهي ليست مجموعة من القراصنة المشتتين، وليست قوات من عرق آخر.. وبلا شك ليست قوات منشقة. فليس بين الكواكب من يمكن أن ينشق عن الاتحاد في ظل الرخاء والأمن الذي يوفره هذا التشكل الكبير للكواكب المتحدة..».

ولكنه عاد لينظر ليديه وقد بدا على وجهه التركيز الكامل، كأنه يحاول أن يتذكر شيئًا.. وقبل أن تضيف روهاني كلمة أخرى، نهض من مكانه فجأة واستأذنها وأسرع نحو المنزل بخطوات شخص عازم على فعل شيء. بدت المفاجأة واضحة جدًا على وجه روهاني وهي تتبعه بنظرها، ثم التفتت إلى أجوان وكلها أسف على الرحيل المفاجئ لوالدها وهو في منتصف الحديث. لاحظت أجوان حرج روهاني فابتسمت لها وقالت: «لا عليك، يبدو أنه منشغل الفكر، وأن حديثكما ذكره بشيء».

سألته روهاني بلهفة: «هل شعرت بذلك، أم إنه مجرد تخمين؟».

تعلقت عينا روهاني بوجهها فأدركت أجوان أنها تعني موهبتها، إنها تسألها إن كانت تعرف ما يدور في ذهن والدها. مما يعني ثقتها في موهبتها وحكمها على الأمور، وهو شعور جديد على أجوان، إذ لا تتذكر آخر مرة وثق أحد في رأيها في أي أمر. وأحست بالمسؤولية الملقة عليها في تلك اللحظة، وأن إجابتها يجب أن تكون صادقة لأن روهاني كانت دائمًا صادقة معها.

«لا أستطيع أن أجزم يا روهاني، فليست لي القدرة على قراءة أفكاره، ولكنني شعرت بأن أمرًا قد تغير في تلك اللحظة، كأن والدك قد طرأت له فكرة جديدة، وكأنه أراد أن يختلي بأفكاره فتركنا بسرعة. هذا هو تقديري للأمر، وأرجو أن تأخذه كمجرد تقدير لا تقرير لحقيقة».

ضمت روهاني شفتيها حتى تحولتا إلى خطين دقيقين جدًا، وحدثت صوب المنزل حيث توجه والدها وكان عينيها تتبعانه عبر الجدران. ثم أومأت برأسها: «لا يسعني إلا أن أصدق حدسك يا أجوان..».

ثم ابتسمت لها وأخرجت من جيبتها لوح الأجندة الإلكترونية الصغير الخاص بها، وقالت: «هيا، سنجلس معًا ونعد قائمة بالأنشطة التي سنقوم بها طوال الأسبوع».

تعميم

من الأميرال «فينو سليفني» إلى قادة المحطات في الربعية «جنان» - القطاعات 66 و 67 و 77.

على جميع المحطات الحذر في التعامل مع أية سفن دخيلة التسجيل والمصدر. هناك تقارير عديدة في القطاعات 66 و 67 و 77 عن اختفاء سفن تجارية وسفن خاصة في طريقها من وإلى مراكز محورية في القطاعات. وقد استجابت المحطات الفضائية لكل نداء استغاثة ويتضح بعد الوصول لموقع الاستغاثة إما أن السفينة المستغيثة لم يعد لها وجود في نفس الإحداثيات وإما لم يتبق منها إلا حطام، أو في بعض الأحيان تتعرض السفن العسكرية لموجة من القصف العنيف من عدة سفن مقاتلة صغيرة الحجم. لم تنج أي من سفننا العسكرية من هذه الهجمات المتكررة عبر القطاعات المذكورة.

يتضح في بعض التسجيلات الفورية التي تم بثها للمحطات أن السفن المقاتلة تحمل شعارًا، قد تكون له دلالات دينية وعرقية، وإن كانت غير واضحة بما يكفي لمعاونتنا في تحقيقاتها في هذا الشأن. وقد كشفت بعض التحريات الجارية في القطاع أن هناك تحركًا كبيرًا من جماعات مقاتلة ومناهضة لحكم الاتحاد الفضائي للكواكب، المسيطر على مجرة «اللوتس». ففي القطاعات المذكورة من الربعية جنان تتكفل بعض الكواكب التي تفتقر للمراكز الأمنية التي يستخدمها الاتحاد لبسط نفوذه وسيطرته في المجرة. وتشير تقارير غير مكتملة إلى أن هذه الكواكب لا تملك موارد طبيعية كافية لتمثيلها في المجلس الأعلى للاتحاد الفضائي للكواكب (مالفك) ولذلك فلا تشكل ثقلًا تجاريًا أو سياسيًا يتطلب وجودًا عسكريًا أو أمنيًا على سطحها. كما تشير التقارير ذاتها إلى أن النظام السياسي الذي يحكم هذه الكواكب يتمثل في مجالس قبلية ضعيفة ومتفرقة. ولا توجد معلومات أخرى حتى وقت كتابة هذا التعميم.

وقد أوصيت في تقرير إلى القيادة العليا للقوات المسلحة ل «مالفك» بإرسال فرق تحليل للقطاعات المذكورة للاستقصاء والحصول على المعلومات التي من شأنها إلقاء بعض الضوء على الأحداث بغرض تقديم معلومات تعين القيادة العليا على تقديم توصياتها ل «مالفك» للمرحلة القادمة للتصدي لهذا الخطر الجديد والغامض.

حصريا على روايات وكتب عربية وعالمية
<https://t.me/riwayat2025>

خيوط الدمار

فتح أودن البوابة المنخفضة الصغيرة المؤدية للحديقة، ولم يتوقف في شرحه لأجوان عن تاريخ المنطقة الصحراوية المتجمدة التي تقع في أقصى الجنوب من الكوكب، وعن سكانها البدو الرحل الذين اختاروا ألا يتركوها رغم قساوة بيئتها.

«...تصوري أنهم اختاروا الصحراء المتجمدة منذ أن هبط أسلافهم على هذا الكوكب، مما يعني أنهم فضلوا العيش فيها رغم اتساع المساحات الأخرى وخلوها تمامًا من السكان، بل ورغم طقسها الرائع الذي يناسب تأسيس حضارة متقدمة! أمرهم عجيب، كيف فضلوا...».

قاطعته روهاني بوضع يدها التي تغطيها القفازات على ذراعه، وقد ارتسمت علامات القلق على وجهها وهي تنظر لباب المنزل الذي يبعد عنهم بضعة أمتار: «أودن.. هل أغلقت باب المنزل جيدًا عندما غادرناه منذ ساعات؟».

نظر أودن للباب ووجهه يعكس نفس علامات المفاجأة والقلق الذي غمر الجميع. وحدها أجوان لم تفهم ما يحدث وتلفتت حولها من وجه لوجه، ولكنها أحست بقرصة قلب، ولم تكن بحاجة لفهم ما يحدث إذ إن رفاقها كانوا يصرون مشاعر قوية جدًا لا يمكن إساءة فهمها. تسارعت أنفاس سيمي وهي تقف وراءها، ومشاعر القلق الصادرة منها غلّفها إحساس قوي بالخوف والرغبة بالفرار. صرّت أجوان على أسنانها ل تمنع نفسها من الاستجابة لما تستشعره من رغبة سيمي في الفرار وإطلاق العنان لرجليها ومغادرة المكان. عليها أن تسيطر على مشاعرها في هذه اللحظة، وتقف مع صديقتها روهاني.

تبادلت روهاني النظرات مع أودن، فأشار لها برأسه نحو الفتاتين، فأومأت برأسها، وأمسكت بذراعي الفتاتين واقتربت حتى صار وجهها ملاصقًا لوجهيهما وحادثتهما بهدوء: «اسمعاني جيدًا، أريدكما أن تبقيا هنا، ولا تصدر منكما أية أصوات، حتى أعود لكما. فهمتما؟».

أومأت الفتاتان برأسيهما وعيونهما واسعة من القلق والمفاجأة. في تلك الأثناء كان أودن قد وصل إلى باب المنزل ووقف ينتظر روهاني لترافقه إلى الداخل عبر الباب المفتوح. انضمت له روهاني بسرعة، ودخلا المنزل بهدوء واختفيا عن الأنظار. فوجئت

أجوان بأن أصابع يدها مشبكة بأصابع يد سيمي. وفاجأها أكثر موقف سيمي التي بدأت تقترب نحو الباب، وهي تجر أجوان وراءها. حاولت أجوان أن تشدها نحوها وتهز رأسها بعنف كناية عن رفضها مرافقتها داخل البيت، فقد كانت تعليمات روهاني واضحة جدًا. إلا أن سيمي كانت تمشي كأنها روبوت وعينها متعلقة بباب منزلها. وأخيرًا استسلمت أجوان لمحاولات سيمي ولصوت الفضول في ذهنها وتوقفت عن المقاومة، وما إن وضعت سيمي قدمها على عتبة الباب حتى صدرت ضجة عالية من داخل البيت. فقفزت الفتاتان من المفاجأة وهرعتا إلى داخل المنزل دون التفكير في عواقب تصرفهما المتهور.

تعمرت سيمي على علبة أسطوانية ملقاة في وسط المدخل وأوشكت أجوان أن تقع فوقها، ولكن تمكنت الفتاتان من تجنب السقوط، وأكملتا جريهما نحو غرفة المعيشة. لم تستوعب أجوان ما كانت تراه في الغرفة الواسعة التي تشرف نوافذها على الحديقة المطلة على الهضاب المنحدرة، فقد كانت الفوضى تعم المكان. فهناك قطع زجاج صغيرة مبعثرة على الأرض، وعدة مخدات منتورة في كل اتجاه، وطاولة صغيرة مهشمة، ولا بد أن الزجاج جاء منها. رفعت عينها عن الأرض فرأت على السلم المؤدي إلى الغرف العلوية جسدين مشتبكين في عراك صامت وهما يتدحرجان ببطء إلى أسفل السلم. في الإضاءة الضعيفة على السلم استطاعت أجوان أن تميز رأس أودن وقد أطبق بيده حول رقبة غريمه، بينما أمسكت يده الأخرى بيد غريمه الثانية التي كانت تحمل سكينًا مخيفة الشكل. أما ذراع غريمه الثانية فكانت تدفع أودن بعيدًا ويده تحاول أن تصل لوجهه.

جمدت الفتاتان للحظة من هول الصدمة، ولكن سيمي صرخت بصوت عالٍ، فكسرت لحظة الذهول، فاندفعت أجوان دون تفكير إلى أقرب تحفة ثقيلة على شكل وعاء دائري القاعدة، وحملته وجرت به نحو المتعاريكين. ارتقت السلالم القليلة التي تفصلها عنهما، وبأقصى قوة لديها سددت ضربة لرأس الغريب الذي كان يوشك على غرس السكين في رقبة أودن، ولكنه انتبه لتسديدتها في اللحظة الأخيرة فحرك رأسه، فجاءت الضربة على كتفه، فصرخ الرجل وسقطت السكين من يده. انهار وتدحرج على السلم وتلوى وهو ين من الألم، بينما أسند أودن ظهره للجدار وانزلق ليجلس على السلم وأغمض عينيه لثوانٍ، ثم فتحتها فجأة وتحول ارتياحه إلى رعب، وصرخ: «روهاني!» وقفز من مكانه ليرقى السلم تاركًا أجوان وراءه وهي تنتفض من الرعب والمفاجأة.

سمعت أودن يصرخ ثانية باسم روهاني، فانتقلت إليها لهفته فلم تتردد في الصعود نحوه، وسمعت سيمي تتبعها بخطى سريعة على درجات السلم. وعندما بلغت الممر المؤدي لغرف النوم، رأت لطخات على الجدران سرعان ما أدركت أنها دماء. ومكثها سمعها المرهف من التقاط الاتجاه الذي أخذه أودن، فركضت لليمين والتحفة الثقيلة ما زالت في يديها، تثقل حركتها. وقبل أن تدخل الغرفة التي صدرت الأصوات منها، سمعت روهاني تصرخ بألم: «أبي! أبي!» فازدادت سرعتها أكثر، محاولة أن تدخل الغرفة قبل سيمي التي كانت أخف منها حركة. لاحظت ثغرة كبيرة في وسط الباب المؤدي للغرفة فجالت بنظرها حول غرفة نوم الأميرال الكبيرة، فكان المنظر أشبه بقصة رعب أو كابوس مريع. في زاوية من الغرفة تجمعت بركة من الدم القاني استلقى في وسطها

الأميرال، وقد انحنت روهاني فوقه ممسكة بجانب رقبتة الذي ينزف بغزارة. بدت روهاني ضائعة تمامًا، عاجزة عن التصرف وهي تبكي بحرقة وتعض على شفتيها لتوقف البكاء. سمعت أجوان أنينا يصدر من سيمي التي وقفت وراءها، ثم تحول الأنين إلى عويل، ودفعتها سيمي جانبًا وهي تجري نحو والدها وأختها.

عندما دفعها سيمي جانبًا لاحظت أجوان ما يحدث بجانب النافذة الكبيرة المؤدية للشرقة الخارجية، حيث اشتبك أودن مع غريب آخر يرتدي ملابس رياضية بنية اللون. لاحظت بجانبهما سلاحًا أسود اللون، يشبه الأسلحة التي كان يحملها الحرس على متن المحطة. اقتربت من المتعاركين، فلمحها أودن الذي كان يحاول أن يثبت الغريب تحته حتى يمنعه من تناول السلاح، فصرخ: «أجوان، السلاح! أبعديه!» سقطت التحفة من يد أجوان وسارعت بالتقاط السلاح، فوجدته ثقيلًا، بنفس وزن التحفة التي تركتها منذ ثوان. نظرت لما بين يديها، وأدركت أنها لم تمسك بسلاح قاتل من قبل، ولا تعرف كيف تستخدمه، ومع ذلك صوبته نحو الغريب بيدين تنتفضان بشدة.

كان أودن قد نجح في تثبيت الغريب على بطنه، وإصاق خده للأرض، لذا تمكن الغريب من رؤية فوهة السلاح الموجهة لرأسه، فتوقف عن الحركة. فأمسك أودن بشعر الغريب وضرب جبهته بعنف على أرضية الشرقة، ومع ذلك لم تصدر من المهاجم أية أصوات تدل على الألم. ارتفعت أصوات العويل وراءها، فاستدارت نحو تلك الزاوية مخفضة السلاح. ودارت حول السرير لترى ما يحدث وراءه حيث قبعت روهاني وسيمي تحاولان إنقاذ حياة والدهما، وقد بدأت الدماء المحيطة بهما تنتقل إلى بنطاليهما وأكمام ملابسهما. وفي اللحظة التي انشغل بها أودن بعويل سيمي وحركة أجوان حول السرير، وضع المهاجم يديه على الأرض ودفع بجسده بأقوى ما لديه من قوة فضرب بظهر رأسه خد أودن الأيسر، فصرخ أودن من الصدمة والألم وسقط للوراء. وفي حركة سلسلة تدل على لياقة بدنية عالية، قفز المهاجم واقفًا ونظر للأميرال ثم نظر لأودن، وهو يدخل يده في جيب بنطاله، وأخرج شيئًا لم تلتقطه عين أودن التي كانت تدمع بغزارة من شدة الألم. أحس أودن بدمائه تجمد في عروقه إذ أدرك أنها الفواني الأخيرة من حياته، فلا بد وأن المهاجم على وشك أن يقتله بالسلاح الذي أخرجه من جيبه. ولكن المهاجم وضع يده على عنقه ثم سمع أودن صوتًا خافتًا، وبعدها لم يتحرك المهاجم بل استمر في التحديق في وجه أودن وابتسامة خفيفة على وجهه الشاب الوسيم. ثم تمتم الغريب بصوت يكاد يكون غير مسموع مع أصوات عويل سيمي. حُيِّل لأودن أنه قال: «من أجل الوطن».. ثم سقط المهاجم فجأة على جنبه كدمية آلية انقطعت الطاقة عنها.

راقبت أجوان ما يحدث وهي ذاهلة تمامًا من سرعة الأحداث وشراستها. حتى عندما وضع الغريب يده في بنطاله لم يسعفها عقلها في التفكير فيما يجب أن تقوم به لحماية نفسها أو من معها. وعندما سقط المهاجم أرضًا، استمرت أجوان في التحديق فيه وقد استسلمت تمامًا لعجزها في تلك اللحظة. وفاجأتها أيضًا مشاعر الراحة والطمأنينة والانتصار! الشماتة؟ لماذا تشعر بالانتصار والشماتة؟ أدارت رأسها ببطء لتتأمل لجسد الأميرال. أسندت سيمي خدها على ساق والدها وهي تتحبب بصوت عال. بينما ركعت روهاني بجانبها وجهتها ملاصقة لجبهة والدها وببد واحدة ملطخة بالدم على صدره،

وقد رضت عينها بقوة حتى تضاعفت التجاعيد حول عينها، وكانت تتمم بكلمات غير مسموعة.

أفاق أودن من صدمته بسرعة وانحنى فوق الغريب يفحص نبضه، وأذهلته النتيجة. إنه ميت.. لقد انتحر الرجل وهو الذي كانت لديه الفرصة المثالية لقتلهم أو للفرار منهم وهم منشغلون بصدمتهم. حينها فقط التفت لروهاني وسمي وانضم لهم حول جثة الأميرال. كان من الواضح أن الأميرال أيضًا قد فارق الحياة، فذاك الجرح الكبير في رقبته قد نزف كثيرًا، ولم يكن بالإمكان إسعافه دون وجود مساعدة طبية.

وقفت أجوان بعيدًا عنهم وقلبها ينزف حزنًا على رجل لم تعرفه سوى ساعات قليلة. وكانت اللوعة التي تلف الغرفة أكبر مما يمكن أن تحتمله وهي التي تستشف مشاعر كل من حولها، فاستدارت وخرجت من غرفة النوم واتجهت مترنحة نحو الطابق السفلي، وعندما وصلت لأسفل السلم أدركت أن السلاح كان لا يزال في يدها. كرهت ملمسه ورائحته، فانزلق من أصابعها إلى الأرض محدثًا صوتًا عاليًا جعلها تقفز. صدرت منها شهقة رعب، فبعتها شهقة أخرى ثم تحولت إلى بكاء عنيف. انهارت على ركبتيها عند أسفل السلم وأطلقت العنان لدموعها، تبكي حالها وتبكي حال صديقتها، وتبكي لأنها رأت ما لم تكن تتخيله في يوم.. مشهد قتل ومشهد انتحار.. والدمار الذي لحق بأسرة عزيزة عليها. ولكنها عادت فتذكرت الغريب الثاني فبلعت بكاءها ومسحت وجهها بيد، وهي تتلفت حولها وتتناول السلاح باليد الثانية.. ولكن، لم يبق للغريب الثاني أثر، فقد اختفى من غرفة المعيشة حيث تركوه منذ دقائق قصيرة.

أغلق أودن الباب وراء آخر فرد من أفراد فريق التحقيق الذي ملأ البيت للساعات الطويلة الماضية. كانت الساعة قريبة من وقت شروق الشمس، ولم يذق أي من أصحاب البيت لحظة من النوم أو الراحة، منذ أن بدأت فصول هذه المأساة عصر البارحة. استلقت سيمي على الكنب الطويلة مستسلمة للتعب والإرهاق، وأغمضت عينها وانتظم تنفسها بينما جلست روهاني في الكرسي المقابل تراقبها وذهنها شارد. عاد أودن إلى مكانه بجانب روهاني، وألقى بنفسه على الكنب وتنهَّد بتعب وأغمض عينيه. أما أجوان فراقبتهم جميعًا من مكان وقوفها عند بداية الممر المؤدي لغرفتها. هذا الخدر الذي تشعر به قد يكون صادرًا منها أصلًا، ولكنه حتمًا أيضًا انعكاش لما يشعر به كل من في الغرفة. نعم، يبدو أنها بدأت تعرف الفرق بين مشاعرها ومشاعر غيرها. اكتشاف مفيد وإن كان توقيته غريبًا. صحيح أنها لا تعرف كيف تفصل مشاعرها عما حولها، ولكنها تستطيع في هذه المرحلة على الأقل أن تميز الفرق.

«شكرًا يا أودن.. لولا وجودك اليوم... لا أدري..»

أدارت روهاني رأسها في نصف دائرة بطيئة لتنظر إلى أودن ولكن عينها لبثت قليلًا على جسد أختها النائمة أمامها، كأنها تتخيل ما كان يمكن أن يحدث اليوم لولا وجود أودن معهم. وعندما التفت عيناها بعينيه، انهارت في نوبة بكاء أخرى، ورمت بنفسها على صدره تبكي بصمت وتتنفّض من الألم والمرارة. وسارع أودن بوضع ذراعيه حولها

مواسيًا إياها ولو أنه يعلم جيدًا أن في هذه اللحظات ولمدة طويلة في المستقبل القريب لن يواسيها التعاطف ولا الكلمات مهما جاءت من أقرب الناس إليها.

ثرى ماذا كان سيحدث لو لم يكن أودن معهم لدى عودتهم للمنزل ومباغتتهم للقتلة؟ صحيح أن روهاني عسكرية وتجيد فنون القتال، وإلا لما استطاعت أن تعطل هروب القاتل الثاني مدة كافية حتى وصول أودن واشتباكه معه. ولكن لولا وجود أودن أيضًا فإنها تتخيل أن القاتلين لم يكونا ليتوانيا عن قتلهم جميعًا دون أن يسعفهم أحد. ومن حسن الحظ أن القاتل الثاني انتحر، فقد سمعت أحد أفراد فريق التحقيق يقول إنهم سيفحصون جثته لمعرفة أكبر قدر ممكن من المعلومات عن هويته ومن أرسله. أما القاتل الذي ضربته أجوان بالتحفة فقد اختفى عندما نزلت للطابق الأول. وبعد كل هذه المدة، لا بد وأنه غادر المدينة، إن لم يكن قد غادر الكوكب بأكمله حاملاً سره معه. أحست أجوان بغورة غضب لما حدث، وكيف يمكن لشخص أن يقتل هكذا بهذه السهولة، ثم يفر دون حساب أو عقاب. عالمهم مخيف وعنيف لا يمكن أن تتعود أبدًا على هذه الأجواء. ولكن... لقد اشتركت اليوم في معركة باليد. نعم لقد مدت يدها نحو قطعة جامدة وحولتها ل سلاح واستخدمتها ضد شخص آخر! بل والأدهى والأمر أنها حملت سلاحًا وصوبته نحو مخلوق آخر. وربما كانت ستستخدمه بالفعل! كيف تحولت إلى هذه الشخصية الجديدة، بعد أن كانت تنتمي لشعب مسالم؟! ولكن.. مهلاً، كانت تنوي إنقاذ صديق من الأذى أو الموت. إنها ليست مثلهم أبدًا أبدًا، وكان تصرفها محض اللحظة دون سبق إصرار. ومع ذلك، لم تختف الشكوك والالتهامات والأفكار السوداء من ذهنها.

أحست بلهفة وتشوش، فأعادت نظرها لأصدقائها فلاحظت أن أودن ينظر لها وفي عينيه توسل وطلب للمساعدة. ماذا تفعل الآن؟ إنهم أكبر منها سنًا، ثم إنها غريبة على المكان وعلى الكوكب وعلى موقف المواساة، إذ كانت منذ فترة قصيرة هي التي تتلقى المواساة من روهاني ومن حولها. عندما طرأت لها هذه الفكرة، أدركت أنه لولا مواساة روهاني ودعمها المعنوي لها لربما كانت قد ذبلت وماتت منذ شهور، وهذا ما أعطاهما القوة لتدفع بجسدها عن الجدار الذي كانت تستند إليه، وتتجه نحو الكنية. ركعت أمام روهاني ووضعت يدها على كتفها والأخرى على ركبتيها وقالت بصوت هائئ ورتيب: «روهاني، ستترك سيمي تنام على الكنية فهي تبدو مستغرقة في النوم. أما أنت فتعالي معي لغرفتك، هيا».

استغربت أجوان من تأثير كلماتها على روهاني، إذ لم تجد أي تردد أو مقاومة منها، بل نهضت من مكانها وأمسكت بيد أجوان التي سحبتها بهدوء لأعلى السلم، ثم اقتادتها نحو غرفتها في الاتجاه الآخر بعيدًا عن غرفة والدها - لحسن الحظ. وفي غرفتها ساعدتها على تبديل ملابسها وغسل وجهها ويدها، ثم ساعدتها على الاستلقاء في سريرها وغطتها ببطانياتها. ثم سحبت كرسيًا خفيفًا عند النافذة ووضعت بجانب سريرها وجلست عليه، تمامًا كما كانت تفعل روهاني لها في الأيام التي كانت تستيقظ أجوان من كابوس تصرخ رعبًا وألفًا. وما إن جلست حتى أحست بتعب وإرهاق الساعات الأخيرة. ستشرق الشمس خلال دقائق ولم تنم بعد، ولكنها ستأكد أولًا من استغراق روهاني في النوم قبل أن تذهب لغرفتها في الطابق الأول. ولم تطل جلستها بجانب صديقتها إذ

انزلقت لنوم عميق خلال دقائق، وما إن سمعت أجوان تنفسها المنتظم حتى حملت الكرسي بهدوء وأعادته لمكانه الأصلي، ثم نزلت للطابق الأول.

توجهت لغرفتها حيث عثرت على بطانية إضافية، فعادت بها إلى حيث تغط سيمي، ولما بدأت في تغطيتها فوجئت بحركة على الكنب الثانية. قفز قلبها للحظة، حتى اكتشفت أنه أودن.. لقد نسيت أنه ما زال في المنزل. نظر لها وفي عينيه الحزن والضياع، وبعض الغضب. همس لها بصوت يدل على غضبه وإن لم يكن غضباً موجهاً نحوها.

«لا أستطيع أن أترككم.. صحيح أن الأمر انتهى بموت الأميرال، ولكن ما أدرانا ما يخبئه هؤلاء القتلة؟! هل يمكنني أن أنام على الكنب؟»

ترددت أجوان في الإجابة إذ لم يكن هذا منزلها، ولكن لم يعد هنا من يستطيع أن يتخذ القرارات في هذه اللحظة، لذا اتخذت القرار في عشر الثانية: «إنه منزلك أيضاً يا أودن. بالطبع تستطيع أن تنام على الكنب.. وإن أردت أستطيع أن أستخدم غرفة سيمي، وأنت استخدم غرفتي إلى أن يستيقظ الجميع بعد ساعات..».

هز رأسه بالنفي: «لا.. لا داعي.. هنا أفضل.. فأنا قريب من الباب ومن السلم، ويمكنني أن أسمع ما يجري في معظم أنحاء البيت. اذهبي أنت واستريحي قليلاً. وسنتابع حديثنا لاحقاً».

ومع تلك الكلمات، انقلب على جانبه الآخر موجهاً ظهره لها، فتركته وتوجهت لغرفتها. وما إن أغلقت الباب، حتى أحست بأنها ليست لديها طاقة لأي شيء أكثر من أن تندس بين طيات البطانيات وتخلد للنوم. وهو ما فعلته.

السيد المعظم

الكوكب: أورد

الواحة دوفلوغ

وضع أزاغابا صينية الطعام الصغيرة على الطاولة بجانب مقعد السيد المعظم. وانحنى له وعينه مركزة على الأرض المغطاة بالسجاد الوانغاري الفاخر وبدأ بالانسحاب للوراء ببطء وهذوء وهو يهم بمغادرة الغرفة. باغته السيد المعظم بنظرة من نظراته الناقبة وقال له:

«زي، كيف أحوال الإخوة؟»

انصب أزاغابا من انحناءته وتجنب النظر في عيني سيده السوداوين اللتين لهما القدرة على سبر أغوار المرء وقراءة أفكاره وكأنها كتاب مفتوح. تنحنج أزاغابا وقد عزم على قول الحقيقة كاملة، فمن يستطيع أن يخفي شيئاً على السيد المعظم الطارق؟! «إنهم بأحسن حال يا سيدي المعظم. فهم يقومون بأعمالهم على أكمل وجه، وينفذون تعليماتك السامية من أجل تحقيق ذاك المستقبل المجيد الذي وعدتهم به. والكل يريد أن يشارك في المهام التي تعطيها لأبطالك الأشاوس».

زَمَّ السيد شفثيه وربت بأطراف أصابعه على ذقنه وهو يهز رأسه كمن يفكر بعمق. نقل عينيه الناقبتين نحو المدفأة حيث تأججت نيران حقيقية أشعلها أزاغابا بأخشاب حقيقية منذ أقل من ساعة لتدفئة الغرفة التي تشتد فيها البرودة في هذه الساعة المتأخرة من الليل.

«هممم.. أعلم ما تعني. أبنائي المخلصون يريدون خدمة الوطن بحياتهم.. ولكن، تقع على عاتقي مسئولية حمايتهم حتى من أنفسهم. لا أستطيع أن أرسل الجميع، فهناك خطة دقيقة ومتكاملة وأنا فقط من يعرف تفاصيلها. لا بأس، لا بأس.. سترى».

ثم شرد في التفكير، ففهم أزاغابا أن السيد قد صرفه من ذهنه، فعاد للانحناء والتراجع للوراء حتى وصل للباب البني المؤدي إلى المطبخ، فاستدار وفتحه وولج منه إلى الموزع الصغير الذي يؤدي أيضًا لغرفة نومه. تردد قليلاً قبل أن يتجه نحو الغرفة، فربما يكون السيد بحاجة له، رغم تأخر الساعة. ولكن السيد ليست لديه ساعات محددة، فهو لا ينام

أكثر من 5 ساعات في اليوم. بينما يقضي باقي الساعات في التفكير والتخطيط، خصوصاً بصحبة ذراعه اليمنى براس جيريتو. دخل غرفته الصغيرة وخلع ملابس كبير الخدم ووضع أذرعه الأربعة في أكمام قميصه الطويل المخصص للنوم وأطفا الضوء الصغير، واندس في سريره بسرعة قبل أن يتسلل البرد إلى عظامه العجوز المتعبة. نعم هو عجوز ومنهك من سنوات شقائه، مذ أن غادر قريته الصغيرة على كوكبه الأم منذ فكر أزاغابا قليلاً قبل أن يتذكر عدد الأعوام التي مرت منذ أن ترك أبناءه وقبر زوجته الحبيبة أربعة عشر عامًا - نعم، 14 عامًا من الخدمة المخلصة لأعظم قائد عرفته هذه المنطقة منذ قرون، ربما القائد الأعظم عبر الكون بأكمله.

عندما تعرف على أحد رسل السيد المعظم في قريته الزراعية الصغيرة، لم يكن يتخيل أن القرار الذي اتخذه في لحظة يأس قد يقوده إلى هذا القدر العظيم. فقد كان يعاني اكتئاباً شديداً بعد وفاة رفيقة دربه إثر مرض مفاجئ لم يترك لهما الفرصة للوداع. ورغم أنهما لم يكونا شابين فقد كان في الثالثة والخمسين من العمر، وكانت رفيقته تصغره بأقل من عامين، إلا أن أوضاعهم الاقتصادية لم تسمح لهم بالحصول على العلاج السريع لها، فتوفيت وهي تتوسل إليه أن ينقذها. ما زال يتذكر ملمس يدها السوداء الخشنة التي كانت تهتم بكل أبنائه وبكل شئون البيت، وكان قلبها الكبير يضم كل من عرفتهم من أهل وأصدقاء؛ ولذلك فإن موتها بهذه الطريقة المحزنة ترك أثراً عميقاً في نفسه لأنه لم يستطع أن ينفذ لها طلبها الوحيد على مدى أكثر من ثلاثين عامًا من الزواج. لم يستطع إنقاذها فهو عاجز عن إنقاذ أي أحد في قرية صغيرة نسيها الأسياد وهم منشغلون في مدنهم الهائلة المترفة. كان يعمل مع أبنائه طوال النهار من أجل الحفاظ على قطعة الأرض الزراعية التي يعيشون منها. ولكن الأسياد يأتون كل عام ويأخذون نتيجة عرقهم ومحاصيلهم؛ لأن الأرض أرضهم لا أرض أزاغابا وأبنائه. نظام ظالم يعيش تحت قوانينه ملايين الناس الذين لا يملكون إلا قوت يومهم، بينما يعملون يوميًا من أجل توفير الرفاهية لأناس بعيدين عنهم وعن معاناتهم.

حمداً للسماء على وجود السيد المعظم الطارق، فهو الذي سيخلصهم من هذا الظلم، وسيخلص الكون بأكمله من شرور هذا النظام الظالم. وسيعود أزاغابا لأبنائه الخمسة بعد أن تركهم دون وداع، وعندها فلن يكون أزاغابا بعدها.. لا يعرف لماذا سماه والده بهذا الاسم الغريب، إذ إنها كلمة تعني «ولد في مدينة أخرى».. ولكنه أدرك مؤخرًا أن اسمه تعبير عن قدره. فقد قُدِّرَ له أن يتغزب ويأتي لهذا الكوكب ليعلم السيد المعظم، وربما سيتذكره التاريخ في يوم ما، ويتناقلون القصص عن الرجل الذي اسمه يعني أنه ولد غربيًا، ولكنه تغزب لكي يولد من جديد، ويعود للوطن بطلاً.

جاء طرْقُ خفيف على الباب الأزرق، وبعده بنوانٍ انفتح الباب وولج منه براس جيريتو. وقد ارتدى معطفاً ثقيلاً وغطى رأسه بقلنسوة من المعطف ذاته. أغلق الباب وراءه، واستدار وانحنى بهدوء واحترام وقال بصوت أجش: «مساء الخير سيدي المعظم». فابتسم الطارق ابتسامته الساخرة التي تحرك جانبا واحداً فقط من فمه، ورد عليه:

«ألا تعني صباح الخير؟ أعتقد أن الشمس قاربت على الشروق».

«بل ما زلنا في الساعات الأخيرة من الليل، ستشرق الشمس في أقل من ساعتين».

إن براس رجل في منتهى الجدية ولا يفهم الدعابة أو السخرية، ممل بدقته وانتباهه لأدق التفاصيل، ولكنه مفيد جدًا. لم يصطفه الطارق لخفة دمه، بل لقدرته الجبارة على جمع المعلومات وتركيبها في صورة متكاملة تحكي القصة بأكملها. خبير لوجستي من أرقى المستويات، وهو ما جعل الطارق يبحث عنه شخصيًا و«يطوي» ذهنه. ما زال يتذكر يوم لقائهم الأول، وكأنه حدث البارحة لا منذ 15 عامًا. فقد كان قد سمع عن هذا الشاب اللامع الذي تنبأ بكارثة اقتصادية على كوكبه، ولكن نظرًا لصغر سنه وقلة خبرته في المجال، لم يستمع له المسؤولون في مؤسسته. وفي خلال عامين تحققت نبوءته وسقطت المؤسسة رغم أنها كانت الرائدة على مستوى القطاع النجمي بأكمله. انتحر من انتحر، وفقد الآلاف من الموظفين أعمالهم وتشردت أسرهم، وكان براس أحدهم.

لم يكن من السهل العثور على هذا الشاب الذي فقد عمله ومعيشته، فقد تشرد من مدينة إلى مدينة لبعض الوقت. ولكن الطارق لم ييأس في بحثه، فحماسه من أجل خطته كان الوقود الذي يدفعه بجنون للعثور على كل قطعة من قطع الآلة العظيمة التي سببنيها من أجل تحقيق حلمه - إمبراطورية الطارق. وهكذا عثر أخيرًا على براس في طابور الطعام في سكن مؤقت للمتشردين، وبدأ في الحديث معه. في البداية كان الحديث المعتاد عن الظلم وعن مهانة التشرد والبحث عن لقمة العيش. لم يكن الطارق مهتمًا بالمشاعر المريرة التي تحترق بداخل هذا الشاب الغاضب. ولكنه تظاهر بالتعاطف معه ومشاركته الأحزان بقصص مزيفة عن معاناته الشخصية. وفي الوقت نفسه كان يتغلغل بخفة وسلاسة في ذهن براس، ليجد النقاط الحساسة التي سيلج بها داخل ذهنه، ومن دون اللجوء للأسلوب الآخر العنيف الذي يستخدمه مع الحالات الصعبة.

وفيما كان براس يبصق السباب والوعيد ضد كل من ظلمه وأجحف في حقه وتجاهل إنذاراته وتسبب في الوضع الحالي الذي يعاني منه، نجح الطارق في العثور على كل النقاط الحيوية في ذهن ضحيته. مزيج من الغرور والغضب والمرارة والرغبة في الانتقام.. وهنا تمكن ذهن الطارق وبواسطة موهبته الفذة من الإمساك بالنقاط جميعها، ثم «طواها» في عقدة وربطها بذهنه شخصيًا. في تلك اللحظة، هدأت حركة براس، واسترخى وجهه، وحتى فكه الأسفل بدأ في الارتخاء لأسفل، وغابت الأفكار من ذهنه واختفى ضوء الذكاء من عينيه. عندها فقط، بدأ الطارق بكلامه الهادئ الذي يبرمج به العقول: أنت إنسان مميز، وقد كنت أعظم من أن يعترف بعظمتك من هم أدنى منك فكريًا. إنني الوحيد الذي يرى حقيقة عظمتك وموهبتك الفذة. لقد جاء بنا القدر اليوم لنجتمع ونصنع كوكبًا جديدًا. ستكون ذراعي اليمنى التي ستخطط لفجر جديد. ستستمع لخطتي، وتستخدم ذهنك المميز لتطویرها وإعداد خطة جبارة تجعلنا سادة الكون. إنني السيد المعظم، وأنت تابعي منذ اليوم فلاحقًا. كلماتي قانون، وأفعالي فوق القانون، وستكس حياتك لخدمتي. مفهوم؟

وهاهو براس يقف أمامه اليوم، يقدم له ما وعده به منذ 15 عامًا. راقبه الطارق وهو

يخلع المعطف الثقيل ويعلقه في زاوية الغرفة، وألحقه بالسترة الداخلية وعلقها أيضًا. ثم اقترب من المدفأة وخلع قفازيه وبدأ يفرك يديه مقرنًا إياهما لدفع النيران. رجل فارغ الطول في منتصف الثلاثينيات، ولكن مشاعر الحقد والانتقام التي تأكل قلبه وذنه حفرت في جبهته وعلى جانبي عينيه تجاعيد تعطي انطباعًا بأنه في نهاية الأربعينيات من العمر. كما أن لديه عادة سيئة هي التكشير بطريقة تخلق له تجاعيد إضافية على جانبي فمه مما يضيف إليه سنوات أخرى.

«لقد نجحت عملية «المشروط» يا سيدي. تخلصنا من ذلك الأميرال الذي كان يقترب من الحقيقة».

ابتسم الطارق وصفق مرة بكفيه كما هي عادته عندما تتحقق إحدى خطته.. «ممتاز ممتاز! تحياتي للإخوة!».

ولكن شفتي براس لم تنفرجا عن ابتسامة بل انخفض طرفاهما للأسفل، وبدأت معالم تكشيرته المعتادة: «فقدنا أحد الإخوة، فقد اضطر لأخذ حياته للمحافظة على أسرارنا. ثم إن الفريق الذي أرسل لاستجواب مساعد الأميرال فشل في استخراج أية معلومات منه عن مصدر معلومات الأميرال.. ومات تحت التعذيب دون أن نصل إلى خيط مفيد بهذا الشأن».

تهدد الطارق، وتلمل في جلسته، ونظر للوحة الفنية التي تزين الجدار بأكمله - رؤيته للمستقبل، وقد أنجزها فنان محلي. نهض من مكانه واتجه نحو الجدارية، وتوقف أمامها يتأمل تفاصيلها، وهو ما يفعله كلما كان بحاجة لأن يفكر بعمق. لقد وُفق الرسام الشاب في تصويره، فها هو الطارق يقف في اللوحة طويلًا شامخًا بأنفه القوي وذقنه المدبب، واستدارة وجهه البيضوي التي تذكره بوجه والدته. عيناه المستديرتان وحاجباه مثاليًا الشكل وجبهته العريضة.. وفوقها يتربع تاج المجد.. تاج بزاق من التيتانيوم المخلوط بالذهب الأصفر، ترصعه أحجار كريمة من الياقوت. وأمامه يسجد مئات الآلاف من البشر وباقي الأعراق الكونية، ووراءهم مدنهم المدمرة بعد أن هشمته مطرقة الطارق. متى سيأتي هذا اليوم؟ لم يستغرق تحديقه في اللوحة أكثر من دقيقة وسرعان ما استدار وواجه براس الذي وقف وراءه يراقبه بحذر خوفًا من الكلمات الغاضبة التي كان يتوقعها.

«لا بأس.. لا بأس.. المهم أن الأميرال رحل وأخذ الحقيقة معه. أما عن الفريق الذي أخفق.. فقد أرسلهم لمناجم شتراف لمدة 10 أيام.. عقابًا لهم على استعجالهم.. ولكن، حافظ على حياتهم، فمهاراتهم نادرة ولا أريد أن ننتظر حتى يتدرب فريق جديد».

حرك براس جيريتو رأسه بتلك الرجة السريعة التي يقوم بها عندما يأتيه أمر من السيد المعظم، مشيرًا إلى أنه سينفذ سمعًا وطاعة دون تفكير أو مناقشة.

«على فكرة، ذاك الأميرال - رغم فطنته - لم يأت في تقريره بأي ذكر لباقي الأحداث التي تجري في الأقاليم الصغيرة. أعتقد أنهم يركزون على العمليات الفضائية ولم تصلهم بعد أية تقارير عن الأنشطة الأرضية».

أوما الطارق برأسه وعلى وجهه ابتسامة راحة واستمتع. هنا شعر براس بأن الوقت

«وبخصوص الوليد الذي أتى به فريق باندymas.. هل.. هل تعتقد حقًا أن هناك فائدة ترجى من هذه التجربة العلمية التي قد تأخذ أعوامًا طويلة قبل أن تؤتي ثمارها؟»

التفت إليه السيد المعظم وقد قطب جبينه.. فأحس براس ببعض الخوف من أن يكون قد أغضب السيد بعد أن تجنب غضبه منذ لحظات قصيرة.. «أي وليد؟»

رفت عينا براس، وأسرع مجيبًا: «الوليد الذي جاءوا به من محطة الظافر، السلاح الجديد..»

مرر الطارق يده على جبينه ثم شعره وهو ينظر للسقف: «آه نعم نعم.. تذكرت.. إنها ورقة غامضة سنحتفظ بها ومن يدري؟ ربما تفيدنا في يوم ما.. قل لباندymas أن يتابع التجارب، ولكن فليكن حذرًا.. لقد فقدنا الكثير من الأوراق الراحبة في الماضي بسبب تهوره وسوء تقديره.. ذكره بتهديدي في المرة الأخيرة.. سأرسله ليقضي شهرًا في مناجم شتراف..»

هزة أخرى من براس..

«هل هناك أمور أخرى عالقة؟ قد أخلد للنوم لبضع ساعات..»

«كلا سيدي.. هذا ما وردني حتى الآن.. تصبح على خير..»

وانحنى جيروتي، بينما مذ الطارق يده له، فأمسك بها جيروتي برفق وقبل الجلد المطوي بين الإبهام والسبابة حيث اختبأ وشم صغير أزرق اللون، على شكل حيوان طويل الجسد والذيل، وله ست أرجل تمتد على جانبيه وتنتهي بخمسة أصابع دقيقة..

بعد أن غادر براس الغرفة، خرج منها الطارق متجهًا لحجرة نومه، فدخلها وهو يتثائب.. انتهى من طقوسه الليلية واندس في فراشه المقابل للمدفأة الصغيرة التي تصدر حرته. عندما يصبح إمبراطورًا، لن يضطر للعيش على كوكب صحراوي، حارق في النهار ومتجمد في الليل.. سيختار كوكبًا معتدلًا، وستكون له عدة منازل، في السهول وفي الجبال وعلى البحر.. بل ستكون له منازل في عدة كواكب، وسيتمكن من بينها بسفينة فاخرة كالقصر المتحرك.. وسيلعب عدد أتباعه المليارات، وسيعبدهونه ويتمنون رضاه عنهم.. وسيشهد على عظمتهم كل من احتقره وكل من تسبب في سقوطه.. سيركعون تحت قدميه ويطلبون منه الصفح.. وربما يمنحهم ما يطلبونه، وربما سيسحق رقابهم بقدميه.. والده وأخوه الأكبر وحتى والدته التي لم تقف بجانبه ولم تحميه من بطش أبيه..

آه.. تلك القصص التي يرويها لبعض من «طوى» أذهانهم.. بالطبع لم يخترع الطارق تلك القصص من فراغ، فقد مر بتجربة مماثلة عندما طردته أسرته وتبرأت منه نهائيًا.. عندما لم يفهم والده عظمة موهبته وأهميتها في تاريخ البشرية.. كان والده من أولئك البلهاء الذين يعتبرون الصدق والأمانة قيمًا عظيمة يجب المحافظة عليها والالتزام بها.. ولكن حينما اكتشف موهبة ابنه الأصغر، وكيف كان يستخدمها في التلاعب بعقول الناس والحصول على ما يريد.. نعتة بالمجرم والمريض، وأراد أن «يعالجه» من مرضه.. وحتى أمه خافت مما قيل لها عن موهبته، فعزلت نفسها عنه ولم تقبل رؤيته بعدها..

أغبياء، ينقصهم الطموح والعبقرية لا بأس، لا بأس. إنها ذكريات من الماضي، ولكنه
سيركز على المستقبل. المستقبل العظيم له هو وحده.

حصريا على روايات وكتب عربية وعالمية
<https://t.me/riwayat2025>

التحقيق

جلس أودن بجانب روهاني حول الطاولة الإلكترونية العريضة في مكتب الأميرال الراحل، وجلس في الجانب الآخر المحقق سليلد دوفاتيل وهو يحتسي الشراب الذي أعدته له روهاني ويستعرض بعض الملفات المدمجة بسطح الطاولة.

«كما ترون، الأدلة قليلة.. ليس لهذا القاتل ملف في قواعد بياناتنا على تيرا 8. هذا يعني أنه ليس من كوكبنا».

فقاطعه أودن: «أو يمكن أن يكون قد أخفى ملفه بالتعاون مع آخرين؟ أو قد يكون من فئة غير مسجلة».

بدا الضيق على وجه المحقق من مقاطعة أودن له، ولكنه لم يعلق على ذلك واستمر في عرض تقريره.

«لقد نجح الفريق في جمع الكثير من الأدلة من مسرح الجريمة، إذ لم يبذ على المجرمين الحرص على إخفاء أي شيء.. ولكن من الغريب أن الأدلة غير مفيدة لأنها غير مرتبطة بأشخاص مسجلين في ملفاتنا. والسلاح الذي تركوه وراءهم، من صنع عسكري مما يعني أنه ملكية القوات المسلحة! ويقوم الفريق حاليًا بالتقصي حول مصدر السلاح بالضبط».

حرك إصبعه بسرعة على السطح الشفاف للطاولة فانزلقت صورة الملف بسرعة لأبعد زاوية حيث تكدست صور ملفات أخرى كان قد حركها قبلها. فظهرت أمامه صور لجنة القاتل ومن زوايا مختلفة. فأخذ يقلبها وهو يتحدث عن ملامح القاتل وعن الطريقة التي ينتهجونها في البحث عن هوية بعض المجهولين عن طريق ملامحهم.. وفيما استمرت حركة أصابعه، كان يدفع الصور هنا وهناك، حتى جاء دور صورة ليد القاتل، فشقت أجوان وهي تجلس على كرسي في أقصى زاوية من الطاولة، تمامًا حيث كانت تستقر جميع الملفات التي تنزلق بعيدًا عن المحقق.

توقف الجميع عن الحديث وانتقلت الأنظار كلها نحوها. تعلقت عينا أجوان بصورة يد القاتل التي استقرت أمامها. في الجلد المنثني الواقع بين السبابة والابهام هناك وشم صغير أزرق اللون. ببطء مدت أجوان يدها للطاولة وقامت بحركة كانت قد لاحظت

المحقق يقوم بها منذ دقائق لتكبير الصور، فوضعت السبابة والإبهام على الصورة ثم سحبتهما ليعبدا عن بعضهما فازداد حجم الصورة، وازداد حجم الوشم.

أظلمت الأجواء المحيطة بها وخفتت الأصوات، وانتقلت بها الذكريات لغرفة أخرى صغيرة وباردة محاطة بأجهزة ومعدات وطاولة معدنية. كانت تجلس على كرسي معدني بارد وقد وقف غريب وراءها وثبتها على الكرسي بيدين حديديتين لم تسمح لها بالتلفت أو بالحركة. ولم تكن لتتحرك حتى لو لم يمنعها، فقد شل الرعب حركتها ولوى أحشائها فأحاطت بطنها بذراعيها حماية لجنينها. مهمة الأجهزة حولها لا يقطعها سوى صوت خافت لمعادن تطرق بعضها. إنه سليقور يعد شيئاً على الطاولة القريبة ويرفع رأسه بين الحين والحين وينظر لها بتينك العينين السوداوين الكريهيتين.

جلس أمامها أحد الغرباء ويداه ممسكتان بركبتيه بغضب واضح حتى أبيضت مفاصل قبضته، ينظر لها وهو يكرر أسئلته المحيرة.. وتقف وراءه تلك الفتاة القاسية القلب التي لم تنفوه بكلمة واحدة منذ أن استيقظت أجوان من هذا الكابوس الجديد. أما صاحب اليد الممسكة بكتفها فلم تر وجهه أبداً، ولكن يده تحمل وشفاً صغيراً بين السبابة والإبهام، وهو نفسه الوشم الذي يندس بين سبابة وإبهام الغريب الغاضب.

استقرت يد على كتفها فصرخت برعب وقفزت من على الكرسي فتأرجح لثانية وسقط بصوت عالٍ على الأرض الحجرية لغرفة المكتب. فوجئت روهاني من رد فعل أجوان، فهي لم تفعل أكثر من وضع يدها على كتفها واستغربت من تعابير وجه صديقتها الشابة وهي تنظر حولها في رعب وكأنها ترى أشياء لا تراها أعين البقية.

«أجوان.. أجوان.. ما الذي حدث؟ أنت في أمان.. أنا روهاني.. انظري لي.. أنا روهاني، صديقتك.. وهذا منزلنا في كراسوتكا.. انظري، هذا أودن، وهذا المحقق دوفاتيل من القوات المسلحة.. أنت في أمان هنا».

هزت أجوان رأسها لتمسح آخر آثار الذكرى التي اشتعلت في ذهنها.. ونظرت حولها لتلاحظ أعين الجميع عليها. ثم عادت لتتنظر لسطح الطاولة المدمجة، فوقعت عيناها على يد القتال. فاقتربت بحذر نحو الطاولة، ووضعت إصبعها على الوشم ونظرت للمحقق وسألته بصوت يهتز: «ما هذا؟»

نظر المحقق للوشم، ثم رفع رأسه لينظر لأجوان وروهاني، وأجاب بحذر واضح: «اممم.. يبدو أنه وشم لمخلوق ما.. هل يمثل لك الوشم شيئاً؟» قالها وهو يجول بعينه الرماديتين على يد أجوان بحثاً عن وشم مماثل.

اقتربت روهاني منها وأمسكت بها وأدارت جسدها لتواجهها وهي تنظر مباشرة في عينيها: «أجوان. أنت رأيت هذا الوشم من قبل، أليس كذلك؟» لم يكن سؤالاً، فقد كان من الواضح من تأثير الوشم على أجوان أنها رأته من قبل. ولكنها لم تكن تريد أن تخيفها أكثر بالأسئلة والتحقيقات، ولم ترد أن يسيطر المحقق على الموقف فتضيع هذه الفرصة لمعرفة المزيد.

هزت أجوان رأسها بالإيجاب وبدا الرعب والتشوش واضحاً في عينيها وملامح وجهها.

قامت روهاني بإعادة الكرسي لوضعه السليم، ثم سحبت أجوان بهدوء وأجلستها عليه. ورمت المحقق بنظرة تحذير، كما نظرت لأودن بنظرة أخرى فهمها أودن، فنهض من مكانه وجلس بجانب المحقق وبدأ يحادثه بهدوء.

أثناء ذلك، سحبت روهاني كرسيًا آخر ووضعت بجانب أجوان وجلست ووضعت يدها على ركة أجوان. «قولي لي.. ماذا يدور بذهنك الآن؟».

هدأت رجفة أجوان وأخذت عدة أنفاس عميقة، وحدقت في الأرض في نقطة تقع بين قدميها. فتحت فمها لتتكلم.. ولكن علقت الكلمات في حلقها، حتى سببت لها الألم. أخذت نفسًا آخر وأغمضت عينيها ورضت بها بقوة، ولكن المشاهد التي تراءت لها وراء جفنيها أرغمتها على أن تفتحها ثانية. ساد الهدوء الكامل على الغرفة، ولم تسمع عدا الرياح تصفر عبر فتحات دقيقة في النوافذ. كررت محاولة الحديث، وفي هذه المرة، تمكنت من أن تبدأ بكلمات متعثرة: «ذاك الصباح.. عندما.. عندما أخذوني واستجوبوني.. كان أحدهم.. لا.. اثنان منهم.. رأيت هذا الشكل.. الوشم؟» نظرت بسرعة لروهاني لتتأكد من صحة الكلمة، فأومأت لها روهاني بمتابعة الحديث.

«كان في نفس المكان، في هذه المنطقة بين الأصبع هذا والإبهام..» وأشارت للجلد بين السبابة والإبهام. «أعتقد أنه كان أزرق اللون.. لم أذكره حتى هذه اللحظة. لم أعتقد أن له أي أهمية».

وتبادرت لذهنها فكرة جعلتها تقفز من مكانها، وارتفع صوتها وهي تتوسل لمن حولها: «من هؤلاء الناس؟ لماذا أخذوا طفلي؟ ثم تبعوني هنا.. ل... لقتلي؟ هل عادوا لقتلي؟».

بدت الحيرة على وجه روهاني، ولكن المحقق تنحنح واعتدل في جلسته.. فنظرت إليه روهاني وفي عينيها أسئلة مؤلمة. هل يمكن أن تكون قد تسببت في موت والدها عندما اصطحبت أجوان لمنزلهم؟ بدا بعض التردد على دوفاتيل، ولكنه قال بصوت مُحزج بعض الشيء: «نحن نعتقد أن الأميرال كان هدفهم الرئيسي، ولا نعتقد أن لك أية علاقة بالهجوم».

حل الصمت على الموجودين، وتحرك فم روهاني ولكن لم تعرف ماذا تسأل، فتكلم أودن بالنيابة عنها: «وما الذي أقنعكم بأن الأميرال هو الهدف وليست أجوان، ونحن نعلم الآن بوجود هذه الرابطة بين من هاجموها ومن قتلوا سيدي الأميرال؟».

حك المحقق جبينه، ومسح بأطراف أصابعه شفته العليا الخالية من الشعر، ثم نظر لروهاني وقال: «لم أكشف لكم عن كل ملابس هذه القضية، وذلك لأنها جريمة قد تكون لها علاقة بالأمن العسكري. ألم تتساءلوا لماذا أرسلوني أنا بدلًا من محقق من الشرطة؟».

تبادل روهاني وأودن نظرة سريعة، وأجاب أودن بسرعة: «كنا نعتقد أن رتبة الأميرال جعلت القوات المسلحة تتولى التحقيق في جريمة القتل.. ما الذي أخفيته عنا يا سيادة النقيب المحقق؟».

تجاهل المحقق نبرة السخرية الغاضبة في صوت أودن وسؤاله، وزفر مستسلفًا

وأجاب: «لم يكن الأميرال الضحية الوحيدة هذا الأسبوع. فقد وجدنا جثة مساعدته الأول في شقته في الحي الأصفر في نفس اليوم».

شهقت روهاني، ونهض أودن من مكانه وهو يصرخ: «ماذا؟! هل قُتل توي جي؟ كيف تخفي عنا خبرًا فظيلاً كهذا؟!» كان الغضب ينتشر في الغرفة إذ قامت روهاني من مكانها أيضًا وهي توجه إصبعًا نحو المحقق وتتكلم بصوت يرتفع شيئًا فشيئًا.

«كيف تجرؤ على أن تخفي عنا ما حدث لتوي جي؟! إنه مساعد والدي منذ أكثر من عقد من الزمن وصديق أيضًا وكان من حقنا أن نعرف أنه قد مات! ... مهلاً.. هل تعني أن من قتل والدي.. ذهب أيضًا لمنزل توي جي وقتله؟!»

كانت الصدمة على وجه روهاني وأودن مؤلمة جدًا، حتى نسيت أجوان ما حدث لها منذ دقائق ونهضت لتهدئ صديقها وتعيدها للكرسي. ثم جلست بجانبها وهي تسمح على ظهرها وتحاول أن تثبت لها مشاعر الهدوء والطمأنينة. والمدعش أن روهاني هدأت وتوقفت عيناها عن التجول في الغرفة وعاد تنفسها لطبيعته السابقة.

ولكن أودن كان ما زال ينتفض من الغضب، فأكمل ثورته ضد المحقق، وضرب براحه يده اليسرى ظهر الطاولة، حتى اهتزت الملفات والصور التي تظهرها، وقال بصوت منخفض يخفي تحته غضبًا عارفاً: «أريد منك الحقيقة كاملة! بل هذا أمر عسكري، يا حضرة النقيب!!».

ابتسم المحقق ولم يتحرك من مكانه: «سيادة الرائد، مع احترامي لرتبتك، إلا أنني أعمل في الشعبة الأمنية التي تشرف على الأمن في القوات العسكرية، وأنت تعلم ذلك جيدًا. ولست ملزمًا بالكشف عن أية حقائق لأسرة الضحية.. ولكن..» وهنا لوح بيده لأودن بالهدوء والجلوس، إذ لاحظ أن غضب أودن قد يجعله يتصرف بطريقة متهورة، وأكمل: «ولكن.. فأجأني ضيفتكم الشابة بالمعلومات التي ذكرتها عن الوشم.. ولذلك.. أعتقد أنه آن الأوان لاكتشف لكم عن التفاصيل التي لدينا».

استمعت أجوان لسرده للأحداث وهي تكاد لا تصدق أذنيها. فيبدو أن مجموعة غير محددة من المجهولين اقتحمت منزل مساعد الأميرال وانتظرت عودته للمنزل ثم قامت بتعذيبه لمدة غير معروفة من الوقت. وبعد أن عانى من قطع وتبر وخزق، توقف قلبه من الألم والنزيف، وعثرت شقيقته في الصباح التالي على جثته الممثلة بها. ويبدو أن التعذيب قد استغرق عدة ساعات من الليل، بينما كانت أسرة الأميرال تتعامل مع صدمة مقتله في المساء ذاته.

دفنت روهاني وجهها في يديها من الصدمة والإعياء، وحمدت ربها أنها أصرت أن تذهب سيمي للبقاء في منزل زوجة عمها الراحل، وهو مسكنها المعتاد عندما تغيب روهاني للعمل على محطاتها، ويغيب الأميرال في مهامه الرسمية. كانت تريدها أن تبعد عن أجواء مسرح الجريمة، وعن الطابق العلوي حيث ما زالت بقعة الدم الكبيرة التي صبغت الأرض الخشبية بلون داكن لا يمكن غسله أو تنظيفه.

«والآن يا سيادة الرائد.. أود أن أسمع منك كل تفاصيل لقاء ضيفتكم الشابة بهؤلاء الذين يحملون هذا الوشم.. ولا تتركوا أية معلومات مهما كانت تافهة».

بدأت روھاني باستعراض سريع للقائھا الأول بأجوان، فأخبرته عن طبيعة كوكبھا وشعبیہ المختلفین، والكارثة الهائلة التي تسببت في تشردھا ووصولھا للمحطة، ثم عن اكتشاف حمل أجوان، وأخيراً عن المرض سلیقور ودوره في اختطاف واستجواب أجوان ثم العملية التي أجراها لاستخراج جنینھا، واختفاء المجموعة مع الوليد. وبعد انتهائھا سردت أجوان ما تتذكره من أحداث خلال تلك الساعات الغامضة التي سبقت عملية اختطاف طفلھا.

«هممم... لماذا تعتقدين أن أسئلتهم كانت تدور حول الجهاز التنفسي لدى الهافيكي؟ ثم ما حكاية أسئلتهم حول «القدرات الأخرى»؟

هزت أجوان كتفیھا بتلك الطريقة التي اعتادت أن تستخدمھا عندما لا تكون لديها إجابة، أو عندما لا تريد أن تتطرق لأمر غير مريح بالنسبة لھا. ومع ذلك استمرت ملامحھا في عكس ما يدور في ذهنھا من حيرة وقلق بالغین. ولكن المحقق استشف أنها تخفي أمراً ما، فاستمر في أسئلته المباشرة:

«هل لديك قدرات أخرى بالإضافة إلى التنفس في الماء؟».

أشاحت أجوان بوجهھا لتتطرق للنافذة المطلة على الحديقة، واتخذت ملامحھا تلك التعبیر الجامدة التي لا تظهر أية مشاعر ولكنها تدل في حد ذاتھا على أنها تخفي مشاعر قوية.

«لا أقصد أن أكون فضولياً، وأتدخل فيما لا يعنيني، ولكنني أجري تحقيقاً في جريمتي قتل. ولقد كشفتم لي الآن علاقة واضحة بين قضية الأميرال وقضية اختطافك واختطاف طفلك، فلهذا، أصبحت القضايا جميعھا تهمني. وأجد نفسي مضطراً لأن ألخ عليك بالسؤال... هل لديك قدرات مختلفة تجعل هؤلاء المجرمين يهتمون بك وبطفلك؟»

هنا تدخلت روھاني لتخفف من حدة كلام المحقق: «اسمع يا دوفاتيل، أنت في منزلي، وهذه ضیفتي. إن كانت لا تريد أن تجيب عن أسئلتك، فهذا شأنھا وليس لك الحق في الضغط علیھا».

رماھا المحقق بنظرة ضيق وتوبيخ، ونهض من مكانه ليقف أمامهم ببذلتھ الرسمية - وكأنه يذكرهم برتبته ومهمته الرسمية، ورد على روھاني بسرعة: «ألا تريدين أن تعرفي من قتل والدك؟»

عضت روھاني على شفتھا السفلي وأغمضت عینيھا من ألم يمزقھا بين ولائھا لوالدھا وولائھا لصديقتها: «ليس لقدرات أجوان علاقة بالأمر، فاتركھا وشأنھا».

لمعت عینا المحقق ونقل نظره بسرعة لوجه أجوان التي تجنبته النظر إليه: «إن هناك قدرات أخرى؟»

وفي لحظة انقلبت التعبیر الجامدة إلى شكل مختلف، إذ استشاطت أجوان غضباً، فنهضت واقفة ومالت للأمام وهي تكلم المحقق: «إنك إنسان مزعج وفضولي لأقصى درجة! تستمتع بألم المحيطين بك وتعتمد الضغط علیهم لتراقب رد الفعل لمجرد المراقبة

الفضولية المجردة من الفائدة المهنية. لست كالعلماء الذين يخرجون سمكة من بينتها ويضعونها على صحن ويراقبون مراحل موتها، بل أنت كالأولاد القساة الذين يخرجونها ليتفرجوا عليها وهي تنازع! أنت ... يا إلهي نعم، أنت فعلت شيئاً كهذا بالفعل!»
قالتها والاشمئزاز يغمر وجهها وهي تدرك فجأة أنها استشعرته وهو يتذكر طفولته وحادثه مع طير صغير، وقف يتفرج عليه وهو يموت، ولم يساعده أو يشعر بالشفقة نحوه.

غمرت المفاجأة وجوه المتحلقين حول الطاولة، حتى روهاني التي كانت تعرف بعض الشيء عن موهبة أجوان، ولكن الصدمة التي غمرت وجه المحقق كانت أكثر حدة، إذ عقد الذهول لسانه وشل حركته فلم يرد عليها ولم يقم بأية حركة.

احمر وجه أجوان حين وقع نظرها على الوجوه المصدومة، فعادت للجلوس في كرسيها ببطء وهدوء وهي تنظر لسطح الطاولة بحرج بالغ بعد أن سمحت لغضبها أن يكشف سرها.

تنحنت روهاني ونظرت لأودن لترى مقدار تأثير الصدمة عليه، فوجدته ينظر لأجوان بعين جديدة فيها شك وقلق ولكن.. بعض من الاحترام الخذر أيضاً. بينما استمرت تعابير الذهول مرتسمة على وجه المحقق.

فجاء تعليق روهاني ساخراً بعض الشيء: «ممتاز! كلنا الآن نعرف معنى عبارة «قدرات أخرى». هل نتابع الحديث عن آخر ما توصلت له تحقيقاتك يا سيادة المحقق؟»

كان يوماً بارداً ومعتماً، والسماء ملبدة بالغيوم الداكنة، ومع ذلك لم تهب نسائم باردة كعادتها في الأيام السابقة، فازداد اليوم كآبة بأجوائه المخنوقة. توجهت روهاني وسيمي وزوجة عمهم نحو المركبة الأولى المتوقفة في بداية صف طويل من المركبات. راقبتهم أجوان وهي تمشي بجانب أودن في الوقت ذاته الذي تلفتت حولها تراقب المجموعة الكبيرة المغادرة للمكان.. إنهم يفوقون المائتي شخص بين «مدني» و«عسكري».. وكلهم جاءوا ليشهدوا مراسم دفن الأميرال. بدا الحزن بالغاً على وجوههم، وكانت أجوان تشعر بصدق عواطفهم، فعجبت من هذا العدد من الناس الذين حرصوا على الحضور وتقدير كلمات العزاء والمواساة لأسرة الفقيد. لا بد وأنه كان رجلاً عظيماً ليحظى بكل هذا الحب والاحترام. ولكن لماذا تستغرب، وهي التي قابلته لبضع ساعات واكتشفت بسرعة كرم أخلاقه وقلبه الكبير؟ لماذا تستغرب وقد قضت شهراً طويلاً مع ابنته الكبرى التي كانت مصدر دعم معنوي كبير لها في أسوأ حالاتها؟ بالطبع كان رجلاً عظيماً!

ولكن من يريد قتل رجل عظيم كالأميرال؟ ولماذا يريد قتله؟ وما الذي يجمع بين من قتلوه ومن اختطفوها وأخذوا منها طفلها؟! لقد دارت هذه الأسئلة بينهم عدة مرات منذ يوم اكتشاف هذه الصلة الغامضة، ولم يتمكن أحدهم من استنتاج سر هذه الصلة. وما زال المحقق يسأل الأسئلة ذاتها هنا وهناك، وهو يكمل إجراءات تحقيقه في جريمة غامضة التفاصيل هزت المجتمع في هذه المدينة الآمنة، كما هزت أوساط السلك العسكري، ليس فقط على كوكبهم بل على غيره من الكواكب العسكرية المحورية في

هذه الربيعة. من استماعها لمحادثات المحقق وروهاني وأودن، استشفت أجوان أن الكون المعروف ينقسم إلى 4 ربيعيات على حد تعبيرهم. وكل ربيعة بها قطاعات، قد تبلغ 100 قطاع أو هذا ما فهمته. وتنتشر كواكب الاتحاد الفضائي على مدى هذه القطاعات، وقد تكون كواكب متطورة توصلت شعوبها إلى تقنية السفر عبر الفضاء، أو كواكب بدائية لا تملك حضارات متطورة بعد. ونظرًا لهذا الحجم الهائل من الفضاء والكواكب المنتشرة فيه، تم تقسيم المجرة إلى هذه الأقسام وتحديد أساطيل فضائية تعمل على حفظ الأمن والسلام أينما كان مسارها. وقد فهمت أجوان أن الأميرال فينو سليفني قائد لأسطول كبير مسئول عن حفظ الأمن في قطاعهم وبالتالي فقد خسرت القوات المسلحة شخصية قيادية هامة.

توقفت روهاني بجانب المركبة الزرقاء، ودار حديث هادئ بينها وبين سيمي وزوجة عمهما، فلم تشأ أجوان أن تتطفل عليهم، فتوقفت بعيدًا عنهم وهي تراقب باقي الحضور يودعون بعضهم ويستقلون مركباتهم ليعودوا لحياتهم الخاصة بعد أن قاموا بواجبهم لوداع الفقيد. تذكرت أجوان أفراد أسرتها الذين لم تستطع أن تودعهم، أو حتى أن تتقبل العزاء بموتهم، فامتلات عينها بالدموع، وأشاحت بوجهها بعيدًا، فالتقت عينها بعيني أودن. أحست بحرج أودن مما رآه، وبرغبته في أن يتركها وحيدة مع حزنها، وهو جاهل تمامًا بأنها ليست حزينة على الأميرال بل حزينة على من فقدتهم قبله. فكرت راحتي يديها ببعضهما البعض بهدف التخلص من البرودة الدائمة لأصابعها، وابتسمت لأودن ابتسامة شجاعة وقالت: «لأبد وأنتك شيعت من رؤيتك للدموع طوال الأيام الماضية. أنتم العسكريون تبدوون أقوىاء وبعيدين عن العواطف وتعتقداتها».

استجاب أودن لكلامها بابتسامة مهذبة، وقال وهو ينظر حيث تم دفن جثمان الأميرال: «كان الأميرال مثل الوالد بالنسبة لي، فقد خدمت في وحدته الأرضية لسنوات عديدة، وهو من عرفني على روهاني. لذلك فأنا لا أعتبر هذه العواطف دليلًا على الضعف، بل هي تعبير عن إنسانيتنا وحبنا لشخصية لمست حياتنا بكل جوانبها. من المفارقات أن الأميرال هو من كان سيتضايق من عواطفنا في هذا اليوم الحزين. لقد كان مثالًا للشخصية العسكرية القوية التي لا تسمح لعواطفها أن تتدخل في عملية اتخاذ القرارات. وهو ما كان يقوله لكل المتدربين عندما كان يخدم لمدة أشهر كقائد تدريب للوحدات الخاصة. يقولون لي إنه كان قاسيًا جدًا معهم، وكانت الوحدات التي تتدرب على يده من أفضل الوحدات القتالية الخاصة».

لم تكن أجوان مهتمة كثيرًا بالمواضيع العسكرية، بل كانت بالعكس تكره حديثهم عن الحرب والقتال، وتستغرب كيف يمكن أن تكون تلك مواضيع اعتيادية، بينما تنقلب فِعِدتها كلما تحدثوا عنها. ولكن عندما عادت بنظرها إلى روهاني، وجدتها منغمسة في الحديث مع زوجة عمها ويبدو أن محور الحديث كان سيمي، التي بدت معترضة على شيء قد قالته روهاني. ولأن سمع أجوان حساس ويمكنه التقاط بعض ما يقولونه، أرادت أن تمنع نفسها من استراق السمع، فطرحته سؤالها التالي بصورة تلقائية دون التفكير فيه: «وما هي الوحدات الخاصة؟»

دس أودن يديه في جيب معطفه بحثاً عن الدفء، وضرب الأرض بقدميه لتحريك الدورة الدموية فيهما وقال: «القوات الخاصة قوات قتالية صغيرة الحجم تتلقى تدريبات قاسية جدًا للتأهل للقيام بعمليات عسكرية معقدة وخطيرة جدًا وبالغة السرية. إنها قوات خارج النظام العسكري المعروف لدينا، وقد تتكون من خريجي الأكاديميات العسكرية مثلي أو مثل روهاني، أو أي أفراد آخرين يتمتعون بمهارات أخرى ولم يخضعوا للتعليم العسكري الأكاديمي. إنها قوات عالية الكفاءة، وتنجز عملها بسرعة وبثقتهم بالغين. مثلاً، يمكن أن تقوم بتدمير قاعدة عسكرية دون الحاجة لاستخدام جيش كامل. أو يمكنها أن تختطف قائد جيش معاد.. أو العكس، يمكنها أن تستعيد شخصية تعرضت للخطف... وبالطبع هناك الكثير من السيناريوهات التي...»

قاطعت أوجان بلهفة: «تعني أنهم يستطيعون استعادة شخص مخطوف؟ مثل طفلي؟!»

رفت عينا أودن وهو يحاول أن يربط بين ما كان يسرده من معلومات عسكرية جافة وبين السؤال الذي فاجأته به أوجان.. فتلثم وهو يحاول أن يفكر بالطريقة الأسلم للتعامل مع هذا الوضع الجديد: «أمم.. آه.. نظريًا الوحدات الخاصة قد تُكلف بمهمة استعادة شخصية مختطفة.. ولكن.. أمم..»

أمسكت أوجان بكُم معطفه وهي تلح بالسؤال: «كيف لي أن أتصل بهم؟ هل يمكن أن أذهب لمقركم الرسمي وأقدم طلبًا؟ ساعدني يا أودن.. أنت تعلم بوضعي وبحاجتي للعثور على طفلي..»

في تلك اللحظة قاطعتهم روهاني وكانت عيناها محمرتين من البكاء: «ما بكما؟ هل حدث شيء ما؟»

ارتاحت أوجان لرؤية روهاني فتركت كُم أودن وأمسكت بمعصم روهاني وهي تهذه وتقول: «روهاني، قد تستطيع القوات الخاصة العثور على طفلي وإنقاذه.. أودن يقول إنهم يستطيعون تخليص الضحايا المختطفين..»

رمقته روهاني مستغربة مما قالته أوجان: «هل قلت لأوجان إن القوات الخاصة ستنقذ طفلها يا أودن؟ أنت تعلم أن..»

أخرج أودن يديه من جيب المعطف وهزهما باتجاهها مستوقفاً روهاني: «مهلاً.. مهلاً.. لم أقل هذا.. كنت أشرح لأوجان طبيعة عمل القوات الخاصة.. هي سألتني عن معنى القوات الخاصة، فأجبته ببساطة.. وأعطيته أمثلة عن بعض مهماتهم الخاصة التي اشتهرت بها هذه القوات. أوجان، دعيني أشرح لك...»

ولكن أوجان لم تكن مستعدة للتخلي عن ذلك الأمل الذي تولد بداخلها ثانية، فبدأت تتوسل لروهاني: «أرجوكم أرجوكم، إن كانت هذه القوات متخصصة في إنقاذ المختطفين، لماذا لا تأخذوني لهم، وأنا سأقنعهم بمساعدتي!»

سحبت روهاني معصمها من قبضة أوجان المتشبثة بها، وجمعت يديها ونظرت مباشرة في عينيها: «اسمعي يا أوجان.. لن أقول إن هذه الفكرة مستحيلة، ولكن في الوقت ذاته،

لن أقول إنها ممكنة.. فلنغادر هذا المكان الكئيب، ونغد للمنزل، وهناك سنكمل هذا الحديث. اتفقنا؟»

قلبت أجوان النظر بين أودن وروهاني بحثًا عن طريقة أخرى تقنعهما بمواصلة الحديث، ولكنها استسلمت أخيرًا لرغبة روهاني، وتوجهوا بسرعة للمركبة الوحيدة المتبقية في الطريق، في نفس الوقت الذي بدأت السماء تمطر بغزارة في مشاركة متأخرة منها لأحزان هذا اليوم القاتم.

حصريا على روايات وكتب عربية وعالمية
<https://t.me/riwayat2025>
يسعدنا انضمامك لنا



خيار ليس بخيار

جلست أجوان على الكرسي المعدني في غرفة الانتظار البيضاء وقلبها يقرع أضلعها بقوة. كانت تعبت بطرف كم يدها فتمظه ثم ترخيه، حتى وضعت روهاني يدها على أصابع أجوان لتسكن حركتها العصبية. رفعت أجوان عينيها لوجه روهاني فوجدت ابتسامة خفيفة ترقص على أطراف شفتيها. أحست أجوان بحرج لكشفها عن عصبيتها وتنهت وقالت بصوت خافت لا تسمعه سوى روهاني: «لو كان أبي مكانك لوبخني على عدم اتزاني، ثم كان سيوبخني أكثر على إظهار علامات على عدم اتزاني».

استغربت روهاني هذه العبارة ولففت انتباهها نبرة المرارة في صوت أجوان فسألت: «ولماذا يوبخك على تصرف طبيعي في موقف صعب؟! فنحن في غرفة انتظار القائد العسكري الأعلى في مدينتنا.. بالطبع ستظهر منك علامات التوتر والقلق».

تهتت أجوان ثانية وأجابت: «ليس بالنسبة للهافيكي، فنحن لا نظهر علنا علامات ضعف كهذه. إنها تصرفات طفولية تفتقر للنضج والعقلانية... لم أكن أجيد الاتزان ورباطة الجأش حتى في مدينتي. كنت مصدر إحراج لوالدي في بعض المواقف. أعتقد أنه استسلم أخيرًا عندما تزوجت ركان وانتقلت للسطح». عضت على شفها السفلى بقوة واتكات بكوعها على ركبتيها، وحدقت في حداثها محاولة تفادي امتلاء عينيها بالدموع.

ربتت روهاني على يدها وغيّرت الموضوع بسرعة إلى موضوع تافه عن الطقس في اليومين الماضيين. فقد هطلت أمطار كثيفة على مدينتهم والريف المحيط بها حتى تحولت إلى سيول دمرت كميات هائلة من المحاصيل. ولو استمر الوضع هكذا فستضطر الجمهورية لاتخاذ إجراءات طارئة لتأمين الغذاء لجميع المدن.

باغتهم السكرتير النحيل وهو يدخل الغرفة بخطوات خفيفة وسريعة ويشير لهم بلحاقه. نهضت روهاني بسرعة ورشاقة عسكرية بينما قفزت أجوان من مقعدها كأنها كانت تجلس على مسامير، وتبعث روهاني والسكرتير في ممر واسع تغطيه الألواح الخشبية الغامقة اللون وتخلله عدة أبواب من الخشب نفسه، كلها مغلقة وقد علقت عليها لوحات معدنية صغيرة، خمنت أجوان أنها مسميات وظيفية أو أسماء أصحاب

الغرف التي تقع وراء هذه الأبواب. وسرعان ما توقف السكرتير أمام باب أكبر من باقي الأبواب، وطرق عليه طرقتين سريعتين، وانتظر ثانيتين، ثم فتح الباب ولكن لم يدخل الغرفة بل أشار لروهاني وأجوان بالدخول.

دخلت روهاني الغرفة الواسعة وتبعتهما أجوان، وأول ما لفت انتباهها رائحة نفاذة في الغرفة. راقبت روهاني وهي تقف أمام المكتب الذي يتوسط الغرفة وقد اتخذت وضعية عسكرية تدل على الانتباه الكامل وأدت التحية، واضعة قبضة يدها اليمنى على قلبها لمدة 3 دقائق قلب، ثم أنزلت يدها بحركة سريعة لتتركها على جانب جسدها تمامًا كما هي حال اليد الأخرى. تساءلت أجوان إن كان عليها أن تقوم بالحركة نفسها، ثم تذكرت أنها ليست مجنونة في العسكرية وبالتالي فليس من المتوقع منها أن تقوم بالتحية المعهودة. ربما سيكتفي القائد بمد يده ومصافحتها، كما فعل الأميرال قبله؟ أثناء ذلك كان القائد زوفات الذي ظل قابلاً وراء مكتبه ينظر لروهاني من تحت حاجبين كثيفين اختلط فيهما الشعر الأسود والأبيض فأوحى بأن لونه رمادي. كان يلفه دخان وردي اللون، أدركت أجوان أنه يتصاعد من وعاء أسود اللون يجلس في حامل معدني يحوي مادة شفافة مشتعلة. مال القائد فوق الوعاء واستنشق الدخان بنفس عميق وأغمض عينيه لثانيتين، ثم تركه وأسند ظهره للكرسي الضخم ومال للوراء فأصدر الكرسي أنيناً غريباً وكأنه يشتكي من ثقل صاحبه.

«لقد أسفت كثيراً لما حدث لوالدك يا راند بولكوفو. أرجو أن تقبلي عزائي».

فأجابته روهاني دون أن تنظر له، بل بدت وكأنها تخاطب النافذة الواقعة وراءه مباشرة. «شكراً سيدي».

«تفضلي بالجلوس، وأخبريني عن ضيفتك والسبب من زيارتك».

أرخت روهاني من بعض صلابة حركتها، وأشارت لأجوان بالجلوس على أحد الكرسيين المجاورين للمكتب، ثم جلست في المقعد الثاني دون النظر لأجوان ثانية. وبينما جلست أجوان يهدوء في الكرسي غير المريح، بدأت روهاني تشرح للقائد ظروف التعرف على أجوان على متن محطتها الفضائية، ثم حادثة خطف طفلها، وأنهت سردها باغتيال والدها واكتشاف العامل المشترك بين الحادثتين. لم تتغير ملامح وجه القائد أثناء سرد روهاني للقصة بأكملها، حتى عندما ذكرت الوشم الذي يحمله قاتل والدها وعلاقته بالوشم الذي يحمله مختطفو الطفل، ولكن موهبة أجوان المميزة مكنتها من اكتشاف الصدمة التي أصابته من هذا الخبر. ومع ذلك، لم تستطع أن تفهم لماذا تحولت صدمته إلى غضب متزايد، حتى مال للأمام وأراح ذراعيه على سطح المكتب.

«وفيما تجري التحقيقات في قضية اغتيال والدي، أجدني أيضاً بحاجة لإيجاد طريقة لمساعدة ضيفتنا أجوان. وقد لجأت لك اليوم وكلي أمل أن يكون لديك الحل يا سيادة القائد زوفات».

زَمَّ القائد شفتيه، ونقل نظره إليها يهدوء دون أن يحرك رأسه: «وما الذي يمكنني أن أساعدك به؟».

لم تفهم أجوان إن كان السؤال موجهاً لها أم لروهاني، ولم تعد قادرة على الصمت

فقال بسرعة: «هل تستطيع قوائكم الخاصة أن تبحث عن طفلي وتعيده لي؟»

ارتفع حاجبا القائد الغليظان، ورفع يديه من على سطح المكتب وأعاد ظهره للوراء ليستند لظهر الكرسي مجدداً، مصدراً الأنين ذاته. وضع القائد كوعيه على جانبي الكرسي وشبك أصابعه أمام صدره، وقبل أن يرد عليها، عرفت أجوان أنه على وشك أن يراوغ في الحديث، فقد استشعرت ضيقه بما يراه فتاة صغيرة في حالة هستيرية لا تفهم سخافة ما تطلبه. كما أنها أحست به وهو يستعد لرفض طلبها بطريقة مهينة تستخف بعقلها.

«ضيفتنا الكريمة.. إن قوائنا الخاصة تُستخدم للمهام الخطيرة والحساسة، وخاصة تلك التي تركز على حماية أمننا العام. إنها متخصصة في الدخول والخروج بسرية تامة ولكنها يجب أن تعرف هدفها وتدرسه جيداً قبل اقتحامه وتنفيذ العملية المطلوبة منها. لذلك - وأنا لا أقول هذا كوعد مني بمساعدتك، ولكن لأبين لك صعوبة ما تطلبينه - سؤالي هو: هل تعرفين مكان طفلك؟ أو هوية من أخذه على الأقل؟»

عقدت الصدمة لسان أجوان، كما غمرتها مشاعر مختلطة من روهاني التي أشفقت على حالها وكظمت غيظها من فظاظة القائد، ومن ناحية أخرى لاحظت مشاعر القائد وهو يراقبها وهي تحرك فمها دون أن تصدر منه كلمات، كأنها سمكة وجدت نفسها خارج الماء. نظرت أجوان لروهاني تبحث عن عون لها في لحظة ضعفها. فوضعت روهاني أصابع يد واحدة على مكتب القائد، وحاولت أن تسيطر على نبرة صوتها وهي تقول له: «صحيح أننا لا نعلم هوية المختطفين، ولا نعلم إلى أين تم اصطحاب طفلها، ولكننا نملك دليلاً هنا في كراسوتكا. فلدينا جثة قاتل أبي ويجري حالياً التحقيق في طريقة دخوله المدينة ومن أين أتى. لا بد أنك ترى أن الحادثتين متصلتان وأن العثور على أدلة في واحدة منهما سيكون خيظاً يؤدي إلى اكتشاف أسرارهما».

لم يغير القائد جلسته أو وضعية أصابعه، وانتظر حتى انتهت روهاني من حديثها، ثم أجاب بالطريقة اللامبالية ذاتها التي أجاب بها أجوان: «لا شك أن اكتشاف قتلة الأميرال فينو سليفني مسألة تهمنا جميعاً، وسأقوم بنفسي بمتابعة تطورات التحقيق في هذه القضية منذ الآن فلاحقاً.. ولكن.. القضية الثانية حدثت خارج حدودنا، ولا نملك أية أدلة سوى.. أقوال الشاهدة الوحيدة على الحادث..».

كانت كلماته هادئة ومدروسة جيداً، ولكن مشاعره المختبئة في ذهنه كانت تلطم وجه أجوان بفضاظة؛ إذ كانت تدل على أنه يعتبر شهادتها غير مضمونة وأنها ربما ملفقة بالكامل. في تلك اللحظة اشتعلت شرارة في ذهن أجوان تحولت إلى ثورة لهيب عاصفة. بعد أشهر مريرة من الألم والضياع والعجز يأتي هذا الرجل ليشكك فيما حدث لها وفي أقوالها؟! كيف يجرو؟ ولا بد أن ما كان يدور في ذهنها كان واضحاً على وجهها، إذ تحركت روهاني وكأنها توشك على النهوض، في الوقت نفسه الذي اتكأت أجوان على مكتب القائد وبدأت تنهض من مقعدها ووجهها يزداد احمراراً. وبدأت عبارتها التالية بهمسة وانتهت بصرخة عالية: «أنا لست كاذبة!».

ولكن الكلمة الأخيرة ضاعت في الأحداث التي تلتها، فقد تحرك المكتب باتجاه القائد

بسرعة وعنف فاجأت الجميع، فاصطدمت حافة المكتب بصدر القائد وانقلب وكرسيه للوراء ليختفي تحت المكتب الذي انتهى به المطاف بالاصطدام بالجدار بصوت عالٍ والتوقف عن الحركة.

جرت الأحداث في أقل من 3 ثوان، لم تسمح لروهاني أن تتصرف أو حتى أن تستوعب ما كان يحدث. بينما جمدت أجوان في مكانها وقد امتدت يدها أمامها تمامًا كما كانت عندما وضعتها على سطح المكتب وجسدها مائل للأمام، وقد شكل قمها دائرة من الصدمة والدهشة البالغة تضاهيه فقط استدارة عينيها الجاحظتين.

كانت روهاني أسرع في استعادة صوابها والتصرف بسرعة، وربما أثارها أكثر صوت القائد وهو يصرخ وين من تحت المكتب. وفيما قفزت روهاني لتفك القائد من اشتباك أذرعها وأرجله بأرجل الكرسي والمكتب، داهم الغرفة السكرتير ومعه جنديان مسلحان. ولكن أجوان لم تلاحظ أيًا من تلك التفاصيل، فقد كانت تحقق في يدها اليسرى وكأنها تنظر لحيوان شرس غادر يمكن أن ينقض عليها في أي لحظة إن توقفت عن مراقبته. انقض السكرتير عليها وأمسك بذراعها وجزها نحو الحائط دون أية مقاومة منها. بينما احتار الجنديان بين إنقاذ القائد والسيطرة على روهاني ظنًا منهما أن لها يداً فيما جرى لقائهما. ولكن روهاني كانت تصرخ بهما أن عليهما مساعدتها لتخليص القائد من المساحة الصغيرة التي خسر فيها. وبعد عدة محاولات، تمكن الجنديان من تحريك المكتب الثقيل، بينما نجحت روهاني في سحبه ومساعدته على الوقوف.

ترنح القائد وهو يتجه للكنبات الوثيرة في الجانب الثاني من الغرفة، ورمى بنفسه على إحداها وهو يزفر بشدة. وقفت روهاني بعيدًا عنه ترقبه بحذر وقلبها ما زال يدق بعنف، ولكنه الآن يدق خوفًا مما سيأتي لاحقًا. نظرت لأجوان بسرعة لتتأكد من أن الفتاة بخير ومن أنها لن تتصرف بحماقة. وجدها في قبضة السكرتير الطويل وقد ألصقها بالحائط وهي في حالة ذهول تام. هزت روهاني رأسها في حيرة مما شهدته منذ دقائق. هل قامت أجوان بدفع المكتب بيدها.. أم بذهنها؟ لم تكشف في السابق عن قوة جسدية عظيمة، كما لم تكشف عن موهبة ذهنية كهذه. فلماذا الآن؟ وما الذي ستفعله الآن لتخلصهما من هذه الورطة؟ لم تأتيا هنا لتعتقلهما القوات المسلحة بتهمة الاعتداء على القائد الأعلى. ولكنهما ستواجهان تهمة بذلك بلا شك. تنهدت روهاني واعتدلت في وقفتها لتواجه القائد وغضبه القادم لا محالة.

كان القائد صامتًا لدقائق وهو يستعيد أنفاسه، وقد أسند كوعيه على ركبتيه ووضع رأسه في يديه، يفرك وجهه ويمسح شعره، كمن يحاول إنعاش نفسه. ومد يده لمؤخرة رأسه يتحسسها، ثم تفحص اليد خوفًا من أن يكون قد أصيب وأن رأسه يدمي دون معرفته. وعندما لم يجد أثرًا لدم، رفع رأسه وتلفت في الغرفة حتى وقع نظره على أجوان. راقبها للحظات دون أن يكشف وجهه عن أي من أفكاره، ولكن بدا كمن يحاور نفسه. ودون أن يغير جلسته أو يرفع عينيه عن أجوان، قال بصوت أجش: «أوهران.. اتركونا الآن. سأستدعيك لاحقًا».

فوجئ السكرتير من الأمر الموجه له فقد كان واضحًا أنه لم يتوقع أي شيء أقل من

تورة غضب وأمر فوري بالاعتقال والاستجواب. ولكنه في النهاية لم يكن سوى رجل عسكري قد تدرب لسنوات عديدة على الامتثال لأوامر قائده دون نقاش، فلم يملك سوى أن يترك ذراع أجوان، ويشير للجنديين بالخروج. وبعد أن خرج العسكر، رمق أوهان روهماني بنظرة محملة بالعديد من المعاني - ربما أهمها التحذير - ثم خرج من الغرفة وأغلق الباب بهدوء.

«الرائد بولكوفو. أحضري ضيفتك وأجلسيها. تبدو مذعورة وهي تقف في تلك الزاوية».

لم تكن دهشة روهماني أقل من دهشة السكرتير، فهي أيضًا كانت تتوقع الأسوأ. ولذلك لم تكن تريد أن تتفوه بأي كلمة قد تغير الوضع المحير الذي وجدت نفسها تعيشه منذ أن دخلت هذه الغرفة. لم تعترض أو توجه للقائد الأسئلة التي كانت تتزاحم في ذهنها، بل التفتت لأجوان، وقطعت المسافة القصيرة التي تفصلها عنها. كانت أجوان ما زالت مستندة للحائط دون حركة، ولكن بدا التوتر واضحًا في الطريقة التي شبكت بها أصابع يدها وفي ارتفاع كثفيها عن مستواهما العادي وفي تحديقها في السجادة البنية بتركيز حاد وكأنها تبحث عن شيء محدد. أخذت روهماني نفسًا عميقًا، وحاولت أن تتكلم بأسلوب تهدئة: «أجوان.. كل شيء يمكن أن ينصلح. وسنجد حلًا معًا كما نفعل دائمًا. تعالي معي لنجلس ونتحدث. اتفقنا؟» قالتها وهي تمد يديها بهدوء وتضعهما على أصابع أجوان وتفكها بلطف. سمحت لها أجوان أن تفعل هذا كله ولكنها نظرت إليها وعيناها مليئتان بالأسئلة. فانفطر قلب روهماني عليها وهي تعلم أن ليس لديها إجابات لأسئلتها، ولكنها كانت تشك بأن القائد قد يملك بعضها، إذ إن رد فعله لما حدث لم يكن ما توقعته أبدًا.

جلست أجوان على طرف الكنب واستمرت في التحديق في السجادة، بينما استمر القائد في مراقبتها بعين فاحصة. اتخذت روهماني مكانها على الكنب الجانبية ولم تستطع أن تمنع نفسها من السؤال: «سيدي.. لا أفهم ما حدث. وكما ترى، أجوان أيضًا لا تعي ما حدث. ولكن.. يبدو لي وكأنك قد رأيت شيئًا مألوفًا. أم هل أنا مخطئة، سيدي؟».

نظر القائد زوفات لها نظرة خاطفة ثم عاد ليراقب أجوان وعلى شفثيه ابتسامة خفيفة. «تقاريرك لا تكذب. أنت بالفعل ذكية وسريعة التصرف».

فوجئت روهماني بهذا المنحى الغريب، وكبحت مشاعر الفخر التي اعترتها جراء الإطراء غير المتوقع، فهذا ليس المكان والوقت المناسبين للزهو والغرور. إنها إنسانة عملية، وهناك أمر غامض يجري هنا، وعليها أن تحمي صديقها وتحافظ على وظيفتها في الوقت نفسه. على الأقل حتى تكتشف هوية قتلة والدها.

«شكرا سيدي.. ولكنني مضطرة للإلحاح عليك بالسؤال. لماذا لم تأمر باعتقالنا الفوري؟ لو كنت مكانك لفعلتها. وبصراحة.. ومع كامل التقدير والاحترام.. لقد سئمت من هذه الألعاب، وأريد إجابة واضحة... سيدي».

في هذه المرة، ارتسمت ابتسامة واسعة على وجه القائد، فأعاد ظهره للوراء، وأراح جسده المتعب، والتفت إلى روهماني ليعطيها انتباهه الكامل هذه المرة. «وصريحة ولا

يسهل خداعك. هذا أيضًا صحيح».

لم تعلق روهاني وحملت في وجهه بصمت، وكلها تصميم ألا يغير الموضوع الأصلي. أشار القائد برأسه نحو أجوان: «هل هي بخير؟ وهل نستطيع الحديث أمامها وهي في هذه الحالة؟».

رفعت أجوان رأسها، وحدقت في وجهه وقد ارتفعت الدماء إلى وجهها في بداية جديدة للغضب، وفتحت فمها لتجيبه، ولكنه قاطعها بسرعة: «طيب.. طيب.. واضح أنك بخير.. لا تنفعلي ثانية فتقلبي أثاث الغرفة!».

أغلقت أجوان فمها فالتقت أسنانها العلوية بأسنانها السفلية محدثة صوتًا واضحًا في الغرفة الصامتة. ولكنها لم ترفع عينها عن وجهه فقد كانت متعلقة بكل جوارحها بما سيقوله بعد أن اتضح أنه بالفعل يفهم ما حدث أكثر منها هي وروهاني. «هل تعرفان ظاهرة تسمى (تليكينيسيس)؟ إنها القدرة على تحريك الأشياء بقوة الذهن».

بدأت روهاني بهز رأسها إيجابًا ببطء في البداية ثم بسرعة أكبر وقد بدأت تتذكر أنها قرأت عن هذه الظاهرة في الماضي، ولكن كنظرية علمية، لا كتجربة حقيقية. ونقلت نظرها لأجوان لترى رد فعلها، فوجدتها حائرة ومندهشة في الوقت ذاته.

وأكمل زوفات شرحه: «يحتوي كوننا أناسًا ومخلوقات لديها قدرات ذهنية هائلة، لا يملك العلم لها تفسيرًا حقيقيًا حتى الآن. فهناك من يستطيع أن يحرك الأشياء بمجرد التفكير في تحريكها.. ويمكنه تحريك الأشياء الكبيرة التي قد تفوق حتى قوته الجسدية على تحريكها. وهناك مهارات ذهنية أخرى لا يهمنا التطرق إليها الآن.. ولكن.. يبدو لي وكأنك تملكين هذه الموهبة يا ضيفتنا الغامضة. أليس كذلك؟».

بدأت أجوان تهز رأسها في محاولة لإنكار هذا الاتهام ولكنها عادت فصمتت.. وأدارت وجهها لروهاني ولسان حالها يقول: هل تعتقدين أنه محق؟

حزمت روهاني أمرها وقررت أن تضع القصة كاملة أمام هذا الرجل الذي أبدى تفهمًا فريدًا لظروفهما غير الاعتيادية رغم أنه يأتي من قطاع لا يسمح بأية ظروف غير اعتيادية. «سيدي القائد زوفات.. لا أدري إن كانت أجوان تملك هذه المهارة، رغم ما رأيناه منذ لحظات، فربما يكون شيئًا عارضًا ويختفي. ولكن.. هناك مهارة أخرى تملكها أجوان، وبما أنك أول شخص يحادثنا عن الظواهر والقدرات الذهنية، فإنني أتمنى أن تساعدنا في.. في الحقيقة.. لا أعلم ما الذي أبحث عنه في هذه المرحلة. فقد أتينا هنا من أجل قضية، وانتهينا بقضية أخرى. إنني حائرة».

سكنت روهاني وفكرت قليلًا، ولكن القائد لم يكن لينتظر، فألخ في سؤاله: «ما هي المهارة الأخرى؟» وقد لمع ضوء جديد في عينيه، حتى أحست أجوان بعدم الارتياح لمقدار الفضول الذي أحسسته يخبئ وراء هذا الضوء.

رفعت روهاني رأسها ونظرت مباشرة لأجوان، وكأنها تقول: هذا سر لك أنت.. هل تريد أن تحكيه له؟

ترددت أجوان للحظات، وأحست بالتملل ونفاد الصبر من القائد الذي بدأ يمسح ركبته بيديه بطريقة عصبية. وبدأت متعثرة في قصتها: «عندما كنت على متن سفينة النجاة، بدأت أحس بمشاعر من حولي، بحزنهم وصدمتهم والكثير من المشاعر القوية. لم أفهم ما كنت ألتقاه منها. وعندما نزلنا في المحطة باتت تتضح الصورة أكثر. كانت هناك فروق بين مشاعري الشخصية وبين مشاعر من يحيطون بي. وهنا فقط فهمت ما كان يحدث. فهمت أنني أستطيع أن أعرف ما يشعر به من حولي، أنني.. أنني أحس به تمامًا كما هم يحسون به، لا أقصد أنني أفهم مشاعرهم، بل أشعر بها وكأنها مشاعري الشخصية.. لا أستطيع أن أشرح لك الفرق..».

لم يحرك القائد عضلة واحدة في وجهه، ولكنها عرفت مباشرة أنه مهتم جدًا بما قالته وأن الأمر ليس بجديد عليه. نهض من الكنية وشبك يديه وراء ظهره وبدأ يجول في الغرفة، حتى توقف وظهره لهما، وحذق في مكتبته الذي استقر عند النافذة. ورغم أنهما لم تتمكنا من رؤية وجهه، إلا أن أجوان كانت تعرف الحرب الشرسة التي كانت تدور في ذهنه. هناك بعض الحيرة والحذر وتمائلهما في القوة موجة من العزم والتصميم وتحت هذا كله تختبئ طبقة من الرغبة في الحماية والحراسة. طال وقوفه أمام المكتب، حتى تبادلت روهاني وأجوان النظرات عدة مرات، وهمت أجوان بالحديث، إلا أن روهاني أوقفها بحركة خفيفة من يدها تطلب منها الانتظار قليلًا.

استدار القائد وفاجأهما وهما تتبادلان النظرات والحركات، فاعتدلنا في جلستهما لتراقبته بتلهف. حذق القائد أولًا في أجوان لتوان غير مريحة، ثم نقل نظره لروهاني وبدأ الحديث بصوت عميق وجاد: «الراند بولكوفو، إن ما سأبوح به الآن يُعد من الأسرار القومية في مؤسستنا العسكرية التي تنتمي لها، وأنت تفهمين جيدًا أهمية الحفاظ على الأسرار التي قد لا يفهمها عامة الشعب، من أجل حمايتهم وحماية الأمن القومي».

أدركت روهاني أن هذا ليس سؤالًا بل هو أمر مسلم به، فهي بالطبع فهمت هذه الحقائق منذ أن تولت القيادة لأول مرة وبدأت ارتقاء سلم الرتب العسكرية. هناك أسرار قد يسبب الكشف عنها انتشار البلبلة في شعوب الاتحاد، ولذلك تبقى محفوظة في أذهان عدد قليل فقط من القيادات، وليست كل القيادات، بل القيادات التي لها علاقة مباشرة بالسر فقط لا غير. راقبها القائد للحظة فأومأت برأسها بحركة سريعة لتؤكد له فهمها لما يقوله.

«ومن أجل حماية أمننا القومي، هناك العديد من البرامج والأنشطة التي تقوم بها وحدات مختلفة من المؤسسات العسكرية.. برامج وأنشطة تضمن الأمن ولكنها.. قد تبدو.. غريبة لمن لا يفهم أهميتها..».

تردد القائد قليلًا، فتدخلت أجوان بلهفة: «أرجوك أن تقول لي ما يعنيه هذا كله بالنسبة لي! وكيف يكون لكل هذا علاقة بما يحدث لي؟ لسث من مواطنيكم.. ولا أدري إن كان كوكبي يتبع الاتحاد أم لا، أعلم أن هذا أمر غريب بالنسبة لك، ولكني لم أسمع من قبل عن اتحاد الكواكب، ولم يرد الاسم في مناهجنا الدراسية..».

قاطعها القائد بحركة من يده وأكمل حديثه: «أعتقد أن كوكبك كان من الكواكب التي

لم تنضم للاتحاد لعدم اهتمامكم بالسفر الفضائي أو لعدم تأهلكم لمعايير الانضمام.. ولكن هذا ليس موضوعنا.. هناك حاجة ماسة لدينا للحفاظ على أمننا، وهو حق مشروع كما تعلمين. ولكي نحافظ على هذا الأمن علينا أن نعرف من هم أعداؤنا.. وأن نسلح بالادوات المناسبة للتصدي لأي هجوم من هذا العدو. أنا لا أقول إن لدينا في هذه اللحظة عدوًا محددًا، ولكن دائمًا تبرز قوى أو فئات تحتاج.. اممم.. تحتاج أن نتعامل معها ببعض الصرامة».

تحرك القائد زوفات من موقعه في وسط الغرفة، وعاد للجلوس على الكنية الكبيرة، ووجه معظم كلامه لروهاني الجالسة على كنية صغيرة على يمينه، بينما لم ينظر كثيرًا لأجوان التي جلست على كنيته الصغيرة ليساره.

«من عقود تسبق خدمتي في هذا المنصب، اتضح أن هناك.. قدرات ومهارات تمتلكها عدة أجناس وأعراق عبر المجرة. وقد توصل من سبقوني في القوات المسلحة إلى أن أفضل طريقة لضمان الاستغلال الأمثل لهذه القدرات والمهارات.. هو أن تُسخر هذه القدرات لخدمة الاتحاد. ولهذا، فوجودكما اليوم.. و.. ما حدث منذ دقائق، يجعلني أعتقد أن القدر قد أتى بكما هنا».

قطبت أجوان جبينها وهي تنقل نظرها بين روهاني والقائد.. إنها لم تفهم شيئًا أبدًا.. ما الذي يقوله، وكيف تكون له علاقة بها؟ ورأت روهاني الحيرة على وجهها فبدأت تشرح لها: «أجوان.. أعتقد أن القائد يقصد أن هناك أناسًا يملكون نفس قدراتك، وأن القوات العسكرية..». وهنا نظرت للقائد للتأكد مما ستقوله بعدها، فوجدت نظرة إيجابية في عينيه، فأكملت حديثها: «إن القوات العسكرية قد قامت بضمهم لصفوفها لاستغلال قدراتهم في حماية الأمن القومي».

وحينها أدركت روهاني شيئًا آخر، فنظرت بسرعة للقائد وسأته بدهشة: «إنها القوات الخاصة! لقد كان أبي يختفي لشهور عديدة في مهام تدريبية للقوات الخاصة. وعندما كنت أسأله عن مستوى هذه القوات، كان يعطيني إجابات سطحية لا تجيب حقًا عن أسئلتني. وكنت ألح عليه بطلبي للانضمام للقوات الخاصة ولكنه دائمًا كان يثنييني عن هذه المحاولات، ويقول لي إن المسار العسكري الذي أمشي فيه هو الأنسب لي.. وإن القوات الخاصة كانت.. لنوع مختلف من الناس».

ضحك القائد ضحكة قصيرة خالية من الفكاهة: «نعم.. إنه محق.. لنوع مختلف من الناس. نوع مثل صديقتك هنا».

شهقت أجوان ونظرت له بفزع: «أنا؟ هل تتوقع مني أن أشارك في عملياتكم العسكرية حيث تقومون بقتل المخلوقات؟ لست من هذا النوع من الناس!»

فأجابها القائد بحزم: «قد لا يكون القرار لك وحدك. إنك تملكين قدرات خاصة.. ولن أخفي عليك.. لسنا متساهلين في التعامل مع من لديهم القدرة على إيذاء الآخرين بقدراتهم.. سواء كانوا يقصدون الأذى أو لا يقصدونه».

نهضت أجوان بسرعة من مقعدها، وتراجعت للوراء وظهرها للباب، وقد تغيرت هيئتها فباعدت بين قدميها في وضع تحدٍّ واضح لما ينوه له القائد. ووجهت سبابتها له - رغم

أن هذه الحركة غير مهذبة لدى الهافيكي، فعندما تشير لشخص بأدب يجب أن تشير إليه بإصبعين لا بإصبع السبابة فقط - وقالت بصوت أجش: «لن أقوم أبداً بإيذاء أحد مهما حصل.. ولا تستطيع أن ترغميني على أن أنضم لقواتكم الخاصة. إنني من أمة مسالمة قد هجرت العنف منذ قرون، ولن أقتل أحداً من أجل أمن اتحادكم».

توقعت أجوان أن ينهض ويجادلها، وقد يستدعي رجاله المسلحين للإمساك بها، فثبتت قدميها وضمت أصابع يديها في قبضتين متشنجتين تحسباً للأسوأ. وحتى روهاني نهضت من مكانها وبدأت في التقدم نحو أجوان وهي تحاول تهدئتها.. ولكن القائد زوفات لم يقم بأية حركات تهديد، واستمر في جلوسه ومال للأمام ووضع كوعيه على ركبتيه وشبك أصابعه في قبضة واحدة وأسند ذقنه عليها ونظر لأجوان بنظرة ساخرة بعض الشيء وقال بصوت هادئ: «هل تقتلين من أجل العثور على طفلك؟».

دارت جدران الغرفة حول أجوان.. وانسحبت العزيمة من أطرافها فارتخت عضلاتها.. وأدارت رأسها لتنظر لروهاني التي وقفت بجانبها كتفاً لكتف في وضع واضح لمساندتها لها ضد القائد.. فلم تجد في تعابيرها وذهنها سوى الشفقة والعجز. ومع ذلك، توسلت لها بصوت خافت:

«روهاني؟ قل لي ماذا أفعل؟».

الكوكب: إيسليندور

سلطنة سيغوفيا

مدينة أنتيكوادو

وقف أجنبي عند باب المبنى وهو يراقب الشباب يفرغون المركبة الكبيرة من الأثاث وباقي أغراض الأسرة. شباب قوي وملتزم ومخلص، بفضل التدريب والانضباط الذي تلقوه في معسكرات أوراد. لو قال له أحد منذ خمسة أعوام، عندما بدأ في تنفيذ هذا المشروع بأن هذا الحي سيصبح مستوطنة صغيرة له ولأتباعه، لضحك استهزاء ومرارة من استحالة هذه الفكرة. ولكن، انظر الآن لما حققته يا أجنبي، إن هذا الحي وما حوله من الأحياء يعج بما لا يقل عن 400 أسرة من المستوطنين.

عندما أرسله براس جيريتو منذ أعوام بفكرته المبدئية، لم يكن مع أجنبي سوى الصبيين إيرست وفيردي الذين تنبأهما من المعسكر. وكانت تعليماته بسيطة جداً: استخدام الأموال التي أعطاهما له جيريتو لشراء مسكن في حي من أحياء الطبقة الوسطى في مدينة أنتيكوادو في سلطنة سيغوفيا، ثم الحصول على وظيفة في مؤسسة صغيرة تعمل في مجال الإعلام. وقد نجح أجنبي بسهولة في مهمته الأولى، ففي هذه المدينة التي تعج بسكان من عدة ثقافات لم يكن من الصعب الاندماج بطريقة لا تشد الأنظار. وكانت قصته بنفس بساطة تعليماته، فهو أرمل قد انتقل من مدينة بعيدة هرباً من أحزان فقدانه لزوجته، وهو يحاول أن يبدأ بداية جديدة من أجله ومن أجل ولديه. وهكذا تقلبته الأسر في المبنى الذي سكن فيه. وبعد ثلاثة أشهر بدأت المرحلة الثانية من الخطة، بإيجاد مكان لأسرة جديدة من أوراد للسكن في المبنى نفسه. لم يكن

ذلك صعباً، فظروف الساكنين في هذه المنطقة قد لا تسمح لهم بأن يلبثوا طويلاً في موقع واحد، فهناك من تتحسن ظروفهم فينتقلون للعيش في مناطق أفضل مستوى، وغيرهم من يفقدون وظيفتهم ولا يستطيعون تحمل نفقات السكن في هذه المنطقة، فينتقلون لمساكن أكثر تواضعاً. وهكذا نجح أجنبي في إسكان 3 أسر من أوراد.

وها هي اليوم الأسرة رقم 406 تنتقل لهذا المبنى الواقع في الجانب الآخر من الحي الرابع بعد أن انتشرت أسر أوراد لتغطي معظم أحياء هذا القطاع من المدينة. وبالإضافة إلى إيجاد المساكن والوظائف والمؤسسات التعليمية التي تفي بالغرض، فهو أيضاً مسئول عن تنظيم الجلسات التدريبية المستمرة للأسر الجديدة لدمجهم في المجتمع بطريقة تضمن عدم تعريض الخطة للخطر. وإن كانت قصة الجميع متشابهة في تفاصيلها من حيث نزوحهم من مناطق أخرى بعيدة، فهناك تفاصيل كثيرة يجب أن يتذكرها ويحفظها جميع أفراد الأسر، بحيث لا تتضارب القصص وتثير شكوك سكان الأحياء التي تغلغلت أسرهم فيها.

ولكن لم تقتصر مهام أجنبي على ما سبق فقط، فإن المرحلة الثالثة من الخطة كانت قد بدأت منذ ستة أشهر تقريباً، وهي الجزء الأهم من الخطة. فمع مرور الزمن اكتسب أجنبي احترام جيرانه في المبنى وفي الحي وفي المؤسسة الإعلامية التي كان يعمل لديها. كما أنه اكتسب احترام وتقدير الجمعية الخيرية التي كان يتطوع فيها نهاية كل أسبوع من أجل جمع التبرعات للأسر الفقيرة، وتقديم الإرشاد والدعم للأيتام والشباب الضائع. ولهذا، فقد حثه الكثيرون على ترشيح نفسه لمنصب عضو في مجلس بلدية الضاحية، وهو ما قام به بالفعل. ورغم أنه لم يفز في البداية، فإن مقتل المرشح الفائز كممثل للمنطقة في انفجار غريب أدى إلى حصول أجنبي على مكانه، إذ كان التالي من حيث عدد الأصوات.

قاطعته فيردي استعراضه لشريط أحداث الماضي، وهو يقف عند أسفل السلم ينظر إليه عند باب المبنى: «أبي، إن لم تتحرك الآن متجهًا للمجلس فسوف تتأخر على موعدك».

انتفض أجنبي ليوقظ ذهنه الشارد، وغطى على ذلك بحركة إصلاحه لمعطفه الصيفي. لا شك أن الشباب يستطيعون العناية بالأمور من هنا فصاعدًا، فليس بحاجة للإشراف شخصيًا على انتقال كل أسرة بعد أن درّب هذا العدد من معاونين. ولكنه يحب دائمًا أن يكون أول المستقبلين لهم حتى يشعروا باهتمامه بهم وبمصالحتهم. إنهم من قومه أولاً وأخيرًا، كما أنه سيعتمد عليهم في المستقبل في الانتخابات وفي تنفيذ المراحل الأخرى من الخطة.. عندما يكشفها له جيريتو، بالطبع. ثرى، ما الذي ستأتي به الأيام؟

لوح أجنبي للشباب وهو ينزل السلم بخطوات واثقة تليق بشخصية في منصبه ومستواه الاجتماعي والسياسي، ومشى نحو مركبته حيث ينتظره سائقه ومساعدته الأمين هاداف، ليساعده في استقلال المركبة، ثم انتقل هاداف إلى مقعد القيادة وانطلق بهما نحو مجلس البلدية، حيث سيجتمع المجلس اليوم ليناقدش توفير وظائف جديدة للعدد المتزايد من النازحين من المدن الأخرى.

توقفت روهاني قليلاً أمام باب غرفة نوم أجوان، قبل أن تطرق الباب بمفصل إصبع واحدة. وبعد ثائيتين من الصمت في الجانب الآخر، فتحت باب الغرفة بهدوء وأطلت برأسها فلم تجد أثراً لأجوان. دخلت الغرفة بهدوء، ومشت نحو باب دورة المياه، ولكن الباب كان مفتوحاً، ودورة المياه خالية. إذن أين ذهبت أجوان؟ للحظة خاطفة خشيت روهاني أن تكون الفتاة قد تركت البيت هاربة من الأزمات التي تبدو وكأنها تلاحقها أينما ذهبت. ولكن نظرة سريعة للكتابة المجاورة للسرير كشفت عن وجود شال والددة أجوان الذي تأخذه معها أينما ذهبت، مما يعني أنها ما زالت في مكان قريب. تنقلت روهاني من غرفة لغرفة في الطابق السفلي دون أن تجد أثراً لضيفتها، فعاد قلقها. ولا يمكن أن تكون قد خرجت للشرفة أو للحديقة، فالسماء تمطر بشكل مستمر منذ أن عادتاً من القيادة العليا منذ ساعتين تقريباً، بعد أن قامت روهاني بالتعهد بالعودة مع أجوان في خلال أقل من 48 ساعة لإبلاغ القائد زوفات بقرارهما.

لفتت انتباهها حركة في الحديقة الخلفية، وهي تمر أمام النافذة الكبيرة في الممر المؤدي لغرفة أجوان، فعادت لتنظر من النافذة وفوجئت بمنظر أجوان وهي تقف تحت المطر وقد مدت ذراعيها لجانبيها في مستوى كتفيها وفتحت يديها ل فوق، والأغرب من هذا أنها كانت ترفع رأسها للسماء وكأنها تستقبل مياه المطر المباشر على وجهها دون خوف من غرق. جمدت روهاني في مكانها للحظة من دهشتها لوجود أجوان في هذه الأجواء، وخافت عليها أن تمرض، فأسرعت للباب الزجاجي المطل على الحديقة، وفتحته ونادت بصوت عالٍ يتنافس مع صوت الأمطار المتساقطة على الأشجار والمقاعد والطاولة: «أجوان! أجوان! ماذا تفعلين تحت المطر؟ عودي لداخل البيت».

التفتت لها أجوان وخفضت ذراعيها، ولكنها لم تستدر بجسدها بالكامل، ثم عادت لتنظر لنقطة بعيدة في الأفق. تضايقت روهاني من تجاهلها لها فعادت لتصرخ بنفس نبرة والدتها عندما كانت تأمرها بفعل شيء وهي صغيرة: «أجوان! قد تعرضين نفسك للمرض هكذا. توقفي عن هذه الحماقات وعودي للبيت. الآن!».

لم تتأخر أجوان كثيراً في تلبية أوامر روهاني، إذ استدارت أخيراً وتوجهت إلى حيث وقفت روهاني، وبدأ عليها الإحباط وهي تمشي على العشب المغطى ببرك المياه دون أن تحاذر في مشيها لتجنبها أو على الأقل لتجنب الوحل الذي غطى الحديقة. دخلت أجوان البيت من الباب الزجاجي وتوقفت وهي تنظر للأرض حيث بدأت تتكون بركة غزيرة من أنهار المياه المتساقطة من ملابسها المبللة. فأمرتها روهاني بالانتظار، وهربت للخزانة التي تقع تحت السلم لتأتي بمنشفتين كبيرتين، وقامت بسرعة بتغطية كتفي أجوان بإحداهما وهي تصدر صوتاً غريباً بلسانها، فهمت أجوان أنه إشارة لاستيائها، وسألته بعصبية: «ماذا كنت تفعلين في المطر؟ هذا جنون! الوقوف في المطر هكذا قد يجلب لك المرض! لماذا خرجت للحديقة في هذا الجو؟ أجيبيني!».

رفعت أجوان رأسها ونظرت لروهاني وهي تعلم في قرارة نفسها أن روهاني تخاف عليها من المرض، ولكن الغضب والحيرة أرغماها على الرد بحماسة: «وما الذي يهملك أنت،

فسوف تسلميني لهم خلال يومين» أحست أجوان بالندم في اللحظة التي أنهت كلامها القاسي، فقد اجتاحتها موجة حزن وألم صادرة من روهاني، فخفضت عينيها لتجنب ملاقة عيني روهاني المجروحتين. وتلعثمت وهي تتأسف: «أسفة.. أسفة.. كانت كلمات حمقاء.. أرجوك أن تسامحيني يا روهاني. ما خرجت في هذا المطر إلا لأنه يعطيني بعضاً من الأمان لأنه يغمري بالمياه تماماً كما كانت تغمري مياه كوكبي. ولا توجد بحار قريبة منا في كراسوتكا، وكما اشتقت لمياه بحارنا!»

استمرت روهاني في تجفيف شعر أجوان ثم انتقلت لباقى ملابسها، ولكن أدركت أنها معركة خاسرة، فانخفضت لتجفيف قدميها، ثم سحبته من طرفي المنشفة وأجلستها على مسند أقدام خشبي منخفض، واستبدلت المنشفة المبللة بالثانية وتابعت عملية التجفيف وهي صامتة. لقد ألمتها كلمات أجوان، ولكنها تدرك فزع الفتاة في هذه اللحظات، ومدى ثقل القرار الذي عليها أن تتخذه وحيدة دون عون من أحد. حتى روهاني ذاتها لن تستطيع أن تساعد في اتخاذ هذا القرار، وكل ما تستطيع فعله هو مساندتها في تنفيذه مهما كان صعباً. وهو ما جعل روهاني تتركها وحدها لمدة ساعتين، حتى تفكر لوحدها قليلاً. ولكنها لم تكن تتصور أن تخرج بحماسة في أجواء مثل هذه.. من الواضح أن عليها مراقبتها عن كثب من الآن فصاعداً. من يعلم عدد الحماقات التي يمكن لأجوان ارتكابها وهي في هذه الحالة؟!

زفرت أجوان أنفاسها بصوت عالٍ وأمسكت بالمنشفة وسحبته بقوة من يد روهاني ووضعت وجهها مقابل وجه روهاني مباشرة حيث ركعت الرائد أمامها وهي تجففها وألحت بالسؤال: «ماذا أفعل يا روهاني؟ قل لي ماذا أفعل؟ هل أقبل بالوضع الحالي؟ هل أجلس هنا وأنتظر حتى تمر السنوات والعقود دون أن أسمع إجابة على أسئلتني عن مكان طفلي؟ أم هل.. هل أفعل ما لم يفعله هافيكي شريف من قبل.. وأنضم لمجموعة من القتلة على أمل أن يقودوني إليه؟ قل لي ما هو أفضل حل؟ لو كنت في موقف مماثل ماذا كنت ستقررين؟»

لم تستطع روهاني أن تنظر لوجه أجوان مباشرة، بل تظاهرت بجمع المناشف من على الأرض، ونهضت من وضع الركوع ومشت للكنبة الصغيرة البيضاء. شغلت نفسها لدقيقة وهي تلف المنشفتين بهدوء وحرص.. ثم أدركت أنهما مبللتان وأن عليها وضعهما في سلة الغسيل، فرمتهما على الطاولة الجانبية الصغيرة، وسمحت لجسدها المتعب أن ينزلق للجلوس في الكنية العميقة، ثم استرخت حتى مالت برأسها للوراء وحدقت إلى سقف الغرفة. وسرعان ما وجدت أجوان تقف فوقها لتحجب عنها سقف الغرفة، وتحقق إلى وجهها بترقب، فاعتدلت في جلستها وبدأت تحقق إلى الكومة التي خلقتها المناشف على سطح الطاولة، وأخيراً نظرت لأجوان وأشارت لها بالجلوس. ويبدو أن أجوان استشعرت تغيراً في مزاج روهاني فجلست في صمت وخوف تنتظر ما ستكشفه لها الدقائق القادمة.

«ربما لا تكونين قد فهمت ما كان يقوله القائد زوفات بين السطور.. أو فهمته ولم تدركي خطورته.. هذه القدرات التي تملكينها يا أجوان.. إنها ليست قدرات عادية أو

شائعة. لم أر في حياتي أو حتى أسمع عن شخص لديه القدرة على تحريك الأشياء بذهنه..»

«ولكنني لم أحرك المكتب!! لم أحركه..»

فقاطعتها روهاني: «أجوان، لا يوجد تفسير آخر.. لقد رأيت بنفسك ما حدث. هل تعتقدين أنني فعلتها؟ أم هل هو القائد الذي رمى نفسه بمكتب؟! بالطبع أنت من قام بهذا.. بمجرد التفكير في الفعل، تحقق الفعل! إنه ما أسماه القائد.. تيليكنيسيس!»

«روهاني، أقسم لك أنني لم أفكر في دفع المكتب بهذه الطريقة.. ولكن.. وهنا خفضت رأسها وصمتت وهي تفكر.

فأعادتها روهاني للحظة، وهي تلخ عليها بالسؤال: «ولكن؟ ولكن ماذا؟»

حذقت أجوان إليها قليلاً، ثم أجابت بصوت خافت وكأنها تهمس بسراً دفين: «عندما شعرت أنه يشك في صدقي.. غمرتني موجة غضب شديد يفوق أي غضب جريته من قبل.. حتى إنني كنت أرى الغضب في داخل ذهني كقيمة حمراء تحجب رؤيتي للحظة.. ثم وكأن سطع في وسطها برق خارق.. وتملكني رغبة في.. دفعه للوراء.. ثم تحرك المكتب..»

بلعت روهاني ريقها ولكنها اكتشفت أن فمها جاف، كأن أحداً قد ملأه بالقطن، فنهضت من الكنبه واتجهت للمطبخ حيث سارعت بشرب كأس من الماء، وصبت كأساً أخرى وأخذته إلى حيث كانت أجوان ما زالت جالسة تقطر ماء.ناولتها الكأس ودفعتها لفمها، فشربت أجوان الماء بتلقائية حتى أنهت محتوياتها دون أن تلاحظ ما تفعله، ثم خفضت الكأس حتى استقرت مائلة على جانبها في حضنها. لم ترغب روهاني في إكمال ما بدأت في شرحه لأجوان، ولكن لم يكن لديها خيار آخر، فالمهلة يومان فقط، وعلى أجوان أن تفهم جيداً ما تعنيه هذه المهلة. تناولت الكأس من حضن أجوان، ووضعتها على الطاولة الجانبية، ثم عادت لتركع بجانبها، وأحاطت ذقن أجوان بأطراف أصابعها ورفعت رأسها لترى وجهها. وعندما تأكدت من أنها حظيت بانتباه أجوان بدأت تشرح لها ببطء:

«إن ما كان القائد يقوله لنا ونحن في مكتبه هو أن القوات المسلحة لا تستطيع أن تتركك تذهبين طليقة حرة بعد معرفتهم بامتلاكك لهذه القدرات. من أجل الأمن القومي - أو كما يذعون - يجب أن تنضمي لهم.. أو.. سيتصرفون معك بطريقة أخرى.»

اتسعت عينا أجوان وحاولت أن تقرأ مشاعر روهاني، فوجدت يأساً وخوفاً زادها رعباً: «ماذا تعنين بالطريقة الأخرى؟»

«لا أدري بالتحديد، ولكن أعلم جيداً أن القوات المسلحة لديها طرقها الخاصة في التعامل مع أي «تهديد للأمن القومي»، قد يكون الاعتقال الدائم.. أو حتى القتل - وإلا لماذا هذه القوات الخاصة، إن لم تكن طريقة من طرقهم الخاصة؟! إنني منهم، وأسمع بأساليبهم، ومضطرة للسكوت عنها، حتى إن كنت أرفضها مبدئياً. في الحقيقة، لم أتخيل أنني سأرفض أساليبهم في يوم ما.. فقد كنت أسلم بأنهم يعملون لحماية الاتحاد.. ولكن.. لم أقف يوماً في مواجهة القيادة كما وقفت اليوم معك.. موقف جديد وغريب

في الوقت ذاته».

صمت الصديقتان، واستمر المطر يعزف موسيقاه الخاصة فوق سقف المنزل وحوله. تساءلت روهاني إن كان من الممكن أن تخرج في هذه الأمطار المستمرة وتقف تحتها وتشعر بالأمان المؤقت كما وصفته أجوان. بالطبع لا.. بل ستصاب بالتهاب رئوي قد يقتلها. إن مزاجها العصبي يجعلها تفكر بأفعال حمقاء الآن، وهي التي كانت تقول إنها ستراقب أجوان عن كثب!

«أفهم من كلامك هذا أن القرار الذي يجب أن أتخذه ليس بقرار حقيقي؛ إذ سينتهي بي الأمر بأن أذهب معهم، برضاي أو رغفا عني. أليس كذلك؟»

نظرت لها روهاني للحظة ثم أشاحت بنظرها للنافذة المطلّة على الحديقة، ثم أومأت برأسها مضيئة: «لقد أعطانا القائد 48 ساعة لإنهاء شنونك ولتستعدي للانضمام لهم بمحض إرادتك. ولكن.. إن لم ترغب في ذلك.. إن أردت تحديهم وعدم الانضمام لهم.. سأقف معك يا أجوان. سنختفي في مدينة أخرى لمدة كافية حتى يتوقفوا عن البحث عنك. بعد ما حدث لوالدي، لا أستطيع أن أفكر إلا في هوية من قتلوه، ورغبتني في معاقبتهم. ليست لدي رغبة في العودة للمحطة وإدارة الأمور وكأن شيئاً لم يحدث. لست ساذجة أو فاترة المشاعر لهذه الدرجة.»

وعاد الصمت يلف البيت، يتخلله صوت المطر والرياح وبوادر رعد يأتي من بعيد.

الثقب الأسود

الكوكب: فوماسيون

فتحت عينيها على إثر يد تمسك بذراعها وتهزها بعنف: «استيقظي، وصلنا».

وبسرعة فتحت حزام الأمان ونهضت من مقعدها المطاطي الذي احتوى جسدها المتعب طوال ساعات الرحلة.. وبإلها من رحلة! من «تيرا 8» إلى سفينة حربية، إلى محطة، إلى سفينة أصغر، إلى هذا المكوك الصغير. لقد كانت أيامًا طويلة ومملة، ولكنها أيضًا كانت لا تخلو من لحظات ذعر.. فكل رجّة على متن السفينة أو المكوك كانت تذكرها بأول رحلة لها على متن السفينة «جويت». كأن ما حدث في ذلك الماضي البعيد ما زال عمره مجرد ساعات.. ومع ذلك فقد توالى الأحداث مذفرت على متن جويت، وتشعر اليوم وكأنه قد مرّت على هذا كله سنوات طويلة.. كم مضى منذ ذاك اليوم المريع؟ هذه معضلة التنقل من كوكب لكوكب.. فلكل منها جدولته الزمنية الخاص به والمرتبطة بحجمه وبدورانه حول نفسه وحول الشمس التي يدور حولها. لكن صحيح.. كم شهر أو سنة مرت منذ دمار كوكبها؟ ربما سنة كاملة.

انضمت لطابور المجندين في الممر الذي يقسم قمرة الركاب إلى قسمين متساويين. منذ اللحظة الأولى لركوبها المكوك قررت أن تنعزل عن كل من حولها. فرغم أنها قابلت عدة أشخاص جدد، فإنها تجنبته حتى النظر في وجوههم. تكفيها المشاعر المتأججة الصادرة منهم. معظم من انضم للمجندين أشخاص عنيّفون يحبون القتل ولا يكتفون به. ذاك الرجل الضخم ذو الأنف المعوج في مقدمة الطابور، أفكاره قاتمة وحادة الزوايا.. ومجنونة بعض الشيء. ولكنه صديق الرجل القصير الممتلئ الذي يليه في الطابور، وتبدو صداقتهما حقيقية. سمعها المرهف سمح لها أن تصغي لمحادّثتهما على متن السفينة السابقة. يبدو أنهما مزا معا بعدة مواقف سيئة، وأثبتا لبعضهما البعض قدرتهما على الاعتماد على الآخر. هناك ثمانية مجندين في هذه الرحلة، سبعة رجال وامرأة، وهي التاسعة.

المرأة الأخرى - والتي تبدو تقريبًا بعمر روهاني - أيضًا اعتزلت البقية في عالمها الخاص. تبادلتا بعض الكلمات منذ لقائهما على متن السفينة، ولفت نظرها تعلق المرأة

بقلادة تلبسها حول عنقها. تحركها لليمين واليسار ثم تقربها من أنفها وتشمها بعمق. لم تفهم أجوان تلك الحركة، ولم تكن حاسة الشم لديها قوية، ولذلك فهي لا تستطيع أن تجزم إن كانت القلادة تملك رائحة معينة أم أن تلك الحركة ضرب من الطقوس في ثقافة المرأة. لم تتبادلا الأسماء أيضًا. مجموعة غريبة من المجندين. ثرى ما الذي يخفيه لهم معسكر التدريب هذا؟ وهل سيتمكن حقًا من الاستمرار فيه؟ من الأحاديث التي سمعتها من المجندين يبدو أن التدريب قاس في هذا المعسكر بالذات. يقال إنهم لا يلتزمون بمعايير محددة، ولا يرفضون أحدًا، ولكن سلسلة تدريباتهم القاسية قد أرغمت الكثيرين على الاستسلام والمغادرة لمعسكرات أخرى.

روهاني أخبرتها أنه في هذا المعسكر، يتناوب على التدريب أربعة جنرالات من القوات الخاصة بالاتحاد. ولم تستطع أن تكتشف أيًا منهم يعمل في هذا الموسم. ولكنها نصحتها بالصبر والمثابرة، لأن هذا المعسكر هو الطريقة الوحيدة للانضمام لقوات الاتحاد في مدة قصيرة. أما الطريقة الأخرى فتستغرق سنوات طويلة من التدريب النظري والعمل، تمامًا كما فعلت روهاني. وبالنسبة لأجوان لم تكن تملك سنوات تقضيها في تدريب نظري عقيم. إنها بحاجة للانضمام لقوات الاتحاد الآن من أجل العثور على طفلها المخطوف، حتى وإن كانت مرغمة على اتخاذ قرار الانضمام بعد أن سلبها القائد زوفات حرية الاختيار بنفسها.

اجتازت باب المكوك ووضعت قدمها على أول درجة في السلم المؤدي لأسفل. لم يكن مقعدها قريبًا من النوافذ القليلة في المكوك، ولذلك فوجئت بضوء الشمس البرتقالي وبالألوان الحية التي تحيط بالمكوك. مهبط المكوك - كعادة كل المهابط الأخرى - يقع في وسط سهل منبسط خال تمامًا من أية مبانٍ أو أي شيء يمكن أن يعرقل هبوطه. ويمتد هذا السهل لمسافة كيلومتر في كل اتجاه. وتنتشر مبانٍ منخفضة على هذه الرقعة من المكان، ربما مبانٍ إدارية أو طبية أو عسكرية. ولكن حيث ينتهي السهل تبدأ غابة كثيفة، أشجارها عالية وضخمة ملتوية ومظلمة. لا تستطيع أجوان تحديد شكلها من هذه المسافة، ولكنها يبيضاء مائلة للون الفضي.

لم تسنح لها الفرصة للتلفت حولها ورؤية أية تفاصيل أخرى، إذ تدافع الكل للنزول من المكوك والاصطفاف في خط مستوٍ أمام الضابط المسئول عن الرحلة. وجدت أجوان مكانها في الصف ووضعت أمتعتها القليلة عند قدميها، وشبكت يديها وراء ظهرها محاكيةً من حولها. وحسب ما تذكرته من رؤية الطريقة نفسها في محطة الظافر، وحتى روهاني كانت تقوم بها دائمًا عند وقوفها بين طاقم عملها، عليها أن تتعود على كل هذا منذ الآن. لم تعد لها شخصية فردية لها أحلام وطموحات. عادت ثانية لتكون جزءًا من كل كبير يتحرك في اتجاه ليست لديها سيطرة عليه. عادت لحيث كانت في مدينتها آميتيرا. هناك من يحدد ما ستفعل في يومها منذ أن تستيقظ حتى تنام. وهناك من سيحدد كيف تعمل وكيف تتصرف وكيف تفكر. تمتمت وهي تنظر للسماء: «وداعًا ثانية يا أجوان!»

في حبه من أول نظرة». التفتت لها أجوان وابتسمت ابتسامة من باب الأدب واللفظ. بدت الفتاة البشرية لطيفة بوجهها النحيل وجدانها الجميلة وفمها الصغير وأسنانها الصغيرة جدًا. دارت الفتاة حول سريرها وهي ترمي جدانها وراء رقبته، ومدت يدها لأجوان وقالت: «اسمي شيا وأنا من قبيلة الطوائه على كوكب دنيان. هل سمعت عن بساننا في القتال؟» طرفت عينا أجوان وغلقت الإجابة في حلقها. هل تقول لها إنها لم تسمع قط بقبيلتها أو حتى بكوكبها، أم أن هذا تصرف غير لائق؟ هل تدرك هذه الفتاة المسكينة كم حجم هذه المجرة وكم عدد الكواكب المأهولة والحضارات التي تعج بها؟ ومع ذلك أجابتها بابتسامة دافئة: «لا لم أسمع، ربما ستخبريني على مائدة الطعام؟» فضحكت شيا ضحكة مرحة وربت بيدها على كتف أجوان وقالت: «ممتاز! أصبحنا صديقات! أراك على العشاء إذن». ثم استدارت وسارت نحو السرير المجاور لسريدها في الجانب الآخر ومدت يدها للمرأة التي كانت مع أجوان على متن المكوك وبدأت تعرف بنفسها. أها.. يبدو أنها تفعل ذلك مع الجميع. لا بأس، لم تكن تعتقد أنها حالة خاصة على أي حال.

قرع جرس العشاء، فجلس الجميع في أماكنهم وسرعان ما مرت عليهم الصحون الكبيرة المليئة بالطعام. نظرت أجوان لأول إناء يصلها، إنه حساء ضبابي اللون، ولكن ما الذي بداخله؟ من تسأل عن محتويات الحساء؟ هل تقوم من مكانها كأميرة تافهة دلوعة وتبحث عن «الشفيف» يا ترى؟ أم هل تتذوقه؟ أم هل تحتسيه وأمرها لله؟ وماذا يحدث إن سبب لها عسر هضم؟ فمعظم ما تجده خارج كوكبها يسبب لها عسر هضم! لكزتها شيا وهمست لها: «هيا.. نحن ننتظر». اعتذرت أجوان ومررت الإناء بسرعة لشيا. طبق الثاني كان أكثر وضوحًا.. مجموعة من الخضراوات المسلوقة، وإن كانت غريبة الشكل. أغلب الظن أنه طعام مقبول.. وضعت لنفسها ملعقة منه في طبقها المقسم إلى 6 أجزاء.. ومررت الطبق لشيا.. وهكذا حتى انتهى قطار الأطباق. الكل يأكل بصمت، لأن الضابط قد شرح للجميع قواعد الأكل في القاعة. يجب أن يحضر المجندون قبل الأكل بخمس دقائق. عليهم أن يقفوا وراء مقاعدهم في وضعية الانتباه. عندما يقرع الجرس، يمكنهم الجلوس. الوجبة تستمر لمدة 20 دقيقة فقط. الأكل يجب أن يكون سريعًا وبصمت. لم يحدد بعد ما عقاب من يخالف تلك القواعد، ولكن كان لديها شعور بأن العقاب لن يكون هزة إصبع.

بنيت قاعة الأكل من نفس مواد بناء قاعة النوم، ولكنها اتخذت شكلًا مختلفًا يسمح بوجود مطبخ خفي لا يراه الجنود. كما أنها أوسع عند رأسها، حيث تنصدر المكان طاولة أصغر حجمًا ويجلس حولها الضباط. أثناء الأكل حاولت أجوان أن تسترق النظر للضباط، ورغم تعذر رؤية كل الطاولة من زاويتها، فإنها لاحظت أنهم جميعًا أكبر سنًا من المجندين. كما أنهم يأكلون بطريقة من تعود على هذا الوضع منذ سنوات، يتجاذبون الحديث بينهم وهم يضحكون بهدوء. حاولت أن تتعرف على قائد هذه الوحدة، ولكن الشارات المرصعة لملابسهم لم تكن مألوفة بالنسبة لها. إنها تعرف فقط شارات طاقم المحطة، ولا بد أنهم يتبعون وحدات مختلفة في هذه المنشأة. وفي النهاية استسلمت

صفيًا بعض الشيء بالمقارنة بباقي وجهه، ولكنه أيضًا كان فطريًا قويًا ربما لم ينفرج عن
الانسجام من قبل. ولإكمال تلك الصورة الجامدة، لم يترك شعره لينمو أكثر من بوصة
واحدة. إنه الصورة المثلى للجندي المقاتل.

بسبب رد الفعل الذي رآته منه، توقعت أن يمنعها أحدهم من دخول قاعة الأكل، ولكنها
دخلت مع المجموعة، وأخذت وجبة الفطور مجراها كما خذ لها. وما إن انتهت العشرون
دقيقة حتى قرع جرس خفي، ونهض الجميع بسرعة وانتظام، واصطفوا للخروج من
القاعة. وخارج القاعة اجتمع الفريق في صفوف على شكل مربع. مكانها في الصف الرابع
لم يكن يسمح لها برؤية كل ما يحدث في الصف الأول ولكنها استدلت من مشاعر من
حولها على بؤادر شيء جديد. ارتفع صوت الضابط المناوب قائلاً:

«أيها المتدربون.. إنه لفخري أن أقدم لكم قائد الدورة الحالية، الجنرال باز فالار».

من موقعها في الصف الرابع، حاولت أجوان أن تميل لليمين قليلاً أملاً في أن تلتقط
لمحة من وجه الجنرال المناوب لهذا الموسم. ولم تكن بحاجة للحركة كثيرًا، إذ بدأ
الجنرال بالتجول بينهم وهو يحدثهم عما ينتظرهم من تدريبات لمدة 12 أسبوعًا. إنه
ذاته الرجل الذي رآته عند مدخل قاعة الأكل. إذن هذا هو الشخص المسنول عنهم في
هذه الدورة التدريبية. ترى أي نوع من الرجال هذا الجهاز البشري الماسح؟

حدثهم الجنرال عن الهدف من الدورة وعن فصولها والتوقعات منها، وعن المهام
المتوقعة ممن يجتازون هذه الدورة. إنها دورة قاسية وخارجة عن المألوف لأن من
يتخرج منها يصبح ورقة رابحة متعددة الاستخدامات في ميدان الحرب. والوحدة
العسكرية التي تحظى بوجود خريج من هذه الدورة قد تستلم مهام أصعب وأخطر من
أية وحدة أخرى، وبفضل هذا النوع من التدريب، ستضمن الوحدة العسكرية النجاح
والتفوق إن اعتمدت على قدرات ومهارات خريجي الدورة.

«سيكون من واجبي أن أكسر لكم لقطع صغيرة.. أن أسحقكم تمامًا.. ثم أجمع تلك القطع
التي نجت من السحق، وأضعها تحت مستويات عالية من الحرارة والضغط.. حتى
تتحول إلى معدن صلب يصعب تدميره.. وأخيرًا، سأصنع من ذلك المعدن سلاحًا فتاكًا.
إنها الطريقة الوحيدة التي تصنع بها الأسلحة منذ الأزل.. وإن تمكنت من النجاة من
دورتي التدريبية، فستتمكنون من النجاة من أية مهمة تناط بكم. فقط عليكم أن
تتجاوزوا هذه الدورة».

عندما وصل الجنرال فالار إلى موقع أجوان توقف وراءها مباشرة، وأحست بشعور
معادٍ تمامًا لها ينطلق في موجة حرارية سلطت على الجانب الخلفي من رأسها وكأنها
تقف أمام موقد حار يشع بقوة. وأكمل الجنرال كلمته بصوته الواضح الذي لا يتغير إلى
الأعلى أو الأسفل، وبدا لأجوان وكأنه يوجه هذا الجزء لها شخصيًا:

«ومع ذلك.. هناك طرق أخرى للنجاة من هذه الدورة. إن كانت جلسات التدريب قاسية
جداً عليكم، ولم تعد لديكم قدرة على التحمل، فلن نقسو عليكم بمطالبتكم بإكمال
الدورة. كل ما عليكم فعله هو حزم أمتعتكم وإشعار الضابط المناوب بقراركم
بالانسحاب، ثم التوجه لنقطة التجمع عند مهبط المكوك، وسيتم نقلكم للنقطة التي أتيتم

منها لا تريد الضعفاء، ولا الذين يعملون تحت وهم أنهم أقوياء ويستطيعون تجاوز هذه
الدورة. أنصحكم بالتفكير جيدًا قبل نهاية هذا اليوم، ربما ستوفرون على أنفسكم العذاب
والشقاء باتخاذ هذا القرار السريع». وهكذا كرهته أجوان من أول نظرة.

أول السلم

أصلح الطارق ياقة قميصه للمرة الثالثة، وهو يجوب غرفة الانتظار، بينما وقف أجنبي بجانب الباب وعلى وجهه الاحترام والتبجيل. لم يرد الطارق أن يظهر لأجنبي مقدار ضيقه من هذا الانتظار الطويل؛ ولذلك كان يتظاهر بالتمعن في اللوحات الجميلة التي تزين جدران الغرفة. إنها غرفة جديرة بملك، ولا عجب، فهي غرفة انتظار واحدة فقط من بين العديد من مثيلاتها، في قصر سلطان سيغوفيا... أو بالتحديد، قصر زوجة السلطان، السلطانة ماريونيتا بعد رحيل زوجها منذ أقل من عامين. تعد السلطنة أكبر دولة على كوكب ايسبليندور وأقواها جيشًا وتأثيرًا في مجلس اتحاد الكواكب. وهو ما جعل الطارق يقطع السنوات الضوئية العظيمة التي تفصل أوراد عن ايسبليندور، ليزور السلطانة ويقدم لها أفكاره الإصلاحية الجديدة.

من حسن حظهم أن السلطان توفي من وعكة صحية تضاعفت أعراضها نظرًا لإهماله صحته، ولأسلوب حياته المفرط في الأكل والسكر، وقد أدى ذلك إلى تغيير طفيف في خططهم الأصلية لاستيطان سيغوفيا، بل إن هذه التطورات كانت في صالح الطارق الذي كان يفضل عدم التعامل مع السلطان، فتلك كانت مهمة صعبة جدًا تتطلب منه بقاءه قريبًا من السلطان لمدة طويلة. بينما مع رحيله واستلام زوجته الشاب لشئون إدارة السلطنة كوصية على حكم ابنها اليافع، أصبحت المهمة أسهل بكثير من ذي قبل. فسوف يقدم نفسه لها باسم مستعار كشخصية قادمة من إقليم بعيد. وفي البداية لن يحتاج الطارق إلا لساعة من الزمن يتجاذب أطراف الحديث مع السلطانة ويكتشف نقاط ضعفها حتى يربطها به ويبدأ عملية التغلغل في هذا المجتمع الجديد.

تحرك أجنبي من مكانه واتجه لوسط الغرفة، إذ سمع أقدامًا متجهة نحوهم مما يعني أن الحاجب سيدعوهم للقاء السلطانة. وفوزًا، جلس الطارق في أقرب مقعد متظاهراً بالهدوء ورباطة الجأش، وعندما دخل الحاجب رفع الطارق رأسه وكأنها مفاجأة سارة له، وانفجرت أساريره حين أخبرهم الحاجب بأن السلطانة ستراهم الآن. فنهض من مكانه وتبع الحاجب وانضم له أجنبي الذي بدا قلقًا لهذه التطورات السريعة التي لم يكن قد تهيأ لها. إذ جاءت التعليمات منذ أيام قليلة فقط باستقبال شخصية هامة ستحتاج إلى

منزل منفصل وحاشية تليق بها. وكم كانت صدمته عظيمة عندما استقبل هذه الشخصية ليكتشف أنه السيد المعظم الطارق بلحمه وشحمه. أوشك أن يخر راكفا أمامه، لولا أن جبريتو نهضة عن أي تصرف يلفت الأنظار لمجموعتهم، فقد كان اللقاء في وسط قاعة الموزع في المحطة الفضائية التي تطفو في مدار الكوكب وتخدم جميع موانئه الأرضية.

وما إن استقرت المجموعة في المكوك الذي حملهم للميناء الأرضي في سيفوفيا، حتى استدعاه السيد المعظم ليحظى بشرف الجلوس بجانبه والحديث معه. وحينها كشف له الطارق عن رغبته في لقاء سلطنة سيفوفيا، وأن لقاءهما سيكون بداية مرحلة تنمية جديدة لحل مشكلة النازحين. لم يجرؤ أجنبي أن يستفسر عن طبيعة هذه المرحلة ومشاريعها، فهو عبد مأمور ينفذ ما يقال له، وللسيد المعظم فضل عظيم في نجاح وازدهار أجنبي وأسرته وكل أسرة تعيش اليوم في سيفوفيا، والكل مستعد أن يضحي بحياته ليخدم الشخصية العظيمة التي أنقذتهم من الجوع والفقر والجهل. وها هم الآن متجهون إلى ديوان السلطنة، وكان قد التقاها مرة واحدة من قبل وهو يقدم القسم لمجلس البلدية، ولكنه كان واحداً من عشرات الأعضاء، ولم يحظ بلقاء فردي معها كما سيفعل الآن مع سيده المعظم. ترى هل ستدرك السلطنة أهمية مشاريع الطارق وستقدم له العون، أم ستتجاهلها كما تتجاهل العديد من المبادرات التي تُرفع لها بشكل دوري؟

توالى جلسات التدريب القاسية، كابوس تلو الآخر. وبالنسبة لأجوان التي تعودت على بعض التدريبات القاسية عندما كانت تشارك في تدريبات «البن كاي» على كوكبها، لم تكن الفكرة غريبة عليها، ولكن في أميتيرا كان قرار المشاركة في التدريبات دافعا يعود إلى المشترك، فلو أحس بالتعب أو بالمرض فلديه الحق أن يستأذن المدرب برايوود ويغادر صالة التدريب. وإن كانت أجوان من النوع العنيد الذي لا يعترف بتعب أو إجهاد، إذ كان يكفي أن تقاليد الهافيكي لم تكن تسمح لها بالمشاركة في المسابقات الرسمية لكونها عضواً من أسرة المانان؛ ولذلك كانت ترغم نفسها على إثبات كفاءتها في مواصلة التدريب على فنون القتال، بما أنها لا تستطيع أن تبعتها في صالة بطولة المسابقات.

ورغم الألم والإجهاد الكبير الذي كانت تتحمله أثناء جلسات التدريب، فإن ما قاسته في تلك الجلسات لا يقارن بما يفعله بهم المدربون في هذا المعسكر. فمساعد المدرب السيد سميرك - والذي اتفق المتدربون منذ اليوم الأول أن يطلقوا عليه لقب السيد بوق، نظراً لاستخدامه المفرط لجهاز البوق - كان يتفنن في تعذيبهم. وكان يعتمد أن يجعل أفراد بعض الفرق يخطئون، لكي يعاقب أعضاء فريقهم بأكمله. ويحرص على أن يذكرهم في كل مرة يحدث فيها هذا الأمر بأنه في حالة أن تحقق المستحيل وتخرجوا في هذه الدورة وهم أحياء، فسيعملون في فريق واحد كجزء من قوة خاصة. وأن حياة كل واحد من هذا الفريق تعتمد على كفاءة وحرص باقي أفراد الفريق. فإذا أخطأ فرد واحد، دفع ثمن خطئه كل أفراد فريقه، وقد يكون الثمن حياتهم كلهم. ورغم أنها كانت تعي المنطق فيما يقوله، فإنها كانت ترى ألا داعي لتسببه في وقوع بعض أفراد الفريق في الخطأ لمجرد تعليمهم هذا الدرس كل يوم، فدرس واحد يكفيهم في رأيها الشخصي.

ولكن ما كان يغيظها أكثر من أي شيء آخر هو الجنرال باز الذي لم يكن يشارك في الإشراف على تدريبهم، بل يكتفي بمراقبتهم طوال اليوم. في معظم الأوقات، كان يجلس قريباً منهم وفي يده قنينة شراب يحتسيها بينما يتدربون أمامه ويتعذبون تحت وطأة الشمس والحر والتعب. وفي أوقات نادرة، تلمحه يقف بعيداً عنهم، بزاوية تسمح له بمراقبتهم ولكن لا تسمح لهم بملاحظة وجوده. ما الداعي إلى وجوده بالضبط؟ ولماذا يجب أن يشرف على هذه التدريبات الأساسية؟ وإن كان لا بد من وجوده بينهم، فلماذا يترك المدرب ومساعدته يتولون تدريبهم دون أن يحرك ساكناً؟ ولماذا كلما مر قريباً منها، شعرت بغيونه عليها وبعدوانيته نحوها؟ هل لأنها أنثى؟ ولكنه لا يظهر العدوانية ذاتها عندما يمر بباقي الإناث. ربما لأنها ليست من البشر؟ ومع ذلك فهو يعامل المتدرب الفيلاي بحادية تامة، وهي متأكدة من ذلك، فقد مر بهم في أكثر من موقف ولم يعره أي انتباه، رغم أن الفيلاي يواجه بعض الصعوبات في التدريب على حمل الأشياء الثقيلة، نظرًا لتشكيلة أصابعه القصيرة مقارنة بأصابع باقي البشر التي تمكنهم من الإمساك جيدًا بالأدوات والمعدات.

كانت هذه الأفكار تشغل ذهن أجوان أثناء الساعات الطويلة لتدريباتهم المتكررة. التسخين السريع في الساحة المتوسطة للمباني السكنية، ثم الغزو بسرعة نحو أعلى التل الذي يقف عند حدود الغابة. ثم التسابق للعودة لساحة التجمع حيث تستمر الرياضة القاسية التي يقصد منها إكسابهم الجَلْد والتحمل. وبعد الفطور، يعودون للتجمع في الساحة حيث يقوم كل واحد منهم بنقل مجموعة من الأحجار الثقيلة لجوف حقيبة ظهرية كبيرة الحجم، ضُمَّت خصوصًا للتثبيت على الظهر لحمل الأمتعة والمعدات. وبعد امتلائها بما يقارب 5 كيلوجرامات يضعها كل فرد منهم على ظهره ويبدأ بالتوجه للجهة المعاكسة من السهل، حيث تقع مساحة متوسطة من المستنقعات التي يقطعونها وعلى ظهورهم تلك الأثقال.

تذكرت أول تجربة لها في تلك المنطقة، فعندما وصلت أجوان لحافة المستنقع، توقفت فجأة وأصابها الغثيان من فكرة المشي أو الغوص في مياه عكرة لا تعرف محتواها. وتوقفت بجانبها زميلاتها سيرايي وعلى وجهها نفس مشاعر أجوان، مما ضاعف أعراض غثيانها. بينما اندفع باقي الفريق للدخول في الوحل والغوص فيه حتى بلغت المياه العكرة خواصرهم، واستمر الفريق في شق طريقه بصعوبة بين متعثر وساقط، كل يتمتم لعنة بلغته الخاصة. ومع ذلك جمدت أجوان وسيرايي في مكانهما عند حافة المستنقع، تنظران للوحل نظرة قرف واستهجان. ثم جاءتهما صرخة أمر من ورائهما:

«أنسئي العزيزتين.. هل تخافان أن تفسد بشرتكما أو تنكسر أظافركما في الوحل؟ تقدمي حالا وإلا فلكما شر العقاب!».

التفتت أجوان ورائها لتجد السيد بوق ينظر لهما بنظرة غضب وفي يده البوق، ممسكاً به وكأنه سلاح سينهال به عليهما. ووراء وقف الجنرال باز وعلى وجهه نظرة رضا، وفي ذهنه أفكار تشمت بها وبضعفها، فأحست بها كسوط يجليدها. فلم تضع وقتاً في التفكير، بل قفزت في الوحل فوزاً بحركة تحدّ متهور.. ولكنها أساءت التقدير فالحقيبة الثقيلة

سحبته للأسفل دون أن تقاوم الأرض الرخوة هبوطها، فوجدت أجوان نفسها تصارع الوحل الذي بدأ يمتصها للأسفل دون مقاومة، وسرعان ما غطت المياه العكرة وجهها ارتفعت أجوان، ولأول مرة في حياتها عرفت شعور البشر عند إحساسهم باحتمال غرقهم في الماء. فقد تكون مخلوقة مائية تستطيع أن تتنفس المياه، ولكن رنتيها لن تستطيعا تنفس هذا الماء العكر، وستغرق في الحال إن استنشقتة. كتمت أنفاسها وثبتت قدميها للجانبين واستغلت كثافة المياه العكرة للتلويح بذراعيها للأسفل كوسيلة لرفع جسدها للأعلى، ونجحت في إخراج رأسها من الماء، ثم أحست بيد تمسك بكُم يدها اليسرى وتسحبها للأعلى ثم تثبتتها في هذا الوضع، حتى تتمكن من التقاط أنفاسها.

فتحت عينيها والمياه العكرة تنسال على وجهها، واستخدمت يديها الرقيقتين لمسح عينيها وأنفها وفمها للتخلص من الوحل. تلفتت حولها لتتعرف صاحب اليد التي أنقذتها، متوقعة أنها زميلتها في الشقاء، سيرايتي، فاكتشفت أنها يد الجنرال باز، وضايقتها تعابير وجهه التي كشفت عن خيبة أمله، وضايقتها أكثر كلماته التالية: «لماذا كتبوا في تقريرك أنك تتنفسين الماء، وهو أبعد ما يكون عن الحقيقة؟».

ثارت أجوان لاثهامه لها بالكذب، وردت بسرعة: «نعم أتنفس المياه، لا الوحل!». وندمت بنفس السرعة على أنها ردت عليه دون تفكير، وتوقعت منه ردًا ساخرًا أو تعنيفًا شرشًا، ولكنه لم يغير تعابير وجهه العابس، بل تركها في مكانها وأشار لها بمتابعة الخوض في الوحل للحاق بزملائها. وقبل أن يتركها ويتجه نحو الضفة، شعرت بأفكار تتعارك في ذهنه، ولكن قبل أن تتعرف على طبيعتها، انقطعت تلك المشاعر وكأن بابًا أوصد عليها، وفجأة لم تكن هناك مشاعر أو أفكار تصل لها. ذلك الانقطاع المفاجئ والفرغ الذي خلفه في ذهنها أشعرها بالدوار فتأرجحت في مكانها، ولكن كثافة الوحل حولها منعتها من السقوط.

جاءتها أصوات زملائها، ولاحظت المسافة التي بدأت في الاتساع بينها وبينهم، فسارعت بالمشي والتعثر في المياه الراكدة، وجسدها يقشعر من التفكير فيما يمكن أن يعيش في هذه المياه من مخلوقات كبيرة كانت أو صغيرة. ولكنها كبحت اشمزازها ومخاوفها، وتابعت المسير بحرص، فما زالت بقايا مياه المستنقع تغطي وجهها ولم تكن لديها الرغبة في الانزلاق والوقوع فيها ثانية.

منذ تلك التجربة، اكتسبت أجوان بعدًا جديدًا من الاحترام بنزولها في الوحل واجتياز المياه الراكدة، هو احترام المرء لقوة أكبر منه، لا احترام الزملاء أو الأصدقاء أو الند للند. وهكذا فكلما جاء موعد دخول المستنقع، كانت تحرص على أن تدخله وهي مستعدة تمامًا بكل حواسها لكي تضمن الخروج منه حية وبأقل قدر من الأضرار. وفي هذا الأسبوع الأول من التدريبات، فإن النجاة أمر ضروري جدًا لمن يريد أن يتخطى المرحلة الأولى والأصعب من أسابيع التدريب. ولا عجب أن طاقم التدريب قد أطلق على هذا الأسبوع اسم «الثقب الأسود»، ويبدو من محادثاتهم الجانبية التي كانت تجري على مرأى ومسمع المتدربين - بغرض التخويف بلا شك - أن ربع أو ثلث المتدربين لا يتمكنون من النجاة في هذا الأسبوع ويغادرون المعسكر جراء عدم احتمالهم لقسوة

التدريبات. من تجربتها في فنون القتال في أميتيرا، هي تعلم جيدا أن تدريبات الأسبوع الأول يصممها المدربون خصوصا للتخلص من الضعفاء، ضعفاء الجسد وضعفاء الإرادة.

أما أجوان، فلم تكن ستسمح لضعف جسدها أن يرغمها على الهزيمة والعودة دون العنور على طفلها. ليس الاستسلام خيارا مقبولا، ولن تسمح لأحد أن يخيفها ويرعبها، فقد اكتفت من هذا كله على مدى الأشهر الماضية. أنها قوية، ومن صلب شعب قوي، وعليها أن تثبت للجميع أنها لم تأت هنا لكي تنكسر، حتى لو حاول عشرة من أمثال باز أن يخنوها عما تخطط له. ستدخل الثقب الأسود وستجتازه للمرحلة القادمة.

غطت الغيوم الكثيفة منطقة المعسكر بأكمله، مهددة الكل بظلالها الرمادية وبوادر مطر غزير. ولو كان لسكان المعسكر خيار فيما سيفعلونه هذا اليوم، لاختاروا البقاء في ثكنتهم والتزام الراحة التامة، بعد اجتيازهم لأسبوع الثقب الأسود. ولكن الخيار ليس بيدهم بل بيد المدربين، ولذلك اصطفوا جميعا تحت السماء الملبدة وأعينهم تنتقل بين ما ينتظرهم في أحشائها وما ينتظرهم على أرض الساحة. جال المدرب ومساعداه بين صفوفهم يتفحصان ملابسهم ووضعياتهم وقوفهم، يدفعان هذا، وينهران ذاك، بطريقتهما المهينة التي اعتاد عليها الكل. ثم سمع المصطفون صوت حذاء الجنرال الثقيل على أرض المعسكر المغطاة بالحصى الناعم، ولكنهم لم يلتفتوا إليه، فعليهم أن يثبتوا في أماكنهم وأعينهم للأمام كما قيل لهم منذ اليوم الأول.

لم تكن خطوات الجنرال سريعة أو بطيئة، بل كان يمضي بخطى متوسطة ولم يبد عليه الاستعجال في أي شيء. رجل واثق وبارد الأعصاب، تنزُّ منه مشاعر الازدراء والترفيع عن كل من حوله. توقف الجنرال أمامهم وجال بنظره بين من تبقى من مجموعتهم. لقد فقدوا أربعة أشخاص فقط في هذا الأسبوع، وقد تخلص آخرهم في خامس يوم من الأسبوع الأول لعدم احتماله الشتائم والإهانات التي يكيلها لهم المدربون طوال اليوم. وفي منتصف اليوم، فقد المدرب صبره وسدد لكمة قوية لوجه السيد بوق ثم أعطاه ظهره وتوجه في ثورة للثكنة، حيث حزم أمتعته وتوجه مباشرة نحو رقعة المهبط وجلس في انتظار عودته لوطنه. لم يعره أحد أي اهتمام، واستمرت التدريبات كما كانت دون إبطاء أو توقف، وكان شيئا لم يكن. لم تكن أجوان تعرف المتدربين معرفة جيدة تجعلها تأسف لفشلهم أو لرحيلهم، مع استثناء واحد. فهي أسفة على سيراييتي التي زلت قدمها على قمة التل فتدحرجت لأسفله حيث استقرت حقيبة الظهر الثقيلة على ذراعها وهشمتها في مكانين مختلفين. وبالرغم من أن إصلاح الكسر قد لا يستغرق أكثر من 5 - 7 أيام، فإن الجنرال رفض أن يعطيها هذه المهلة، فأرسلت للمحطة الفضائية المجاورة لتتلقى العلاج. وغادرت سيراييتي المجموعة وهي تبكي بحرقة، فقد كانت مصممة على إكمال الدورة حتى بذراعها المكسورة. ومع ذلك فقد قطعت على نفسها وعدا بالعودة في الموسم القادم واجتياز الدورة والانضمام للقوات الخاصة.

«صباح الخير. في أسبوعنا الثاني من هذه الدورة، سنخضعكم لسلسلة من التدريبات الموجهة خصوصا لتعليمكم القتال. إن ما يميز القوات الخاصة هو قدرة أعضائها على

القتال بأقل المعدات والأسلحة. فالمقاتل المثالي هو المقاتل الذي ينتمي للقوات الخاصة.. لا أبالغ إن قلت لكم إنه يستطيع قتل مخلوق آخر بيديه المجردتين. بالطبع يتم تسليح أفراد القوات الخاصة بأحدث المعدات والأسلحة، بل يمكنني أن أقول إن بعض أحدث أسلحة القوات المسلحة لا تمنح إلا للقوات الخاصة. ولكن، هذا لا يعني أن نعتمد على الأسلحة، أو المعدات في قتالنا، بل نعتمد دائمًا على الفطنة وعلى القدرة الجسدية المجردة من أية أدوات أو أسلحة.. مفهوم؟».

صرخ الجميع بصوت واحد: «نعم، سيدي!».

ولكن صرخة أجوان كانت متممة.. هل ستستطيع أن تجتاز هذا الاختبار الجديد؟ نعم هي مستعدة للقتال، تمامًا كما كانت تفعل في تمارين البن كاي، ولكن تلك التمارين كانت تحكمها قوانين صارمة تمنع القتل. ففي حضارة نبذت الحروب واستبدلتها بالقتال الفردي، لا بد أن تكون هناك قوانين تضمن سلامة المقاتلين، وإلا فستنزلق الحضارة نحو الوحشية ثانية. ولذلك فقد وُضعت قوانين وعقوبات واضحة ضد كل من لا يلتزم بشروط القتال. أما هنا، في هذا المعسكر، فالأمور تختلف تمامًا. إنهم يطالبونهم بكسر كل القوانين، فالقانون الوحيد هو أن تبقى حيًا، وذلك بقتل غريمك. انتفضت أجوان من مجرد التفكير في قتل روح أخرى. ولكنها أخفت خوفها واشمئزازها وراء قناعها الجديد الذي اتخذته أخيرًا، بعد أن أدركت أن مشاعرها الواضحة على وجهها هي نقطة ضعف يمكن استغلالها ضدها. يا لسخرية الأقدار! فبعد دمار كوكبها، وزوال حضارتها، اعترفت أجوان أخيرًا بأن تقاليدهم التي تملئ عليهم عدم إظهار المشاعر، كانت بالفعل الأسلوب المثالي.

«مدرّب أول لاوشي.. ابدأ التدريبات».

أومأ المدرّب وتقدّم إلى المجموعة، وكله عزيمة وتصميم، واتجه مباشرة إلى المتدرب الضخم أورازكا وربت على كتفه مرة واحدة وأومأ برأسه نحو الساحة. ابتسم أورازكا ابتسامة عريضة، ذكرت أجوان بابتسامة الأسماك المفترسة في بحار كوكبها، في الثواني التي تسبق انقضاضها على فريستها. وتساءلت إن كان من الحكمة اختيار أورازكا كمتال في أول جلسة، إذ يبدو عدوانيًا وشرشًا بالمقارنة بحجم المدرّب الأول لاوشي. تبحّث أورازكا وهو يتجه نحو الرقعة المحددة للقتال، وابتسم للجنرال وهو يمر أمامه، وعندما وصل للنقطة الأبعد من الرقعة استدار وواجه المدرّب واتخذ وضعية غريبة لم تشهدها أجوان من قبل. إذ باعد بين رجله ومال بجذعه للأمام ونشر ذراعيه حوله، وبحركة سريعة مرر إبهام يده اليمنى على جانب أنفه ثم بصق للجانب، وجمد في مكانه في وضعية القتال. أما المدرّب فوقف مقابل أورازكا وبدأ غير مهتم كثيرًا بما يفعله، بل شَفّر عن ذراعيه بعناية وببطء وكأن ليس لديه همّ يشغله، ثم واجه أورازكا ولم يتحرك بعدها. من موقعها القريب من القتال، كانت أجوان تشعر بحماس أورازكا ورغبته المتعطشة لضرب المدرّب الأول الذي أذاقهم كل أنواع التعذيب. لم تكن تلك مشاعر جديدة عليها، إذ كان أورازكا دائمًا محاذًا بغيمة كثيفة من العدوانية والحقد والعنف، مما كان يجعلها تتجنب الوقوف أو الجلوس قريبًا منه، لا خوفًا على نفسها، ولكن رغبة منها في أن

تجنب الأذرنالين الذي يندفع في دماغها كلما أثارها حماسه وتعطشه للعنف راقبت تملل أورازكا واستطاعت أن تتنبأ بالثانية التي انطلق فيها لينقض على غريمه، وبسرعة خاطفة اندفع الرجل الضخم نحو لاوشي وفي حنجرته صرخة مدوية لا شك أنه كان يريد بها شل حركة غريمه. من الواضح أنه كان سيمسك بالمدرّب ويوسعه ضرباً، إذ إن المدرّب لم يتحرك من مكانه، بل انتظر لآخر لحظة، ثم استدار بجسده للجانب وأعاد بذراعه للوراء وبكل قوته سدّ بطن راحة يده ضربة قوية إلى أنف أورازكا، ثم بحركة خفيفة بقدميه استطاع أن يتجنب جسد أورازكا. وفي عشر الثانية تطاير الدم في كل اتجاه، وتحولت صرخة التحدي إلى صرخة ألم، وسقط أورازكا للأرض القاسية وهو يغطي أنفه بيديه والدم يتدفق من بين أصابعه فيغطي الجزء السفلي من وجهه.

تعرضت أجوان في تلك الثواني القصيرة لموجات من المشاعر من كل من يحيط بها، فهناك كمية هائلة من خيبة الأمل التي انطلقت من المتدربين الذين كانوا يأملون أن يروا أورازكا يوسع المدرّب ضرباً. أضيف إلى ذلك خيبة الأمل والغضب الذي اعتدى ناسلني رفيق أورازكا، وهو يندفع نحو صديقه محاولاً مساعدته على الوقوف. وجاءتها موجة خفيفة من المدرّب الأول، فقد كان يشعر بالرضا والزهو بنفسه. ولكن المشاعر الأقوى كانت تبعث من أورازكا الذي كان يعاني ألماً فظيماً من أنفه المكسور ومن كرامته المهشمة. وهو ما كان يغمر ذهن أجوان في تلك اللحظة حتى شلّ حركتها لبضع ثوان وجعل الدموع تتجمع في أطراف عينيها وكأنها اشتمت رائحة نفاذة. ولكنها تمالكت نفسها ورفعت عينيها من منظر الدماء والألم لتلتقيا بعيني الجنرال الذي كان يراقبها بنظرة. حيرتها نظرتة، وزادها حيرة انعدام المشاعر منه. إنه صندوق أسود، لا تصدر منه مشاعر إيجابية أو سلبية، وحتى وجهه لم يكن يكشف عما يدور في ذهنه من أفكار نحوها أو نحو الموقف الذي جرت أحداثه أمام عينيها في الثواني الماضية.

استمرت النظرة بينهما لثوان إضافية ثم استدار الجنرال وهو يتمتم للمدرّب: «ابعث بهذا المجنون للمشفى، وأكمل التدريب».

تحولت السماء فوقهم إلى صفحة بيضاء شقتها خطوط البرق، وتلاه الرعد المدوي، ثم هطلت الأمطار بغزارة، وأغرقت المتدربين.

فاجأتها الضربة فارتد رأسها للوراء من شدتها، وسمعت طنيناً في أذنها، بينما خُيّل لها أن شفتيها تضاعفتا لخمس أحوال الشفتين الطبيعيتين. ولكنها لم تسمح للضربة أن تشغلها عن الخطر الذي ما زال يتراقص أمامها، فإن شيئاً ليست بالغريم العادي. إنها سريعة جداً وتملك قوة جبارة في ذراعيها الصغيرتين، وهو ما يجعل ضرباتها موجعة جداً. لم تكن شيئاً متوهمة عندما قالت لأجوان في لقائهما الأول في الثكنة بأنها تأتي من قبيلة مقاتلة، كما أنها ترعرعت بين ستة إخوان مما جعلها تكتسب سرعة حركة واضحة جراء حياة قضتها في تجنب الوقوع ضحية لمقابلهم العنيفة. والآن اكتشفت أجوان مقدار سرعتها عندما سددت لها تلك الضربة من الجانب، حتى لم ترها أجوان إلى أن أحست بها شفتها.

اليوم يحاول المدرب أن يعلمها كيفية تجنب ضربات الغريم بحيث تصمد أطول مدة ممكنة أمامه، وتحاول أجوان جاهدة تنفيذ تعليماته، ولكن شيئا سريعا جدًا. استعادت أجوان توازنها وابتعدت عن غريمتها كما علمها المدرب لاوشي، ولكنها يجب أن تصمد أمامها لسبع دقائق أخرى، وهو ما يقلقها في هذه اللحظة. إذ لم تعود على هذا النوع من المناورات، بل تعلمت دائمًا أن أفضل الدفاع يكون بالهجوم. ولكن تعليماتها كانت واضحة، عليها أن تراوغ لمدة عشر دقائق وتبقى صامدة على قدميها، وإذا سقطت فهي الخاسرة في هذه الجولة.

راقبت شيئا وهي ترقص يمنة ويسرة، وتهتمهم بطريقتها المزعجة عندما تقوم بعمل يحتاج تركيزًا. ألا تشعر تلك الفتاة بالتعب من الجري لمدة ساعتين متتاليتين؟ إنها منهكة بعد حملها للأثقال وصعودها التل ثم العودة للسهل والصراع مع الأوحال، بينما شيئا تبدو وكأنها استيقظت من النوم المنعش منذ دقائق وهي جاهزة لبدء يوم جديد. قطعت شيئا المسافة التي تفصلهما بسرعة مذهشة وأمسكت بيد أجوان محاولة ثنيها وراءها، ولكن أجوان تعرف جيدًا كيف تتصلص من هذه الحركة، إذ سارعت بثني معصمها بحيث باتت أصابع يدها أقرب إلى معصم شيئا، فأحكمت قبضتها على معصم شيئا ثم استخدمت ثقلها لسحبها نحوها ونحو ركبتيها التي ثنتها ورفعته بزاوية قائمة لتدفعها في بطن شيئا، تمامًا كما علمها المدرب برايود في تمارين البن كاي. ولكن شيئا كانت أسرع منها فرأت نواياها وحركت جسدها للجانب لتتجنب الضربة التي أعدتها أجوان لها، ثم تبتعتها بضربة من ذراعها لجانب رأس أجوان. ولم تكن الضربة الأخيرة قوية نظرًا للزاوية التي جاءت منها، ولكن أجوان كانت تقف على رجل واحدة فقط، ففقدت توازنها وسقطت على جانبها وهي تتأوه من الألم الذي كان يخفق في جانب رأسها.

«انتهت الجولة.. شيئا الفائزة. موعد الفطور.. هيا! بسرعة!».

لم تنهض أجوان من مكانها، ولكنها اعتدلت في جلستها وثنت ركبتيها وطوقتها بذراعاها الأيمن، بينما بدأت تدلك جانب رأسها بيدها اليسرى. استمرت في الجلوس على أرض ساحة التدريب غير عابئة بالمجموعة وهي تغادر باتجاه قاعة الأكل. لقد خسرت مرة أخرى، فالبارحة أيضًا هزمها الفيليني هارروروسس بخفة حركته وسرعة ردود فعله. لن أبكي! لن أبكي! البكاء للفتيات الصغار، وأنا أتدرب هنا لأصبح مقاتلة وأجوب المجرة بحثًا عن طفلي، فلن أبكي! ومع ذلك تجمعت قطرات دمع في طرفي عينيها، فازدادت رغبتها في البكاء. ولكنها لم تنهزم أمام تلك الرغبة، وخاصة عندما برز في مجال نظرها زوج من الأحذية العسكرية الثقيلة. لم تكن تحتاج أن ترفع رأسها لتعرف من يقف فوقها، إنه الجنرال المقيت، ولا شك أنه جاء ليشتم بها، ويحتمل للمرة الثالثة على الاستسلام ومغادرة المعسكر. كم هو قاس ليأتي الآن في لحظة انهزامها ويكرر عليها العرض ذاته.

«انهضي. وتعالى معي».

أوشكت أجوان أن توجه له كلامًا غاضبًا.. وأحمق لا شك.. ولكنها عضت على لسانها ونهضت من مكانها، ونفضت الغبار عن بدلتها الخفيفة، وأصلحت هندامها وكأنها قد

نهضت للتو من على مقعد لا من على أرض الساحة التي وقعت فيها مهزومة. حملت في ظهر الجنرال وهو يتبعد عنها، وأقسمت أنها لن تحقق أمنيته في رؤيتها وهي تغادر المعسكر، حتى وإن اضطروا لنقل جثتها هامة. تبعته وهو يتجه نحو المبنى الصغير الذي يحوي بعض مكاتب طاقم التدريب. لم يسبق لها أن زارت المكاتب، ولكنها سمعت عنها من زملائها. وطرأت لذهنها فكرة مرعبة فانقبض قلبها لمجرد التفكير فيها.. هل سيأمرها هذه المرة بأن تغادر الدورة التدريبية للأبد؟ وإلا فلماذا يصطحبها لمكتبه؟ تسارعت أنفاسها وهي تفكر في تبعات هذه الزيارة. وبدأت تصلي في أعماقها بأن كان قد دعاها لمكتبه لأسباب أخرى.

دخل المبنى واتجه لليسار حتى بلغ نهاية الممر القصير حيث يقع مكتبه الشخصي لا محالة. تبعته أجوان ببطء في الممر الزيتي الكئيب وهي تحاول أن تخفي قلقها، وعندما دخلها مكتبه، توقفت أمامه، بينما اتخذ الجنرال مكانه على مقعده وراء المكتب. خلع قبعته القماشية، ومسح على شعره القصير براحة يده اليمنى، ووضع القبعة على جانب المكتب، ثم أراح ذراعيه أمامه، ورفع عينيه نحوها.

«اجلسي يا متدربة».

ترددت أجوان في الجلوس، رغم أنها كانت بحاجة ماسة للجلوس في هذه اللحظة المخيفة، ولكنها في النهاية جلست بهدوء على طرف المقعد المعدني المجاور للباب، لا المقعد المجاور لمكتب الجنرال، وكأنها تريد أن تثبت أنه عندما لا يكون لديها خيار، فإن لديها القدرة على أن تختار ما تريد. تبعها بعينيه الجامدتين دون أن تتغير تعابير وجهه. ولاحظت مجددًا خلوه التام من المشاعر التي تحيط بغيره من المخلوقات الحية.

«قرأت ملفك.. أنت مخلوق مائي.. تنتمي لشعب.. انقرض تقريبًا.. فقدت طفلا وانضمت للقوات الخاصة أملا في العثور عليه. يقول التقرير أيضًا إن القائد زوفات من مدينة كراسوتكا قد شَهِدَ عرضًا واضحًا لبعض القدرات الخاصة التي تتمتعين بها».

صمت وهو يراقب رد فعلها على ما يقوله.. ولكنها لم تعلق أو تغير تعابير وجهها وهي تستمع له، فسألها: «هلا تشرحين لي هذه القدرات الخاصة؟»

فردت بتحدٍ: «أليست مذكورة في هذا الملف الشهير؟».

«ليس لدي وقت أضيعه معك، وأنا على وشك أن أتخذ قرار طردك من الدورة. أجبني فقط».

بلعت أجوان ريقها، وأخذت نفسًا عميقًا لتهدئ دقات قلبها المتسارعة لهذا الخبر الذي كانت تتخوف منه. رفّت عينها مرتين ثم أجابت بكلمات مذاقها مرّ على لسانها وشفتيها: «لدي القدرة على استشعار كل ما يحس به من حولي. لم أكن أملك هذه القدرة، إلى أن ركبت سفينة الفضاء التي أنقذتني من كارثة دمار كوكبي».

«نعم. تقمص المشاعر.. أو الاستشعار. والقدرة الأخرى؟».

لم تكن أجوان متأكدة من طبيعة القدرة الثانية؛ ولذلك تعثرت في الكلام وهي تحاول أن تشرحها له: «إنها.. لا أعلم ما هي بالضبط.. القائد قال إن اسمها «تيليكنيسيس».. أو

القدرة على تحريك الأشياء عن بعد. ولكن لم أكن أعرف عنها شيئاً. وما حدث كان ثورة غضب.. هذا ما حدث».

حك الجنرال جفنه الأيمن بأطراف أصابعه، ثم عاد ليحديق فيها: «هذا كل شيء؟» هزت رأسها بالإيجاب مرة واحدة. فرفع رأسه لينظر لها نظرة شك: «ليس هذا كل شيء... هناك قدرة ثالثة».

اتسعت عينا أجوان وهي تنظر له بدهشة وإنكار: «لا توجد قدرة ثالثة.. من قال إن هناك قدرة ثالثة؟ هل هذا مذكور في الملف؟ أقسم لك أنني لا أعرف غير ما أفصحت به لك.. وأرجوك.. أرجوك.. لا تطردني من الدورة. إن لم أجتزها.. إن لم أتمكن من الانضمام للقوات الخاصة.. فسوف أضيع.. سأذبل وأموت!».

اغرورقت عيناها بالدموع، وأخيراً سمحت لنفسها بالإجهاش بالبكاء، غير مبالية بما سيقوله عنها هذا الجنرال القاسي الذي يريد أن ينهي حياتها بقرار إداري بارد. تراكمت كل أيام التدريب والإهانات المتتالية وأيام طويلة من التيقظ والتركيز في هذه اللحظة فلم تملك إلا أن تستسلم لرغبتها في البكاء.

راقبها الجنرال وهو يطرق سطح المكتب بظفر سبابة واحدة طرْقاً منتظماً خافتاً، وذهنه يعمل بصمت. وفجأة نهض من مقعده ودار حول المكتب، ودس منديلاً قماشياً أبيض اللون في يدها التي تغطي وجهها المبلل بالدموع. كانت حركة مفاجئة لأجوان حتى إنها توقفت تماماً عن البكاء ورفعت رأسها لتحديق بدهشة في وجهه. وجاءت صدمتها الثانية عندما انفجرت شفتاه عن ابتسامة خفيفة لم تكن تتخيل أن تراها على وجهه العابس، وقال: «لست وحشاً 100 %.. في بعض الأحيان أتذكر 1 % من حياتي السابقة كبشر».

احمر وجه أجوان، وأخفضت وجهها وغطته بالمنديل لتخفي حرجها منه، ولكي تجفف دموعها التي انقطعت فجأة. ساد الصمت الغرفة، بينما اتكا الجنرال على المكتب، وكثف ذراعيه على صدره وتابع مراقبته لها. انتهت أجوان من مسح دموعها، وفي حركة عصبية بدأت تلف المنديل حول أصابعها وهي تحديق في نقطة تقع بين قدميها وقدمي الجنرال. لماذا لا تستطيع أن تستشعر أية عواطف آتية منه؟ إنه حقاً كصندوق مغلق، لا ترى ما بداخله، وهو إحساس غريب بالنسبة لها.. فهو مريح من ناحية؛ لأنها لا تضطر للتعرض لمشاعر غير مشاعرها.. ومن ناحية أخرى لأنه غير طبيعي ويشعرها وكأنها فقدت حاسة السمع أو البصر. غريب فعلاً!!!

فاجأتها كلماته التالية: «قدرتك الثالثة ضعيفة ولم تنتهي لها رغم أنك تستخدمينها دون وعي لا محالة».

لم تعرف كيف ترد على كلامه.. ولكن الأسئلة التي في ذهنها كانت واضحة على وجهها، إذ أجاب عليها بنفسه: «بالإضافة لقدرتك على استشعار عواطف وأحاسيس من حولك، لديك القدرة على التأثير على أحاسيسهم. فمثلاً، يمكنك أن تبثي الهدوء والسكينة في نفس أي شخص آخر لو حاولت جيداً. أو يمكنك أن تستفز به إلى ثورة غضب، ولكن أشك إن كان مستوى قدرتك كافياً لتحقيق الجانب السلبي هذا. أه، أرى

أنني أثرت اهتمامك وأن هذا الكلام ليس بغريب عليك تمامًا. فلماذا إذن أنكرت هذه القدرة مسبقًا؟»

«لم أكن أعرف أنني أملكها.. ولكن.. كنت أستغرب سرعة استجابة من حولي لمحاولاتي لتهدئتهم لذلك فهمت ما تعنيه فوزًا».

أومأ برأسه ومسح فمه بكفه وانتهت أصابعه بتطويق ذقنه حيث أبقاها هناك لبعض الوقت، وقد أسند كوعه على ذراعه الأخرى، وحدث في الممر الواقع وراءها. لم يطل الوقوف هكذا، إذ استدار ثانية واتجه لمقعده وجلس فيه وأعطاه اهتمامه الكامل.

«آن الأوان لأن أكشف لك الحقيقة، خاصة أنني قررت أخيرًا ألا أطردك من المعسكر».

تنفست أجوان الصعداء وبدأت ابتسامة الأمل ترتسم على وجهها، ولكن تعابير وجهه العابسة أعادتها للواقع ثانية، إذ أكمل الجنرال باز حديثه: «لا تسعدي كثيرًا بقراري هذا، إذ ستمر عليك لحظات في المستقبل القريب ستلعبين اسمي وتندمين على اللحظة هذه وتتمنين لو طردتك منذ 3 ثوان».

«أولاً.. لست الوحيدة التي تتمتع بقدرات خاصة؛ ولذلك ستجدين العون والمساندة من عدة جهات، سأكشفها لك لاحقًا».

ثانيًا.. سأضاعف ساعات تدريبك.. وسأشرف عليها بنفسي.

ثالثًا.. لا أضمن لك اجتيازك للدورة، فهذا أمر يعود لاجتهادك، ولكن.. إذا تمكنت من اجتيازها بنجاح.. سأضامك لفرقتي الخاصة... انصراف!».

الهالة

مضى يومان منذ لقائهما بالجنرال، وفي كل لحظة تراه تتساءل: متى سيبدأ تدريبها الذي تحدث عنه، ولكنه كان يتجاهلها بالكامل كلما مز بها. وبالطبع كان هذا أمرًا مزعجًا لها، ولكن ما يزعجها أكثر هذا الجدار المنيع الذي يجعله كتلة جامدة خالية تمامًا من المشاعر. ربما يكون رجلًا أليًا؟ ولكنها استشعرت في السابق احتقاره لها، فلماذا لا تصدر منه مشاعر الآن؟

في هذا اليوم، جمعهم طاقم التدريب في زاوية بعيدة مخصصة للرماية بمختلف الأسلحة، فهناك أسلحة خفيفة تُحفل بيد واحدة، وهناك أسلحة أكبر قليلًا وتُحفل بيدين. كلما وقع نظرها على أحد الأسلحة، تذكرت السلاح الذي أمسكت به في منزل روهاني يوم مقتل والدها، فتقلبت معدتها وتقاوم رغبتها في القيء. ستضطر اليوم لحمل سلاح مرة أخرى، وفي هذه المرة لن يكتفوا بحمله والتلويح به، بل سيطلبون منها استخدامه أيضًا. وفيما راقبت السيد بوق يعُدّ السلاح الخفيف ويشرح مواصفاته التقنية وإمكاناته القتالية، كانت أيضًا تنتظر للوحات البعيدة التي ضُفّت على مسافات منتظمة انتظارًا لرصاص أسلحتهم لا شك. هل يمكن لشخص لم يستخدم سلاحًا من قبل أن يجتاز تدريب الرماية؟ وهل هناك أمل أن تواصل مسيرة التدريب وتنجح في انضمامها للقوات الخاصة؟

اعتدل مساعد المدرب في وقفته مواجهًا للوحات البعيدة، ثم صوّب سلاحه نحو اللوحة المقابلة له تمامًا وبدأ في إطلاق النار، رصاصة تلو الأخرى. أصدرت الرصاصة الأولى صوت فرقة عالية أجفلت أجوان وبعض من حولها، وتوالت الطلقات حتى اندمجت الفرقعات محدثة صدى يدوي في أرجاء الساحة ويمتد للغابات المحيطة بها. وفي الأفق، ارتفعت أصوات الطيور من جوف الغابة، وهي تقفز في الهواء في خوف ورعب مكونةً سحابة كثيفة غامقة اللون. تبعثها أجوان بعينها وهي تطير في حلقات واسعة وتبتعد عن المنطقة، وراودتها رغبة في التحليق معها والابتعاد عن كل شيء.

«المتدربة أجوان.. دورك!»

قفزت أجوان عندما سمعت اسمها، وأدركت أن السيد بوق لاحظ انشغالها بالطيور وقرر

أن يجعل منها عبرة وعظة في هذا اليوم، وأرادت أن تركز نفسها لانقيادها لأحلامها والسماح لها بأن تشغلها عن هذه اللحظة الهامة. أحسنت يا أجوان، هكذا أنت دائمًا، من مازق إلى مازق، وأنت مغمضة العين ومغلقة الذهن!

تقدمت إليه بخطف أرادت أن تبدو له خطي واثقة، وتناولت السلاح الذي كان يمهده نحوها، وقلبت بين يديها وهي تلاحظ ثقله وملامسه الناعم، وسخونته بعد أن استخدمه مساعد المدرب. نظرت للمساعد بحثًا عن تعليمات محددة، ولكنه أومأ لها برأسه نحو الهدف، ولاحظت أنها تقف أمام لوحة مختلفة عن تلك التي استخدمها قبلها. إنها لوحة خالية من الثقوب، تنتظر منها أهدافًا جديدة. أخذت نفسًا، ورفعت السلاح حتى توازي مع كتفها، تمامًا كما رأت المساعد يفعل منذ لحظات، ورصت عينًا وأغمضت الأخرى، وأعدت نفسها جسديًا ومعنويًا لصوت الفرقة العالية، ثم ضغطت على الزناد. ولكن لم يحدث شيء. فضغطت مرة ثانية وثالثة، ثم أنزلت السلاح ونظرت للمساعد، فوجدت التهكم في وجهه.

«لقد قام شخص غريب بتسليمك سلاحًا. هل هو سلاحك؟ لا، إنه سلاحه؟ هل استخدمت هذا السلاح من قبل؟ بالطبع لا. فما الذي تفعلينه في وسط ميدان الحرب؟».

حدقت أجوان في وجهه وهي تعلم جيدًا أن أية إجابة تصدر منها - مهما كانت منطقية - ستقابل بمزيد من التهكم والتوبيخ، فصمتت منتظرة الإجابة الخارقة من السيد بوق.

أمسك المساعد بالسلاح ونزعه من يديها، وبدأ يوجه حديثه لكل المجتمعين وهو يشير للسلاح: «عندما تستلم سلاحًا - سواء كان سلاحك أو سلاح غيرك - عليك أن تتفحصه لترى عدد الطلقات المتبقية، قد يكون فارغًا، كما هو الحال في هذا السلاح، أو قد يكون صمام الأمان فاعلاً مما يعني أن السلاح لن يعمل قبل أن تلغي صمام الأمان».

نظر المساعد لها نظرة احتقار وأومأ برأسه أن تعود لتنضم للمجموعة.. وكأنه يقول: انتهى الدرس أيتها التائهة!

بعد وجبة العشاء، وفيما توجه الجميع لقاعة الدراسة النظرية، اقترب منها الجنرال، ثم أشار بعينه إلى منطقة أخرى من الساحة، وقبل أن تسأله عما يعنيه، استدار وتوجه للنقطة التي أشار لها. توقفت للحظة مترددة، ولكنها حزمت أمرها وتبعته فهذه الفرصة التي كانت تنتظرها منذ أيام. طال سيره وهي تتبعه حتى اقترب من حافة الغابة، وتوقعت أن يتوقف، ولكنه استمر في المشي حتى اختفى بين الأشجار الكثيفة. تباطأت خطواتها وهي تقترب من الغابة، إلى أن باتت تبعد أمتارًا قليلة عن الغابة وظلامها المخيف، فتوقفت وهي تحاول أن تعود عينيها على الظلام علها تلمح الجنرال، ولكنها لم تر أية حركة. ثم جاءها صوته من الظلام:

«القوات الخاصة تقتحم الظلام أولاً، ثم تقهره.. وبعدها تتوقف وتتلفت حولها».

«لست أخاف الظلام...».

«إذن تعالي، فليس لدينا وقت طويل قبل أن تنهاري من تعب اليوم.. هيا، لن ندخل إلى قلب الغابة، مجرد أمتار».

تقدمت أجوان وهي تراقب موقع أقدامها في الظلام، ولاحظت أن الظلام لم يكن بالعمق الذي كانت تتصوره، فمع زوال الإضاءة من الساحة الكبيرة التي تغرقها أضواء المعسكر، هناك بصيص من الإضاءة بين جذوع الأشجار. ثم أدركت أنها تتجه نحو نيران مستعلة في حفرة منخفضة في الأرض، حيث جلس الجنرال على جذع شجرة ميتة. أشار لها بالجلوس، ولكن لم تجد شيئاً تجلس عليه، فالتحقت مكانها في الجانب الآخر من النار وتربعت على الأرض. وقبل أن يبدأ في الحديث، اقتنصت الفرصة وأمطرته بأسنلتها التي تلتهم ذهنها منذ أيام:

«كيف عرفت أن لدي قدرة الثالثة؟ لا أعتقد أن هذا الأمر ورد في ملفي..»

تراقصت أضواء النار على جانب وجهه الخالي من التعابير، بينما بقي الجانب الآخر في ظلام كامل، حتى تراءى لها أنها تنظر لرجل بنصف وجه فقط. «عندما نتسلم دفعة جديدة من المتدربين، أفضل شخصياً أن أحكم عليهم بنفسى قبل أن أنظر في ملفاتنا التقليدية. مهما كانت المعلومات التي تحتويها الملفات، فإن كل مخلوق يملك صفات أكثر مما يمكن لملف أن يحويه. وبعد أن تتكون لدي فكرة عامة عن المتدربين، أعود للملفات لأتفحص بعض تاريخ المتدربين. وصدقيني، في بعض الأحيان، أكتشف أن معظم ما يوجد في الملفات مجرد معلومات سطحية وربما غير صحيحة، قدمها المتدرب عن نفسه ليعطي انطباعاً جيداً عن نفسه.»

ارتسمت ابتسامة خفيفة على وجهه وتابع:

«ولكنك على حق.. لم يحو ملفك أية معلومات عن القدرة الثالثة كما سميتها. وحتى قدرتك الأولى والثانية فلم تكن تحوي أية تفاصيل عدا جملتين فقط. ولكنني كنت قد اكتشفت ذلك كله قبل أن أقرأ الملف.»

قطبت جبينها وكبحت رغبتها في استعجاله في إكمال الشرح، كما أنها لا تنكر سعادتها بالجلوس هكذا مع إنسان آخر وتجاذب أطراف الحديث، بعد أيام طويلة ومنهكة من التدريبات الجسدية القاسية تحت ظروف معنوية سيئة. ولم تحتج أن تنتظر طويلاً، إذ استمر في شرحه لما كان غامضاً عليها:

«هناك أشخاص.. لديهم القدرة على رؤية قدرات الغير.. فلكل قدرة.. اممم.. فلنسماها «هالة» تحيط بصاحبها فتكشف عن طبيعة قدراته. والهالات لها أطياف متعددة من الألوان.. وقد رأيت الهالات المحيطة بك منذ اللحظة الأولى.»

تذكرت أجوان أول لقاء لهما أمام قاعة الأكل، عندما لاحظت المفاجأة على وجهه، ولكنها لم تفهم لماذا كان يعاملها بازدراء ويحاول مرازاً إقناعها بمغادرة المعسكر. فسألته: «ولكن هذا يعني أنك كنت تعلم بقدراتي منذ البداية، فلماذا كنت تسعى دائماً لإرغامي على مغادرة الدورة، بينما يقولون لي إن القوات الخاصة تستقطب الأشخاص الذين يملكون قدرات خاصة؟! إنني في حيرة!»

لوى فمه بطريقة ساخرة، ونظر بعيداً لبعض الوقت، ثم عاد ليوجه كلامه لها: «لقد حاولت بالفعل، لا أنكر ذلك.. ولكنني فشلت.. لم أدرك مقدار تصميمك على النجاح.»

استغربت رده وارتفع صوتها وهي تحتج على معاملته الآن بعد أن شعرت بالأمان
«تصميمي على النجاح؟ هل تعتقد أنني هنا للفوز بمسابقة؟! إنني أناضل من أجل العثور
على طفلي!! أكنت تتوقع أن أستسلم بسهولة وأنا أعلم أنني وحيدة ولن يساندني
أحد؟!»

مد يده أمامه في حركة استسلام، وابتسم لها وقال: «طيب.. طيب.. لم أكن أعني
إهانة لك.. ولكن كنت أفكر في مصلحتك».

«مصلحتي؟! كنت تحاول طردي من المعسكر لمصلحتي؟!» وبدا الغضب والشك
واضحين على وجهها وفي نبرة صوتها.

«هل نسيت أن أقوى قدراتك هي الاستشعار؟ هل تدركين ما يعنيه هذا بالنسبة لي؟»
«لا، لا أفهم ما تعنيه!! أرجوك أن تتوقف عن طرح الألغاز! أنا متعبة جسديًا وذهنيًا،
وأبحث فقط عن إجابات. أفصح عما في ذهنك وجنبي هذه المراوغات اللغوية!»
قطب جبينه، فندمت على كلماتها الثائرة، وحبست أنفاسها خوفًا مما سيقوله لها.

«نعم.. أنت على حق.. لا وقت لدينا لهذا السجال... باختصار، إن القوات الخاصة تعمل
في مجالات عدة.. ولكن مهما اختلفت المهام فإن عملها كله يعتمد على القتل. ألا
توافقيني هذا الرأي؟».

بلعت ريقها، وأومات برأسها خوفًا من أن تقول شيئًا غبيًا وطفوليًا كما كانت تقول في
السابق عندما يأتي ذكر القتل.

«أنت مستشعرة.. كيف ستقتلين شخصًا، وأنت قادرة على معرفة شعوره وهو
يحتضر؟!».

كان سؤاله كقبضة قوية سدّت لها لكمة في بطنها. لاحظ الجنرال صدمتها وانعقاد
لسانها، فتركها تضرب أخماسًا بأسداس لدقائق طويلة قضتها تفكر في مهرب من هذا
المأزق الذي وجدت نفسها فيه، ولا ترى منه مخرجًا. بالفعل، هل ستستطيع أن تسلب
حياة مخلوق آخر؟ لم تكن تلك المرة الأولى التي سألت فيها نفسها هذا السؤال الصعب
الذي طرحه القائد زوفات أول مرة. ولكن السؤال ذاته اتخذ منحى مختلفًا الآن، هل
ستستطيع أن تقتل شخصًا وهي تستشعر منه ألمه ويأسه، وروحه تفارقه؟!

قاطع جبل أفكارها صوته العميق: «هل فهمت الآن لماذا أردت طردك من المعسكر؟!
أردت أن أجلبك هذا الألم، لا رافة بك فحسب، ولكن لأن تردّدك في القتل - ولو للحظة -
قد يعرض فريقك للخطر والموت. ونحن لا نعمل مع من يعرض حياتنا للخطر، حتى وإن
كانت نواياه طيبة... ها؟ هل ستعودين لكراسوتكا؟».

فأجابته في يأس: «أعود لمن؟ ليست لدي أسرة أعود لها، وحتى الرائد روهاني لن
تكون هناك، فهي مسئولة عن إدارة محطة الظافر. فليس لدي مكان أستطيع حقًا أن
أعتبره موطنًا لي. ثم حتى لو كان لي وطن، فكيف يمكنني أن أواصل حياتي وأنا أعلم
أن طفلي في مكان ما في المجرة، ولا أعلم كيف يعاملونه.. أو.. إن كان حيًّا؟!».

«بالمناسبة، ما اسم طفلك؟».

نهت أجوان وهي تفكر في إجابة السؤال المفاجئ.. لم يخطر لها قبل هذه اللحظة أنها لم تطلق عليه اسماً.. كان دائماً «طفلاً رضيعاً» بالنسبة لها. وربما لم تعطه اسماً لأن الاسم سيرسخه أكثر في ذهنها، وقد يدفعها فقدانه للجنون.. ولكن، أوليست هي مجنونة الآن؟ تنتقل من كوكب لكوكب عبر مجرة هائلة الاتساع، تبحث عن وليد لم تر وجهه أو تعطه اسماً، وتعرض نفسها لمواقف خطيرة، بل وتعرض ضميرها لما هو أخطر. هل تستطيع حقاً أن تقتل من أجل العثور على طفلها؟

«لم أختبر له اسماً بعد.. لم تسنح لي الفرصة للقائه حتى أعطيه اسماً»

استغرب الجنرال هذا الرد، ولم يرغب أن يخوض التفاصيل الأخرى، ربما لاحقاً سيناقشها في بقية التفاصيل، ولكنه جاء بها إلى هنا من أجل اختبار عزميتها وتصميمها. «إن لن تغادري المعسكر؟»

أخذت نفساً عميقاً، وصلبت ظهرها ورأسها مرفوع وأجابت: «لا.. لن أغادر مهما كان الثمن».

أوما برأسه، ومال بجسده للأمام واتكأ بكوعيه على فخذه وقال: «إن.. سأدريك على كيفية السيطرة على استشعارك بحيث تمنعين مشاعر غيرك من أن تؤثر فيك. وسنبداً الآن».

اعتدلت ماريونيتا في جلستها على السجادة الفاخرة، وهي تنتظر الوصيفة لتصب لها شرابها المفضل. كانت تجلس على الأرض متكئة على وسادة خميرية اللون وقد ثنت ركبتيها إلى جانبيها وتحيط بها الوسائد الوثيرة المطرزة بخيوط الذهب والصوف، والصواني الفضية المطعمة بالأحجار شبه النفيسة. لقد اعتادت السلطانة على الجلوس هكذا في مجلسها الخاص بها، ولكنها في هذه المرة تعفدت أن تجلس بطريقة خاصة في الفستان الأبيض الذي يضم خصرها ويبرز أعلى صدرها، وعمدت إلى إزاحته عن ساقها لتتكشف في الجانب الذي جلس فيه ضيفها الجديد تزوار أموروس. كانت تعلم جيداً أنه يراقبها رغم صرامة ملامحه، وشرت كثيراً عندما رأت عينيه تتابعان انسحاب الفستان عن ساقها الناعمة.

لم تكن ماريونيتا قد جاوزت عامها الثاني والثلاثين بعد، إذ كانت قد تزوجت وهي صغيرة، في السادسة عشرة من العمر. وكانت تعلم جيداً أن السلطان قد فضلها على أختها الكبرى بسبب طولها ورشاقة جسمها وتقاسيم وجهها الناعمة، ناهيك عن لون بشرتها البرونزي والذي كان يميزها عن كل أخواتها وفتيات أسرته السمرات. وربما لأن السلطان رأى في بشرتها مزيجاً مكفلاً لبشرته السمرات التي اتسمت بها أسرته لعقود طويلة، فأراد أن يغيرها بإضافة دماء جديدة. ويا لها من دماء، فلم تكن ماريونيتا من الأسر النبيلة، ولكن والدها كان أغنى من أغنى نبيل في سيغوفيا. ولم يكن السلطان قد تزوج من قبل، بل كان ينتقل من عشيقة إلى عشيقة، حتى بلغ الأربعين من عمره، وبدأ مستشاروه يلحون عليه بالزواج لكي يضمن ولي عهد لسلطنته. لا تعلم ماريونيتا لماذا لم يختار السلطان إحدى قريباته من الأسرة الحاكمة، أو إحدى الأسر النبيلة الأخرى، ولكنها

فوجئت يوماً بصراخ أمها، فهرعت نحو غرفتها تظن أن أمراً سيئاً قد حدث لها أو لإحدى أخواتها، فتصادمت مع والدتها التي كانت تجري متجهة نحو غرفتها. وهكذا علمت باستدعاء والدها للقصر وإبلاغه برغبة السلطان في مصاهرته. وبعدها بأيام، بلغتهم رسالة من السلطان باختياره للبنت الوسطى، لا الكبرى أو الصغرى. رقصت ماريونيتا فرحاً في ذلك اليوم، ثم بكتة 15 عامًا متتالية.

لم يكن السلطان لاسيفو كما تصورته ماريونيتا، فقد كان سميناً وكريه الرائحة وعنيفاً معها. وبعد أشهر مضيئة من محاولاتها استعطافه وكسب وده، ينست منه وانزوت على نفسها، وهو بدوره اكتفى بأنها ستكون أم ولي عهده، فكان يتجاهلها معظم الوقت، منشغلاً بأمور السلطنة، وبموكب من العشيقات. لم تكن حياتها في القصر سيئة، فإنها حياة تتمناها كل فتاة، فهي الأمرة الناهية في كل ما يخص القصر، ولديها حشد من الخدم والحشم لخدمتها وتلبية أصغر وأتفه احتياجاتها. ولكنها حياة خالية تمامًا من الصداقة أو الحب والمودة. ولولا أن من الله عليها بابنها هيريديرو، لكانت وحدتها أكثر شقاء مما كانت ستحتمله. وكانت تذكر نفسها دائمًا بأنها مستعدة لتحمل أي عناء من أجل سلامة وسعادة طفلها، وهو ما كانت تحبها عليه والدتها أيضًا، إذ كانت تمنعها من اللجوء لبيت والدها كلما نشبت مشاجرة جديدة بينها وبين زوجها السلطان. وقد أخذت والدتها عليها هذا ألا ترتكب حماقة قد تتسبب في تضييعها من مكانتها كالزوجة الرئيسية للسلطان، وذلك ضمانًا لبقائها في مكانها، وضمانًا لاستلام طفلها الحكم بعد وفاة والده، وخاصة أن السلطان لديه عدد كبير من الأطفال غير الشرعيين، ومن يدري من منهم قد يحاول أن ينافس ابنها على الحكم في يوم ما؟ وهكذا داست ماريونيتا على كرامتها وعلى سعادتها، وأفتت حياتها لخدمة ابنها ومستقبله.

ولكن السلطان دفع ثمنًا غاليًا لأسلوب حياته المريع، وتوفي وهو في منتصف العمر وابنه لم يتجاوز الثالثة عشرة من العمر، وغير مستعد لتولي مقاليد الحكم. ومن حسن حظهما أن قوانين السلطنة تنص على أن تعود الوصاية لوالدة السلطان اليافع في حالة وفاة والده السلطان قبل بلوغه سن الرشد. في البداية ارتفعت ماريونيتا من فكرة توليها إدارة أمور السلطنة، ولكن والديها كانا خير عون لها، إذ كان لهما الدور الأكبر في تهدئتها وفي البقاء معها في تلك الأيام الأولى العصيبة. ومع الوقت، اكتشفت ماريونيتا أن السلطان لا يدير أمور السلطنة بأكملها بنفسه، بل هناك طاقم من المستشارين والإداريين الذين يقدمون له المشورة والنصح والاقتراحات والحلول، وهو الذي يتخذ القرار الأخير بناءً على كل المعلومات المقدمة له. وهو ما سهّل مهمتها خلال العامين المنصرمين، وهي اليوم تستفيد من جيش معاونين في إدارة هذه السلطنة المترامية الأطراف دون الحاجة لمعرفة جميع التفاصيل والتعامل معها مباشرة.

كم هي سعيدة الآن، بعد أن رحل لاسيفو ورحل معه ليل الخوف ونهار المهانة! وربما لأنها كانت صبورًا ومخلصة وأمينة، فهي الآن تتلقى مكافأتها في شكل رجل رائع قد جاء في الوقت المناسب ليحبها كما كان يجب أن يحدث منذ البداية منذ 15 عامًا؛ إنه كل ما تتمناه أي امرأة، خلوق وودود وجاد، وقد سخر حياته لخدمة الناس. لقد تعلّق قلبها به منذ أول لقاء لهما منذ هل يُعقل أنه كان منذ أيام معدودة؟! كيف يمكنها أن تقع في

حب رجل في خلال أيام قليلة؟! ولكن هذا هو ما حدث، وهاهي تفاضله كأنها فتاة صغيرة، لا امرأة ناضجة لديها ولد سيصبح سلطاناً في خلال بضع سنوات! ولكنها لا تستطيع أن تمنع قلبها من أن يعزف ألحان الحب كلما سمعت وقع أقدامه تقترب من مجلسها في زيارته اليومية التي يناقشان فيها تفاصيل مشروعه التنموي.

عجباً، لا تتذكر أية تفاصيل الآن، بدلاً من هذا فإن ذهنها مشغول بكيفية إطالة هذه الجلسة، حتى موعد العشاء. يجب ألا يغادر مبكراً، كما أبلغها منذ وصوله. يجب أن يبقى معها حتى موعد العشاء، فهي لا تطيق فراقه، ولكنها لا تستطيع أن تخبره بمشاعرها. كيف حصل هذا؟ كيف وقعت في حب رجل غريب؟! لغز من ألغاز عالم القلوب، لا محالة. وعليها أن تمتثل لقلبها، لأنها تستحق هذه السعادة... تستحق حياة جديدة مليئة بالحب والتفاهم. هل تجرؤ على أن تكشف عن خبايا قلبها لتروكار؟ هل سيضحك في وجهها من سذاجة كلامها... من سرعة وقوعها في حبه؟ ومن سيلومه إن ضحك ساخراً منها، فهي ذاتها لا تستطيع أن تصدق سرعة الأحداث. وربما.. ربما.. بيتعد عنها، وينقطع عن زيارتها، إذ لا بد أنه كان يتخيلها إنسانة جادة وأهلاً للاستماع لأفكاره العظيمة وتنفيذها من أجل مصلحة شعبها. وعندما ستكشف له عن مشاعرها، سيكتشف أنها فتاة تافهة كباقي النبلاء الذين يتحدث عنهم بازدراء عندما يصف حال الشعوب التي قد أهملها قادتها. ولكنها ليست مثلهم، فهي تحب شعبها، وتريد ما هو في مصلحتهم... وتريد أن تحوز رضا تروكار واحترامه.. وحبه أيضاً.

تركتهما الوصيفة بعد أن ملأت كأسها وكأس ضيفها من وعاء فضي تجمعت عليه قطرات الندى كجبات ألماس نادر اللون. ابتسمت ماريونيتا لتروكار وأشارت له أن يتناول الشراب، بينما مدت يدها لتتذوق العصير البارد. راقب الطارق ذراعها النحيلة ومعصمها الرقيق وهي تتناول عصيرها برقة وهذوء، وحمد الله على أنها جميلة وشابة. لو كان بيده أن يختار شريكة له لاختار امرأة مثل ماريونيتا، ولكنه كان سيقبل بأي امرأة مهما كانت قبيحة أو طاعنة في السن، ما دامت تمتلك السلطة والنفوذ اللذين يتعطش لهما. إنه يزورها كل يوم منذ أن نجح في ذلك اللقاء الأول في أن «يطوي» ذهنها ويربطه به. ولكن، لكي يحافظ على هذه الصلة بينهما، فعليه أن يراها ويلتقي بها كل يوم لساعة على الأقل، إلى أن تصبح ملكة بالكامل. وفي هذه الجلسات التي تطول بينهما، كان يوهما بأنهما يناقشان حول ما يخطط له من مشاريع تنموية للنازحين إلى المدينة من الأرياف المحيطة، ولكنه في الحقيقة كان لا يحادثها في أي شيء له أية أهمية، بل يستمع لها ويحكم قبضته الذهنية حول عقلها، بينما يستمر في زرع ذكريات زائفة عن محادثات جادة تجري بينهما. ولكن لو سألها أحدهم عن تفاصيل هذه المحادثات لما استطاعت أن تشرح أيًا منها - لأنها بكل بساطة، لم تحدث. ولا خوف من أن يستجوبها أحدهم، فمن يجرؤ على استجواب السلطانة الوصية الشرعية على سلطان البلاد؟ نعم، إن خطته تجري تاماً كما دُبر لها.

إنها ثمرة ذابلة من ثمرات إحدى الأشجار الغريبة التي تملأ الغابة، ولكنها في تلك اللحظة كانت تمثل العالم كله بالنسبة لأجوان التي جلست على طرف صخرة متوسطة

الحجم وهي تحملق في الثمرة وتتمتع لنفسها بغضب متزايد كل يوم، بعد انتهاء التدريبات الرياضية الصعبة، وبعد التدريب على فك وتركيب الأسلحة النارية ثم استخدامها في الرماية، كانت تنفصل أجوان عن باقي المجموعة، وتتجه لهذا الطرف من الغابة، حيث يستقبلها الجنرال ويعطيها بعض الدروس المتعلقة بالسيطرة على قدراتها وتسخيرها لخدمة القوات الخاصة. ولذلك فهي تجلس الآن مقابل ثمرة باهتة اللون ذابلة تستقر على أرض الغابة المغطاة بطبقات من الورق الميت المتآكل، ومهمتها بسيطة جدًا. المطلوب منها أن تدحرجها بذهنها. بكل بساطة، عليها أن تحاكي ما قامت به في مكتب القائد زوفات. ولكنها لم تستطع أن تحقق أي نجاح حتى بعد يومين من المحاولة. تبا لهذه الأفكار الشاردة التي تمر بذهنها كلما حاولت أن تركز على تدريباتها الذهنية!

نقلت عينها عن الثمرة إلى الجنرال باز، فوجدته يراقبها يهدوء ورباطة جأش يغيظان. كما أحست من صوبه ببعض الملل وخيبة الأمل، مما زادها غيظًا وغضبًا على الثمرة المسكينة التي لم ترتكب خطأ. أرادت أن تقطع الصمت الذي خيم على الجلسة، فسألت: «هل أنت متأكد من أنني أملك القدرة على تحريك الأشياء؟ ربما تكون قد أخطأت؟»

«بل تملكينها، ولكن، كما ذكرت لك في السابق، ليست القدرة متوفرة لديك بمستويات عالية. وهي قدرة يمكن السيطرة عليها، تمامًا كما تستطيعين السيطرة على حركة يديك أو عينيك. ولكن يبدو أنني كنت مخطئًا بشأنك، وأنت لا تستطيعين السيطرة على أي شيء، لا ذهنك، ولا حتى لسانك!».

زفرت بعصبية وأجابته بحسم: «إذن لماذا جنث بي إلى هنا؟! إن كنت تعتقد أنني لا أصلح لهذه المهمة، فلماذا تعذبني كل يوم بهذه التمارين المضنية، وأنا منهكة من يوم طويل من التدريبات؟!».

أشاحت بوجهها عنه ونظرت شززا للثمرة وكأنها تلومها على كلماته الجارحة، فتدحرجت الثمرة للجانب واستمرت في التدحرج حتى ارتطمت بغصن ميت وتوقفت عن الحركة. فغرت أجوان فاهًا من الصدمة، إذ لا تتذكر أنها دفعت الثمرة بذهنها.. هل تدحرجت بفعل الريح أو بسبب انخفاض جانب من أرض الغابة؟ التفتت للجنرال بسرعة علها تجد الإجابة لديه، فبادلها النظرات الجامدة ذاتها، ثم حرك رأسه وكأنه يشير للثمرة بذقنه العريض، وسأله: «والآن.. قل لي كيف تمكنت من دفعها».

«أنا؟ لم أفعل شيئًا! لم أدفعها! كنت أحملق فيها، كما أحملق فيها منذ يومين، وفجأة تدحرجت!».

«ولكن في هذه المرة، كنت غاضبة جدًا.. من كلامي عن عدم قدرتك على السيطرة على لسانك.. صحيح؟».

فتحت أجوان فمها لترد عليه.. ثم ترددت.. وعادت فأغلقت فمها، ورصت عينها لنصف إغماضة، وقد بدأت تتشكل في ذهنها بوادر شكوك: «لقد تعمّدت إغصابي! قلت ذلك الكلام الجارح لكي أغضب وأدحرج الثمرة!».

فأجابها بسخريته القارصة: «أحسن! استنتاج رائع.. ولكن.. لم ينتهِ الدرس بعد. فماذا يحدث إن أردت أن تحركي شيئًا.. ولم تكوني غاضبة بالقدر الكافي؟ هل تنتظرين أن

بهزتك أحدهم قبل أن تؤدي المهمة؟»

نهضت من مكانها في ثورة وتوجهت نحوه وهي تلوح بذراعيها. «اسمع! لم أختَر أن أملك هذه القدرة، ولم أختَر أن أكون في هذه الدورات التدريبية! ماذا تريد مني بالضبط؟»

فنهض من على جذع الشجرة وتقدم نحوها حتى أصبح الفرق بين طوليهما واضحا وهو يسمو فوقها، وأجابه بهدوء: «بل اسمعي أنت يا أجوان! إن لم تتوقفي عن التفكير في كل أحداث حياتك على أنها خارجة عن إرادتك.. على أنك لم تختارها.. وأن هناك آخرين يسيطرون على مجرى حياتك.. إن لم تغيري هذا التفكير العاجز، فسيستمر غيرك في توجيه حياتك وسلبك حق تقرير مصيرك. ولن أستطيع أنا ولا جيش من الجنرالات مساعدتك في السيطرة على حياتك وإعادتها للمجرى الذي تريدينه. إنك دائفا ضعيفة.. ودائفا تلومين القدر أو الأشخاص الذين تلتقين بهم على كل ما يجري لك؛ ولذلك سيستمر مسلسل الشقاء الذي تعيشينه. فقط عندما تقررين أن تهجري شعورك بأنك الضحية. فقط في تلك اللحظة، سيتغير مجرى حياتك، وتصبحين سيدته. وإلى أن تقومي بذلك، لن أستطيع مساعدتك. ولن تجدي طفلك».

واستدار وترك المساحة الصغيرة التي يستخدمونها للتدريب، متجها للمعسكر، وبقيت أجوان جامدة في مكانها تحديق في ظهره وهو يختفي في الظلام..

في اليوم التالي استيقظت أجوان من ليلة غير مريحة، لم تنجح في مساعدتها على نسيان ما حدث في الغابة. وزاد الطين بلة، أنها علمت أن الجنرال لن يشرف على تدريباتهم هذا النهار، وكانت الشائعات تقول إنه غادر المعسكر على متن مكوك المساء. لم تستطع أجوان أن تحدد إن كانت تلك أخبارا سارة أو أخبارا سيئة بالنسبة لها، فما زالت لا تعرف كيف انتهت جلسة البارحة؛ هل سيعود الجنرال ويكمل تدريبها؟ أم كانت تلك رسالته الأخيرة لها بأنه لن يضيع وقته في تدريبها بعد الآن؟ وإن كانت هذه أو تلك، ما الذي تريده هي بالضبط؟ من المفارقات أنها تسأل نفسها السؤال ذاته الذي سألته الجنرال منذ أقل من 12 ساعة. ما الذي تريده هي بالضبط؟

هل تريد أن تهجر التدريبات الذهنية الهامة التي أرغمتها على الانضمام للمعسكر أصلا؟ أم من الأفضل أن تتابع تدريباتها مع الجنرال، حتى تتمكن من السيطرة على القدرات الغامضة التي تتمتع بها؟ رأسها يدور، وقلة النوم والإجهاد سببا لها شعورا بأن رأسها منفصل عن باقي جسدها، يطفو فوقه، وهو يراقب جسدها يقطع طريقه نحو أرض المعسكر. هذا شعور ليس جديدا عليها، أوليس هذا هو حالها منذ أشهر؟ تراقب حياتها تمر أمامها دون تدخل منها، بينما هناك دائفا من يوجهها يمنة ويسرة؟ لقد كانت كلمات الجنرال باز قاسية جدا.. ولكنها لا تملك إلا أن تمنع التفكير فيها، فقد انتقلت من محطة إلى محطة في حياتها بشكل تلقائي حتى الآن.. ومع ذلك، هل كانت تستطيع أن تتخذ خيارات أخرى غير تلك التي جاءت بها إلى هنا؟ هل كانت مخيرة في دمار كوكبها؟ أو مخيرة في اختطاف طفلها؟ بالطبع لا! فكيف يجرو على أن يتهمها بتسترها برداء

الضحية، بينما هي بالفعل ضحية! أليست كذلك؟

بدأت تدريباتهم الرياضية الصباحية بشكلها المعتاد من حركات تسخين، يتبعها حمل الحقائب الظهرية الثقيلة والانطلاق في اتجاه التل، ثم العودة لمنطقة الأوحال. في أثناء هذا كله، كانت مشاركة أجوان تلقائية نتيجة لاعتيادها ومجموعتها على الروتين اليومي، حتى لم يعد أحدهم يفكر في الخطوة القادمة، فكل شيء أصبح مألوفاً بالنسبة لديهم. مجرد التفكير في هذا الأمر، جعلها تشعر بالراحة لأنها أدركت الآن فقط أنها تمكنت من تخطي أسوأ مرحلة في هذه التدريبات، وأن لديها القدرة على مواجهة ما سيأتي به طاقم التدريب. هذا شعور جديد بالنسبة لها، أعاد لها بعض الثقة بنفسها، وبقدرتها على أن تسترد بعض ملامح تلك الفتاة التي تحذت والديها وأسرتها من أجل أن تخلق لنفسها مستقبلاً مختلفاً عما كانوا يخططونه لها. نعم، تلك كانت أجوان التي تريدها، أجوان المسيطرة على الموقف، أجوان المتمكنة من مصيرها. فماذا حدث إذن؟ ما الذي غيرها لتصبح هذه الفتاة الضعيفة المتباكية التي تنتظر ما سيحدث قبل أن تتفاعل معه كرد فعل سلبي؟!

جاءتها الفكرة وهي تخوض طريقها وسط المستنقع الغادر، فتعثرت كمن تلقى ضربة من الخلف، ولكنها تداركت الموقف واعتدلت قبل أن تسقط في الوحل. تلفتت حولها فوجدت أنها أول من وصل لتلك النقطة، وأنها وصلت لها دون شعور ودون محاولة منها أن تسبق أحداً، ومع ذلك فإن أقرب زملائها لها يبعد 10 أمتار وراءها. راقبتهم يقطعون المسافة التي تفصلها عنهم وهم ينخرون وينفخون ويصارعون لزوجات الوحل ليحركوا رجلاً أمام الأخرى. ولكنها لم تدرك هذه الصعوبات التي تواجهها في تدريباتها اليومية، فذهنها مشغول بمشاكلتها، ولذلك تركت جسدها يملك زمام الأمور، فقام بما يقوم به يومياً ودون تدخل منها. لم تستطع في تلك اللحظة أن تسمح لنفسها بتضييع الوقت في تحليل هذا الاكتشاف المثير، فهي بحاجة لإكمال التدريبات قبل أن يقع عليها العقاب من السيد بوق؛ لذلك أكملت سيرها في المستنقع حتى الضفة الثانية، ثم عادت أدراجها مارة بعدد من زملائها الذين كانوا يراقبون سيرها والحيرة بادية على وجوههم، إلا شياً التي كانت تضحك لها وتعطيها إشارة النصر كما تعودت كلما نجحت أجوان في إنجاز مهمة ما. فبادلتها أجوان الحركة وأكملت طريقها في الاتجاه المعاكس لهم.

المستشار

«ولكن مولاتي السلطانة، إنه رجل غريب على المدينة، لم تعرفيه لأكثر من أسبوعين من الزمن! كيف يمكن أن تكون هذه مدة كافية لمعرفة أي إنسان مهما كان طيباً وصادقاً؟!»

ازدادت حدة فرك كونسييرو ليديه مع كل كلمة عصبية كانت تخرج من فمه، مما يعني أنه بدأ انفعاله الذي عهدته منه السلطانة كلما عرضت عليه فكرة جديدة. إنه متعب هذا المستشار الذي بُليت به، فكل شيء يُعرض عليه تكون الإجابة المبدئية عليه الرفض التام. لقد فكرت مراراً في حُته على التقاعد ولكنها كانت تضعف في كل مرة أمام كبر سنه ورقة قلبه وولائه المنقطع النظير لزوجها الراحل وللسلطنة. ولكنها لن تحتاج لأن تنتظر طويلاً، إذ إنها تنوي تعيين تروكار مستشاراً لها لينضم إلى مجلسها الاستشاري الذي يقدم المشورة لها منذ أن استلمت مقاليد الحكم. وهو المقترح الذي عرضته على كونسييرو، والذي سبب له العصبية التي يظهرها الآن. ولن تسمح له أن يثنيها عن قرارها، فهو قرار وليس مقترحاً كما تعودت في السابق أن تطلق على كل فكرة تتقدم بها لمستشاريها. إنه قرارها النافذ، لأنها السلطانة، ولأنها تعلم جيداً قيمة ما سيقدمه تروكار لمجلسها وللسلطنة بأكملها؛ ولذلك فلا عودة عن قرارها. إن مجرد التفكير في عدم تنفيذ رغبتها يشعرها بانقباض مؤلم في صدرها وحلقها، وكأن يداً خفية قد أحكمت قبضتها على رقبتها وبدأت في خنقها.

أراد كونسييرو أن يتابع الجذال معها، ولكنها رفعت كفها بطريقة كانت قد رأت زوجها الراحل يقوم بها عندما يريد أن ينهي الحديث، وأشاحت بوجهها عنه واعتدلت في جلستها لكي تطول يدها فنجان الغودامي الساخن. أحست بكونسييرو وهو يحاول أن يضيف تعليقاً آخر، ولكنها استمرت في تجاهلها له متظاهرة باستمتاعها بالغودامي وبمنظر حديقتها الصيفية من النافذة الكبيرة لمكتب السلطان الذي تجلس فيه. تذكرت الجلسة التي سبقت هذه بوضع ساعات، حيث التقت بتروكار في مجلسها المطل على الحديقة نفسها والواقع في الطابق السفلي. فقد جرت مناقشة حادة حول حاجة ماريونيتا لمشورة تروكار وقرارها أن يصبح مستشارها بشكل رسمي، بينما كان يبدو

التردد الكامل من تروكار وهو يحاول أن يفيها عن قرارها. ياله من نزيه ومتواضع هذا الرجل العظيم! كيف لها ألا تختاره مرشدا لها ولابنها وللشعب بأكمله؟ ومع الوقت، ستفوز بقلبه وستختاره زوجا وشريكا لها، فهو الوحيد الذي يستحق ثقتها واعتمادها، وهو الوحيد الذي سيحافظ على أمن البلاد واستقرارها.

شارفت الشمس على الغروب، وشارفت معها التدريبات على الانتهاء، ولا أثر للجنرال إنه اليوم الثالث على التوالي، أم هو الرابع؟ لم تجرؤ حتى الآن على أن تسأل عنه، أو تستفسر عن سبب عدم إشرافه على التدريبات، لأنها تعرف أن سؤالها سيقابل بالاستهجان والتوبيخ. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه عليها: هو سبب ترقبها لعودة الجنرال.. يعود أو لا يعود.. لماذا صار الأمر يهمها لهذه الدرجة؟ ألم تكن تمقت وجوده وتكره تدريباته وتختلق الأعذار لكي لا تنجح في تطبيق ما يطلبه منها؟ فبرغم محاولاته لتعليمها طريقة تكوين درع واقٍ يفصل بين مشاعرها ومشاعر غيرها، فإنها كانت تقاومه في كل لحظة، وهي تعلم جيدا أن محاولاته جاءت نتيجة لحرصه على مساعدتها في التعامل مع ما سيحدث في المستقبل. فما زال سؤاله يتردد في ذهنها:

«أنت مستشعرة.. كيف ستقتلين شخصا، وأنت قادرة على معرفة شعوره وهو يحتضر؟!»

وليس لديها أدنى شك بأنها ستضطر عاجلا أو آجلا لسلب حياة أحدهم، وأنها ستحتاج لأن تعزل نفسها ذهنيًا عما يجول بذهن ضحيتها لكي تتمكن من مواصلة العمل في القوات الخاصة، ناهيك عن أهمية ذلك للحفاظ على صحتها العقلية. وكيف ستنجح في تحقيق هذا دون التدريبات التي كانت تقوم بها مع الجنرال؟ لماذا غضب منها وهجرها بهذه الطريقة؟ إنه قابس ومستهتر ولا يمكن الاعتماد عليه! هل حقًا قد هجرها هكذا، أم هي طريقته في معاقبتها لأنها لم تلتزم بتعليماته؟ إنه تصرف صبياني منه.. ويسمونه جنرالًا!!

انتهت التدريبات، وتفرقت المجموعة، كل في اتجاهه الخاص، ليؤدوا بعض المهام الشخصية قبل موعد العشاء. إلا هي، فقد ظلت واقفة في مكانها تنظر صوب الغابة حيث كانت تلتقي بالجنرال وتلتقي تدريباتها الخاصة. نظرت لأرض الساحة، وركلت بعض الحصى الذي تجمع حول حذائها، فارتفعت منه غيمة صغيرة من الغبار المتطاير الذي يتعب عينيها وأنفها. تذكرت قطارة المياه التي تحتفظ بها في جيبها الكبير، فأخرجتها ورفعت رأسها عاليًا، واستخدمتها لغسل عينيها ببضع قطرات. لم يكن هناك داع لهذه الحركة، فهي ستتجه مباشرة لدورة المياه حيث ستستحم بالدش كعادتها في نهاية كل يوم. أعادت القطارة لجيبها، ونظرت للغابة مرة أخرى.. وتوجهت ببطء إلى حافة الغابة حيث توقفت تراقب ظلال الشجر في ضوء الغروب. لن تجد هناك نازًا مشتعلة هذا المساء، فالجنرال عادة ما يسبقها للمنطقة ويشعل النار لهما.

دحرجت بحذائها الثقيل صخرة صغيرة ثم أخرى، ووضعتها فوق بعضهما البعض، وجلست عليهما. لم يكن مقعدًا مريحًا، إذ عليها المحافظة على توازنها وإلا سقطت منه،

ولكنها لن تجلس على الحصى الصغير الذي يغطي الساحة، فبعض الحصى حاد ومؤلم، وسقوطها عليه كل يوم أثناء التدريبات قد خلف العديد من الجروح في أطرافها وخاصة ركبتيها. وهي تقضي عدة دقائق كل مساء تعالج نفسها بالسوائل المطهرة والمساحيق التي أعطاها لها ترفين داجا الطبيب المعالج الذي يعمل في مشفى المعسكر. باغتتها نساء المساء الباردة، فضقت نفسها ومسحت يديها على جانبي ذراعيها بهدف التدفئة. ماذا الآن؟ ستعود للروتين القديم، التدريبات الصباحية، ثم الفطور، ثم تدريبات أعنف، ثم الغداء، ثم التدريب على الرماية والقتال، ثم العشاء. وإلى متى؟ قيل لهم إن الدورة التدريبية ستكون لمدة 12 أسبوعاً. كم أنجزوا من تلك المدة؟ أربعة أم خمسة أسابيع.. أم هي أكثر؟ لقد انصهرت الأيام والليالي فاندمجت ببعضها البعض حتى أمست خطأ زمنياً واحداً لا يمكن التفريق بين أجزائه. وقد سنحت لها الفرصة لأن تضيف تغييراً مميزاً لهذه الأسابيع بالتزامها بلقاءاتها بالجنرال، حيث يقضيان الوقت لا في تدريبها الذهني فحسب، بل في محادثتها وشرح بعض الأمور لها. مجرد التفكير في أنها لن تحظى بتلك الساعات بعد اليوم سبب لها ضيقاً في الصدر.

أعادت نظرها للغابة، فاكشفت أنها وذعت آخر خيوط الضوء من الشمس الغاربة، وأنها تغط الآن في ظلام دامس. لا، لن تستطيع دخولها الآن، فرغم تحديها للجنرال بأنها لا تخاف الظلام، فإنها تسمع أصوات الحيوانات التي تسكنها، وتذكر أن بعضها مفترس وأنها قد تقع ضحية أحدها إن تجرأت بدخول الغابة وحدها. ثم إنها تخاف الظلام، ومن لا يخافه؟! يذكرها الظلام بساعات الرعب التي قضتها على سفينة جويت، وهي وكل من حولها يتساءلون: متى ستأتي الرحلة القادمة وتهشم السفينة وتأخذ أرواحهم معها. مع عودة هذه الذكريات، عادت إليها الخطبة التي ألقاها عليها السيد الجنرال الفيلسوف قبل أن يهجرها.

«إن لم تتوقفي عن التفكير في كل أحداث حياتك على أنها خارجة عن إرادتك.. على أنك لم تختارها.. وأن هناك آخرين يسيطرون على مجرى حياتك.. إن لم تغيري هذا التفكير العاجز، فسيستمر غيرك في توجيه حياتك وسلبك حق تقرير مصيرك. ولن أستطيع أنا ولا جيش من الجنرالات مساعدتك في السيطرة على حياتك وإعادتها للمجرى الذي تريدينه. إنك دائمة ضعيفة.. ودائماً تلومين القدر أو الأشخاص الذين تلتقين بهم على كل ما يجري لك؛ ولذلك سيستمر مسلسل الشقاء الذي تعيشينه.. فقط عندما تقررين أن تهجري شعورك بأنك الضحية.. فقط في تلك اللحظة، سيتغير مجرى حياتك، وتصبحين سيدته. وإلى أن تقومي بذلك، لن أستطيع مساعدتك. ولن تجدي طفلك».

ولكنها ضحية بالفعل!!! كيف لرجل عسكري مثله أن يفهم ما حدث لها، وهو من تربى في أسرة عسكرية لا ريب، وكان مصدر فخر واعتزاز أسرته، وهو من يملك الأسلحة والقدرة الجسدية والذهنية لقهراً أعدائه! ركلت مجموعة أخرى من الحصى الصغير، فتدحرج في كل اتجاه. ولكن استمرت إحداها في التدحرج دون توقف، وعينا أجوان تتبعانها حتى أصبحت تبعد عنها عدة أمتار، ثم تباطأت حركتها وتوقفت. شبكت أجوان أصابع يدها في قبضة واحدة ووضعتها أمام فمها وهي تحقق في الحصة البعيدة. ثم خفضت عينيها لتنظر للحصى المحيط بحذائها. اختارت عيناها حصة بنية اللون،

وركزت ذهنها عليها، وبدأت في تطبيق الأسلوب الذي كرره الجنرال باز لها في كل جلسة. «تخيلي أن إرادتك اكتسبت مقومات مادة صلبة.. إنها ليست مجرد إرادة.. بل شيئاً ملموساً. تخيلي أنك تستطيعين تشكيل هذه المادة الصلبة بحيث تكون طوع يدك، فتمدينها كأحد أطرافك وتجعلينها تؤدي ما تقوم به يدك أو قدمك. والآن ادفعي الثمرة برفق. وكرة خفيفة فقط».

تدحرجت الحصة البنية ووقعت على جانبها.. سحبت أجوان قدميها بعيداً عن الحصة، وأعدت الكرة.. وكرة أخرى من ذهنها.. فتدحرجت الحصة ثانية لتسقط على الجانب الذي كانت عليه قبل حركتها الأولى. نهضت أجوان من مكانها وتراجعت للخلف، وهي تضع كفيها على بطنها محاولة تنظيم تنفسها كما علمها الجنرال، عندما كان يطلب منها المحافظة على الهدوء والسكينة أثناء أداء التدريبات. جمدت في مكانها للحظات، وهي تنقل نظرها بين الحصى المتناثر حولها. هل تجرؤ؟ تخيلت أن هذه القوة الكامنة في ذهنها قد تشكلت في هيئة رفش كالذي يستخدمونه في تدريباتهم لحفر الخنادق.. ودفعت برفشها الذهني، فتناثرت الحصى في كل اتجاه، تماماً كما يحدث لو استخدمت رفشاً في تفريق الحصى. شهقت أجوان وقفزت في الهواء وصرخت ويدها تغطي فمها، ثم بدأت في الضحك بسعادة طفل قد رأى أول لعبة مسلية في حياته. «وأخيراً!».

قفزت أجوان ثانية واستدارت لتواجه الصوت القادم من خلفها، وتفاجأت بالجنرال يقف مكتوف اليدين على بعد ثلاثة أمتار يراقبها وعلى وجهه ابتسامة خفيفة، وتصدر منه مشاعر السرور والفخر مفاً. ثم عادت تلك المشاعر لتختبئ وراء جداره المنيع ثانية، ولكن ليس قبل أن استشعرتها أجوان.

«هل رأيت ما فعلت؟ لقد.. لا أدري ما فعلته بالضبط.. ولكنني نجحت!».

لم تجد أجوان الكلمات المناسبة من فرط سعادته، أولاً.. بإنجازها، وثانياً.. بأن الجنرال قد عاد لها.

«اجلسي يا أجوان».

كانت في مكتب الجنرال، حيث طلب منها أن تلتقي به بعد وجبة العشاء. ومن المثير أن أجوان لا تتذكر أي شيء مما حدث منذ مغادرتها ساحة المعسكر مزوفاً بالعشاء والتدريب النظري المعتاد بعده، وانتهاء بدخولها الآن مكتب الجنرال باز فالار. فقد قضت تلك الفترة في ضباب ذهني تتخلله مناظر حصى يتناثر في كل اتجاه. «قلت اجلسي يا متدربة!».

ألقت أجوان بكامل ثقلها على المقعد المعدني فاحتك ظهره بالجدار الخلفي محدثاً صريراً معدنياً مزعجاً أفاقها من الضباب الذي غشى ذهنها في خلال الساعتين الماضيتين. كانت تُعدّ سلسلة من الأسئلة التفصيلية ففتحت فمها لتبدأ برؤها واحداً تلو الآخر، ولكنه رفع رأسه ونظر لها بعينيه السوداوين وقال:

«أعتقد أنني على وشك اكتشاف أين تم نقل طفلك».

هو الخبر عليها مثل الصاعقة، خاصة أنها كانت تتوقع أن الحديث سيدور حول موضوع التدريب وربما بعض التعنيف على أخطائها السابقة، ولكنها لم تتخيل في لحظة أن يأتيها أحد بخبر مثل هذا. عقدت الصدمة لسانها وتلغمت وهي تفكر كيف تتعامل مع هذه المعلومة المفاجئة، ولكن الجنرال لم يسمح لها بالمقاطعة وأكمل سرده:

«لقد بادرت بالحصول على معلومات من صديقتك الرائد روهاني بولكوفو - إنها تبعت سلامها لك بالمناسبة - ثم استفدت من خبرة واتصالات بعض معارفي لرسم خط سير السفن المغادرة لمحطة الظافر ووجهاتها المحتملة. باختصار، هناك جداول زمنية معروفة وثابتة لبعض خطوط السفر، بينما هناك خطوط خاصة ليس لها جدول زمني محدد. وقد قمنا بتضييق الاحتمالات إلى ثلاث محطات وخمسة كواكب، كلها في نفس القطاع».

صمت الجنرال للحظة، وراقب وجهها، ولكنه لم يجد سوى الدهشة والترقب فأكمل حديثه: «ولكن، بعد هذه القائمة القصيرة من الاحتمالات، تعود الاحتمالات لتتسع فتشمل القطاع بأكمله. أعني أن هناك احتمالاً بأن السفينة التي كانت تقلّ مختطفي الطفل قد انتهت بها المطاف في إحدى تلك المحطات أو الكواكب، ولكنهم بالطبع لم يتوقفوا هناك، بل لا بد وأنهم أكملوا رحلتهم لوجهة أخرى. وما زلنا نبحث، وسنواصل البحث، ولكن العملية طويلة ومعقدة، وتحتاج إلى الصبر والمثابرة ممن يقوم بالبحث».

انكسر الأمل ثانية، بعد أن كانت تعتقد أنه قد أتى لها بخبر العثور على طفلها، وتقلص الهواء في رئتيها وبدأ الضوء يخفت في عينيها. أدركت أن الظلام الذي غشى نظرها سببه الدموع التي تجمعت وسالت من عينيها، ولكنها لم تمد يدها لتمسحها، ولم تصدر صوتاً، بل جلست في مكانها تحديق في قبعة الجنرال التي وضعها جانباً، كعادته كلما جلس وراء مكتبه. تعاركت مع حنجرتها حتى أرغمتها على أن تعمل، فسألته بصوت مخنوق لم تنجح في السيطرة عليه:

«هل هناك أمل في أن يجدوهم؟ أم فات الأوان؟».

راقبها الجنرال وهي تصارع عواطفها وتحاول أن تفكر بعقلانية، وأدرك أنها بدأت مرحلة جديدة في حياتها، وبذلك فهي جديدة باستحسانه وبمواصلة مساعدتها. تنهد وأسند ظهره للمقعد ونقل نظره إلى الجدار الذي على يمينه حيث تقع طاولة اجتماعات صغيرة الحجم وقد تكدست عليها بعض الأسلحة المفككة. ليس من الإنصاف الكذب عليها، وفي الوقت نفسه ليس من الإنصاف قتل الأمل الذي يعيش بداخلها ويعينها على مواصلة الحياة. فأجابها بحذر:

«يصعب العثور على خيط يمكن الوثوق به بعد أن مضت هذه الأشهر الطويلة على الحادثة، ولكن ما يجعلني أواصل البحث هو معرفتي بأن كل الرحلات الفضائية لها وثائق مسجلة في مكان ما.. وهذا يعني - نظرياً على الأقل - أننا يمكننا تقفي أثر أي شخص وهو ينتقل من جهة إلى جهة. ولكن أجدني مضطراً للتنبؤ هنا بأن هذه الأمور تعتمد على صحة المعلومات المزودة لنا، وكما تعلمين فإننا لا نعرف هوية الخاطفين؛

وبالتالي فمن الصعب تقفي أثر أشخاص لا نعرف لهم هوية. هل فهمت الصعوبة الآن؟»
أومأت برأسها مرة، وبدأ الإحباط واضحا على وجهها وعلى هينتها. ندم باز لأنه اضطر
لترويعها بهذه الأخبار مباشرة بعد لحظة انتصارها ونجاحها في السيطرة على قدرتها
الذهنية، ولكنه كان يقصد أن يثبت لها أنه مهتم بقضيتها وأنه دائما يساند أعضاء فريقه
مهما كانت الظروف. فاجأته تلك الفكرة، فهل هي حقًا عضو في فريقه؟ إنها ما زالت
متدربة في هذا المعسكر، ولم تجتز الدورة بعد. ومع ذلك فقد أخذها تحت جناحه وبدأ
في تدريبها الذهني وهو ما لم يفعله مع أي من متدريه من قبل، إذ عادة ما كان ينتظر
إلى أن يجتازوا الدورة قبل أن يرضى عن تأهلهم؛ ومن ثم يعرض عليهم العمل في
وحدته الخاصة. ولكنه في هذه المرة كسر كل قواعده التي وضعها لنفسه منذ أن بدأ
حياته المهنية كمدرّب مؤقت لمعسكرات القوات الخاصة. لقد أصبحت رقيق القلب يا
بازيليوس.. وإن كان هذا حالك معها وهي متدربة في المعسكر، فكيف سيكون الحال
عندما تنتقل لتعمل معك في وحدتك الخاصة؟!

كر وفر

«لا.. لا.. لا.. هذه ليست درغا وقائية جيدة..»

قالها الجنرال للمرة الرابعة هذا المساء، ولكنه في هذه المرة أظهر بعض ضجره وعصبيته التي يجيد إخفاءها معظم الوقت. تضايقت أجوان من مقاطعته المتكررة لها، فأجابته بنزق: «وما أدراك كيف شكل الدرع؟ إنها في ذهني أنا، ولا تستطيع أن ترى جودتها».

فسكت قليلاً، ثم قال: «بل أستطيع».

التفتت له أجوان بسرعة وهي تنهض من كرسيها الحجري: «ماذا تعني أنك تستطيع؟ تستطيع أن ترى ما في ذهني؟».

حرك شفته السفلية بحيث غطت على شفته العلوية في حركة تعودت عليها أجوان وتعني أنه لا يريد أن يفصح عن شيء. ولكن سرعان ما تغيرت الحركة إلى زُم لفمه وقال على مضض: «أستطيع أن أرى قوة الدرع، إنها إحدى قدراتي كما شرحت لك في السابق».

«لحظة، لم تقل لي أنك تقرأ الأفكار! قلت إنك ترى الهالات.. هذا فقط ما ذكرته لي».

«من قال إنني أقرأ أفكارك؟! تلك قدرة مختلفة تماماً.. قلت لك إنني أرى الدرع فقط.. أستطيع أن أرى النواحي الضعيفة فيها، ناهيك عن الثقوب المتفرقة حولها».

«ثقوب؟! لا توجد ثقوب! أية ثقوب؟! عمّ تتحدث بالضبط!».

تنهد الجنرال، ونهض من على الشجرة الميتة، وهو موقعه المفضل أثناء جلساتهم التدريبية. «إنك متعبٌ جداً! هذه صفة سيئة في جندي مقاتل!».

فردت أجوان بسخرية: «وما هي الصفة المستحبة إذن؟ الانقياد الكامل كالحيوانات الأليفة؟!».

طالعتها بنظرة توبيخ، ولكنه تابع حديثه: «الطاعة، لا الانقياد.. ففي ميدان الحرب، ينجو من يطيع الأوامر لا من يقول لماذا أو ولكن.. اسمعي جيداً، فلن أكرر كلامي هذا.. الدروع المختلفة التي نصنعها، لها محيط.. أو غلاف.. وأي محيط أو غلاف، يجب أن

يكون متينا ولا تشوبه غيوب، وإلا لن ينجح في مهمته. لذا عليك أن تبني درعك جيدا.
عليك أن تتفحصي كل المحيط قبل أن تدفعيه لخارج ذهنك وتستخدميه. مفهوم؟»

تفكرت أجوان في ما قاله، ولم تعترض أو تطرح أحد تعليقاتها الساخرة التي بدأت مؤخزا في استخدامها معه. أوما برأسه لها، فعاتت للجلوس في مكانها على الصخرة الصغيرة التي وضعها بجانب النار. ولكنه لم يعد لمكانه بل استمر في الوقوف بحيث كانت النار بينها وبينه. راقبها وهي تصنع الدرع في ذهنها وتقلبها بحثا عن الشوائب التي تعيبها. وقرر أن ينتقل معها للخطوة التالية، آملا ألا يكون قد استعجل خطوته.

«جيد.. هل لاحظت كيف اختلف لون الدرع عندما أصلحت الجانب الضعيف؟ لقد تحولت من الشفافية القصوى إلى شكل متماسك.. أليس كذلك؟»

قطبت أجوان جبينها وهي تحذق إلى الظلام المحيط بالغابة، وإن كانت لا تنظر لشيء محدد فقد كانت تنظر لداخل ذهنها، حيث تعمل بصمت وجذ في تشكيل درع جدير برضا الجنرال.

«جيدا! والآن.. ادفعيها للخارج.. وسأقوم أنا بإلغاء درعي الذهني.. وستستطيعين استشعار نسخة باهتة جدًا من مشاعري.. دون أن تؤثر في تفكيرك أو مشاعرك. مستعدة؟ أطلقوها».

بلقتها مشاعر ترقب من الجنرال، يختفي وراءها شعور بالذنب والتردد، فدفعت الدرع من ذهنها وسمحت لها أن تتمدد حول رأسها كالفقاعة.. ومع ذلك لو نظر شخص عادي لها لما رأى شيئًا خارجًا عن العادة، إذ كانت درعًا خفية لا تراها إلا أعين الذين يتمتعون بالقدرة على التبصر. ومع تمدد الفقاعة، بدأت مشاعر الجنرال تبهت شيئًا فشيئًا حتى كانت كصوت بعيد جدًا لا تسمع كلماته بالتحديد، ولكن يبقى صوتًا في الخلفية. فوجئت بهذا الإحساس الجديد، وأغمضت عينيها وهي تتأمل هذه الحرية الجديدة وتستمتع بها. فتحت عينيها، ورفعت رأسها لتنظر لوجه الجنرال، فوجدته يبتسم لها وقد وضع يديه وراء ظهره ووقف يراقبها تستمتع بنجاحها الثاني. غمرتها رغبة في القفز من مكانها والانقضاض عليه وحضنه بعنف.. ولكنها بالطبع لم تفعل، بل صدمتها هذه الرغبة الغريبة.. ولكنها لم تفكر فيها كثيرًا، وأبعدتها عن ذهنها بسرعة.

«والآن.. اتركي الدرع تنهار.. وراقبي ما يحدث».

نُفِذت ما قاله فانهارت الدرع، واندفعت نحوها مشاعر الجنرال - الفخر والسعادة.. وشعور بالذنب والتردد.. ولكنها سرعان ما اختفت تمامًا.. حتمًا بعد أن رفع درعه الخاصة به. ولماذا الشعور بالذنب والتردد؟ ماذا يخبئ لها هذا الرجل؟!

«حسن.. أنجزت التمرين بنجاح.. وقبل أن ننهي جلسة اليوم.. سأعطيك فكرة عن الاستخدامات المتعددة للدروع. وخاصة عندما تتداخل القدرات وتشبك ببعضها لتشكل قدرة جديدة».

لم تفهم أجوان أيًا من تلك الكلمات.. ولكن لم تسأله عما يعنيه، واكتفت بمراقبته وهو يستدير ويتوجه نحو جذع الشجرة الميتة، حيث توقف بجانب الجذع، وطرق عليه

بقبضته وهو ينظر لأجوان: «هل تعتقد أن بإمكانك بيد واحدة أن أكسر هذا الجذع لنصفين؟»

تفحصت أجوان المنظر بصمت، ونقلت عينيها عدة مرات بين الجذع والجنرال الواقف بجانبه، وأخيرًا أجابت بحذر: «سأقول إنه لا يوجد من يستطيع تحقيق ذلك بيد واحدة.. ولكنني أعلم الآن بأن هناك قوى لا أفهمها، وألا شيء مستحيل..»

وابتسمت ابتسامة المعتد بنفسه، وراقبته وهو ينظر لها بدوره. لم يطل النظر لها كثيرًا، إذ عاد لينظر للجذع وهو يخاطبها بصوته العميق: «التقنية التي استخدمتها منذ دقائق لصنع درع، يمكنك أيضًا أن تستخدمها لصنع نوع آخر من الدروع.. هذه الدرع ستغزليها بقطع متداخلة من قدرتك الثانية.. قدرتك الأضعف التي سمحت لك بدفع مكتب القائد، وبدفع الثمرة الميتة والحصى الصغير..»

صمت للحظة، وهو ينظر لقبضة يده، ثم أكمل حديثه: «بهذه الدرع تستطيعين.. اممم... تدعيم فعل أو حركة يقوم بها جسدك، فتعطيها قوة تفوق قوتك الجسدية..»

وهنا وضع راحة يده على الجذع.. ثم رفعها للأعلى وهوى بها ثانية على الجذع، فسمعت أجوان طقطقة عالية من الجذع، واهتز بعنف ثم انهار وتساقطت قطع كبيرة من اللحاء الرمادي وتناثرت حول الجذع، وكان قوة هائلة سقطت على الجذع فتسببت في تكسر داخلي. فغرت أجوان فاهًا وهي تحاول أن تستوعب كيف ليد إنسان أن تحدث مثل هذا الضرر بمادة صلبة، وهل هي يده أم قوة أخرى، وهل تضررت يده؟ رفعت نظرها عن الجذع إلى الجنرال وتزاحمت الأسئلة في ذهنها، ولكنه لم يسمح لها أن تعبر عنها.

«هذا يكفي لليوم.. اخذلي للنوم.. وفكري كيف يمكنك تفسير ما رأيته..»

حملت نسائم الصباح العليقة قطرات الماء المتطايرة من نافورة الحديقة فانعكست على سطحها آلاف الشموس المضيئة. توقفت ماريونيتا لتوان لتراقب المنظر وتستمتع به، وتملأ رثيها برائحة الأزهار، ولكن الطارق لم يلحظ توقفها فاستمر في سيره حتى أدرك أن السلطانة لم تكن تمشي بجانبه، فتوقف واستدار يبحث عنها فوجدها شاردة الذهن وعلى وجهها ابتسامة خفيفة. ماذا الآن؟ منذ لحظات توقفت أمام البستاني العجوز وتبادلت معه بعض أخبار الحديقة، فيما يبدو من طقوسها الأسبوعية مذ كلفته بإنشاء الحديقة الخاصة بها منذ سنين. وقبل ذلك، جلست على كرسي طويل وراقبت الطيور المائية وهي تطفو على سطح بركتها الصغيرة الغريبة الرائحة. وفي كل مرة كان الطارق يقطع حديثه احترامًا لرغبتها، ولكنه كان يثور في داخله وهو ينتظر أن تنتهي من طقوسها التافهة حتى تعطيه انتباهها الكامل. وهذه هي المشكلة، فقدراته تحتاج إلى تفرغ كامل ممن يرغب في طي ذهنه، ولذلك كان يضطر في بعض الأحيان أن يعيد الكرة حتى يحكم قبضته على ذهن ضحيته.

لقد مضى أسبوعان على تنصبيه مستشارًا خاضًا بها، وهو ما كان يعمل من أجله لمدة عشرة أيام قبلها. والآن وقد أصبح مستشارها، فعليه أن يلتقيها كل يوم ليعزز سيطرته

على ذهنها، ولكي يزرع أفكاره في محل أفكارها، ولكنها عملية طويلة ومضنية، ويصعب تحقيقها أثناء المشي والحديث معاً. فقد تعود على أن يختلي بضحيتها في هدوء حيث يقوم بغزل شبكه حول ذهنها دون مقاطعات، ودون الحاجة للتظاهر بتجاذب أطراف الحديث. ومن المؤسف أنه لا يستطيع أن يطبق هذا مع السلطانة، فهي لديها طقوس يومية محددة، ولو قام بتغييرها لأثار شكوك وصيفاتها وخدمها وحتى باقي المستشارين. إنه في موقف حرج وعليه أن يتصرف بحكمة وألا يترك للهفته العنان لتفسد عليه خطته. ولهذا فهو يتبعها في حديثها اليوم وكأنه جزء من حشمتها.. ولكن قريباً جداً، لن يضطر لهذا، وسيتمكن من تحقيق أحلامه كلها. عليه الصبر والمثابرة فقط. انتظرها حتى انضمت له مرة أخرى، وابتسم لها وانحنى بلطف وأشار بيده لها بأن تسبقه، فأجابته بابتسامة دافئة وخجولة وتوجهت للممر المؤدي لمدخل المبنى. «عن ماذا كنا نتحدث يا سيد تروكار؟».

«الاتفاقيات التجارية مع كوكب أوراد.. إنها فرصة رائعة لزيادة نسب الاستيراد من السيليكا، وبأسعار تنافسية يحسدنا عليها جيراننا..».

قطبت السلطانة حاجبها وهي تحاول أن تفكر في رد على كلامه.. ولكنه يبدو منطوقاً حكيماً بالفعل.. لماذا لا تستورد السيليكا بأسعار أقل، خاصة أن الكابلات التي تصنع بهذه المادة لم تعد من أولويات التصنيع.. ولكن ما زالت السفن القديمة بحاجة لقطع غيار من هذا النوع.. أين سمعت هذه المعلومة؟ أه، من تروكار بالطبع، فإنه يعرف السوق ويعرف قطاع التصنيع ولديه حس أعمال يوازن بين الربح المادي والتنمية البشرية والاجتماعية. معادلة صعبة وحساسة لا ينتبه لها الكثيرون في قطاعي الصناعة والسياسة، ولكن تروكار صنف مختلف من الرجال.

«أحسنت يا تروكار، إنها فكرة جيدة لإنعاش مصانعنا في الإقليم الشمالي وفي الوقت نفسه فهي خدمة قد شخت مصادرها وقد تكون فرصة ممتازة للربح السريع».

هز رأسه بالإيجاب وحضن نفسه ليمنع يديه من أن تظهر فرحته بنجاحه، إذ كان قد أوشك أن يلوح بهما في الهواء لأنه تمكن أخيراً من إنجاز هذه المهمة البسيطة، والتي استغرقت منه ثلاثة أيام من الحديث المكرر. بالطبع كان يمكن له أن ينتهي من هذه الفكرة منذ أول ساعة، ولكن كونسبيرو المزعج كان دائماً يتدخل فيشرح لها المجازفة الكبيرة التي ستدخلها لو استوردت السيليكا وفتحت المصانع المتخصصة لتحويلها إلى كابلات. وقد ردد على مسمع منه أن عصر السيليكا قد انتهى وأن الاستثمار فيه ثائية يعني تكبد خسارة كبيرة خاصة وأن السفن القديمة التي تستخدم هذه الكابلات قد شارفت على الخروج من الخدمة واحدة تلو الأخرى حتى تختفي تماماً من القطاعات المتحضرة.

عليه الآن أن يتركها ويتجه مباشرة إلى منزله، حيث سيقوم بالتواصل مع جيريتو لكي يعذ له عقداً تجارياً مغرياً ليعرضه على السلطانة قبل نهاية اليوم، وقبل أن تلتقي بكونسبيرو غذا وينجح في إثارة ربيتها نحو المشروع وتبدأ دورة المفاوضات بينه وبينها من جديد. عليه أن يسرع.. وعليه أن يفكر في طريقة للتخلص من مستشارها

العجوز بحيث يبدو موته طبيعياً. لن يسمح له الطارق أن يعطل خطته بعد اليوم، فليديه خطط كبيرة ومعقدة، وليس لديه الوقت ليصلح ما يفسده كونسييرو كل يوم.

أدارت أجوان صمام الدش فانقطع الماء الدافئ، ولزمت مكانها للحظات تحاول أن تحتفظ ببعض شعور الأمان والسكينة التي تغطيها كلما اقتطعت هذه الدقائق الثمينة للاستمتاع بدش دافئ. سمعت دش شيا ينقطع بعد دشها بثوانٍ وبدأت دندنة شيا. أزاحت الستار الأبيض المصفر وخرجت من الكابينة الصغيرة وتناولت الفوطة الخاصة بها المعلقة على مسمار قديم ولفتها حولها، ولمحت بطرف عينها شيا تخرج أيضاً من كابيتها وتلتف بفوطتها وهي ترفع شعرها الكثيف وتجمعه في قبضة وتعصره فتساقط المياه منه بكثافة. أمسكت أجوان بطرف فوطتها، وبدأت تمسح شعرها القصير بعنف بطريقة دائرية، وهي تتذكر شعرها الطويل الذي كانت تعتني به كما علمتها والدتها. ولكنها منذ أن برتته على متن السفينة لم تسمح له أن يبلغ طوله أكثر من ثلاث بوصات، ولم تعد تشتاق له منذ ذلك اليوم الأسود، فقد اكتشفت أن العناية بالشعر القصير أسهل بكثير وأقل تضييعاً للوقت، كما أنه أيضاً الطول المثالي لشعر مجندة في القوات الخاصة.

بلغتها مشاعر مختلطة من شيا، فحيرها ما استشعرته من تناقض وإرتباك. فليست شيا ممن تصدر منهم مشاعر معقدة وصعبة الفهم، فهي فتاة بسيطة جداً ولا تحتفظ بمشاعرها لنفسها، بل تشارك الجميع بكل ما يجول في خاطرها. توجهت أجوان للمرأة الكبيرة التي تقع في دورة المياه المجاورة ونظرت لوجهها الذي لم يعد شفافاً كما كان من قبل، بل اكتسب بعض اللون البرونزي مع احمرار خدودها نتيجة لماء الدش الدافئ. تناولت علبة المسحوق الخاص بها وبدأت في فرك المسحوق المرطب على وجهها وعنقها ثم كتفها وذراعيها. لحسن حظها أنها حصلت على كمية كبيرة منها قبل أن تغادر كراسوتكا، فهذا المسحوق ميزة ترطيب عال وهو ما يحتاجه جلد الهافيكي بشكل متواصل للحفاظ على رطوبته وبالتالي على صحته. انضمت لها شيا وبدأت بتسريح شعرها بحرص، ثم تقسيمه لخصتين وتصفيره، وهي طريقتها الخاصة لمنع شعرها من إعاقتها في التدريبات، كما أنها جزء من ثقافتها، حسبما شرحته شيا لها في أول مرة رأتها تقوم بهذه العملية المعقدة. وعندما بدأت في لي الضفيرتين لأعلى رأسها نظرت لأجوان في المرأة وسألته: «ما قصتك مع الجنرال؟»

فوجئت أجوان من السؤال ولكنها لم تلتفت لشيا، بل استمرت في فرك جسدها بالمسحوق، ولكي تكسب بعض الوقت للتفكير في الأسلوب الأنسب للتعامل مع هذا الموقف المفاجئ، سألتها بدورها: «ماذا تقصدين بقصتي؟ ليست لدي قصة!».

«لم أقصد قصة بالضبط! ولكنك تقضين معه ساعات طويلة كل مساء.. هل بينكما علاقة حب؟».

انفجرت أجوان ضحكا رغما عنها، وبما أنها كانت قد اتكأت على الجدار ورفعت ساقها لتضع المسحوق، أوشكت أن تفقد توازنها وتقع، فأنزلت قدمها للأرض ونظرت لشيا بصدمة وقالت لها: «هل جئنت؟! علاقة حب؟! بالطبع لا! كيف تبادرت لذهنك فكرة

كهذه؟! إنني أمقته منذ أول يوم وقعت عليه عيناى!.

انتهت شيا من لف ضفيريتهما واستدارت لتتفحص وجه أجوان محاولة قراءة الحقيقة فيه: «لماذا إذن تقضين كل هذا الوقت معه؟ سلادر تقول إنكما على علاقة. وبصراحة، لا أرى تفسيرًا آخر للقائك به كل مساء.. أنا لا أقول إنني لا أؤيد خبارك وقرارك.. بالعكس أنا فرحة من أجلك.. ولكن كنت أتساءل فحسب».

أه، سلادر مرة أخرى! تلك المتدربة الدانيشية الهائلة الحجم التي تتجنبها أجوان دائمًا لأنها ثرثرة وحقود. ولكن رغم انعزالها عنها فإنها لم تنج من لسانها الترتار ونواياها السيئة. وخطرت في ذهن أجوان فكرة مخيفة فسألت شيا: «هل شاركت سلادر هذه الشكوك أي أحد آخر غيرك يا شيا؟».

وارتفع قلبها لحلقها عندما أجابتها شيا بجدية بالغة: «بالطبع، أنت تعرفينها جيدًا.. إن لقاءك بالجنرال كل مساء محور نقاش كل المتدربين في المساء، عندما تختفين لساعتين أو أكثر».

لم تعلق أجوان على ما قالته شيا، وتنهت وهي تفكر في تبعات هذه الإشاعة، ولكنها لم تصل لقرار محدد وهي تنهي ارتدائها لملابس النوم النظيفة. وتباطأت في استعداداتها، حتى تخرج شيا من دورة المياه وتتركها وحيدة مع أفكارها. وبعدها بدقائق، خرجت وتوجهت لباب قاعة النوم وهي شاردة الذهن، ولم تلاحظ ظلًا يقف في الظلام المحيط بالجانب الأيمن من مدخل القاعة. وفوجئت بمشاعر حادة جدًا تنقض عليها قبل أن تشعر بقبضة يد على معصمها تسحبها بقوة لجانب المدخل ولما وراء القاعة. جرت الأحداث بسرعة بالغة منعتها من أن تتصرف بوعي، ولكن ما إن أدركت ما يحدث حتى ثبتت قدميها في الأرض وأعاقت بذلك حركة من كان يسحبها، فتوقف واستدار لينظر إليها.

لم تفاجأ كثيرًا عندما رأت وجه ناسيلني، فقد أدركت بسرعة أن مصدر هذه المشاعر المتضاربة هو المتدرب الغامض الذي يرافق أورازكا في كل مكان، وإن كان لا يماثله في العنف والتهور والاعتداد بالنفس. لمعت عينا ناسيلني في ضوء المعسكر المنعكس على جبهته العريضة المتعزقة. لم يكن ناسيلني في قبح أورازكا، ولكنه لم يكن وسيقًا أيضًا، وربما ما أفقده وسامته هو عدد من الحفر الصغيرة التي غطت جانبًا من وجهه خالتها أجوان ناتجة عن مرض جلدي. تضايقت أجوان من إمساكه بيدها بهذه الطريقة فنهرته: «ناسيلني! ما معنى هذا الكمين؟ لماذا تسحبني هكذا وفي هذا الوقت؟!».

جلب لها استنساها موجات عنيفة من المشاعر الثائرة، وفاجأها صوته المنخفض الغاضب وهو يحاول أن يهمس اتهامه: «لا تتظاهري بالطهر والبراءة! كلنا نعرف أنك لست بطاهرة مع الجنرال.. فلماذا ليس معنا؟ ليس الجنرال بأفضل منا. ولا تقولي لي إنها قصة حب نبيلة، فلقد رأيته يقسو عليك في ميدان التدريب ورأيت غضبك منه. إذن فإنه ليس حبًا.. مهما كان الاتفاق بينكما، فأنا أولى به..».

وبدا يسحبها ثانية نحو زاوية بعيدة يقع فيها مجمع من المخازن المظلمة، ولكن أجوان لم ترغب في أن تواصل هذه الرحلة التي لا تعرف نهاية فصولها، فزرعت قدميها

ثانية في الأرض الحصباء، ومالت بجسدها للوراء وسحبت معصمها من قبضته باستخدام كل قوتها حتى أحست أن رسغها وكتفها يوشكان أن ينخلا من مكانيهما، وصرخت بكل قوتها محاولة أن تعطي انطباعاً بأنها قوية وحازمة وهي تقول: « توقف! قلت توقف! ».

استدار ثانية وهو ينفخ بصوت مسموع وصدره يعلو وينخفض، ولم تستطع أن تميز وجهه في الظلام، ومع ذلك كانت تشعر بثورة الغضب التي تتزايد اشتعالاً في ذهنه. كما لمست حيرته بين التصميم والتردد وهو يراقبها وينقل نظره لقاعة النوم، ثم إلى الزاوية المظلمة عند المخازن. خافت أجوان أن تقوم بحركة قد تجعله يتهور ويقوم بتصرف تدفع هي ثمناً، فقررت أن تخاطب عقله، وتشغله عن ثورة الغضب والحيرة التي تفور بداخله.

« ناسيلني.. الوقت متأخر.. وغدا سيكون تدريباً طويلاً كالعادة.. لنعد للقاعة وننسى ما حدث.. إنني متعبة جداً.. ألسمت متعباً أيضاً؟ ».

ما إن أنهت كلماتها حتى مد يده ثانية ليمسك بذراعها، وبحركة سريعة سحبت ذراعها بعيداً عنه لتضمها لجسدها وأخذت خطوة للوراء، وفوجئت بعودة يده ثانية ولكنها في هذه المرة هوت على جانب وجهها بصفعة قوية سببت لها طينياً في الأذن، فترنحت في مكانها وتحولت الأضواء البعيدة إلى خيوط ضوئية تركت أثراً في عينيها وهي تحاول أن تحافظ على وعيها وعلى توازنها. واستغل ناسيلني تشوشها وفقدانها للتوازن، فأمسك بكتفها وحاول أن يحركها في اتجاه المخازن ثانية. أدركت أجوان أنها لا تملك سوى ثوانٍ قبل أن تفقد السيطرة على الموقف بأكمله، فبعد أن ضربها هكذا، لم تتوقع سوى المزيد من العنف وهي تعلم جيداً أنها الخاسر الأكبر في هذه المعركة الصغيرة. ودفعها الذعر الذي غمرها في تلك اللحظة إلى أن تتصرف بغريزتها وخاصة بالغريزة التي تعلمتها في الأيام الماضية في التدريبات اليومية على القتال.

تذكرت في لحظة تجلُّ حركة المدرب لاوشي وهو يضرب أوراكا في أول درس لهم، فمالت بجسدها بعيداً عن ناسيلني لتعطي لنفسها مسافة مناسبة للانطلاق، وعادت بذراعها للوراء وبقوة نابعة من ذعرها وقلقها سدوت ببطن راحة يدها ضربة قوية إلى أنف ناسيلني، ولكنه تعرف على الحركة وتوقع نتيجتها - فهو متدرب ماهر أيضاً - فحرك رأسه للجانب بمقدار بوصة، فجاءت الضربة على عظمة خده، ولكن الضربة اختلفت في هذه الحالة، إذ عززتها أجوان بقدرتها التي تعلمتها من الجنرال وهي تراقبه هذا المساء.. فتهدمت عظمة خده ومعها فكه الأعلى. كانت نتيجة الضربة كما لو هوت قطعة خشب على جانب وجه الرجل، فارتد رأسه للوراء، وتبعه جسده بأكمله، وسقط ناسيلني وهو يعوي من الألم، بينما سال الدم من فمه وأنفه وغطى نصف وجهه وهو يتلوى على الأرض ممسكاً برأسه ويرفس الأرض نائراً الحصى في كل اتجاه.

أما أجوان فامتلاً ذهنها بالألم ناسيلني ورعبه، وشاركتة الإحساس بالعذاب الذي سببه له تهشم عظام خده وفكه، حتى أسودت الدنيا في عينيها وتحولت إلى كتلة حمراء من الألم ألغت كل صوت أو إحساس آخر يحيط بها. وجدت صعوبة في التنفس، فانحنت

ووضعت يديها على ركبتيها .. وتصارعت مع رثيها لتعيد لها بعض الأكسجين. لمع ضوء خافت في ذهنها .. ذكرى باهتة بعيدة .. عن درع واقية تحميها من هذا العذاب. رددت لنفسها: هذه ليست مشاعرك .. هذا ليس ألمك .. أنت بخير وعظام وجهك بخير .. اصنعي درعاً واقية .. تأملينا وتأكدي من متانتها، ثم ادفعيها للخارج لتحملك من هذا الألم الفظيع. وبدأ الألم يخفت، فاستدارت نحو الثكنات وهي تترنح ممسكة بجانب رأسها، متجاهلة أنين ناسيلني وراءها، وكلها تصميم أن تصل لزملائها قبل أن تسقط أرضاً وتفقد وعيها. ولا تجرؤ على تخيل ما قد يفعله بها ناسيلني لو أمسك بها بعد أن سببت له هذا الضرر الفظيع. أدركت أنها أصبحت قريبة من القاعة، وأن هناك أشخاصاً يقفون أمام المدخل وينظرون في اتجاهها. ثم يندفعون نحوها، وتلقفتها أيديهم وهي تهوي للأرض بعد أن عجزت رجالها عن حملها، ومالت الثكنات إلى جانبيها وانطفأت الأضواء من حولها.

اكتشافات

كان موعد بزوغ الشمس قريباً، وانتشرت في الخارج أصوات زعقات المدربين وهم يحثون الفريق المتدرب على القفز والدفع وغيرها من مجموعة الحركات الرياضية التي تعودوا جميعاً على تأديتها كل صباح. بينما جلست أجوان في سرير صغير في مشفى المعسكر، وقد أسندت ظهرها لرأس السرير الحديدي البارد. كانت وحيدة في العنبر الذي يتسع لثمانية أسرة، ويستخدم عادة لعلاج المتدربين عند وقوع إصابات أو مرض أثناء التدريب. لم تزر العنبر من قبل، وكرهت لونه الأصفر البراق الذي يؤلم العين ويسبب الغثيان. جالت بعينها في أسرة العنبر. لم يكن هناك مريض غيرهما.. بلى هناك مريض آخر.. ناسيلني.. ولكنه يخضع حالياً لعملية جراحية معقدة، في جناح آخر من المشفى. ولذلك فهي تجلس في صمت وسكينة بعيداً عن باقي سكان المعسكر ومشاعرهم المركبة الهائجة.. تكفيها مشاعرها الآن.

يا للعار! أن تكون محاطة بأناس ينظرون لها بهذه النظرة المهينة، ولأنها مشغولة بمئات الأمور لم تستشعر هذه الانطباعات منهم، واستمرت غافلة عما يدبره لها ناسيلني. أو ربما لم يكن يدبر شيئاً، وكان تصرفه وليد اللحظة، إنها تجلس في مكانها منذ ساعات، تقلب الأمر في ذهنها، ولم تجد إجابات على أسئلتها. حتى الجنرال الذي جاء ليطمئن عليها منذ عدة ساعات، تركها بسرعة، ولا تدري إن كان ذهب للنوم أم لأداء مهام أخرى. لماذا تركها في محتنتها، وهو مسئول عن هذه المحنة؟ رجل بارد ومتعجرف! حاولت أن تخرج من العنبر لتعود لثكنتها، إلا أن الحارس العسكري الذي يقف خارج العنبر منعها من الخروج وأمرها بالعودة لسريرها، فالتزمت بأوامره كمتدربة ملتزمة تعرف الهرم العسكري للأوامر. ولكن أفكارها اللعينة لا تود مفارقتها، وهي محبوسة هنا معها، تأخذها معها في كل اتجاه وكل احتمال، وتعيدها فتاة صغيرة لاجئة لا تملك السيطرة على مصيرها. بلغتها صرخات المتدربين وهم يحرون من طرف الساحة إلى طرفها الآخر.. كم كانت تكره تمارين الصباح ولكنها في هذه اللحظة تتمنى لو انضمت لفريقها في تمارينهم لمجرد الهروب من أفكارها.

لا تعلم كم عدد المرات التي استعرضت فيها تفاصيل أحداث الليلة السابقة.. ولكنها لا

تملك إلا أن تستعرضها مرة أخرى. هل كان ناسيلني يعتقد أنها ستمثل لما يقوله لمجرد أنه كان يشك في أن لها علاقة بالجنرال؟ أي نوع من الفتيات يظنها؟ وكيف كانت تمضي كل مساء مع الجنرال دون أن يخطر في ذهنها أن زملاءها سيتساءلون عن مكانها وما تفعله كل مساء؟ هل هي غبية لهذه الدرجة؟ بالطبع الناس يلاحظون كل شيء حولهم. وبالطبع عندما تغيب عنهم الحقائق سيخترعون حقائق تناسب عقلياتهم وتوجهاتهم. وعندما لم تفسر أجوان لأي منهم سبب اختفائها كل مساء، افترضوا أنها على علاقة بأحد الضباط. وربما اكتشف أحدهم غياب الجنرال كل مساء فجمعوا الأرقام واستخرجوا المجموع المنطقي. ولم يجروا أحدهم أن يسألها عن مكانها.. إلا شيئا المندفعة الواضحة، هي فقط من تجرأت أن تسأل السؤال الذي يشغل أذهان الجميع. انتفضت من الإحباط والتفزز لمجرد التفكير فيما كان يدور في أذهان زملائها، ولكنها لا تلومهم، فالخطأ جاء من جانبها، وإن كان غير مقصود.

اكتشافات عدة جرت بالأمس، ليس أقلها أنها عرفت غريزيا كيف تستخدم الدرع التي تكلم عنها الجنرال دون أن يشرح ذلك لها. حتفا كان سيشرحه في جلسة المساء الذي يليه، ولكنها سبقته فاستخدمتها في الليلة ذاتها. مزيج من الفخر والندم يختلطان في صدرها في اللحظة ذاتها.. ويبدو أن حياتها دائفا ستكون مزيجا من الجوانب المتناقضة. ابتسمت بمرارة وأغمضت عينيها ورضتها بقوة محاولة مسح ذكريات الأمس، ولكن جفنيها تحولتا ثانية إلى شاشة عرض تعيد بث الأحداث، ففتحتهما بسرعة. ووجدت الجنرال يقف عند أسفل السرير، فقفزت من المفاجأة. تبادلا النظرات دون أن يبادر أحدهما بالحديث. ولكن أجوان لم تكن في مستوى النضج والصبر الذي يمكنها من الفوز في معركة الصمت والنظرات، فاندفعت لتسأل: «لماذا ما زلت في العنبر؟ أنا بخير وأريد أن أعود للكنة. ثم إنني متعبة من السهر طوال الليل..»

لاحظت عدم تغير تعابير وجهه، فسكتت لتنتظر حكمة عليها. ثرى هل يعلم بالأقاويل التي كان يتبادلها المدربون عنها وعنه؟ احمرت وجنتاها من العار، وخفضت عينيها لأسفل السرير.

«انتهت عملية ناسيلني.. لا نملك هنا أطباء تجميل، ولذلك، ما أن يسترد وعيه ويتم تقييم حالته، سينقلونه للمحطة الرئيسية في طرف القطاع، حيث يمكن الإشراف على حالته من قبل طاقم متخصص».

صمتت أجوان وقد غمرتها مشاعر الندم والإحباط. وتساءلت إن كان سيقع عليها عقاب معين لتهجمها على زميل وإصابته البالغة في الهجوم.. ثم ندمت ثانية على تفكيرها الأناني، ففيما تجلس هي لا تعاني سوى من كدمة بنفسجية اللون، ترقد ضحيتها في غيبوبة لا يعلم أحد نتيجتها.

«ما أريد معرفته الآن، هو لماذا خرجت مع زميلك في منتصف الليل لتلك المنطقة المعزولة؟».

نزل السؤال عليها كالصفعة وعقدت المفاجأة لسانها تمافا، ولكن الغضب دفعها خارج السرير ووجدت نفسها إلى جانب الجنرال؛ حيث زرعت نفسها أمامه ووضعت سبابتها

على بعد بوصتين من أنفه غير مبالية برتبته أو بطوله، وقالت بحنق «كيف تجرؤ على إهانتني بهذا الاتهام؟».

لم يتزحزح الجنرال من مكانه، وكثف ذراعيه على صدره في وضع يدل على عدم الاكتراث بالتهديد: «اتهام؟ أي اتهام؟ هل تنكرين أنكما كنتما خارج قاعة النوم في زاوية مظلمة من المعسكر عندما نشب الخلاف بينكما؟».

«لم يكن خلافًا!! كنت في طريقي إلى الثكنة، فأمسك بي وسحبني بعيدًا، فحاولت إثناءه عما يخطط له، ولكنه ضربني، فأوقفته بالطريقة الوحيدة التي أملكها!».

«وما الذي كان يخطط له؟».

صمت أجوان واستدارت وعادت للجلوس على طرف السرير تحذق إلى أرض العنبر المطلية بلون يشبه لون المياه الصفراء الراكدة. صارت دموعها وتفاوتت عليها، ولكن خرج صوتها مهزورًا بطريقة لم تعجبها، فبلعت ريقها وأخذت نفسًا عميقًا وأعدت الكرة: «كان.. كان يظن أن بيني وبينك علاقة، وأراد مني .. كان يظن أنني يمكن أن ..».

وأخرسها العار فلم تكمل جملتها.

«ثم ضربك؟».

أومات برأسها مرة واحدة ورفعت عينيها له بنظرة تحدّ: «فلطمته بيدي.. واستخدمت الدرع التي تعلمتها منك».

فتح الجنرال فمه ليتحدث، ثم اتسعت عيناه دهشة وعاد فأغلقه. تفحص وجهها للحظة، ثم قال: «كنا نظن أنك ضربته بحجر!».

هزت أجوان كتفها ولم تعلق على كلامه.. ونهضت من السرير ومشت نحو باب العنبر، وتوقفت بجانبه، ثم استدارت لتواجه الجنرال: «لا لم أضربه بحجر. هل ستعاقبونني لتسببي في أذى زميل لي؟».

لم ينظر الجنرال لها، وكان يبدو كأنه ينظر لنقطة بعيدة تتخطى هذا المكان والزمان.. وصمت لمدة طالت بطريقة غير مريحة بالنسبة لأجوان، وجعلتها تتوقع الأسوأ، فصلبت ظهرها وشبكت يديها وراء ظهرها، وجفدت قلبها لسماع الحكم عليها. ولكنها فوجئت من سؤاله التالي:

«واستطعت أن تحمي نفسك في الوقت ذاته بدرعك الذهنية، فلم تشعري بألمه؟».

«... في البداية لم أفكر في الدرع.. ولكن.. عندما سحقتني مشاعره وكدت أنهار، بحثت عن طوق نجاة، فتذكرت الدرع فصنعتها لحماية نفسي.. ونجحت».

هزّ الجنرال رأسه ببطء وكأنه لا يصدق ما يسمعه، وأضاءت عيناه بنور جديد لم تره أجوان من قبل، فأحست بقرصة القلب التي كانت تذكرها والدتها دائمًا.

«أنت جاهزة الآن».

عقدت أجوان حاجبها في حيرة، فهي ما زالت تنتظر العقاب، بينما الجنرال يتحدث عن أمور أخرى.. فسألته بتردد: «جاهزة لماذا؟».

استرخت عضلات الطارق مع كل ضربة من الضربات الخفيفة التي يستخدمها المدلك بيديه المحترفتين وبمساعدة المخدات الصغيرة الدافئة المشبعة بالأعشاب والعطور المفيدة. لقد كان المدلك الخاص بالسلطان قبل وفاته، وأرسلته إليه السلطانة خصوصاً، لأنها أحست بأنه مجهد ومصاب بالتوتر نظراً لمعاركه المستمرة مع مجلس مستشاريها. يا لهم من حفة من الجثث المتعفنة! كلما حاول أن يستخدم المنطق معهم، كانوا يلتفون عليه بلغتهم السياسية ويتملصون من كل الوعود التي قدمتها له السلطانة في اجتماعاتها الخاصة.

وبما أن المستشارين قد أخذوا منه موقفاً مسبقاً، يصعب عليه الآن أن يختلي بكل واحد منهم لمدة كافية لطّي ذهنه. وقد حيرته الأوضاع الحالية لدرجة أنه أبدى تضايقه للسلطانة، فكان ردها الأثنوي اللطيف هو أن أرسلت له المدلك. ورغم أن هذا ليس حلاً في نظره، فإنه بعد أن أحس باسترخاء عضلاته وصفاء ذهنه، لم يعترض على هذه الهدية الكريمة. ماذا يفعل هؤلاء المستشارين المتعجرفين؟ إنهم ليسوا بتلك الأهمية في حد ذاتهم، ولكنهم من يصدر الأوامر لتنفيذ تعليمات السلطانة، وبالتالي، فكل أمر أو توجيه تصدره يجب أن يمر عبر أحدهم حسب تخصصه، وهو بالتالي ينفذ الأمر بنقله للجهة المختصة. ولأنهم لم يستسيغوا مقترحاته، ولأنهم استنكروا طريقة تسلقه للوصول إلى السلطانة بسرعة مذهلة، فهم الآن يظهرون له الاحترام ولكن يبطنون له الرفض والحقد، ويبيّتون له النية بتعطيل كل مقترحاته ومشاريعه التي تقرّها السلطانة. أغبياء!

ولكنهم لا يعرفون عظمتهم وقوته، وسيندمون قريباً عندما يتحول من مجرد مستشار جديد إلى الأمر النهائي في هذه السلطنة الكبيرة. لقد تمكن حتى الآن من توطين ما يقارب 460 أسرة في أنحاء مختلفة من العاصمة، وقد حصل عدد كبير منهم على وظائف في إدارات خدمية هامة في المدينة وبعض الضواحي الخارجية، مما يعني أن لديهم الآن اتصالاً مباشراً بكل المعلومات حول المواقع الحيوية في المدينة. ولكن حتى هذه الأسر الموالية له لا تعلم بخطته الكبرى هنا في السلطنة. ولقد أكد له جيريتو أن عملية «البذر» قد بدأت تؤتي ثمارها، وأنها ستنتقل قريباً لمرحلة جديدة وهي عملية «الحصاد». وخاصة بعد أن تمكن فريقه مؤخراً من الاستيلاء على السفينة الفاخرة الشهيرة «شوفاي» واختطاف عدد لا بأس به من الأثرياء المتممين للعديد من الكواكب والأعراق. وبفضل عبقرية جيريتو في التخطيط للوجستيات هذه العمليات، تمكن الفريق من إرهاب الركاب الأثرياء وإرغامهم على تحويل مبالغ هائلة لصالح سلاح الطارق وبسرعة فائقة سبقت إجراءات الأمن التي تتخذها المؤسسات المالية في هذه الحالات. وحينما انتشر خبر الاختطاف وبدأت المؤسسات المالية بالحجر على الأموال والتحفّظ عليها من أجل حمايتها، كان قد نجح فريقه في تحويل المبالغ ونقلها من حساب إلى حساب عبر عدة قطاعات فضائية مضللة كل من أراد أن يتبعها لمصدرها الأصلي.

نعم إنه فخور بسلاحه، وبتطورات الأوضاع حتى الآن.. إلا أنه محبط في جهوده هنا

في أنتيكوادو، ويتمنى لو كان له الخيار في العودة إلى مقره القديم على كوكب أوراد حيث كان الجميع يعاملونه معاملة السيد المطلق. وإذا لم تتغير الأوضاع هنا قريباً، قد يضطر البدء في عملية الحصاد قبل أوانها، وهو ما سيكره فعله، فإنه يفضل أن يتبع الخطة التي يضعها جيريتو بالحرف، نظراً لكفاءته في وضع الخطط ولنجاحها في كل مرة. لا، يجب أن يتحلى بالصبر.. فقد تم التخطيط لهذه العملية منذ أعوام، ونجاحها سيعني نجاح جميع الخطط الأخرى. فهم بحاجة إلى قاعدة قوية ينطلقون منها ليستولوا على الكوكب أيسبلندور بأكمله، ومن هناك ستبدأ المراحل الأخرى للاستيلاء على سائر كواكب القطاع.

شقت الحشرة الغريبة الشكل طريقها عبر الأعشاب الكثيفة، بدلاً من أن تقفز فوقها كباقي الحشرات. إنها ثقيلة جداً ولا تستطيع أجنتها البراقة المعدنية اللون حملها، ولذلك فهي مضطرة لشق طريقها عبر أعشاب ملتفة صعبة الاختراق. لا بد أنها تبدو لها كغابة عملاقة كثيفة، تماماً كما تشعر أجوان نحو الغابة الكبيرة التي تحيط بها وبزملانها عند دخولهم لها منذ ما يقارب الساعتين. جاءتهم الأوامر اليوم بحمل أمتعتهم في حقائب الظهر بدلاً من الأحجار، والتوجه لحافة الغابة. وهناك شرح لهم المدرب مهمتهم لهذا اليوم، والتي تلخص في اختراق الغابة لمسافة كافية بعيداً عن المعسكر؛ حيث تم بناء منصات واسعة عالية عند رؤوس مجموعة من الأشجار. وقضت الفرقة وقتاً في عملية رفع الحقائب للمنصات ثم التسلق عن طريق نتوءات صناعية تم تثبيتها في جذوع الأشجار لتسهيل عملية التسلق. ومع ذلك، لم تكن المهمة سهلة؛ إذ كان على الجميع الاستعانة بسكاكينهم بغرزها في الشجرة والتمسك بها بالإضافة إلى النتوءات. ولم تكن تلك فكرة جديدة هنا؛ إذ كانت تنتشر آثار قديمة لنشاط مماثل قام به متدربون سابقون لا شك. لم تستلطف أجوان فكرة طعن الأشجار بهذه الطريقة، فالأشجار كائنات حية ويمكن التسبب في ضرر كبير لها حتى وإن كانت لا تصرخ من الألم. ولكنها اضطرت لمحاكاة باقي المجموعة حتى لا تسقط إلى حتفها، ومع ذلك كانت كل طعنة في جذع الشجرة بمثابة صفعة لتراتها ولمبادئها.

وما أن استقر الجميع على المنصات حتى طلب منهم المدرب إخراج أسلحتهم والتأكد من سلامتها والاستعداد لاستخدامها. وقام الجميع بكل الحركات المطلوبة؛ لأنها أصبحت جزءاً لا يتجزأ من روتينهم اليومي، وهو الهدف من تلك التدريبات اليومية بالطبع. لم تكن أجوان أسرع أفراد الفرقة ولا أبطأهم، وقد حرصت دائماً على الدقة في العمل بدلاً من السرعة، فهي لم تنس قط ذلك الدرس الأول المحرج. وبعد تركيب العدسة الإلكترونية المكبرة قام الجميع بتجربتها على ما يحيط بهم من أشجار وطيور وحشرات. وهو ما مكن أجوان من مراقبة تلك الحشرة الصغيرة من موقعها العالي في الأشجار، وكأنها قد ركعت على الأرض واقتربت من الحشرة لمسافة قدم واحدة فقط. توقفت الحشرة عن الحركة ورفعت رأسها الفضي العريض بقرونه الأربعة ثم حركت جسدها الصلب ليسارها وأكملت سيرها، وسرعان ما توقفت عند حشرة أخرى صغيرة فحمية اللون بدت للوهلة الأولى كقطعة لحاء ميت، فإنها تحركت فجأة لتفر، ولكن

الحشرة الكبيرة انقضت عليها بسرعة هائلة لم تبدها من قبل أثناء سيرها عبر الأعشاب الكثيفة. جرت معركة سريعة عجزت عينا أجوان عن معرفة تفاصيلها بالضبط، ولكن ما أن توقفت الحركة حتى أدركت أجوان أن المنتصر في المعركة هي الحشرة الفحمة الصغيرة، فاستغربت من قدرتها على قتل غريم حجمه أربعة أضعاف حجمها.

«انتباه!» كان هذا صوت المدرب في سماعة أذنها اليسرى وهو يوجه لهم التعليمات من إحدى المنصات المحيطة بهم. «ستمر خلال دقائق قطعان من حيوان بري محلي. إنه صغير الحجم وشرس بعض الشيء ولذلك نحن سنصطاده من موقعنا العالي. لم يحن الوقت بعد لإرسالكن أيتها الأميرات الناعسات إلى مواقف خطيرة. ستأتي تلك المرحلة فيما بعد».

خرج صوت غريب من حلق أورازكا الذي كان يقبع بجانبها وقد اتكأ على حافة المنصة تمامًا كما كانت تفعل أجوان على يساره، وزميلهم المتدرب تيري على يمينه. لم تتعرف أجوان على معنى الصوت، ولكن استشعارها أشار إلى أنها ضحكة ساخرة مكبوتة. لم يسمعه المدرب بالطبع، ولم يكن على هذه المنصة سواهم، ولذلك سمح أورازكا لنفسه بالتعبير عن استخفافه بكلمات المدرب، وما كان ليجرؤ على هذا لو كان المدرب على مسمع منه. سمحت أجوان لاستشعارها بأن يتسع ليشمل تيري فوجدته متحمسًا ومتيقظًا للغاية وهو ينتظر الأوامر التالية، وشاركته أجوان في الإحساس لأنهم جميعًا هنا لإنجاز هذه المهمة. ولكن أورازكا كان يصدر نوعًا آخر من الحماس، نوعًا أسود وحادًا جدًا لم تستشعره أجوان من قبل، فنقلت عينها من عدسة المكبر إلى وجه أورازكا دون أن تحرك رأسها بشكل ملحوظ، وتظاهرت بأنها تحاول تعديل وضعية جلوسها وإمسакها بالسلاح. وفوجئت بعين أورازكا عليها وهي تلمع في العتمة التي خيمت على المنصة تحت مظلة الغابة الشاسعة. أشاحت بوجهها وأعدت النظر خلال العدسة وقد بدأ قلبها يقرصها.

منذ أن خرجت من المشفى لاحظت تغيرًا في معاملة زملائها لها، وهو شيء متوقع لم يفاجئها نظرًا لما حدث في الليلة السابقة. ولكنها استشعرت بعض العدوانية والاحتقار الواضح من البعض، وهو ما لم تكن تشعر به من قبل. هل يظن هؤلاء أن ناسيلني كان محققًا وأنها تستحق ما كان سيفعله بها؟ ولكنها أيضًا استشعرت الخوف والحذر من عدة جهات، حتى من السيد بوق، وهو ما لم تتوقعه منه أبدًا. صحيح أنهم متدربون في معسكر للقتال، وأنهم ليسوا أصدقاء بمعنى الكلمة، ولكن لماذا هذه العدوانية نحوها من أناس لا يملكون المعلومات الكافية للحكم عليها؟ هل تناقلوا قصصًا أخرى عما حدث في تلك الليلة؟ لم تجرؤ على استجواب شيا في هذا الموضوع، واكتفت بما تتطوع به شيا من معلومات وقصص من وقت لوقت. شيا الوحيدة التي لم تتغير نحوها، بل أظهرت لها تعاطفًا كبيرًا وهو ما أراح أجوان لبعض الوقت. ومع امتداد التدريبات اليومية انشغلت أجوان عن مشاعر من حولها، خاصة وأنها الآن تعلمت كيف تعزل نفسها عن المشاعر وتأثيراتها السلبية عليها. فهل هي مخطئة في محاولتها لتقليص قدراتها الاستشعارية؟ هل كان من الأفضل لها لو أطلقت العنان لها حتى تعرف ما يشعر به نحوها كل من حولها؟ إنها معضلة؛ إذ لولا امتلاكها لهذه القدرة، لما أتاحت لها فرصة الاختيار.

«استعدوا.. وعندما تقترب القطعان، على كل واحد منكم أن يستهدف حيواناً ويقتله بضربة واحدة تخترق جمجمته. هل فهمتم؟ رصاصة واحدة للجمجمة. إن القوات الخاصة تعتمد في الكثير من عملياتها على القنص الدقيق، وهو ما نريد إنجازه هذا اليوم. وقد تم ترقيم كل رصاصاتكم وبهذا سنعرف من نجح في المهمة ومن فشل فيها. حظاً موفقاً يا أنساتي».

صمت المدرب ولكن لم تنقطع أصوات الطيور والحيوانات والحشرات المحيطة بهم، كان صوتاً مريخاً ومزعجاً في الوقت ذاته. فهو الصوت الذي اعتاد الكل عليه في ساعات الليل قبل الخلود للنوم، ولكنه كان بعيداً عنهم وهم يرقدون في أسرهم في ثكنتهم. أما الآن فهم في بيئة مختلفة، في وسط الغابة وبالأخص عند رؤوس الأشجار يجلسون على منصات بناها أشخاص آخرون، ولا يعرف أحد متانة هذا البناء. فلو اختل توازن المنصة لهوى المتدربون إلى حتفهم، حيث ستلتقاهم أيضاً قطعان من الحيوانات البرية الشرسة. بنس الميته، وبئس الخيال، وتمنت أجوان لو لم يكن خيالها واسعا لهذه الدرجة.

تمكن سمعها الحاد من التقاط صوت أجساد ترتطم بأغصان وأوراق الشجيرات الصغيرة وتدب على أرض الغابة المغطاة بالورق واللحاء الفحامي الميت. فتسارعت أنفاسها ودقات قلبها، وبدأت ترف جفنيها بسرعة لتمسح مقلة عينيها استعداداً للمهمة القادمة. أدركت أجوان قبل زميلها بنوان أن القطعان آتية من يسار المنصة فاستدارت بجسدها ببطء حتى تصوب السلاح في الاتجاه السليم. وبرز أول الحيوانات من وراء أكمة كثيفة، فراقبته أجوان بعدهتها المكبرة، ولكنها لم تضغط على الزناد. يبدو ضخفاً خلال عدستها رغم أنه ليس بال مخلوق الكبير، فهو لا يرتفع عن الأرض بأكثر من نصف المتر، ولكنه عريض الجسد وله أربع أرجل متوسطة الحجم مقارنة بجذعه. رأسه الصغير الحجم قبيح للغاية يغطيه شعر كثيف خشن وقصير، تماماً كما يغطي باقي جسده. أما الملامح المميزة له فهي القرون الثلاثة التي انتشرت من أعلى رأسه إلى نهاية خطمه العريض. فهمت أجوان سبب كونهم فوق المنصات، وأرادت أن تحضن المدرب الكريه لتفكيره في حمايتهم بهذه الطريقة. فهي لا تستطيع أن تتخيل مواجهة قطيع من الوحوش الشرسة في غابة مخيفة، حتى ولو كانت تحمل سلاحاً.

خفضت السلاح قليلاً لتنظر لأرض الغابة وتستوعب الصورة كاملة. فوجدت العشرات من هذه الحيوانات وهي تمشي في اتجاه يأخذها تحت المنصات، وبدا كأن العدد لن ينتهي.. إلى أن سقط اثنان منها فجأة فتعثرت الحيوانات التي تليها على جثث الموتى، ودبت الفوضى في القطيع، فبدأ بعضه يدفع بعضاً ويصدر زعقات عالية خشنة. بينما توقفت حفنة منها فوق الجثث تشمها وتنطحها برأسها وكأنها تحاول إيقاظها. هذه الحيوانات أيضاً بدأت تتساقط حتى تراكمت الجثث. سمعت أجوان التكة المكبوتة من سلاح تيري مما يعني أنه بدأ يطلق أيضاً. تذكرت أجوان مهمتها فسارعت بإعادة السلاح لوضعه السليم وحثت بالعدسة بحثاً عن هدف، ولم يكن ذلك صعباً، إذ وجدت مبتغاها بسرعة وبدأت تضغط الزناد ببطء وحرص كما تعلمت في الدروس، ولكنها أدركت فجأة أن رأس هدفها صغير نسبياً، فأبعدت العدسة للحظة، وفوجئت بأن الهدف الذي ظنته مجرد حيوان صغير جداً.. هو طفل.. هالها الموقف لحظتها وهي على وشك أن تقتل

مخلوفاً رضيعاً فارتجفت يداها وخفضت السلاح وهي تنظر للقطع والمذبحة التي تجري أحداثها على أرض الغابة.

ربما لحظة الضعف تلك أنقذت حياتها، فقد سمحت لدرعها أن يسقط عنها، واستشعرت رغبة عميقة في الانتقام، وغضب حاد كنصل خنجر في ذنها، وتبعته مباشرة قطعة معدن بارد التصقت بصدغها الأيمن، فجمدت في مكانها. وجاءها صوت أوراكا العميق وهو يهمس في الظلام، ولكنها سمعته بوضوح رغم زعقات الحيوانات من أرض الغابة: «هل كنت تعتقدين أنني سأنسى إهانتك لصديقي ناسيلني أيتها الفاسدة؟! لن يمحو الإهانة سوى الدم..».

جرت الأحداث بسرعة فائقة، وببطء غير معقول؛ إذ رجعت أجوان برأسها للوراء وبدفعة ذهنية خفيفة حركت فوهة سلاح أوراكا للجانب، فانطلق السلاح في الهواء، وأحست أجوان بضغط الهواء والرصاصة تندفع فتمر موازية لجهتها. ولكنها لم تسمح لنفسها بأن تتوقف لتحليل ما حدث، فقد شعرت بجنون أوراكا ورغبته في قتلها، وأدركت أن الطريقة الوحيدة لإيقافه هي نزع السلاح من يده، ولكن كيف ستحقق ذلك وهو يفوقها في الحجم وقد كان دائماً يتفوق على الجميع في تدريبات القتال باليد؟! ولكنها لم تملك التفكير، بل عليها أن تسمح لغريزتها بالتصرف، ولذلك قامت من وضعية الركوع على ركبتيين إلى وضعية ركبة واحدة واستدارت بجسدها عند الوسط، وحركت سلاحها لليمين بقوة وضربت ذقن أوراكا بعقب سلاحها. صرخ أوراكا من الألم وسقط للوراء فارتطم بزميله الذي كان قد نهض من وضعية الركوع وبدأ يتفرج على ما يحدث على أرض الغابة، ولم ينتبه لما يحدث على منصته إلا في اللحظة التي ارتطم فيها جسد أوراكا برجليه، ففقد تيرى توازنه وهوى لأرض الغابة وهو يصرخ.

لم تصدق أجوان ما يحدث، ونهضت واقفة وقد جحظت عينها وبدأ صدرها يضيق وهي تشعر بذعر تيرى في لحظاته الأخيرة، ورفعت يدها لتغطي وجهها وهي تتصارع مع ذهنها من أجل أن ترفع درعها الاستشعارية التي ستحميها من مشاركة تيرى الألم في لحظاته الأخيرة، ولكن صرخة ثائرة من أوراكا أعادتها للمأزق الذي هي فيه، ففتحت عينيه وأدركت أن أوراكا بدأ يصوب سلاحه نحوها وهو متمدد على ظهره على أرض المنصة، وهو حتماً لن يخفق في هذه المرة. سمعت أجوان تكة مكبوتة تتبعها تكة ثم أخرى ثم أخرى، وتزامن ذلك مع تحرك جسد أوراكا بتشنجات عنيفة، وتطاير للدماء في كل اتجاه. ثم سكنت حركته بينما استمرت زعقات الحيوانات على أرض الغابة. نظرت أجوان إلى سلاحها فوجدته عند وسطها وقد أمسكته بقبضتين متشنجتين وصوبته نحو أوراكا.

لقد قتلته.. إنها قاتلة.. لم تكفها طلقة واحدة، بل أطلقت عليه عدة مرات. بدأت الرجفة في أصابع يدها وانتقلت إلى ذراعها ثم كفها ثم انتشرت في جميع أجزاء جسدها حتى بلغت ركبتيها. تراجعت للوراء حتى ارتطمت قمة رأسها بغصن منخفض، فنظرت فوقها ووراءها وصدما قربها من حافة المنصة. لولا الغصن لسقطت من على المنصة والتقت بالأرض تماماً كما حدث لتيرى. مشت ببطء نحو جذع الشجرة

الذي ثبتت المنصة حوله، واستندت إليه بيد واحدة ترتجف بينما استمرت يدها اليسرى بالإمساك بالسلاح، ثم خرت لركبتها وتقياّت وجبة الصباح وبعد عدة تشنجات من معدتها توقفت ثم جلست مسندة ظهرها للشجرة. وهكذا وجدها السيد بوق عندما اعتلى المنصة بعد دقائق، ووقف ينقل نظره بين مظهرها المزري وهي تجلس على المنصة وتضم رجليها إلى جسدها، وبين فوهة سلاحها وهي تصوبه نحوه.

تنحنح مساعد المدرب وسألها بحذر: «ما الذي حدث هنا بالضبط؟».

فأجابته بنبرة الحذر نفسها: «أنت أخبرني ما حدث. لقد وضعتني مع رجل معتوه وأعطيته سلاحاً ليقتلني! ماذا كنت تتوقع أن يحدث؟!».

رفت عينا السيد بوق في صدمة واضحة، ونظر لأورازكا وقد بدأت بركة الدم المحيطة به تتسع حتى بلغت حذاء مساعد المدرب. وعاد ليحذق بها: «من حاول قتلك؟ تيري أم أورازكا؟ أم الاثنين معاً؟!».

أخذت أجوان نفساً عميقاً، وخفضت سلاحها بعد أن استشعرت أن المساعد صادق في صدمته وجهله لما حدث: «أورازكا... أراد الانتقام لصديقه ناسيلي. لم يعطيني فرصة للتفاهم..».

«وتيري؟ لماذا قتلت تيري؟» .. وكانت الحيرة واضحة في عينيه وتعايير وجهه ونبرة صوته.

أغضت أجوان عينيها وأسندت رأسها لجذع الشجرة وتنهدت: «لم أقتله.. عندما دفعث أورازكا دفاغاً عن نفسي، اصطدم بتيري فسقط. لقد حدث كل شيء بسرعة رهيبة.. لا أتذكر كيف أطلقت سلاحي...».

فرك المساعد وجهه بكفيه وقد غلفته غمامة من الحيرة والإحباط.. ثم مّد يده للجهاز المعلق برقبتة وتحدث فيه: «لدينا جثة ثانية هنا.. أرسل الفريق الطبي...».

ثم نظر إليها للحظات بدت لها كساعات طويلة.. ثم أكمل حديثه في جهاز الاتصال: «..وأرسل رجال الأمن العسكري أيضاً».



العودة

ارتفعت الأصوات للمرة الثالثة من خلف باب المكتب، ولكن ليست بمقدار كافٍ لتمييز الكلمات. ومع ذلك، فموضوع النقاش كان واضحاً منذ لحظة استدعائهم لأجوان من الغرفة الصغيرة الواقعة في طرف المعسكر والتي تُعتبر زنزانة الأمن في هذه المنشأة العسكرية. فالموضوع يدور حول أجوان بالتأكيد... فهي الشغل الشاغل للطرفين من المعسكر خلال الساعات الماضية. وهو سبب توقيفها في زنزانة صغيرة بالكاد تكفي لاستيعاب سرير قزم في زاوية وقسم لدورة المياه في الزاوية المعاكسة. وقد اقتيدت أجوان لهذه الزنزانة مباشرة بعد هبوطها من المنصة.. ولم يحدثها أحد في أية تفاصيل بعدها. وقضت مدة لا تعرفها وهي جالسة على طرف السرير تقلب الأفكار السوداء في ذهنها. ومع كل صوت صادر من وراء باب الزنزانة كانت تتوقع دخول أحد المسؤولين، ولكن امتدت الساعات وهي تنتظر تلك اللحظة. وعندما جاءوها أخيراً، كانت على وشك الاستغراق في نوم باغتها رغفاً عنها نتيجة لساعات التوتر والترقب. ولما دخل عليها الحارس الأمني واصطحبها معه دون أن يحادثها، لم تجرؤ على سؤاله هو أو زميله عن وجهتهم. ولكن انتظارها للأجوبة لم يظل؛ إذ انتهى بها المطاف في نهاية الممر الطويل، إلى مدخل صغير جدًا يؤدي إلى باب مكتب آخر.

في هذه المنطقة من المعسكر يعمل الجميع تحت إمرة قائد الشرطة العسكرية القومندان امبيشير، وهو الذي يملك القرار الأخير في الأمور المتعلقة بضبط المخالفين للقوانين الأمنية. ولا بد وأن هذا باب مكتبه، ولا بد وأن من يتناقشون بحدة من وراء الباب هم ذاتهم المتفرجون على مسرحية حياتها منذ أن جاءت لهذا المعسكر. فهي تستطيع أن تميز صوت المدرب الأول لاوشي، وصوت الجنرال الذي تعودت على عمقه وهدوئه.. وهناك صوت ثالث لم تتعرف عليه، ولكنه بالتأكيد القومندان امبيشير. حاولت أن تميل في مقعدها لتقرب جسدها أكثر للباب ولكن مع ذلك استمرت الأصوات تتعالى دون بروز كلمات تستطيع فهمها. ربما يتحدثون بلغة أخرى؟ اعترضتها دقائق من الشعور بالاضطهاد والمؤامرة، وتخيلتهم يتحدثون بلغة ثانية نكاية فيها، حتى لا تعرف ما يقولونه.

صمت الأصوات فجأة، وارتفع صوت دقات قلبها في أذنيها. إنهم أتون لها الآن لا محالة. ماذا قال أودن في أول لقاء لهما؟ إنهم يقتلون من يقتل.. هل هذا هو مصيرها؟ هل انتهت بها الحال هنا على هذا الكوكب البدائي، في هذا المعسكر الكثيب، حتى تموت فيه دون أن تحقق أي أمل أو غرض في حياتها؟ كان يمكنها أن تبقى على كوكبها وتموت مع أسرتها وشعبها، لا أن تقطع هذه المسافات كلها، وتفقد طفلاً، وتشارك في قتل شخصين مخالفة بذلك كل مبادئ حضارتها.. ثم يتم إعدامها على كوكب نكرة كحبة رمل على شاطئ شاسع! يا لسخرية الأقدار!

سمعت صوت حذاء ثقيل يقترب من الباب، ثم انفتح الباب بصريز خفيف لم تلاحظه إلا أذنا أجوان الحساسات وهي تراقب آخر لحظات حياتها. برز وراء الباب رجل متوسط الطول عريض المنكبين يرتدي بذلة عسكرية مشابهة لبذلة الشرطة العسكرية التي اقتادتها للمبنى. لاحظت وجهه المغطى بالشعر الكثيف، وكأنه حيوان بري.. ولكنه بشري بالطبع. لم تكن تلك إلا انطباعاتها الأولى وهي في حالتها المتوترة. أشار لها بإصبع واحدة، ففهمت أنه يدعوها للانضمام له في المكتب. فنهضت على رجلين ضعيفتين لا تكادان تحملانها، وأخذت نفساً عميقاً، وبدأت تردد في صمت ابتهاها المعهود:

أراك أيها الخوف، لست سيدي، ولن تهزمني.

أنت ضعيف وأنا لست بالضعيفة.

ستكون سلاحني الذي أشحذ به ذهني وأستقي منه قوتي.

قوة تحررني وتصنع انتصاراتي.

انتصار يذيب الخوف ويلقيه ذكرى بعيدة لن تعود أبداً.

دلفت من باب المكتب، فوجدته صغير المساحة، كحال كل شيء في هذه المنشأة التعيسة. ففي زاوية منه يقبع مكتب القومندان وفي جانبه خزانة معدنية متوسطة الحجم. أما باقي المكان فقد اكتظ بأربعة مقاعد معدنية، جلس في اثنين منها الجنرال باز فالار والمدرّب أول لاوشي. أشار لها القومندان بالجلوس في أحد المقاعد، فلم تتردد في الجلوس خاصة أن ركبتيها لم تستطعا حملها لمسافة دون أن تنهار. هل تجرؤ على السماح لاستشعارها باستكشاف مشاعر من يحيطون بها في تلك اللحظة؟ إنهم سجانوها وربما القضاة الذين حكموا عليها بالإعدام.. وأحدهم أو جميعهم قد يتحولون إلى الجلاد الذي سينفذ حكم الإعدام ويسلبها روحها.

توقعت أن يبدأ القومندان بالحديث، ولكنها فوجئت بأن المتحدث الأول هو الجنرال. بدا وكأنه يتفوه بكلمات تقضم لسانه من مرارتها، وهو ما جعلها ترتعب أكثر مما سوف تسمعه.

«في العادة، تقع شئون الدورة التدريبية من ضمن اختصاصاتي.. وحتى التجاوزات التي يقوم بها بعض المتدربين تقع تحت سلطتي، ويمكنني أن أقرر العقاب الذي يتلقاه المخالف حسب المخالفة.. ولكن.. عندما تكون المخالفة في شكل جريمة قتل.. تخرج القضية من يدي وتنقل إلى الشرطة العسكرية».

تعلقت أنظار أجوان بتعابير الجنرال، ورغم أنها لم تسمح لدرعها الذهني أن تطلق العنان لاستشعارها، فإنها كانت متيقنة من أن إسقاط الدرع لم يكن ليعينها على معرفة مشاعر الجنرال الذي كان بارغا في إخفاء كل قطرة من محيط مشاعره وأحاسيسه. إذن، لم يكن الجنرال أو حتى المدرب الأول من سيقدر مصيرها.. بل القومندان. نظرت بسرعة للقومندان فوجدته يجلس كصخرة راسخة لا تزحزحها قوة، لقد حزم أمره بالفعل.. مهما كان ما قرره. ولكن الجنرال لم يبه حديثه بعد، فأعدت النظر إليه.

«ولذلك، فقد جرت على مدى الساعات الماضية بعض المناقشات والتفاوضات حول طبيعة ما حدث في الغابة، ودورك فيما حدث.. ونوع العقاب الذي يجب أن يقع عليك كمتدربة في الدورة، وكمجندة في القوات العسكرية».

وهنا، نظر الجنرال إلى القومندان ولسان حاله يقول: أنت المسئول الآن وعليك أن تبلغها بالقرار.

تحركت ذراعا امبيشير الضخمتان، فوضعهما على ركبتيه واستند عليهما وهو ينهض من مكانه ويواجه أجوان:

«المجندة أجوان.. بموجب المادة السابعة من قانون العقوبات المتعلق بالمجندين في الدورات التدريبية الخاصة، وعلى ضوء الملابس التي اتضحت في القضية، ونظرا للتوصيات التي تلقيناها من قيادة المعسكر بخصوص أدائك خلال الدورة.. فقد تقرر تخفيف الإجراء المتبع عادة في هذه الحالات.. ولذلك، سيتم فصلك من الدورة فوزا، ويمكنك أن تجمعي أمتعتك من التكنة وتتوجهي إلى المهبط حيث سيقلك المكوك القادم خلال ساعات، إلى محطة المجد حيث يمكنك استقلال السفينة المتجهة للكوكب الذي تختارينه. وبعد ذلك، لن تتحمل القوات المسلحة تكاليف سفرك».

توقفت العربة الصغيرة فجأة في نهاية الممر، فتحركت الأمتعة للأمام بعنف وضربت مؤخرة رأس أجوان وهي تجلس في المقعد المجاور للسائق. تأوهت أجوان بصوت منخفض ووضعت يدها تلقائيا لتدلك مؤخرة رأسها، وأدارت رأسها لتنظر للسائق بحنق، ولكنه كان قد غادر مقعده في لحظة توقف العربة، فهو معتاد على هذا العمل لساعات طويلة، وما إن يوقف العربة حتى يقفز منها ويبدأ بإنزال الأمتعة التي تحملها. لم تتعد حمولة العربة 20 قطعة متوسطة وخفيفة، وكانت حقيبة أجوان بينها. لم تكن حقيبة بمعنى الكلمة، فهي حقيبة مستطيلة أنبوبية الشكل مصنوعة من القماش القوي الخشن، ويتم توزيعها على كل المجندين، وقد حصلت عليها أجوان منذ أول يوم في المعسكر.

نزلت من مقعدها ومظت جسدها المتعب وتلفتت حولها.. لم تتحرك بهم العربة بعيدا جدًا عن مدخل بوابة السفن حيث يقبع المكوك الذي نقلها من سطح الكوكب إلى المحطة. ولكنها أثرت ألا تضل طريقها في المحطة، وهي تعلم جيدًا أنها بحاجة أن تبحث عن سفينة توصلها لكراسوتكا، ولذلك فليس لديها وقت لتضيعه تائهة هنا. فطلبت من سائق العربة أن يأخذها لمدخل الموزع الذي يؤدي إلى مكاتب الحجوزات. ولكن أين هو المكان المطلوب، فهناك عدة مكاتب استقبال تنتشر في هذا الطرف من الموزع، وهي لا

تميز اللغة المستخدمة لتحديد وظائف المكاتب. استدارت بجسدها لتبحث عن السائق الضخم وتساله عن المكتب المناسب، ففوجئت بحقيبتها تُلقى عند قدميها، فقفزت للخلف، وأوشكت أن توسع السائق ضرباً لمفاجأته لها بهذه الطريقة الفظة. ولكنه لم ينظر لها، بل تابع عمله وهو ينزل الأمتعة قطعة قطعة، ويصدر أصواتاً غريبة من حنجرتة. ما كانت لتستطيع أن تضربه على أي حال، فهو ضخم الجثة وله ذراعان كجذوع الأشجار انتظرت حتى انتهى من عمله ثم اقتربت منه، وسألته عن المكتب الأنسب لوجهتها فأشار لها في اتجاه عشوائي، بين مكتبين وقفز في العربة واستدار بها وانطلق بسرعة، تاركا كومة من الأمتعة وراكبة تائهة.

أغمضت أجوان عينيها علها تجد السكينة التي تتمناها في هذه اللحظة من أجل التفكير الهادئ، ولكن الضجة المحيطة بها، والتي تذكرها بالضجة التي كانت تشهدها وتسمعها في محطة الظافر لم تسمح لها أن تجد تلك السكينة. تنهدت وفتحت عينيها والتقطت حقيبتها من الأرض، وتوجهت لأحد المكاتب القريبة من النقطة التي أشار إليها السائق المجنون. وقفت في الطابور وراء بشري، يسبقه في الطابور مخلوق قصير القامة ذو رأس ضخم بالمقارنة بجسده وطول جذعه، ورقبة عريضة مجمدة نحاسية اللون. ويبدو أن هذه المحطة مستعدة جيدا لكل أنواع المخلوقات، فرغم أن مكتب الاستقبال كان عاليا بالنسبة للمخلوق الذي يبلغ طوله المتر تقريبا، فإنه كان يقف على جزء ممتد من المكتب يعتبر كمنصة مؤقتة للزبائن الصغار في الحجم والطول. كان المخلوق يحدث جهاز الاستقبال الآلي بصوت منخفض، وبدا لأجوان أنها محادثة قد تطول بعض الشيء.

الصبر، الصبر! عليها التحلي بالصبر.. لقد مزت بالإحباط واليأس منذ أن غادرت مكتب القومندان بصحبة الشرطة العسكرية متجهة إلى سريرها في الثكنة، حيث قامت بحزم الأغراض القليلة التي تملكها في حقيبتها القماشية. ووقف أعضاء فريقها بعيدا يراقبونها وهي تستعد للمغادرة، ولم يحدثها أي أحد أو يعترض على رحيلها.. سوى شيا بالطبع. فقد التفتها وهي في طريقها للمهبط، وحملت عنها الحقيبة في صمت، وهي تنظر لها بين الفينة والفينة. لم تكن شيا صديقتها بالمعنى التقليدي، ولكنها كانت نَعَم الزميلة، فقد جلست معها تنتظر الموكب الذي هبط في ساعات المساء المتأخرة. وعندما هفت أجوان بالتوجه للموكب، لمست شيا كتفها لتستوقفها، ثم اقتربت منها وطوقتها بذراعيها وتمتمت كلمات وداع خجول، ثم استدارت وركضت في اتجاه الثكنة.

لم يسمح لها أحد بأن تعترض على القرار أو أن تحاول التفاوض حول طبيعة الجزاء الذي وقع عليها. كلهم نفذوا أيديهم منها، حتى الجنرال، هجرها لزحمة الإجراءات المتبعة وضيق الأفق اللعين الذي لا يسمح لعقلانية أو منطق للحكم على الأمور. لن تغفر له هجره لها هذه المرة، وهي التي كانت تعتقد أنه رجل شهم وقائد جريء يمكن الاعتماد على دعمه ومساندته. لا.. لن يمكنها الاعتماد على أي أحد من الآن فصاعداً، فهي وحيدة مرة أخرى. وأملها الآن أن تجد طريقة للوصول إلى روهاني بأقل قدر ممكن من التكاليف، فالقوات المسلحة لن تغطي إلا جزءاً من تكلفة سفرها. ورحلتها لن تكون قصيرة، فعليها أن تنتقل من محطة لمحطة على متن عدة سفن وعبر بوابات التنقل

المنتشرة في القطاع. كم تكلف مثل هذه الرحلات؟ لا تدري، لأنها لم تدفع ثمن رحلة سفر من قبل، وكانت تعتمد على روهاني أو القوات المسلحة في التخطيط للرحلات. غيبة وبلهاء يا أجوان! اعتمادك على غيرك سيكلفك الآن ثمنًا قد لا تستطيعين تغطيته. افتحي عينيك وانظري حولك جيدًا وتعلمي كيف تدور الأمور في هذا الكون، فليس هناك من تعتمدين عليه 100 % إلا ذاتك. وهناك طفل تائه يعتمد عليك، وقد تكون قد ضاعت فرصتك الوحيدة للعثور عليه.

«دورك يا أنسة..»

أفاقت أجوان من شرودها، واكتشفت أن الطابور قد خلا ممن كانوا يسبقونها، وأن الرجل الآلي عند مكتب الاستقبال قد بدأ يصدر صوتًا مثل الطنان، مصحوبًا بأضواء متقطعة. التفتت وراءها لتشكر الشخص الذي نبهها، فأوشكت أن تقفز من حذائها من هول المفاجأة. إنه الجنرال فالار بشحمه ولحمه.

راقبها بطريقته الهادئة التي ترفع ضغطها دائمًا، ورفع حاجبيه وهو يشير بهما لمكتب الاستقبال:

«ألا تريدان أن تستفسري عن الرحلة القادمة؟»

لم تجد أجوان الكلمات المناسبة للتعبير عن صدمتها لمصادفة وجوده في المحطة، ولموقفه المشين نحوها في المعسكر، ولجراته على الحديث معها بكل هدوء الآن بعد أن هجرها للفشل والضياع. ولكي تمنع نفسها من أن تقول شيئًا تافهًا لا يليق بها ولا يليق بقوة مشاعرها التي لا تستطيع أية كلمات التعبير عنها، مالت لتلتقط حقيبتها ورمتها فوق كتفها لتستقر وراء ظهرها، ثم استدارت وتركت الجنرال واقفًا في الطابور، واتجهت لزاوية تذكرت أنها مخصصة للانتظار، نظرًا لاحتوائها لعدد من المقاعد المتعددة الأحجام والوظائف. وعندما بلغت أول صف من المقاعد البشرية، جلست على أقربها ورمت بحقيبتها على المقعد المجاور لها. رفعت رأسها فوجدت الجنرال متجهًا نحوها بخطى هادئة ليس فيها بطء أو استعجال. نعم إنه يملك الزمن والمكان ويستطيع أن يفعل ما يريد. أكرهه! أكرهه! ليتني أستطيع أن أخدش وجهه بأظفاري! هالتها شراسة الفكرة، فمنذ متى تفكر في العنف كتصرف سليم لحل أي مشكلة؟! هل جئت؟! إنه ذنب هذا الرجل الذي يثير جنونها!

لاحظت أن الجنرال على وشك أن يجلس على المقعد المجاور لها، فسارعت بالتقاط حقيبتها ورمتها في المقعد الذي يوشك أن يجلس عليه. توقف الجنرال، وعلى وجهه نظرة من يتسلى بعرض ترفيهي خفيف، واستدار ليجلس في الجانب الآخر، فقامت بسرعة بتحريك الحقيبة لتشغل مقعده الجديد. تنهد الجنرال وتمركز أمامها وذراعاها مكتوفان على صدره، تمامًا كما يفعل أثناء تدريباتها المسائية.

«أنا متأكد أن هذه تصرفات طفولية ولا تليق بمجندة في القوات الخاصة».

رمقته بعينين تشعان نازًا فيروزية يتقاذف شررها ويوشك أن يحرقه. وعندما لم تجبه، أضاف:

«هل لي أن أجلس بجانبك فتحدث قليلاً؟ لدينا بعض الأمور التي لم نكملها بعد».

كانت أجوان فخورة جداً بنفسها، إذ لم تتفوه بأية كلمة سخيفة حتى الآن، ونجحت في الإيحاء له بغضبها دون أن تستخدم الكلمات التي يبرع فيها الجنرال أكثر منها. إنها غاضبة حقاً، ولن تقبل بأي تبرير أو اعتذار منه. ومع ذلك، هزت كتفها ورفعت عينيها لتجول بنظرها في الموزع وكأنها لا تكثر بما سيفعله.

أوما برأسه واتخذ مكانه في المقعد الخالي المجاور لها، ثم رفع رجلاً ووضعها على ركة رجله الأخرى، وبدأ مسترخياً تماماً في جلسته، مما زاد غيظها منه. رفقته مرة أخرى فوجدته يراقب المرتادين للموزع ولكن من الواضح أن ذهنه كان في مكان آخر. وللمرة الثالثة، رفضت السماح للسانها أن يضر بموقفها الآن، فعضت عليه وأشاحت بوجهها ثانية، مصممة على أن يكون الجنرال أول من يبدأ الحديث.

«أريدك أن تعرفي أنني قاتلت من أجل ألا يتم احتجازك في السجن العسكري على كوكب جونكسن».

سكنت حركة أجوان سعيها منها لعدم القيام بأية حركة قد تقطع قناة المعلومات التي انفتحت في هذه اللحظة. وفي الوقت ذاته سمحت لدرعها الذهنية أن تسقط أملاً في أن تلتقط بعض مشاعر الجنرال. تدافعت نحوها مشاعر كل من يحيط بها من بشر ومخلوقات، فكاد دماغها ينهار داخلياً تحت وطأة كل ما يشعرون به.. كيف كانت تتعامل مع هذا الكم الهائل من المشاعر قبل أن تتعلم استخدام درعها الذهنية؟! بدأت بغربة المشاعر الهائجة حولها بحثاً عن مشاعر شخص واحد فقط، فوجدتها في عشر الثانية.. ولكن ما إن بدأت بالإمساك بخيوطها حتى تلاشت من أمامها وانغلت أبواب ذهنها ثانية. ومع ذلك، تمكنت في تلك اللحظة الوجيزة من أن تميز الندم والحرج والشعور بالمسئولية، ومقداراً قليلاً من الحيرة والتردد.

حركت رأسها ليسار بطريقة حاولت بها ألا تعطي انطباعاً بأنها تراقبه بطرف عينيها، فلاحظت الامتناع على وجهه.

«لست من المعجبين ببيروقراطية القوات المسلحة، ولهذا أثرث العمل في القوات الخاصة.. فلدينا قوانين مختلفة تماماً عن القوات المنتظمة. يؤسفني ضيق الأفق الذي يعانون منه.. ليست لديهم رؤية.. وفي بعض الأحيان يقومون بممارسات وإجراءات تضر بالقوات المسلحة وهم يعتقدون أنهم يفيدونها بتعنتهم وتطبيقهم الحرفي للقانون... لا يهم!»

وهنا أنزل رجله للأرض، واعتدل في جلسته حتى يستطيع أن يرى وجهها جيداً وهو يكلمها بطريقة مباشرة:

«ما هي خطبك الآن؟ هل كنت ستعودين إلى كراسوتكا أو الظافر؟ أم لديك وجهة أخرى؟»

لم تلتفت له أجوان لأنها لم ترغب في أن تعطيه أية أهمية بعد كل ما حصل، وبغض النظر عما قاله عن دفاعه عنها ومنعه لوقوعها في السجن.. ولكنها أجابته بشكل

«لا أدري بالضبط.. سأبحث عن الرائد روهاني بولكوفو..»

صمت الجنرال للحظة، وبدأ وكأنه ينتقي كلماته القادمة بعناية كبرى. «إذن.. لا تريدان الانضمام للقوات الخاصة والبحث عن طفلك؟»

لم تستطع أجوان مقاومة الرد على هذا السؤال السخيف، فأجابته بغضب: «كيف تسألني هذا السؤال، وقد حضرت بنفسك محاكمتي وقرار فصلي؟! لم يعد هناك مجال للانضمام لأية قوات.. انتهى كل شيء!»

لم يتأثر الجنرال بغضبها وبالمرارة التي حملها صوتها، بل عاود المحاولة: «لو كانت لديك الفرصة للانضمام للقوات.. اليوم.. أو أن تعود لي لصديقتك وتكملي حياتك بعيداً عن الحروب والقتل.. ماذا ستختارين؟»



المخلص

الكوكب: اسبيلندور

المدينة: انتيكوادو

«مولاتي، إنه ثالث حادث خلال أقل من عشرة أيام! وفي كل مرة يختفي المجرمون بنفس السرعة والمفاجأة التي جاءوا بها. شيء غامض يجري هنا!».

وضعت السلطانة يدها على نحرها للمرة الرابعة منذ بدء الاجتماع، وبدأ القلق واضحا عليها وهي تقلب نظرها بين الحاضرين من مستشاريها. لم تكن السلطانة في أفضل أحوالها في هذه الساعات المبكرة جدًا من الصباح، إذ لم تشرق الشمس إلا منذ دقائق، بينما تم إيقاظها منذ ساعات لحضور هذا الاجتماع الطارئ مع من تمكن من الحضور من مستشاريها. وقد استمع الجميع مشدوهين لتقرير الدائرة الأمنية عن أحداث الساعات الأخيرة من الليل، والتي لم تكن الأولى من نوعها؛ إذ كشف لهم ريكاودو رئيس الدائرة عن وقوع حادثتين مماثلتين في حييين مختلفين من المدينة الهائلة؛ حيث قامت مجموعات مسلحة مجهولة الهوية بالسطو على أحياء سكنية في ساعات متأخرة من الليل. وكانت المجموعات تتحرك بسرعة مذهلة من بيت إلى بيت، تقتحمه بهدوء وترفع سكانه ثم تستولي على ما خفّ حمله وارتفعت قيمته. وفي عدة حالات، خلّفت الهجمات وراءها عشرات القتلى والجرحى، غير أبهة بعمر أو جنس الضحايا، حيث كان بين القتلى أطفال ونساء وشيوخ.

وقد حاولت الدائرة الأمنية التعامل مع الحوادث بسرية حتى لا ينتشر الذعر بين سكان المدينة، وقد تم نشر القوات الأمنية في تلك الأحياء والضواحي متنكرة بملابس مدنية بهدف مراقبة المتتردين عليها، ولكن لم تثمر تلك الجهود عن أية نتائج إيجابية. ومع وقوع أحداث الليلة السابقة، تم اتخاذ القرار بإبلاغ السلطانة ومجلس مستشاريها. وها هي تجلس حول طاولة الاجتماع تستمع لقصص بشعة عن قتلى وجرحى في أحياء مدينتها الآمنة، وتتساءل لو حدث هذا في عهد زوجها السلطان الراحل، ماذا كان سيقول أو يفعل؟ ووقع نظرها على مستشارها الوسيم تروكار، فرأت القلق والتركيز في تعابير وجهه، فهفّت بسؤاله عما يجول في ذهنه، وما سيشير به عليها. ولكن في تلك اللحظة،

دخل أحد معاوني رئيس الدائرة مسرعاً، وبدأ يهمس في أذن رئيسه، فامتقع وجه الرئيس وخطف نظرة سريعة للسلطانة، ولكنه أعاد عينيه لسطح الطاولة، واستمر في الاستماع لما يهمس به معاونه.

خيم الصمت على المجتمعين وعيونهم معلقة بوجه الرئيس الذي كان من الواضح أنه يستقبل أخباراً سيئة جداً. والسؤال الذي كان يشغل بال الجميع هو: ما هي الأخبار الأسوأ من أن هناك مجموعات مسلحة تجوب الأحياء وتقتل وتنهب ولا يعرف لها أثر؟ انتهى المعاون من الحديث، وناول رئيسه قرص معلومات أحمر اللون، فأوماً له رئيسه بمغادرة القاعة. استدار الرئيس للمجتمعين وحك لحيته بأظافره، ثم رفع رأسه ليواجه السلطانة مباشرة، وقال: «مولاتي، يؤسفني أن أنقل لسموك خبراً مفرحاً.. لقد توفي هذه الليلة المستشار كونسيررو.. أو بالأحرى قُتل».

شهق الحاضرون، ونهض عدد منهم من مقعده من هول الصدمة، وتعلت الأصوات بالأسئلة والاستفسارات والتنديد والوعيد.. ولكن ريكادو لم يعرهم أي اهتمام؛ إذ استمرت عيناه معلقتين بوجه السلطانة التي عقدت الصدمة لسانها وامتلأت بالدموع عيناها، فأغمضتهما حتى سالت الدموع على خديها، وصدر منها صوت مكبوت يدل على الألم والأسف. إنه كابوس.. لم تمر بها تجربة كهذه من قبل، فقد كانت فترة حكمها قصيرة، ولم تجر أية أحداث خطيرة أثناءها، وحتى فترة حكم زوجها لم تتميز بأية أحداث عنيفة كهذه التي جرت في أقل من عشرة أيام. كيف يحدث هذا كله؟ ومن يقوم بهذه الجرائم الشنيعة ضد شعبها المسالم؟ ولمصلحة من؟

أعادها للحاضر صوت المستشار تاليغاس وهو يرفع صوته فوق الضجة:

«ريكاودو! ريكادو! لقد ذكرت لنا أسماء الأحياء التي تعرضت للهجوم.. ولكن كونسيررو لم يكن يظن إلى أي منها، فكيف وقع ضحية لهذه الهجمات؟».

تحركت جميع الرؤوس موافقة على السؤال.. ورفعت السلطانة رأسها وهي حائرة مما تسمعه.. فتنهد ريكادو وأجاب: «صحيح.. فمسكن كونسيررو يقع في الحي الغربي من ضاحية سنتريكو.. ولكنه يذهب كل نهاية أسبوع ليقضي ليلة في منزل ابنته الكبرى.. وكعادته كان في ضيافة ابنته.. ولقد قُتلت أسرة ابنته بأكملها البارحة».

المزيد من الشهقات والصياح الغاضب.. أما ماريونيتا، فاستقرت فوق ذهنها وقلبها غمامة كثيفة من اليأس والإحباط حتى لم تعد ترغب أن ترفع رأسها لتتأمل للحاضرين. أشارت بيدها بحركة فهمها الجميع على أنها أمر بالانصراف، فبدءوا ينسحبون من القاعة يجزّون أرجلهم في يأس وحيرة وبدأ على البعض الرغبة في الاعتراض على النهاية المفاجئة للاجتماع، ولكن كوبرار سكرتير السلطانة قظب جبينه وأشار لهم بصمت باللقاء به خارج القاعة. وعندما هم بإغلاق الباب وراه أدرك أن المستشار تروكار ما زال يجلس في مقعده يراقب السلطانة في صمت. عاد السكرتير لدخول القاعة، وأشار لتروكار بأن يتبعه للخارج، ولكن تروكار تجاهله ونهض من مكانه، وتوجه إلى حيث جلست السلطانة وقد دفنت وجهها في يديها واتكأت بهما على سطح الطاولة. هز السكرتير رأسه بعنف محاولاً منع تروكار من إزعاج السلطانة. ومع ذلك أكمل تروكار طريقه حول الطاولة حتى

بلغ مقعد السلطنة ونزل على ركة واحدة ووضع يداً على سطح الطاولة، بحيث تراها السلطنة فتنبه لوجوده.

وبالفعل، رفعت السلطنة رأسها وأزاحت يديها عن وجهها المغطى بالدموع، ولمعت عينها بدموع لم تنهمر بعد، وبدأت عاصفة الألم والخوف التي تثور حولها تخفت حدتها وهي تنظر في عيني تروكار. ولم تطل تلك اللحظة، بل قطعها صوته وهو يخاطبها بركة وعزيمة في الوقت نفسه.

«مولاتي.. يؤلمني حالك.. ويدمي قلبي حال رعتك.. وأعاهدك ألا يهدأ لي بال حتى أنتقم من هؤلاء المجرمين.. وأعيد للمدينة أمنها واستقرارها..».

رفت عينا السلطنة وهي تحاول أن تستوعب ما يقوله.. وكان من الواضح أن ذهنها أصبح مشوشاً فلم تكن في وضع يسمح لها بأن تتخذ أي قرار في تلك اللحظة. ولكن هناك صوتاً كان يلغ عليها بأن تستمع وتنفذ.. فبقي نظرها معلقاً بوجهه. ولم يغير تروكار من وضع ركوعه، ولكنه مال أكثر مقترباً من وجهها حتى ملأ وجهه مجال رؤيتها وألقى كل ما عداه.

«أعطيني وحدة أمن واحدة، وأنا أخلصك منهم. ويجب أن تكون الوحدة تابعة لي تماماً، وألا يتدخل في إدارتها أي فرد أو دائرة أخرى.. خصوصاً، الدائرة الأمنية».

كان السكرتير يتابع ما يدور بين السلطنة والمستشار وهو منزعج من جرأة تروكار ووقاحته.. هل يعتقد أن السلطنة ستعطيه وحدة مقاتلة ليديرها دون رقابة أو حساب؟ إنها حتماً ستزجره وتطرده من القاعة. ولكن امتد الصمت بين السلطنة وتروكار، بينما بدا وكأن المحادثة مستمرة بينهما بطبقات صوت غير مسموعة، وإن كانت شفاههم ساكنة.. وفجأة أجابت السلطنة بصوت ضعيف كمن يطلب العون والنجدة: «تروكار، أوجد لي نهاية لهذه الجرائم ولك ما ترى».

تناولت أجوان القرص الفضي من الجنرال، ثم راقبته يستدير بدون أي كلمة إضافية، ويبتعد عنها. وعادت وحيدة مرة أخرى.. باتت تكره الوحدة.. وتكره هذا الشعور الذي يعترئها كلما أقدمت على منعطف جديد في حياتها. استدارت لتواجه الباب الأبيض ثم مررت القرص أمام العدسة الصغيرة، فأصدر الباب صريراً خافتاً، وانفتح القفل، فأدارت المقبض وتركت عتمة الليل وراءها ودلفت للغرفة. تلفت حولها فوجدتها متوسطة الحجم، بالطبع هي أكبر مما كانت تتخيله بعد أن عاشت في غرف صغيرة وتشاركت في غرف أخرى على مدى الأيام السابقة. كانت رحلة طويلة ومضنية، ولم تنقطع خلالها الكوابيس التي عادت لتسكن ذهنها مرة أخرى.

أغلقت الباب وراءها، ورمت بالحقيبة على كنية صغيرة في الزاوية التي تقع وراء الباب، ثم اقتربت من الخزانة الصغيرة وسحبت الباب لترى ما تخبئه، فوجدتها خالية إلا من بعض المعالق. تمشّت حول السرير الفردي وفتحت باب دورة المياه، وارتاحت من حجم الدش فأغلقت الباب وعادت للسرير.. جلست على طرفه ولاحظت أخيراً أنه غير معد للنوم، وأن هناك من ترك لها مجموعة من الأغذية عند نهاية السرير. هل تقوم

بتفطية السرير أم تخلد إلى النوم مباشرة؟ إنها متعبة حتى العظم، وربما تضطر للاستيقاظ في وقت مبكر من الغد، كما أنها لا تعرف ما هي الساعة الآن. تلفتت حولها بحثاً عن ساعة، ولكنها لم تجد ما يعينها على تحديد الزمن. اتخذت قراراً بأن تتجاهل كل شيء، فخلعت حذاءها الثقيل، ورمت بجسدها على السرير، وأزاحت الأغشية بقدميها حتى سقطت كومة الأغشية على أرض الغرفة، وأغمضت عينيها، واستسلمت للنوم.

«يكفي...»

تمتمتها أجوان بضيق، ولكن أخاها الصغير استمر في الطرق على بابها، ولا شك أنه يعتقد أنها ستصطحبه اليوم معها لمنطقة الشلال. ولكن إن استمر بإزعاجها هكذا فسوف ترفض مرافقتها لها، عقاباً له لعدم احترامه لخصوصيتها وساعات راحتها. ولكن ما زال يطرق بابها، بل وارتفع صوته مع كل طرقة.. فتحت عينيها وهي عازمة على أن تفتح الباب وتصبح فيه أنها لن تأخذه معها لأي مكان من الآن فصاعداً.. ولكن .. هذه ليست غرفتها.. وهذا ليس سريرها.. ومن هذا الذي يطرق بابها بهذا الإلحاح؟!

نهضت بسرعة وفتحت الباب بما يكفي لرؤية الشخص اللحاح، ففوجئت بامرأة بشرية تفوق أجوان طولاً بعدة بوصات، مما أرغم أجوان على أن ترفع رأسها لتقابل عينيها. لمحت أجوان في وجه المرأة الذهول ذاته الذي يعتري معظم من يرى عيني أجوان للمرة الأولى، ثم سرعان ما تذكرت المرأة سبب وجودها وتحول الذهول إلى ضيق واضح، إذ ربما كانت الزائرة تطرق الباب لدقائق طويلة قبل أن تستيقظ أجوان وتفتح لها الباب. هزت المرأة رأسها لجهة اليسار وقالت شيئاً بلغة لم تفهمها أجوان. فتحت الباب لكي تنظر للمرأة مباشرة بدلاً من استراق النظر لها من شق الباب. أول ما لاحظته أنها تحمل عضلات تليق برجل لا بامرأة، وكانت ترتدي قميصاً أسود بدون أكمام وبطولاً أسود يصل لركبتيها فقط، مما أظهر عضلاتها بشكل بارز. أما وجهها فكان عريضاً وبجبهة صغيرة وعينين واسعتين وشفتين عريضتين. وعندما تكلمت ثانية، أظهرت فقا واسفاً للغاية، وأسناناً مدبية بصورة لافتة للنظر. للمرة الثانية أشارت برأسها للييسار وهي تتحدث بلغة غير مفهومة. هزت أجوان رأسها لتبين أنها لم تفهم ما قيل لها، وتقدمت خطوة للأمام لتنظر للناحية التي أشارت لها المرأة برأسها.

أطلت أجوان من باب غرفتها، فتراجعت زانرتها للوراء. إنه صباح جميل، وإن كان ضوء الشمس قوياً وربما سيكون مزعجاً لاحقاً. تلفتت حولها لترى ما لم تستطع تمييزه في ظلام الليلة السابقة، فوجدت أن المبنى المستطيل الذي يحوي مسكنها يمتد لعدة أمتار لليمين واليسار، وهناك عدة أبواب تشبه بابها تماماً. أعادت النظر للمرأة التي كانت تتفحصها وتجول بعينيها على جسد أجوان وكأنها تقيس شخصيتها من حجمها وشكلها. عضت أجوان على شفتها السفلى وخفضت درعها الذهبية، التي تعودت الآن أن تتركها مرفوعة طوال اليوم، حتى صارت ممارسة تلقائية منذ اللحظة التي تفتح فيها عينيها في الصباح. استغربت لاستشعارها الاحتقار والترفع الصادر من زانرتها، ثم اكتشفت أن

المرأة أيضًا تخفي بعض السخرية والخبث، ففهمت أجوان ما يحدث، وقررت أن تتصرف معها بطريقة مناسبة. فاستدارت وأغلقت الباب وراءها، وأسندت ظهرها للباب، في انتظار ما ستفعله الزائرة. وبالفعل، بعد مرور دقيقة، عاد الطرق على بابها بنفس الطريقة السابقة، ويصاحبها صوت المرأة وهي تتحدث بعصبية باللغة ذاتها. ولكن أجوان لم تفتح الباب، بل استمرت في الاستناد للباب والانتظار. وبعدها بدقيقة أخرى جاءها الصوت ثانية:

«من الأفضل ألا تتأخر على الجنرال، وإلا أتى بنفسه ليستدعيك.. وحينها لن يكون لطيفًا مثلي».

هنا فقط فتحت أجوان الباب، فوجدت المرأة تقف بعيدًا عن الباب وتتنظر لأجوان بطرفي عينيها وقد وضعت قبضة يد على خصرها وبدا الضيق واضحًا في طريقة وقوفها، وبالطبع في مشاعرها. ابتسمت لها أجوان ابتسامة نصر، وأجابتها باقتضاب: «أعطيني 5 دقائق»، ثم أغلقت الباب في وجهها.

وهكذا كان لقاءها الأول بالجندي سكالداني إحدى أعضاء القوات الخاصة وحدة لاشكار.

لاشكار

أول يومين لها في قاعدة وحدة لاشكار، قضتهما أجوان في غرفتها الهادئة وهي تحاول أن تستجمع قواها من بعد عناء رحلتها الطويلة، والأحداث التي سبقت الرحلة. كما حرصت على أن تطلع على فيديو المعلومات الذي استلمته من الجنرال في لقائها معه في اليوم السابق. ومع اطلاعها على المعلومات، تعرفت على دور القوات الخاصة، وعلى الأغراض المتعددة لهذه الوحدات. اتضح أنهم يعملون دائمًا في الخفاء وضمن مهام بالغة السرية، حتى عندما تنجح المهمة، فلا يأتي ذكرٌ لدورهم إطلاقًا. إنهم جنود مجهولون، ويستلمون أخطر المهمات حيث يتطلب الأمر أن ينزلوا وراء خطوط العدو وينفذوا أهداف مهماتهم بسرعة ودقة، ثم يخرجون بنفس السرعة والسرية.

وقد أخبرها الجنرال - الذي بدا مشغول الذهن وهو يحدثها الباردة - بأن تدريباتها لم تُستكمل بعد، وأنه قد وضع لها جدول تدريبات شاقًا يشمل التدريبات التي فاتتها في المعسكر، بالإضافة إلى أنشطة أخرى تُعدُّ المرحلة الثانية لتأهيل القوات الخاصة. فوجئت أجوان من حجم الأنشطة المطلوبة منها يوميًا، وأدهشتها التفاصيل التي سيتحتم عليها أن تلمَّ بها مع تطور التدريبات اليومية. هل تستطيع أن تنجز هذا كله؟ ثم إنها المتدربة الوحيدة في هذه الوحدة، فقد لفح الجنرال لوجود عشرات الجنود المحترفين في مناطق منتشرة حول القاعدة - وكانت سكالداني إحداهم. هل ستظهر لأجوان عضلات ضخمة مثل ما رآته لدى سكالداني؟ لم تكن أجوان متأكدة إن كانت تحبِّذ تلك الفكرة أم تشمئز منها، إذ اختلطت عليها المشاعر وهي تتعامل مع هذا الوضع الجديد. لم يعد شيء كما كان، فكل ما كانت ترفضه وتشمئز منه وتعتبره ضد مبادئها صار أقرب وأقرب منها الآن.. خاصة بعد أن قتلت نفسًا. ثرى لو كان والدها ووالدتها على قيد الحياة، هل كانا سيُشعران بالعار مما قامت به حتى الآن؟

وفي الصباح المبكر استيقظت وارتدت ملابس التدريب البيضاء، وخرجت مع أول خيوط الشمس وهي تمد مظلتها فوق الكوكب، واتجهت نحو ساحة التدريب حيث وجدت مجموعة من الجنود يمارسون رياضة التسخين، ثم انطلقوا في اتجاه يأخذهم خارج الساحة لما وراء المباني التي تحيط بالساحة. لم تجد أجوان من يرحب بها أو

يشرح لها ما يجب فعله، وبعد أن جالت في المكان لدقائق أملاً في أن يلاحظها أحدهم، قررت أن تقوم بالتسخين وحدها استعداداً لما قد يأتي في المستقبل القريب. مر الوقت بسرعة وهي تعمل على تذكير عضلاتها بما قد تكون قد نسيته بعد مرور عدة أيام من الراحة.

بدأ الجو يسخن بعض الشيء، ولكن لم يكن مزعجاً مع النسمات اللطيفة التي جاءت بها من الغرب.. تذكرها النسمات برائحة البحر على الشاطئ الذي كانت تزوره كل يوم بعد انتقالها للسكن مع زوجها ركان.. توقفت عن أداء حركات البطن، ونهضت واقفة وهي تنظر للغرب.. إنها رائحة البحر بالفعل! هناك بحر قريب من هذه البقعة. لم تشعر بنفسها وهي تتطلق ركضاً في اتجاه الغرب. لاحظت أن ساحة التدريب تقع في قلب المباني التي انتشرت حولها كدولاب دائري تتسع مساحته كلما ابتعدت عن الساحة. وعندما برزت أجوان من بين آخر صف من المباني فوجئت بمنظر البحر حيث لم يكن يبعد عن مكانها إلا عدة مئات من الأمتار. أخذت أجوان خطوة نحو البحر، فلامست وجهها نسمة أخرى آتية منه ولكنها كانت أقوى وأنقى من النسمات التي زارتها في الساحة. فأيقظت النسمة ذكريات حلوة مزة من الماضي. خزت أجوان على ركبتيها ورفعت رأسها للأعلى تحاول أن تستقبل أكبر قدر ممكن من النسمات ورائحتها المالحة التي لا يضاهيها أي عبير في الوجود. الوطن.. إنها رائحة الوطن!

«آه! لا بد وأن أنفك قادك إلى هنا..»

انتهضت أجوان من شبه الغيبوبة التي كانت تعيشها، والتفتت وراءها وهي تنهض ببطء من ركوعها. احمز وجهها! لأنها تخيلت مظهرها وهي راكعة على الأرض في وسط قاعدة عسكرية، ولاحظت أيضاً أن هناك سياجاً عالياً يفصلها عن شاطئ البحر. أرادت أن تركل نفسها لهذه التصرفات البلهاء التي ستعطي انطباعاً سيئاً عنها وعن سذجاتها. وتمنت أن يكون الجنرال الشخص الوحيد الذي رآها في هذا الموضع المهرج.

«بحثت عنك في الساحة فأخبرني البعض أنهم رأوك تجرّين في هذا الاتجاه وبصراحة قلت لنفسك، لا بد وأنها تفرّ بجلدها الآن، بعد أن فهمت ما يعنيه وجودها ضمن وحدة عسكرية خاصة».

فأجابته بسرعة: «لم أجد من يرشدني لما يجب أن أقوم به اليوم.. فقامت ببعض رياضات التسخين.. ثم..»، والتفتت نحو البحر وعيناها مليتان بالوله والشوق.

تحركت شفتا الجنرال بتلك الحركة التي يمكن أن يسميها البعض ابتسامة خفيفة، وأدار رأسه لأقصى اليمين حيث قبع برجان معدنيان مدججان بالسلح، تتوسطهما بوابة معدنية. ثم أشار لها بأن تتبعه.. فلم تتردد ولا لعشر الثانية، ولكنها حرصت على أن تترك بينهما مترين على الأقل حتى لا تبدو متلهفة ويائسة بصورة مثيرة للشفقة. وعندما بلغ الجنرال أول برج، نظر للأعلى ورّد التحية للجندي المستقر فوق البرج، ثم أشار للبوابة، فاستدار الجندي واختفى عن النظر، ثم بدأت البوابة تصدر طنيناً واشتعلت الأضواء فوق البرجين، ثم تحركت البوابة مصدرةً صريراً خافتاً.

قظب الجنرال حاجبيه، ونظر للجندي الذي برز للرؤية ثانية، فلما لاحظ الجندي انزعاج

الجنرال احمر وجهه وتمتم: «سأكتب تقريرًا لقسم الضيافة يا سيدي».

لم يبد الجنرال مسرورًا برد الحارس، ولكنه لم يصف تعليقًا، وانتظر حتى انفرجت البوابة عن فراغ كافٍ لممرور شخص، ودلف منه، واستدار لينظر لأجوان. وللمرة الثانية لم تتردد أجوان، بل انضمت للجنرال خارج المعسكر، وتبعته وهو يمشي ببطء نحو الشاطئ. ولكن أجوان فقدت الوعي تمامًا، واستسلمت لغريزتها فتحول مشيها إلى عدو محموم أوصلها لحافة المياه في ثوان معدودة.. فتوقفت عند أول مد للموج.. ونظرت وراءها فوجدت الجنرال يقف مكتوف اليدين وقد مال برأسه لليمين وكان يهزه يمينا وشمالاً.. ولكنها لم تأبه به، بل أخذت أول خطوة نحو المياه ولم تتوقف. ارتفع الماء إلى ركبتيها فدخل في حذاها العسكري، فبدأت تنط على رجل واحدة وهي تنزعه بسرعة، ثم نزعت الآخر، ورمتهما للشاطئ، ثم قفزت في المياه، وانقطعت عنها الأصوات الخارجية.

«سيكون عقابك على فقدان السيطرة على تصرفاتك... ساعة تدريب شاق حول الساحة.. أما تضيقك لساعة كاملة بعيدًا عن القاعدة فعقابك: وقوفك في الحراسة الليلية لمدة أسبوع.. مفهوم؟»
«نعم سيدي!».

وقفت أجوان في وضع الانتباه، وجاءت إجابتها بحماس وصرامة وبوجه جامد خال من المشاعر، ولكنها في قرارة نفسها كانت ترقص فرحًا وتطير سعادة من قضائها ساعة تحت سطح البحر، وكانت على استعداد لأن تدفع أي ثمن وتتحمل أي عقاب من أجل تلك الساعة.

«تبدو بشرتك وعيناك أفضل حالًا منذ أن أخذت تلك الساعة للسباحة في البحر. هل هناك سر في هذا؟».

«إن بشرتي ورثتي وأجهزتي الحيوية بحاجة أسبوعيًا لامتناس الأملح والمعادن الطبيعية في البحر».

ارتفع حاجبا الجنرال للتعبير عن استغرابه لهذه المعلومة الجديدة.. وطرقت أصابعه على سطح مكتبه وهو ينظر لها شارد الذهن.

«بعد الغداء، ستبدأ تدريباتك في المراحل المتقدمة من القتال واستخدام السلاح. ومن الغد ستقضي ساعتين يوميًا تسبحين في البحر لتقوية عضلاتك.. وسيرافقك الفريق الموجود في القاعدة.. سنرى ما يمكنهم تعلمه منك».
«نعم سيدي!».

خض الجنرال عينيه لسطح المكتب، ولم يصدر الأمر بالانصراف، فتحيرت أجوان إن كان عليها أن تنصرف أم تبقى في مكانها لعل الجنرال لم ينته من حديثه معها. وطال الصمت، فاضطرت أجوان أن تنظر مباشرة لوجه الجنرال، وهي تأمل في إشارة تعينها على اتخاذ القرار في الرحيل أو البقاء. وفاجأها الجنرال بعبارة مقتضبة دون النظر لها:

«توقفي عن هذا.. لا حاجة لك بيت الطمأنينة والسكينة في نفسي.. ثم لا يليق بك تهدئة أي شخص دون استئذانه أولاً».

فاجأتها كلماته، فلم تكن تعلم أنها كانت تحاول تهدئته.

«أنا أسفة.. سيدي.. لم أكن أعلم أنني أقوم بتهديتك.. ليست فعلاً مقصوداً مني.. أعتقد أنها أصبحت عملية تلقائية كلما واجهت موقفاً محيلاً..» صمتت.. ثم استجمعت شجاعتها وسألته: «هل أنصرف؟».

«لا... لدي أخبار عن بعض التطورات.. لست متأكداً من علاقتها بك.. أو إن كانت لها أهمية..».

التردد من الجنرال؟ وفي غمر داره؟ غريب! تشنجت عضلات كتفها وتشابكت أصابعها وراء ظهرها بقوة حتى ألمتها، ولكنها لم تطلق العنان لفضولها ولاندفاعها المعهود، وانتظرت الجنرال ليكمل كلامه:

«تردنا تقارير من جهات مختلفة بوجود جماعات صغيرة من المختطفين. أمرهم يحير فرق التحقيق.. إذ إنهم يختارون ضحاياهم بطريقة غير منطقية.. فتارة يختطفون الأثرياء ويبتزون منهم الأموال بطريقة سريعة وذكية جداً.. وتارة يختطفون أفراداً عاديين لا يملكون ثروة أو منصباً.. ولكن العامل المشترك بين الضحايا غير الأثرياء هو امتلاكهم ميزة خاصة، أي قدرة تميزهم عن الناس العاديين».

قطبت أجوان حاجبها وهي تحاول استيعاب هذه المعلومات المتفرقة التي قد تبدو عشوائية للعين غير الخبيرة ولكن بالنسبة لها، مجرد ذكر كلمة «اختطاف» واقتربها بعبارة «مقدرة متميزة» يعني لها الكثير. فخبست أنفاسها وهي تحت الجنرال ذهنياً على مواصلة الحديث.

«إن فرق التحقيق تملك إمكانات جبارة وبرامج قوية تحوي لوغاريتمات منطقية معقدة.. ومن مميزات قدرتها على الربط بين العديد من المعلومات التي تبدو عشوائية وغير متصلة ببعضها البعض.. لتخرج بصورة أشمل لما يحدث في دولة واحدة أو كوكب أو حتى قطاع».

وهنا رفع الجنرال رأسه لينظر مباشرة لأجوان لأول مرة منذ أن بدأ في سرد هذه الأحداث، وقال:

«هناك مؤشرات تدل على أن هذه المجموعات تعمل ضمن وحدة متحدة الأهداف، وإن كانت أهدافها غامضة بعض الشيء، ولكنها قد تكون أيضاً تقوم بأنشطة أخرى.. منها مقتنيات ومشتريات لمواد وأجهزة تقنية عالية الوظائف. وهناك احتمال كبير أن فريق التحقيق تمكن من معرفة جهة استلام هذه المواد».

هزت أجوان رأسها، وقد بدأ الغضب يغلي في دماغها، وقالت بحدة: «كلمات وعبارات غامضة وسياسية.. اشرح لي ما تعنيه بلغة بسيطة ومفهومة، فلست سوى جندي بسيطة! أرجوك!».

اتسعت عينا الجنرال قليلاً، ولكنه كان متعوداً على ثورات غضبها الآن، وأدرك أنه قد

يكون تجاوز الحدود في مسألة انتقاء الكلمات الغامضة. فأخذ نفسا عميقا وأكمل حديثه «باختصار هناك احتمال وأريد أن أشدد على كلمة «احتمال» أننا قرييون من اكتشاف موقع المختطفين»

أومات أجوان برأسها في حركة جعلت ذقنها يلتقي بنحرها، ولم ترفع رأسها لتنظر للجنرال حتى لا يرى منظر الدموع التي بدأت تتجمع في أطراف عينيها. وضمت شفثيها بقوة حتى تحولتا إلى خط دقيق لم يترك أثرا لهما. لم تتق في أن تقول أي شيء، وانتظرت ما سيقوله الجنرال لها.

ربت الجنرال بيده على سطح المكتب مرة واحدة، وقال لها «هذا ما لدينا حتى الآن يمكنك الانصراف. ولا تنسي أن تكوني في ساحة التدريب بعد الغداء».



الحصاد

المدينة: انتيكوادو

المنطقة : الموانئ

«تخلّص منه..»

جاءت أوامر تروكار لقائد وحدة الشغب كصدمة كبيرة له، فرغم أنه اشترك قبلها بدقائق في معركة دامية أودت بحياة بعض أعضاء فريقه، بالإضافة إلى جميع أفراد مجموعة الإرهابيين، كانت معركة متساوية بين فرقتين مسلحتين. أما أن يقوم بقتل شخص فاقد للوعي بدم بارد، فلم يكن هذا جزءاً من عمله، ولا يهمه إن كانت الأوامر صادرة من مستشار السلطنة مباشرة.

«أسف.. ليس من طبعي الخيانة والجبن!»

ضحك المستشار لكلمات الكابيتان ألارز، ولم تكن تحفظاته مفاجئة له، فقد كان يتوقعها من قائد الوحدة، وكان على استعداد للتصدي لها بأسلوب قديم.. وإن كان يفضل لو لم يضطر لاستخدامه فإنه يتطلب منه مجهوداً عظيماً، ونتائجه غير مرضية في كل مرة. ولكنه بحاجة للتصرف بسرعة، قبل أن يعود للإرهابي وعيه ويتفوه بما لا تُحمد عقباه.

«اسمع يا كابيتان.. أقدر موقفك بالطبع.. ولكن يجب أن تتذكر أن السلطنة أعطتني السلطة المطلقة للتصرف في هذه العملية.. فلنناقش الأمر في خصوصية أكبر». وأنهى حديثه بتوجيه نظره للجنود المحيطين بهم، في إشارة إلى حاجتهما للاختلاء بعيداً عن بقية الفريق.

أوما القائد برأسه، وأشار بإصبع واحدة لقواته بأن يخرجوا من المخزن الكبير الذي كان يحوي الجماعة الإرهابية التي رُفعت المدينة على مدى الأسبوعين الماضيين. لم يكن القائد مسروراً بالعمل تحت إمرة المستشار، فقد تعود على أن يعمل بأوامر مباشرة من قيادته العسكرية. ولم يكن يعتقد أن إيجاد الجماعة الإرهابية سيكون بالأمر السهل، ولذلك فقد انبهر بمصادر المستشار وموارده التي مكنته من العثور على الخيوط التي قادتهم إلى هذا المخزن المهجور القريب من ميناء المدينة. وقد دارت معركة عنيفة بين

قواته وبين المجموعة التي بدت مستميتة في دفاعها عن المخزن، حتى بعد أن عرض عليهم القائد الاستسلام لحقن الدماء.

وللأسف، كان لعنادهم وإصرارهم على القتال أثر في ارتفاع عدد القتلى والجرحى بين رجاله، أما الجماعة نفسها، فما هي جثثهم تنتشر في أرجاء المخزن، وقد تكدست معظمها بجانب النوافذ المحطمة. أما هذا الناجي الوحيد، فقد كان يجلس في مقعد للاتصال الافتراضي الذي يسمح للمستخدم أن يلج عالم الشبكات الرقمية ويتواصل مع الغير وكأن جسده في الشبكة.. ولكن عند اقتحام قوات الشغب للمخزن، فوجئوا بهذا الإرهابي يطلق الرصاص على الجهاز، وهو ما سهل على القائد أن يقتنصه برصاصة اخترقت فخذه، وكان يأمل في القبض عليه حيًا، ولكنه سقط فارتطم رأسه بحافة مقعد الاتصال الافتراضي ففقد الوعي. وقد تنفس القائد الصعداء عندما اكتشف أنه لم يم، وهو أمر هام جدًا إذ قد يعترف لهم بهوية الإرهابيين وأسباب هجماتهم.. ولذلك كانت صدمته عظيمة من أوامر المستشار بقتل الناجي الوحيد، فكيف للقائد أن يدمر الخيط الوحيد الذي يصلهم بأسرار هذه الجماعة؟!

خرج آخر عضو من فريقه من المخزن وأغلق الباب الصغير وراءه، فاستدار الكابيتان إلى المستشار وهم بالحديث، ولكنه فوجئ بألم حاد في جمجمته، وتحول كل شيء إلى ضوء قوي يخرق عينيه ليستقر في كل خلية من خلايا مخه. ألصق ألارز يديه بجانبه جمجمته وبدأ يضغط بقوة وكأنه بضغطه سيخفف الألم الذي يسكن بين أذنيه. ولم يدرك أنه خز لركبتيه وهو يصرخ بدون صوت، فقد توقفت وظائف حنجرتيه من فرط الألم، فلم تخرج منه سوى غرغرة مخنوقة، لا يسمعها سوى الطارق. وفي داخل ذهنه بدأت معركة يائسة بين إرادته الضعيفة وإرادة قوة تفوق أي شيء قد واجهه إنسان عادي من قبل. صمدت إرادته لثوانٍ قصيرة، ثم تهشمت كبوابة زجاجية تناثرت شظاياها في كل اتجاه، فاستقرت في مخه العاجز عن الدفاع عن نفسه أمام قوة ذهنية فذة.

راقبه الطارق لثوانٍ، ثم عندما تأكد من أنه أحكم قبضته على ذهنه، استدار ليبحث عن كرسي فوجد واحدًا قريبًا منه وقد انقلب على جانبه، فسحبه ووضع بجانب القائد الذي كان ممددًا على جنبه ويداه لا تزالان ممسكتين برأسه وعيناه جاحظتان وقد تفجرت بعض شرايين عينيه فاحمرتا، وبدأ جسده ينتفض في نوبة تشنج حاد. جلس الطارق على الكرسي، وبدأ عملياته المعقدة، وتضايق كثيرًا مما سيضطر للقيام به الآن. فهو أسلوب بدائي كان يستخدمه في بداية اكتشافه لموهبته، ولم يعد يستخدمه إلا للحلول السريعة التي لا تحتاج للحذر أو الحفاظ على ذهن الضحية. فإن نجا القائد من هذه العملية فهو انتصار ثانوي، أما إن لم ينج، فيكفي أنه سينفذ المطلوب منه ويحقق آخر خطوة من خطة اليوم. يا له من عمل مُضني!

انتهى الطارق من عملياته المعقدة، ونهض من مقعده، ونفض بنطلونه، وجلس القرفصاء بجانب القائد، وهز كتفه ليوقظه من غيبوبته. فتح الكابيتان عينيه، وظهرت فيهما الحيرة والتشويش، فقام بسرعة وهو يتلفت حوله، وسالت من أنفه وأذنيه خطوط من الدم. لا بد أنه شعر بالدماء على شفته العلوية، فتحسسها بأطراف أصابع يده

اليسرى، وعندما أبعداها واكتشف أنه ينزف، زادت حيرته وانزعاجه، ووجه نظرة تساؤل للمستشار الذي بدا عليه القلق أيضًا، وهو يمسك بذراع القائد ويقول له: «سيادة الكابيتان.. عندما سقطت، حاولت أن أوقفك، ثم أوشكت أن أستدعي رجالك.. حمدا لله على سلامتك.. هل أستدعي الفريق الطبي؟».

«لا.. لا.. أنا بخير الآن.. ربما كان الإجهاد..».

لم يكن القائد يسمح لأحد من رجاله أن يراه وهو في هذه الحالة الضعيفة، فقد يفقد احترامهم وتنخفض معنوياتهم. ولكنه سيذهب لاحقًا من أجل فحص شامل لمعرفة أسباب الإغماء وكيف يتجنبها في المستقبل. أما الآن فهو في مهمة رسمية ويجب أن ينهيها. سمع أنينا وراءه فاستدار لينظر للإرهابي الذي بدا وكأنه يستعيد وعيه. فجاء همس المستشار في أذنه: «نعم، سيستعيد وعيه.. وسيجد محاميًا جيدًا يدافع عنه.. وربما يسجن في سجن مريح مدى الحياة.. أما من ذبحهم ودمر حياتهم للأبد.. فلا محامي يحامي عن حقوقهم.. آه لو نستطيع أن ننهي هذا كله الآن.. برصاصة واحدة! من الشجاع الذي سيقوم بهذه المهمة النبيلة؟».

حرق الكابيتان ألارز في الإرهابي لثوانٍ أخرى، ثم أخرج مسدسه من قرابه، وصوبه نحو الإرهابي وأفرغ رصاصة في رأسه.

عملت أجوان في الظلام، ودليلها أصابعها الصغيرة، وهو أمر ليس بالسهل، فالقطع التي عليها تركيبها قد انتشرت على سطح الطاولة في كل اتجاه، وهي عليها أن تتذكر مكان كل قطعة وتعود لها عندما يأتي دور تركيبها في السلاح. إنها أول محاولة لها، بعد أن أثبتت سرعتها في تركيب السلاح تحت إشراف سكالداني.. ولكن تلك كانت تمارين وهي غير معصوبة العينين. ما هذه السخافة؟ لماذا يتوجب عليها أن تقوم بتركيب سلاح في الظلام الدامس؟ لماذا لا يكون السلاح جاهزًا في الأصل؟ هؤلاء الجنود في القوات الخاصة مهووسون بهذه التمارين التعجيزية الغامضة.

فبينما تقوم سكالداني وزميلها في الأسلحة «فلوكين» بتدريبها على تشكيلة واسعة من الأسلحة اليدوية، هناك أيضًا تمارين جسدية قاسية تقوم بها بإشراف الجنرال، الذي أدرك مؤخرًا أنها لا تمتلك القوة الجسدية الكافية لقهر أي غريم قد تواجهه في أرض المعركة. ولذلك، فقد بدأ يركز على تدريبها على تجنب الضربات من العدو، والتملص من أية قبضة قد تتعرض لها في القتال الفردي. ولكي يحثها على التعلم السريع، يقوم عادة بلعب دور غريمها، وغالبًا ما يكون قاسيًا جدًا عندما لا تستطيع أن تتحرك بسرعة كافية لتجنب إحدى ضرباته، فينتهي الأمر به لتسديد الضربة بقوة تسبب لها ألقًا كبيرًا. ولذلك فهي تقضي ساعات التدريب في خوف دائم وترقب من الضربة القادمة. وحتى عندما تتدرب على استخدام الخناجر، فإنها ليست خناجر حديدية، بل قطعة من مادة غير حادة وغير قاسية، ولكنها تحوي شحنة كهربائية، تصعق سبي الحظ الذي يسمح لها بالاصطدام بجسده. ليست الشحنة قاتلة أو حارقة، ولكن قرصتها حادة جدًا لمدة ثوانٍ، والمقصود بها تذكير المتدرب بأن السكين أداة قاتلة تمامًا كباقي الأسلحة ويجب تجنبها

أناء القتال. وقد فهمت أجوان الدرس منذ اليوم الأول، ولكنها ما زالت تقع ضحية الصعق عدة مرات في اليوم.

لم تعد أجوان تتذكر عدد الأيام التي مرت منذ أن بدأت تدريباتها في معسكر لاشكار. فقد اندمجت الأيام بعضها فجر. يليه يوم طويل من التدريبات العملية القاسية. ثم بضع ساعات من التعليم النظري. ثم نوم مبكر. ثم فجر جديد. وكلما سقطت على الأرض إثر ضربة من ضربات الجنرال، أو تعرضت لصعقة من الجنرال أو من فاكسلنج، وهو عضو آخر من أعضاء الفريق، تذكرت الخبر الذي أتى به الجنرال عن احتمال العثور على طفلها، فتجدد عزمها وتنهض وتتابع التدريب. وكلما نهضت وقاتلت، ارتفع مستوى انزعاج سكالداني وهي تتفرج على التدريبات من شرفة مبنى من المباني التي تطوق الساحة.

واليوم، انضمت لهم شابة رائعة الجمال، بشعر أسود كسماء الليل الصافية، وملامح دقيقة وفم جميل. لم تقابلها أجوان من قبل، ولكنها فوجئت حينما أحسّت بها تشارك سكالداني ضيقها كلما نهضت أجوان من سقطة أخرى جاءت كنتيجة لمحاولتها لتجنب ركلة من فاكسلنج. إنه بارع جدًا في الخداع وتغيير اتجاه ضرباته، وهو ما كان يريد أن تتعلمه هذا الصباح. لماذا يعاملها فاكسلنج كزميلة تحتاج للتدريب، بينما تعتبرها سكالداني قضية خاسرة وتتمنى لها الفشل؟ ثم لماذا تشاركها هذه الغريبة الشعور ذاته، فهي لم تتعرف على أجوان بعد. هل نجحت سكالداني في إقناع هذه الشابة بأن أجوان لا تستحق احترامها كعضوة جديدة في لاشكار؟ صممت أجوان على أن تجعلها يغيران فكرتهما عنها.

أنهت أجوان تركيب السلاح بنجاح، وعندما خلعت غطاء العين واستدارت لتواجه سكالداني، استعدادًا للجولة القادمة، لاحظت أن مدربتها لم تكن تنظر لها، بل كانت تنظر وراءها، فالتفتت ورائها فلم تجد أحدًا، ولم تلاحظ تغيرًا يستدعي الانتباه. وما إن أعادت نظرها لسكالداني، حتى انطلقت حولهم أصوات إنذارات متكررة. ولكنها لم تستمر لمدة طويلة، بل انقطعت بعد بضع ثوان. تركتها سكالداني فاحتارت أجوان فيما يحدث، حتى انضم لها فاكسلنج وأشار لها أن تتبعه. فلم تعترض وانطلقت وراءه تحاول أن تجاري خطواته الواسعة. وفي الوقت ذاته، لاحظت خروج عدة أشخاص من مباني مجاورة، وبدا عليهم الاستعجال وهم يتجهون لنفس المبنى ذي الطابق الواحد الذي تتجه إليه مجموعتها.

سبقهم لباب المبنى عدة أشخاص، وكان بينهم فيلاني طويل القوائم، يرتدي الملابس ذاتها التي ترتديها أجوان وباقي الفريق. وعندما ولج فاكسلنج الباب، لم تكن أجوان تبعد عنه بأكثر من ستميمترات، فقد كانت تخاف أن يمنعها أحد من دخول المبنى لأنها جديدة، ولم تكن تعلم ما تعنيه هذه الإنذارات. وما إن دخلت المبنى حتى أدركت أنها قاعة للاجتماعات، وقد اصطفت الطاولة بشكل متوازٍ في نصف دائرة لتواجه منصة منخفضة عليها أجهزة عرض متطورة. أحست بأصابع تلامس ذراعها، فالتفتت لتجد فاكسلنج يشير لها بالجلوس بجانبه في الصف الثاني في الزاوية الأبعد عن مركز القاعة.

فتبعته في صمت وأخذت مكانها بجانبه.

اتضح أن مكانها كان استراتيجيًا لرؤية القاعة بأكملها، فراقبت أعضاء الفريق وهم يأخذون أماكنهم وراء الطاولات المجهزة بشاشات عرض صغيرة. كانت القاعة تتسع لأكثر من 20 شخصًا. ولم تمتلئ بعد. ثم فوجئت بدخول الجنرال باز من باب آخر بجانب المنصة ومعه امرأة قصيرة وممتلئة بعض الشيء وتحمل لوحة معلومات مضيئة، وهي تنظر فيها وتحرك محتوياتها بإصبعها. جالت بنظرها حول القاعة، وأومات برأسها لبعض الحاضرين، ثم اختارت مقعدًا ملاصقًا للجدار البعيد وجلست عليه وانشغلت بلوحتها.

أعادت أجوان النظر للجنرال فوجدته مشغولاً أيضًا بلوحة صغيرة، وقد قظب جبينه ورض عينيه وضم شفتيه بتركيز. ثم رفع عينيه ليتفحص من في القاعة وبدا وكأنه يعدهم، ثم مظ شفتيه قليلًا ووضع اللوحة على مقعده، فصمت الحضور. شبك الجنرال يديه وراء ظهره وأخذ نفسًا، وقال بصوته المعتدل: «لدينا مهمة جديدة.. وسنكون هذه المرة فريق دعم، لا الفريق الرئيسي».

تعلت أصوات الحماس من الحضور، وتغلب مجموع مشاعرهم الإجمالي على درع أجوان، فملأت ذهنها بالترقب والفضول وبعض الارتياح. قاومت أجوان هذا الكم الهائل من المشاعر، وإن كانت تشاركهم الفضول والترقب دون الحاجة لاستشعارها. وتعلقت عينها بوجه الجنرال وهو يجول بنظره بين الحضور، ثم تابع الحديث:

«مهمتنا لها علاقة بظاهرة الاختطاف في قطاعنا.. والتي امتدت لتشمل أفرادًا وسفنا سياحية».

سمعت أجوان فاكسلنج يصدر صفيًا خافتًا جدًا وقد اتسعت عيناه من الفضول وهمت بإلقاء أول سؤال من عشرات الأسئلة التي كانت تتراحم لتخرج من فمها، ولاحظ فاكسلنج ذلك، فhez رأسه لها يحثها على الصمت، وأعاد انتباهه للجنرال. وهنا بدأ الجنرال يظهر بعض الحرج والتردد وهو يتابع شرح المهمة:

«باختصار إنها عملية غير غريبة علينا.. فدورنا أن نتعاون مع وحدة أخرى لاقتحام منشأة مجهولة قد تحوي قوة مسلحة بالإضافة إلى رهائن».

ثم نقل عينيه للمرأة القصيرة التي دخلت معه، فنهضت من مكانها واعتلت المنصة، وبدأت في إدخال البيانات في جهاز العرض فظهرت عدة صور في الهواء، يحتوي بعضها على معلومات مكتوبة بلغة تجهلها أجوان. قامت المرأة بإخراج قطعة لقاعة من جيبها ثم أمسكت بشعرها المتوسط ولتمته في قبضة واحدة وثبتته فوق رأسها بتلك القطعة، فتحولت قمة رأسها إلى نافورة من الشعر الأبيض. ثم رفعت عينيه لتنظر للحضور، وبدأت في الحديث:

«بغض النظر عن خلفية هذه الاختطافات، صدرت الأوامر لنا بالتوجه لقمر متوسط الحجم يحوي عدة قواعد تجارية وعلمية.. وتشك القيادة أن المختطفين يستخدمون إحدى تلك القواعد كمقر لهم».

كان الجنرال يستمع لها وقد أمسك ذقنه بقبضة يده اليمنى، وأسند ذراعه اليمنى على الذراع اليسرى. وعندما أنهت حديثها، نظرت له، فأومأ لها برأسه بأن تتابع الحديث تناولت لوحها وبدأت تعمل عليه، فظهر وراءها المزيد من المعلومات والصور.

«إنه قمر كثيف الهواء، وعر التضاريس، ولا توجد عليه حياة محلية نعتبرها ذكية وكما ترون في الخرائط أعلاه، توجد على سطحه 7 - 10 منشآت متعددة الأغراض تعمل في أوقات مختلفة من العام».

ظهرت على الشاشات صوراً لأرض صخرية وعرة، ولا شيء غير الضباب الذي يلف القمر بأكمله. واستمر عرض الصور والمعلومات والشرح المفصل لبيئة الكوكب، وهي معلومات لم تكن تهتم أجوان كثيرًا.

مالت أجوان نحو فاكسلنج وهمست له: «من هذه السيدة؟».

فابتسم لها فاكسلنج، وأجاب بصوت منخفض: «إنها إيمان.. لا نعرف لها اسم عائلة.. فقط إيمان.. وهي خبيرة اللوجستيات في لاشكار».

صمتت أجوان للحظة، تراقب إيمان وهي تشرح خط سير الفريق بعد النزول في نقطة الهبوط المخطط لها. ولكنها لم تستطع أن تركز على ما تقوله، فعاتت لتميل نحو فاكسلنج وهي تتردد في صياغة سؤالها التالي: «ماذا تعني لوجستيات؟».

خرجت من فاكسلنج ضحكة مكتومة اهتز لها بطنه، وأجابها: «إنها يا عزيزتي المتدربة، كلمة كبيرة جدًا لمفهوم بسيط نقوم به يوميًا.. فنحن نجعل المعلومات لحياتنا اليومية حتى نتسلح بالمعلومات التي تعيننا على تسهيل أمورنا.. ونستعد ليومنا بالتخطيط له، فنقرر ماذا سنلبس، وماذا سنأكل وأين وكَم سيكلفنا هذا كله.. وعندما نسافر نقوم بالأمر ذاته ولكن على مستوى أكبر، فنقرر أين سنذهب وبأي وسيلة نقل، وما عدد المحطات، وماذا سننقل معنا وكيف، وكَم سيكلفنا هذا كله، وأين سنقيم ... إلخ.. هذه كلها لوجستيات.. وإيمان توفر علينا هذا كله، فتخطط لنا رحلاتنا ومهامنا وتوفر كل ما نحتاج إليه. فهمت ما المقصود باللوغستيات؟».

أومأت أجوان برأسها ببطء.. وهي تحاول أن تستوعب الشرح الذي سمعته من فاكسلنج.. ثم عادت لتستمع لعرض إيمان الذي تحول إلى نقاش حاد بينها وبين بعض أعضاء الفريق. وفي تلك اللحظة كان أكبر المعارضين أصغرهم حجمًا، فقد كان المعارض رجلًا قصير القامة، ضعيف البنية وله تقاسيم وجه ناعمة كالفتيات، مما جعل أجوان تتساءل عن مناسبه كعضو في فريق محارب. ولكن ما كان ينقصه في البنية كان يعوض عنه بصوته العميق الذي يذكرها بصوت قبطان سفينة جويت، كما كان يبدو عصبياً جدًا.

«لا أدري لماذا يتوجب علينا أن ننتظر الأوامر من فولاذ! لماذا لا تقود أنت هذه المهمة؟».

ترددت أصوات المجتمعين بالموافقة، فتقدم الجنرال إلى طرف المنصة، ورفع يده للأعلى فصمت الجميع. وجال بنظره حتى التفت عيناه بعيني كل من في القاعة، وعندما

انتهى من هذه العملية بدأ حديثه:

«صحيح أننا قد تولينا في السابق قيادة عدة وحدات، ولكن الأوامر جاءت بتسلم الجنرال لانفوردر قيادة هذه المهمة. ويا أوقصان، لن أناقش أوامر مباشرة، إلا إن كنت تود التواصل مع القيادة العليا بنفسك».

وهنا نظر الجنرال مباشرة إلى أوقصان وسكالداني وفلوكين، وابتسم لهم ابتسامة خالية من المزاح، وكأنه يقول: هل يجرؤ أحدكم على تحدي القيادة العليا؟

«المهمة ستحتاج إلى كل المقاتلين.. ثم سيسرني كثيرًا انضمامك لنا أيضًا يا شا-ها-تو-شي»، وأومأ برأسه باحترام لامرأة تجلس في الصف الأخير إلى يمين أجوان. استغربت أجوان من نبرة الاحترام العميق التي استشعرتها من الجنرال للمرأة. هناك قصة هنا، وسوف تستفسر عنها لاحقًا بلا شك. وأكمل الجنرال: «موهبتك ستكون مفيدة جدًا.. إن لم تمناعي في مرافقتنا بالطبع».

استدارت أجوان في مقعدها لتستطيع أن ترى السيدة بصورة أفضل، ففوجئت بعينيها العجيبتين. فمن موقعها في القاعة، وفي هذه الأضواء الخافتة، كانت تبدو بشرية بشعرها الأشقر القصير، ولكن لم تر أجوان أي أثر لحديقة ملونة، بل كانت عيناها الواسعتان يضاوِينَ تمامًا. واتسم وجه شا-ها-تو-شي باستدارته وبجبهة صغيرة جدًا، وفم بدا كبيرًا على وجهها الصغير. ولم تبد صغيرة في السن، إذ كان وجهها يحمل بعض التجاعيد الدقيقة على جانبي الفم، ولكنها حتمًا ليست في سن إيمان. اعتدلت السيدة في جلستها وأجابت بصوت خجول: «تشرفني مرافقتك في هذه المهمة سيدي الجنرال. وخاصة إن وافق فاكسلنغ أن يرافقنا...». وهنا نظرت لفاكسلنغ وغمزت له بعين واحدة. فضحك فاكسلنغ ورفع يديه في وضع الاستسلام والتفت للجنرال وقال بصوت عالٍ: «أنا أستسلم.. خذوني معكم!».

ابتسم الجنرال، وأشار بالتحية لفاكسلنغ، وأضاف ساخرًا: «ليست مهمة تطوعية يا صديقي، فأنت من القوات المقاتلة». ثم أومأ الجنرال برأسه، وجال بنظره في القاعة، وسأل إيمان: «أين تاتاليا اليوم؟ ألم تعد من إجازتها بعد؟».

«في العيادة، سأطلعها على التفاصيل بعد انتهاء الاجتماع. إنها تعرف أن وجودها ضروري لنجاح أي مهمة، وأعتقد ألا اعتراض لديها على مرافقتنا».

لم يعترض الجنرال على التبرير، وصدق بيده مرة واحدة، فنهض الجميع وغادروا القاعة بهدوء وهم يتحادثون بصوت منخفض. ولم تبق إلا مجموعة صغيرة تحلقت حول الجنرال وإيمان، وبدأت بينهم مناقشات جادة حول المهمة. أغلق فاكسلنغ شاشة العرض الخاصة به، ونهض من فوق مقعده وتوجه نحو المنصة حيث انضم للمجموعة. تمللت أجوان في جلستها، وقررت أن تخرج هي أيضًا وتتجه نحو المطعم حيث يمكنها أن تتناول غداءً مبكرًا، وتتابع تدريبها بعد أن ينفذ الاجتماع. ومع بلوغها الباب، جاءها صوت الجنرال وهو ينادي اسمها، فجمدت في مكانها، واستدارت ببطء، فوجدت المجموعة تراقبها، والجنرال يقف في وسطهم ويشير لها بالانضمام إليهم. أصلحت أجوان قميصها، ومشت نحو المنصة تجر قدميها حتى توقفت على بعد بضعة أقدام من

حملك فيها الجنرال لثوان قصيرة، ولكنها كانت تعرف جيدًا أنه لم يكن ينظر لها بل يفكر بعمق.

«أجوان، أعتقد أن هذه المهمة مناسبة لتعريفك بما تقوم به القوات الخاصة.. ما رأيك في الانضمام إلينا في هذه العملية؟»

المدينة: انتيكوادو

المذيع: «أعزائي المشاهدين.. إن كنتم قد انضمتم لهذا البث الحي منذ لحظات، فإننا نذكركم بأننا نبث وقائع هذا الحفل البديع من قلب قلعة السلطنة؛ حيث ستقوم صاحبة السمو السلطانة ماريونيتا أدنينرادو بتكريم مستشارها القدير تروكار أموريوس على خدماته الثمينة للسلطنة بصورة عامة، ولدوره المحوري في محاربة الإرهاب في مدينة انتيكوادو بصورة خاصة..»

المذيع: «صحيح يا لوكور، وأود أن ألفت انتباه المشاهدين في هذا اليوم التاريخي إلى أن المستشار يعتبر الشخصية الأولى التي تستلم وسام السلطنة من السلطانة..»

المذيع: «نعم، ولم تتلقَ هذا الشرف إلا شخصيتان فقط في عهد سلطاننا الراحل لاسيفو.. لذا فإن هذا اليوم مميز حقًا بما احتواه من حُظٍ ذكرتنا جميعًا بإسهامات من استحقوا الوسام في الماضي، وقد انتهى عريف الحفل منذ دقيقة من سرد إنجازات مستشار السلطانة..»

المذيع: «ها هو المستشار يعتلي منصة العرض التي رُزنت اليوم بألوان شعار سيغوفيا مع لمسات جميلة لشعار الأسرة الحاكمة.. آه! تبدو صاحبة السمو مسرورة جدًا هذا المساء، حتى إن وجهها ليشتع نورًا..»

المذيع: «صدقت.. لا أصدق أنها نزعت أخيرًا ثياب الحداد التي كانت ترتديها طوال الأشهر السابقة.. وانظري كم هو فخور سعادة المستشار وهو يستلم الوسام من مولاتي السلطانة.. نعم.. إنها لحظة تاريخية..»

المذيع: «ويعانقه الأمير هيريديرو بكل حب وامتنان.. لحظات تاريخية قد لا نرى مثيلاً لها لعقود طويلة.. إنكم محظوظون أيها المشاهدون الأعزاء..»

المذيع: «انظري لوجه المستشار وهو يحيي الجمهور الصغير المحيط بالمنصة.. هل تلك دموع تلمع في عينيه؟ معه حقًا ما الذي يمكن أن يضاهي استلام وسام السلطنة من يد السلطانة بنفسها؟!»

المهمة

تناولت أجوان كوب الشراب من جهاز التقديم وتنشقت رائحته اللذيذة التي صارت أحد الأمور القليلة التي تعلقت بها خارج كوكبها. فبسبب اختلاف جسدها وعدم معرفتها بما يمكن أن يزعج معدتها، تحتاج عادة إلى أن تحذر في مأكليها ومشربها. وقد اكتشفت أن هذا الشراب المستخلص من أعشاب المارانتا من كوكب جونكسن يهدئ أعصابها ولا يزعج معدتها مطلقاً. ولذلك فأول ما تقوم به أجوان كل صباح هو تناول كوب منه. وبما أنها تناولت فطورها في القاعدة العسكرية، ثم استقلت الوحدة بأكملها السفينة المدمرة «لجين»، وحين موعد الغداء، جاءت إلى غرفة الطعام وطلبت كوب مارانتا ساخنة. اتجهت نحو أقرب طاولة وجلست تحتسي كوبيها، ولم تستمتع بالوحدة طويلاً، إذ انضم لها كل من أنديغو وشا ها، حيث توجهتا نحو جهاز التقديم وطلبا أكواباً من الشراب وبعض الطعام. ودون استئذان أو مقدمات، وضع أنديغو طبقه وكوبه على طاولتها بصوت عالٍ، ثم جلس على كرسي مقابل لها وشرع في الأكل بسرعة ذكرتها بالأيام الأولى في معسكر التدريب؛ حيث كان المتدربون يضطرون إلى الانتهاء من وجبتهم بسرعة قبل أن ينتهي وقت الطعام.

«أجوان.. هل يمكننا الانضمام إليك؟».

بالطبع شا ها إنسانة مهذبة وستسأل قبل الجلوس على طاولة الطعام، وبالطبع، لن ترفض أجوان طلبها لأنها أيضاً مهذبة وتود أن تكسب رضا أعضاء الفريق وثقتهم وصداقتهم. فأومأت لها أجوان برأسها وهي تبتسم بلطف، وتساءلت للمرة المائة إن كانت عينا شا ها البيضاءوان لهما القدرة على الرؤية بنفس الطريقة التي يرى بها البقية. وكالعادة، لم تجرؤ على سؤالها عن طبيعة عينيها أو قدراتها التي أهلتها للانضمام لوحدة لاشكار، فلدى الهافيكي قناعة بأن توجيه الأسئلة الشخصية لأشخاص لا تربطهم بهم قرابة دم أو صداقة تعتبر من أسوأ الأخلاق. ومع ذلك لم تستطع أجوان أن تمنع نفسها من التحديق في أنديغو لتوان طويلة لتصرفه الخارج عن السياق الأدب. وعندما توقفت عن التحديق وأدارت رأسها نحو شا ها، لاحظت ابتسامة خفيفة على شفتيها دليلاً على بعض الشقاوة والفكاهة، فابتسمت أجوان أيضاً لطرافة الموقف. فأنديغو سيبقى أنديغو

ولن يتغير مهما حدثت أجوان فيه لساعات وأيام.

امتد الصمت في غرفة الطعام لا يقطعه سوى صوت أدوات أكل أنديغو وشاها، بالإضافة إلى مضغ أنديغو للأكل بصوت مزعج بعض الشيء. بينما اكتفت أجوان بالاستمتاع بشرايها وبالصمت النسبي على متن المدمرة «لجين». ففي هذا الجزء من السفينة، تم تخصيص قسم منفصل للقوات الخاصة، حيث يوجد 12 سريزا في مقصورتين، وقسم للطعام. وفيما يشغل طاقم السفينة بإدارتها وصيانتها، يبقى هذا القسم بعيدًا عن تلك الدوامة اليومية ليتيح القوات الخاصة فرصة للاستعداد للمهمة. ولكي تكسر أجوان هذا الصمت، بادرت بسؤال مهذب:

«شاها.. هل تخدمين في لاشكار منذ أمدا؟ ما طبيعة المهمات التي شاركت فيها؟»

أنهت شاها طعامها، ومسحت فمها بمنديل أبيض، ودفعت الطبق بعيدًا عنها وأسندت كوعها على الطاولة، ونظرت للطبق وزمت فمها:

«أعتقد أنني أكملت أربعة أعوام مع القوات الخاصة، وقد انتقلت لوحدة لاشكار منذ عامين أو أقل بقليل».

أخذت نفسًا ورفعت عينها لسقف الغرفة وكأنها تحاول أن تتذكر شيئًا. ثم ابتسمت ونظرت مباشرة لأجوان بعينيها الغامضتين وأضافت:

«لم أكن مخيرة في الانضمام للقوات الخاصة.. فكنت أنتقل من وحدة لوحدة لعدم إدراك القادة لفائدة ترجى من قدراتي.. وعندما تم نقلي فجأة لوحدة لاشكار، أدركت منذ أول لحظة أن هذه وحدة مختلفة، لأن قائدها شخصية لها رؤية مختلفة. وسمعت لاحقًا أنه طلب نقلي لوحدة».

ثم نظرت لأنديغو وهو ينهي آخر قطعة في طبقه، وأكملت حديثها: «المقاتلون ضخم الجثة مثل أنديغو يشاركون في جميع المهمات تقريبًا. أما أنا فلا أشارك في كل مهمة، ولكن الجنرال يعرف جيدًا متى يحتاج لوجودي. ففي أول مهمة أشارك فيها، جاءتنا التعليمات باختطاف شخصية مهمة. ولكن أثناء ذلك نشبت حرب بين عشيرتين متعاديتين على الكوكب نفسه، وهو الأمر الذي كنا قد أرسلنا لمنعنا بواسطة اختطافنا للشخصية. ومع اندلاع الحرب تعذر على الوحدة الوصول إليه، فتلقينا أوامر بإلغاء المهمة. لم يكن الجنرال مسرورًا بهذا القرار، إذ كان رأيه الشخصي الاستمرار في جهود اختطاف الشخصية حتى نزع فتيل الحرب. ولكن القيادة العليا رفضت الفكرة.. أما أنا، فكنت أقاوم هواجس قوية تدل على وقوع كارثة فظيعة.. ومع ذلك، فالأوامر يجب أن تُنفذ.. فتركنا الكوكب.. ومات الآلاف من العشيرتين. ولا أدري هل كانت تلك الآلاف قد قضت نحبها بسبب عدم تدخلنا، وهل كان بإمكاننا إنقاذ الضحايا.. استبصاري لا يجيب عن تلك الأسئلة».

بدا الحزن والأسف واضحين على وجه شاها، حتى في الطريقة التي ضغطت بها أصابعها على سطح الطاولة إلى أن ابيضضت أظافرها. أدركت أجوان أن شاها ليست من الجنود المحاربين، وأن دورها في لاشكار يتركز على تقييمها لبعض المواقف بالاعتماد على بصيرتها الفائقة الإحساس. وخطر في ذهن أجوان أن موهبة شاها تشبه موهبتها

في استشعار الأمور دون رؤيتها بالعين، ولكن في حالة شاها، تستشعر الأماكن والأحداث لا المشاعر والنوايا. ولا شك أن موهبتها مفيدة جدًا في بعض المواقف والمهام التي توكل لوحدة لاشكار.

أطلت إيمان برأسها في غرفة الطعام، فوقع نظرها مباشرة على أجوان، فأومات برأسها لها وقالت بسرعة:

«أجوان، إلى الجنرال.. الآن».

ثم اختفت من فتحة الباب، حتى شكت أجوان إن كانت قد رأتها أو سمعتها، لكن نظرات أنديغو وشاها لها، جعلتها تنهض بسرعة وتربق ما بقي من شراب وكوب في أنبوب النفايات، وخرجت من غرفة الطعام مسرعة نحو الغرفة الصغيرة المخصصة للجنرال. وعند بابه، طرقت الباب ثلاث طرقات خفيفة، فانزلق الباب لينفتح عند الطريقة الثالثة. فوجئت أجوان بوجود الجنرال عند الباب بهذه السرعة وتراجعت للوراء، ولكن وجه الجنرال شد انتباهها مباشرة، نظرًا للتركيز الحاد الذي رآته في عينيه وحاجبيه، فأدت التحية وانتظرت أوامره.

أشار لها الجنرال برأسه أن تدخل الغرفة الصغيرة، فدخلت مباشرة دون نقاش، ثم أغلق الباب بشقطة سريعة للهواء. لا تتسع الغرفة لوقوف شخصين معًا، فهي بالكاد تكفي لسرير وطاولة عمل صغيرة وكروسي وخزانة أفقية ضيقة. حاول الجنرال أن يدور حول نفسه وحول أجوان وهو يتجه نحو كرسيه، فلم تملك أجوان إلا أن تبقى مزروعة في مكانها خوفًا من الاصطدام به وهو يتحرك حولها، ولكنها اشتمت رائحة الصابون الذي استحم به منذ ساعات قصيرة.

تمكن الجنرال أخيرًا من الجلوس في كرسيه الصغير وسحب للوراء حتى يترك بعض المسافة بينه وبين أجوان دون أن يضطر إلى أن يرفع رأسه كثيرًا وهو يخاطبها.

صمت قليلًا، فلم تسأله أجوان أية أسئلة وإن كانت تستغرب استدعائه لها من دون باقي الفريق. واستشف الجنرال حيرتها فقام من مكانه وجلس على سريره وأشار لها بالجلوس على الكرسي؛ مما جعل فضولها يرتفع لمستويات جديدة. ولأنها تعطشت لمعرفة المزيد، فقد جلست على الكرسي بقوة فأصدر صوتًا عاليًا وتأرجح في مكانه، فأمسكت بطرف الطاولة لتعيد التوازن لجسدها وقد احمر وجهها من الإحراج. ولكنها أدركت أيضًا أن جسدها اكتسب عضلات جديدة بعد أسابيع من التدريبات الشاقة، فشعرت بالفخر والامتنان لتلك التدريبات بعد أن كان جسدها هزيلًا يفتقد التغذية السليمة نتيجة لكثرة كوكبها.

«تذكرين حديثنا عن المختطفين وعلاقتهم بمشتريات لمواد وأجهزة تقنية عالية الوظائف؟».

أومات أجوان برأسها وتعلق نظرها بوجه الجنرال. هل هذه مهمتهم؟ هل سيكتب لها أن تنقذ طفلها بنفسها؟ ولم تملك إلا أن تسأله بلهفة لم تستطع إخفاءها: «هل تعتقد أن طفلي معهم؟».

حك الجنرال ذقنه ونظر لها بحذر وأجابها وهو ينتقي كلماته بحرص: «لا يوجد في تقارير القيادة ما يجزم بوجود رهائن في المنشأة.. ولكننا نعلم أنه مركز أبحاث علمية، وهي الجهة التي تستلم الكثير من المواد التي يستخدمونها في عملياتهم... وليس من الحظ فقط أن تم اختيارنا لاقتحام المركز والقبض على المختطفين».

زاد حماس أجوان فلم تستطع الجلوس، بل نهضت وأرادت أن تجول في الغرفة، ولكن لم يكن المكان كافياً لأكثر من الوقوف، فعادت لتجلس في الكرسي. وقد أقلق هذا التصرف الجنرال، فقطب جبينه ووضع أطراف أصابع يده اليسرى على ركبتيها لإيقاف حركاتها العصبية، ورفع إصبع يده اليمنى بحركة تحذيرية:

«اسمعي أيتها المجنونة.. لست جندياً بعد.. ولم تنته من تدريبك.. ولن أسمح لك أو لمشاعرك الشخصية بإفساد هذه المهمة. ستستمعين للتعليمات، وستنفذين الخطة بالحرف، ولن تخيدي عنها، وإلا ستبقين على متن هذه السفينة. ثم إن العقيد لانفوردر هو المسئول الأول عن هذه المهمة، ولن يكون متفهماً لوضعك مثلي».

هز رأسه بعصبية وزفر وهو ينظر للوحات المعلومات المنتشرة على سطح طاولة العمل، ثم نهض وفتح الباب، وأشار لها بالخروج. فنهضت من مقعدها وأوشكت أن تخرج، فإنها تذكرت في آخر لحظة أنها جنديّة، فاستدارت وأدت التحية وخرجت من الغرفة وقلبها يرقص فرحاً، وفي ذهنها صورة لطفل لم تقابله بعد، رغم أنه خرج من أحشائها.

أصلحت السلطنة ماريونيتا بعض خصلات الشعر التي تعلقت بأطراف التوريق الفضي لتاجها الدقيق الصنع وأخذت تدير رأسها لليمين واليسار لتتأكد من تصفيف شعرها. بينما انشغلت خادماؤها الشخصيات بإضفاء اللمسات الأخيرة على ثوبها المخملي المطرز باللونين؛ البنفسجي والذي يعبر عن السلطنة، والبرتقالي الذي يمثل ألوان أسرة زوجها السلطان. استدارت بكامل جسدها لتتأمل لثوبها في المرايا الثلاث، فلمحت وجه ابنها هيريديرو وهو يطل من فتحة باب غرفة الملابس، فضحكت وأشارت له بالدخول:

«تعال يا حبيبي هيرو.. ما رأيك بوالدتك؟ هل أصلح في دور سلطنة؟».

ودارت حول نفسها وهي تعرض له ثوبها، فأجابها ابنها وقد امتلأت عيناه بالحب والإعجاب: «لست سلطنة.. إنك إمبراطورة الكون!!».

ضحكت ماريونيتا بحب، وطوقت وجه ابنها الصغير بيديها وقبلته على أنفه الجميل الذي ورثه عنها، وإن كان لم يرث لونها البرونزي كما كان يتمنى والده. كان هيرو طويلاً بالنسبة لفتى في الثالثة عشرة، وقد بدأ الرغب يغزو شفته العليا وذقنه. أحست به ماريونيتا بأطراف أصابعها فشعرت ببعض الحزن لأن طفلها الصغير بدأ ينضج، وقريباً سيصبح رجلاً، ولن يرضى بأن تعامله كطفل. ولكن تلك هي سنة الحياة.. ولأنها تريد أن ينضج تحت عين رجل يكون له مثلاً أعلى، كما لم يكن والده في يوم مثلاً يحتذى به.. ستقوم اليوم بعمل لم تجربوه على تخيله في السابق. من أجلك يا هيرو.. ومن أجلي أيضاً.. لأنني أستحق بعض السعادة.

وعليها أن تخبره الآن، قبل أن تذهب للقائها الذي انتظرتة أسابيع طويلة قاسية في وحدتها. وقبل أن تأمر خادمتها بمغادرة الغرفة لتختلي بابنها، تردّد طرق على الباب، فتحتة إحدى الخادمت، وتحدثت مع شخص لم تره السلطانة من زاويتها. أغلقت الخادمة الباب وعادت إلى حيث وقفت السلطانة مع ابنها، وانحنى لهما وأعلنت بصوت خفيض:

«مولاتي، لقد وصل ضيفكم، وهو في انتظاركم في مجلس الضيوف الرسمي».

خفق قلب ماريونيتا وبدأ العرق يتفصد على جبينها وفوق شفتها العليا، وأخذت أنفاسها تتسارع، وعادت لتتأمل لنفسها في المرأة وتتأكد من أن كل شيء يبدو كاملاً. وعندما استدارت وجدت هيرو ينظر لها مستغرباً من لهفتها وتجاهلها إياه، فابتسمت له مشجعة ومتأسفة في الوقت ذاته، وقالت وهي تسرع نحو الباب: «هيرو، حبيبي، سأعود وأكمل الحديث معك! طيب! سأمر عليك في غرفتك..».

خرجت من غرفة الملابس وخطواتها تتسارع، مما جعل الخدم يهمسون باستغراب، فما عهدوا السلطانة تهرول في ممرات القلعة بهذه الصورة. ولاحظت ماريونيتا النظرات التي يتبادلها المارة في البهو، فابطأت خطواتها والتقطت أنفاسها وتمنت ألا يلاحظ أحدهم الاحمرار الذي على وجهها وهي تعنف نفسها على تصرفها كفتاة في السادسة عشرة. وجدت نفسها تقف أمام مجلسها الرسمي.. فرفعت رأسها بشموخ، وصلبت ظهرها وأخذت نفساً عميقاً، وأشارت للحارسين فقام أحدهما بفتح الباب لها، فدخلت منه إلى مجلسها.

في البداية خُيل إليها أن المجلس فارغ، ولكن تحرك ظل في زاوية معتمة منه، فأدركت أن مستشارها اختار أن يجلس في المقعد الأبعد عن كرسي السلطانة. استغربت خياره، وهمت أن تنضم له في تلك الزاوية، ثم تذكرت أن هذا مجلسها الرسمي وأنها هنا السلطانة، وأن عليه هو أن يأتي لها. فتجاهلته وأخذت مكانها على كرسيها الأصفر المزركش بشرائط أرجوانية.. ونشرت ثوبها حولها ووضعت قدمها اليسرى وراء كاحلها الأيمن وشبكت أصابعها في حضنها ونظرت للزاوية التي جلس فيها ضيفها، حيث بدأ يتحرك وينهض من مقعده.

اقترب تروكار منها، وانحنى لها بصمت، وعندما رفع رأسه، التقت عيناهما لمدة غير قصيرة، وانسابت الكلمات بينهما دون الحاجة لحديث. ابتسمت ماريونيتا بخجل، وطأطأت رأسها وعاد قلبها ليقرع ضلوعها حتى خافت أن يكسرها من عنف طرقاته. حاولت أن تفتح فمها لتقول ما يدور في ذهنها وقلبها ولكن كبرياءها منعتها من الحديث، فطالت نظرتها للسجادة، حيث توقف حذاء تروكار. تنهد واقترب منها ببطء وهدوء حتى بلغت أصابعه وجهها، فانزلقت إلى ذقنها ثم رفعته لتتأمل إليه مباشرة. لمعت عيناه للحظة، فانجذبت عيناهما له حتى ضاعت في أعماقهما وفقدت الإحساس بالوقت.

أفاقتها من شرودها كلمات كانت أمنيتهما أن تسمعها منه، رغم أنها استدعته اليوم لتطرحها بنفسها:

«مولاتي السلطانة الجميلة.. لا أعلم إن كان لإنسان تافه مثلي أتى من إقليم صغير أن

يتجراً على التفكير في أن يقول هذه الكلمات.. ولكنني أضع حياتي بين يديك وأقولها.
هل تقبلين بي زوجاً؟»

تأكدت أجوان من ربط حزام القناع خلف رأس شاها، ثم استدارت لتعطي لشاها الفرصة للتأكد من قناعها أيضاً، فهما شريكتان في هذه المهمة. فنظراً لانخفاض نسبة غاز الأكسجين في الغلاف الجوي لهذا القمر وكثافة أجوانه، سيضطر أعضاء الوحدة لارتداء الأقنعة للتمكن من التنفس براحة. ورغم أن الجو الكثيف للقمر لا يحوي غازات سامة، فإن قضاء أكثر من 30 ثانية بدون قناع يسبب للبشر إغماء من قلة الأكسجين. وهو ما سيشكل تحدياً للوحدة المقاتلة في هذه المهمة المعقدة. وما سيعقد الأمور أكثر وجود وحدة فولاذ على الكوكب، هبطت منذ ساعتين ولم ينتظر قائدها وصول وحدة لاشكار، مما جعل الجنرال باز فالار يفقد أعصابه على غير العادة، ويبدأ في الصراخ والسباب في منتصف الاجتماع عندما أبلغه قبطان المدمرة بما يحدث على سطح القمر.

ويبدو من رد فعل بعض أعضاء لاشكار أنها ليست المرة الأولى التي يتصرف فيها قائد فولاذ بهذه الطريقة التي قد تعقد المهمة وتضع حياة الجميع في خطر. ولكن أوامرهم تنص على تقديم الدعم لوحدة فولاذ، ولذلك فهم الآن في جوف المكوك يستعدون للهبوط في موقع حدده لهم قائد فولاذ كنقطة آمنة يمكنهم الانطلاق منها إلى هدفهم - قاعدة المختطفين التي تتخفى وراء اسم مركز أبحاث علمية. وكانت تعليماتهم تقضي باقتحام المركز واعتقال المختطفين والتحفظ على كل الرهائن والأجهزة والبضائع التي يجدونها في حوزتهم.

أنهت أجوان الخطوات العملية التي تعلمتها من زملائها - ارتدت الملابس المموهة الرمادية اللون، وأحذية ثقيلة، وقفازات متينة، وأقنعة التنفس، وتأكدت من فاعلية سلاحها للمرة الثالثة، ومن أن حقيبتها تحوي ذخيرة كافية وغذاء اقتحام ووجبات تكفي لثلاثة أيام. بالطبع لم يتوقع أحد أن تمتد المهمة لأكثر من ساعات قصيرة محمومة تنتهي بالكثير من الجثث، وإن كانوا محظوظين، لن يكون أحدهم بين هذه الجثث. وماذا عن طفلها؟ هل اقتحامهم للمركز سيعرض حياته للخطر؟

لم يكن هناك شك لدى أجوان بأن القدر قد قادها إلى مكان طفلها، تماماً كما كانت تخطط له عندما انضمت لوحدات القتال الخاص. ففي كوابيس نومها القاتمة، تقاثل أجوان عشرات المختطفين في ممر طويل يشبه ممرات محطة الضاغط، وفي كل حلم كانت تقتلهم بطرق مختلفة فيتساقطون في الممر، وتلمح عند نهاية الممر باباً مفتوحاً يؤدي إلى حجرة يشع منها ضوء قوي يمنعها من رؤية ما بداخلها، ولكن لديها إحساساً قوياً بأن طفلها في تلك الحجرة، فتتابع الجري والقتال.. ولكن الممر يمتد لأميال، والمختطفين يتكدسون أمامها ويمنعونها من بلوغ الباب وما وراءه. ويملاً قلبها الإحباط واليأس فتستيقظ على صوت أنينها وانحباس الأنفاس في صدرها.

تغير هدير محركات المكوك، فصرخ الجنرال بصوت عالٍ يأمرهم باتخاذ أماكنهم بجانب الباب، وفيما سارع الفريق بحمل أمتعتهم والتزاحم عند الباب متمسكين بحلقات

ثابتة في سقف المكوك كي لا يسقطوا، تابع حديثه:

«مهمتنا تعتمد على ثلاثة عناصر، كما تعلمون: السرعة، والمفاجأة والقوة الهائلة.. هناك احتمال أننا فقدنا عنصر المفاجأة.. اللعنة على لانفوردر إن كان تهوره قد تسبب في فشل المهمة. تذكروا جيدًا أن تحرسوا ظهور بعضكم البعض».

قال العبارة الأخيرة وهو ينظر مباشرة إلى أجوان، فتضايقت لأنها فهمت من نظراته أنه ما زال يحمل شكوكًا بشأن قدرتها على تأدية مهامها دون السماح لعواطفها نحو طفلها أن تشوش تفكيرها. وكأن المكوك يتأمر معه، فمال إلى الأمام بزاوية غير مريحة جعلتها تتعثر وهي تحاول أن تمسك بالحلقة العلوية وتثبت الحقيبة على ظهرها في الوقت ذاته. فمد أنديغو يده نحوها وأحكم قبضة حديدية حول كوعها ليمنعها من السقوط. وللوهلة الأولى أرادت أجوان أن تزجره للمسا، إلا أن استشعارها كشف لها عن رغبته الصادقة في حمايتها من السقوط ولا شيء غير ذلك، فعضت على لسانها ثم أمسكت بالحلقة العلوية وأومات برأسها لأنديغو كناية عن الشكر. إنه آلة قتل حقيقية خالية من المشاعر المعقدة. وقد سمعت من بعض أعضاء الفريق أن أنديغو صاحب العضلات المفتولة والوجه الحجري المربع، قد اختار في الماضي أن يخضع لتعديل جيني لعضلاته حتى يشارك في القوات الخاصة، وهو ما غير ملامح وجهه لتبدو مثل الحجر المربع.

ما إن حط المكوك وفتح الطاقم بابه حتى انطلق فاكسلنغ يتبعه الجنرال ويأتي بعده كل من سكالداني وفلوكين مدججين بأسلحة متوسطة الحجم، تفوق حجم وقوة سلاح أجوان. ثم أتى دور إيمان، وتبعتهما تاتاليا ولكن ليس بنفس السرعة والخفة. وما إن تحركت تاتاليا للأمام حتى قفزت أجوان من المكوك وساعدت شها على النزول بسرعة ودون مشاكل، وتبعتهما من سبقهما. وكانت أجوان تعلم أن أوقصان وأنديغو وماتيندي العملاق سيقفزون وراءها مباشرة فلم تخفف من سرعتها حتى لا يصطدم بها جبالن من اللحم الهائل، فتلك كارثة لو أنها حدثت، فبالرغم من أن أنديغو يعتبر كبير الحجم بكل المقاييس، فإن ماتيندي الأوسوي كان يفوقه حجمًا وقوة، وهو ما يميز كل أفراد عرقه، ويجعلهم نموذجًا مثاليًا للمقاتل الشرس.

سمعت أجوان المكوك يطلق محركات الدفع، وبدأت الأرض تهتز تحت قدميها، ولكنها لم تنظر للخلف واستمرت في الركض وراء تاتاليا، فإن منظر ظهر الطيبة كان المؤشر الوحيد لوجهتهم، إذ ما إن حطت أقدامهم على الكوكب حتى لفهم الضباب البارد الذي لا يسمح إلا برؤية بضعة أمتار في أي اتجاه. ولذلك لم تستطع أجوان أن ترى الجنرال أو أي عضو آخر من أعضاء الفريق، ولكنها كانت تسمع أقدامهم وهم يجرون على أرض صخرية فحمية اللون تناثرت عليها أحجار صغيرة جعلت الركض بسرعة أمرًا خطيرًا بعض الشيء. ومع ذلك لم يخفف أحد السرعة، وربما يعود الفضل للأحذية الثقيلة التي صممت تقنيًا لتبعت الثقة في قلب الذي يرتديها، فهي تلمسك بالأرض عندما تلتقي بها ولو لعشر الثانية، وهو سبب استخدامها على هذا القمر المنخفض الجاذبية. وهنا لاحظت أجوان لأول مرة أن الحصى الصغير الذي يتبعثر لدى ركلهم له، يستمر في التدحرج والطيران لمسافات ما كانت ممكنة لولا الجاذبية الضعيفة.

امتدت دقائق طويلة وهم يجرون دون توقف، وخيم الصمت على المجموعة. ومع رحيل المكوك لم تعد أجوان تسمع إلا صوت أنفاسها المتسارعة ترتد في داخل قناعها فيتعاظم صوتها في أذنيها. لاحظت أن تاتاليا رفعت قبضتها في الهواء وبدأت تتباطأ في الركض، وفورًا قلّدت أجوان حركتها وبدأت تخفف من سرعتها، ولكن دون أن تفقد مشهد ظهر تاتاليا. وحالما رأتها تقف، توقفت هي بدورها، ومالت للأمام ووضعت يدها على ركبتيها وهي تلتقط أنفاسها.

تجمع أعضاء الفريق حول الجنرال وراح يعيد شرح الخطة التي كشفها لهم على متن المدمرة لجين.

تمددت شاها على ظهرها وشخصت بعينيها البيضاوين نحو السماء التي تختفي وراء مئات الأمطار من الضباب. واستلقت أجوان بجانبها منبطحة على بطنها، وراقبت شاها بطرف عينا بينما انتشر باقي أعضاء الفريق بالطريقة نفسها فوق مرتفع صخري تغطيه طبقة من الحصى الصغير المدبب الذي أثار في ذهن أجوان ذكريات لمعسكر التدريب. ولحسن حظها أن البدلة العسكرية المموهة التي ترتديها لهذه المهمة قد صنعت من أقمشة غليظة تستخدم لمقاومة عوامل الطقس في المهمات التي تجري على سطح كواكب موحشة، كهذا القمر مثلاً. ولذلك لم تتسبب الأطراف الحادة للحصى في أية جروح حتى الآن، ولكن لا يزال الانبطاح فوقها أمراً غير مريح. عادت لتراقب شاها وعاد تساؤلها: إلام تنظر هذه المرأة الغريبة العينين؟ تبدو منغمسة تماماً، وكأنها تقرأ كتاباً مشوقاً. بعد دقائق تركتها أجوان وعادت النظر حولها.

لم تكن متأكدة من جدوى الانتظار فوق هذا المرتفع الصخري، فلم يكن الضباب يسمح لهم بالتجسس على المركز الذي يقع على بعد 200 متر من موقعهم، كما أنه لن يسمح لأحد أن يراهم، فلم الحاجة للانبطاح بهذه الطريقة السخيفة؟ ومع ذلك لم تتحرك من مكانها، فالخطة التي وضعها الجنرال لانفوردر تقضي بتطويق المركز من صوبين، ثم بعد التخلص من الحرس المحيط به - إن وجد - ستبدأ عملية اقتحام المركز بسرعة وبقوة تضمن السيطرة عليه قبل أن يتنبه أصحابه لما حدث.

وبما أن وحدة لاشكار لا تملك إلا كشافاً واحداً، فقد انفصل فاكسلنغ عنهم وشق طريقه عبر الضباب نحو المركز ليستكشف الطريق ويتأكد من عدد الحرس ومواقعهم، بينما تقوم وحدة فولاذ بدور مماثل من الناحية الشمالية. أما الجنرال فقد اتخذ لنفسه موقفاً أعلى من بقية الفريق وأسند ظهره لصخرة بحجم ثلاثة رجال، وأخرج إحدى سكاكينه وكان يشحذها على حصة صغيرة وجدها بجانبه. ورغم أن صوت السكين وهي تحتك بالصخرة كان خافتاً، فإن أذني أجوان الحساستين تضايقتا من الصوت المتكرر والإحساس الذي كان يصيب أسنانها من مجرد سماعه. ولأنها لا تستطيع أن تطلب من رئيسها المباشر أن يخرس الصوت، شغلت نفسها بحصة صغيرة بيضاء اللون وبدأت تحكها بعصبية على صخرة أخرى ماثلة لها، وكادت تقفز واقفة عندما ولد الاحتكاك شرراً خفيفاً. ثرى، ما هي هذه الصخور؟

ولكن قبل أن تستغرق في تلك الفكرة، جاءهم صوت فاكسلنغ عبر سماعات القناع:
«باز.. لا أثر لأي حراسة.. هل تسمعي؟ لا أثر لأي حراسة»
رفعت أجوان رأسها لتنظر لوجه الجنرال، ولكنها لم تستطع أن تميز تعابير وجهه في
هذا الجو الكثيف، ومع ذلك سمعت الحيرة في صوته وهو يستجوب فاكسلنغ:
«ما المسافة التي كشفتها حتى الآن؟»

فأنته إجابة فاكسلنغ بسرعة:
«الخط الجنوبي بأكمله، ويمتد نحو 80 مترًا. صدقني بحثت جيدًا.. ثم إن جدران
المركز لا تصدر المهمة المعهودة من مولدات الطاقة»
صمت الجنرال للحظات ونهض من مكانه ووضع السكين في غمده المربوط بفخذه
الأيمن ووقف يواجه المركز وكأنه يستطيع أن يراه خلال الضباب الكثيف.
«ما تقديرك للموقف يا فاكسلنغ؟»

سمع الجميع فاكسلنغ يتنهد ثم يأخذ نفسًا، وتخيلته أجوان يهز رأسه في حيرة كعادته
عندما يفكر بعمق في مسألة ما.
«لا يروقني ما أشعر به الآن..»

وفي تلك اللحظة شهقت شاها، وجلست بسرعة حتى تناثرت الأتربة والحصى حولها،
ثم بدأت تهز رأسها يمينًا ويسارًا كمن ينكر شيئًا، وأخذت تردد كلمات بصوت خافت
التقطته سماعاتهم بصعوبة:
«لا فائدة هنا... لا فائدة.. لا فائدة ترجى.. هنا أو هناك..»

استدار الجنرال لينظر إليها، واقترب منها وهو يكمل حديثه مع فاكسلنغ:
«فاكس.. هل رأيت أحدًا من فولاذ؟»

«لا.. أعتقد أنهم مشغولون بالمحيط الشمالي.. ولا أدري ما نتائج بحثهم»
جلس الجنرال القرفصاء بجانب شاها وراقبها وهي تكرر كلماتها وتهز رأسها، وفي
الوقت ذاته، أخرج من أحد جيوبه لوحًا صغيرًا وبدأ يضغط على بعض الأزرار، ثم تكلم
ولكن بنبرة مختلفة هذه المرة:

«لانفوردر.. هل تسمعي؟ ما نتائج الكشافين؟»
لم يسمعوا إجابة مباشرة، ولكن بعد مرور عدة ثوانٍ، جاءهم صوت رجل:
«باز.. ألسنت تخرق تعليماتنا بالحفاظ على التعقيم خلال هذه المرحلة؟»
«نخ التعليمات جانبًا الآن.. كشافنا يقول إن المحيط الجنوبي لا تحميه أية قوة
حراسة.. وماذا عن المحيط الشمالي؟»

«نعم.. النتائج نفسها في المحيط الشمالي.. نحن نستعد الآن للاقتحام. ستتحرك في
خلال 180 ثانية. أرجو أن تكون مستعدًا بوحدتك الصغيرة»
كانت نبرته الساخرة واضحة لكل من يستمع للمحادثة، ومع ذلك، لم يغادر الهدوء

صوت الجنرال باز وهو يجيب على قائد فولاذ:

«لأنفوردر.. هناك أمر مريب، ولا أعتقد أن المركز يعمل..»

ولكن قبل أن ينهي الجنرال باز جملته، قاطعه لأنفوردر بنبرة عدم اكتراث:

«اسمع يا باز.. أنا قائد هذه المهمة.. سنبدأ اقتحامنا في أقل من 160 ثانية، وأرجو أن

تكون وحدتك قريبة من أحد المداخل الآن، وإلا ستفوتكم الحفلة. انتهى».

استغربت أجوان من موقف قائد فولاذ، ولكن ما أذهلها هو هدوء الجنرال باز وهو يراقب وجه شاها.. والتي بدأت ترتجف وهي تحضن نفسها وتردد: «هنا وهناك..» عض الجنرال على شفته السفلى ومد يده ليلمس ذقنه بأصابعه، ولكن منعه القناع من ذلك، فأعاد يده للوح الاتصال وغيره لقناة فاكسلنج:

«فاكس.. وحدة فولاذ ستقتحم الهدف في خلال أقل من دقيقة.. عد إلى المرتفع. الآن. انتهى».

نهض الجنرال ونظر لإيمان فطافت بينهما نظرة لم تفهمها أجوان ولكنها استشعرت لهفة وحرًا فائقين. ولم تطل النظرة؛ إذ التفتت إيمان لتاتاليا وأشارت لها فاتجهت الاثنان إلى حيث جلست شاها وأمسكت إيمان بذراع شاها وسحبته لتقف بجانبها، بينما قامت تاتاليا بالتقاط حقيبتها الصغيرة. ثم ظهر أنديفو دون أن يصدر أي صوت وناول سلاحه الضخم لأجوان التي فوجئت بتخلي أنديفو عن سلاحه وأذهلها وزن السلاح الثقيل. أما أنديفو فأنحنى للأمام ورفع شاها فوق كتفه، بينما تحدثت إيمان مع المدمرة لجين وطلبت منهم إرسال المكوك لإحداثيات أعطتهم إياها.

أشار لهم الجنرال، فانسحبت المجموعة، بينما بقي الجنرال وبجانبه ماتندي بجانب الصخرة الكبيرة. ترددت أجوان هل تتبع المجموعة أم تلازم مكانها؟ ثم ماذا حدث لخطة الاقتحام؟ لا يبدو أنهم سيقتممون المركز الآن، ولكن من سينقذ طفلها؟ كيف تهجره بعد أن وجدته؟ أغاظها صمت الجنرال وعدم اكترائه بما تمر به، فتقدمت إليه بخطوات غاضبة وسألته:

«هل ستفادر بهذه البساطة دون أن ننقذ طفلي؟ كيف تأتي بي إلى هنا، ثم عندما أكون على بعد أمتار منه، تأمرني بالرحيل؟ أنت إنسان قابس وعديم الإحساس! وإن لم تذهب معي الآن لإنقاذ طفلي فسأذهب وحدي!».

استدار الجنرال نحوها، وكان واضحاً أنه ممزق بين أمرين، ولكن أجوان لم تعره اهتماماً؛ بين لهفتها لإنقاذ طفلها، وخوفها من أن يرغمها الجنرال على مغادرة المكان رغماً عن إرادتها. وهو ما لاحظته الجنرال، فأجابها بهدوء:

«هناك شيء غامض في هذه المهمة.. ولست مرتاحاً لدخول المركز دون الحصول على معلومات إضافية.. مسئوليتي الحفاظ على حياة وحدتي أولاً..».

فقاطعته أجوان بحرقه:

«بينما تقف هنا تنتظر معلومات أخرى، هناك قوة مسلحة تتجه نحو المركز، وليست لديهم أدنى فكرة عن وجود طفل في المنشأة. أرجوك.. أرجوك.. أخبرهم على الأقل..».

«أجوان، إنهم يعلمون باحتمال وجود رهائن، لقد تناقشنا في هذا عندما أطلعناكم على تفاصيل المهمة..».

لم تصدق أجوان ما يقوله الجنرال، بل لم تعد تسمع كلماته. ومر في ذهنها شريط لكل الأشهر التي قضتها في ياس قائم تنتظر كلمة تعيد لها الأمل وهي في عجز تام عن فعل أي شيء لتغيير ظروفها.. وها هي تقف على بعد أمتار قليلة من طفلها.. وهي الآن ليست عاجزة، بل هي جندية مقاتلة، تحمل سلاحا. نظرت لسلاح أنديغو ورمته على حصباء الأرض، ثم استدارت دون أن تنظر للجنرال وأطلقت العنان لرجليها حتى بلغت حافة المرتفع ثم بدأت تنزلق تارة وتقفز تارة أخرى وهي تنحدر حتى وجدت أقدامها السهل المنبسط فانطلقت ثانية، متجاهلة صرخات الجنرال وراءها وهو ينادي اسمها. ولكن نداء لها لم يزلها إلا إصرارًا على مواصلة الجري نحو هدفها.

ولكن الضباب الكثيف لم يسمح لها برؤية الهدف، كما برزت أمامها صخور متفاوتة الأحجام، فكانت تجري عمياء في اتجاه تأمل أن يؤدي بها إلى المركز.. وإلى «فاكسلنج». لا بد أن فاكسلنج سيتفهم موقفها ويساعدها في العثور على طفلها. يجب أن تعتز على فاكسلنج وتشرح له ما تريده منه، وحينها لن يرفض مساعدتها، فقد أثبت لها أن له قلبًا كبيرًا.. أين أنت يا فاكسلنج؟ لم تستطع أن تمنع نفسها من الصراخ باسمه. وفي لحظة خُيل إليها أنها سمعته يجيبها في اتجاه المرتفع خلفها، ولكن صوت أنفاسها العالية في أذنها، وأنفاس الجنرال في السماعه جعلها لا تجزم من أي اتجاه جاء الصوت.

ثم انقلب الضباب الكثيف المعتم إلى قطعة من الشمس انطبعت في شبكية عينها فجعلتها تتعثر وتحاول الوقوف، ولأن وزن الحقيبة على ظهرها أفقدها التوازن، سقطت على ركبة واحدة ودفعت بيديها أمامها ل تمنع جسدها من السقوط للأمام. وفي تلك اللحظة ارتطمت بها قوة جبارة كقبضة عملاقة ضربت رأسها وكتفها، فسقطت للوراء حيث بقيت ممددة ومذهولة لبعض الوقت.

هناك هدير في أذنيها، ووراء الهدير أزيز مزعج يشبه صوت صانعة شراب المارانتا أثناء تحضيره. هل غفت على طاولة في غرفة طعام السفينة؟ وها هي أيدٍ تهزها لتوقظها من غفوتها اللذيذة. فتحت عينيها وهي تتوقع نظرات سخرية واستهزاء من أحد أعضاء فريقها، ولكنه وجه الجنرال يبدو غاضبًا ومرعوبًا في الوقت ذاته.

«أجوان! أجوان! انهضي.. هيا.. علينا أن نغادر المكان. هل تستطيعين المشي؟ أين سلاحك؟».

ساعدها الجنرال على الجلوس فتلفتت حولها بحثًا عن سلاحها، ثم تذكرت اللحظة التي انقلب فيها الضباب شمسًا، فنظرت ليمينها فوجدت الضباب قد ازداد كثافة، ولكن هذا الضباب كان أسود ومخيفًا تندس بين غيومه ألسنة من اللهب.

رأى الجنرال دهشتها وذهولها فوضع يده تحت إبطيها ورفعها ليساعدها على الوقوف، ثم ناولها سلاحها، ووضع وجهه مقابل وجهها بحيث التقى القناعان محدثين صوتًا، وصاح في وجهها:

«يا مجتدة.. علينا الرحيل.. الآن.. فقد انفجر المركز وربما قُتل جميع أعضاء وحدة

قولاً: وهو ما كنت أخافه.. هيا.. سنتجه للمكوك».

لعل أجوان كانت ستتبعه دون اعتراض، وربما كانت سترفض الانصياع لأوامره وتكمل ما بدأته؛ لكنها فوجئت برذاذ أحمر يغطي جزءاً من قناعها، وفي الوقت ذاته تشنجت يد الجنرال المحيطة بذراعها بقوة، ثم سحب الجنرال يده وهو يترنح للوراء ويصيح: «انبطحي.. انبطحي..».

وقام بالفعل بالانبطاح على بطنه، بينما استمرت أجوان في مراقبته بذهول، فأمسك الجنرال بكاحلها وهزها بقوة، وهنا فقط لاحظت بقعة حمراء تغطي مقدمة كتف الجنرال وتمتد لظهره. ولأن ذهنها لم يسعفها على تكوين أفكار منطقية، تحكمت غريزتها في جسدها، فثنت ركبتها ووقعت للأمام ثم انبطحت أرضاً. «جهزي سلاحك.. نحن محاصرون».

فأعدت سلاحها وهي تسأله بصوت يرتجف من صدمة الانفجار ومن رؤية دمه على قناعها:

«هل إصابتك خطيرة؟ من أي اتجاه جاءت الطلقة؟».

فأجابها وهو يجول بنظره في اتجاه محدد بعيداً عن الدخان الأسود:

«أعتقد أن الطلقة كانت موجهة لرأسك، ولكن لا أستطيع أن أجزم أن العدو آت من هذا الاتجاه فقط».

راقبته أجوان وعجبت لعدم اهتمامه بإصابته وتركيزه الكامل على البيئة المحيطة بهما. ثم لمس الجنرال جانب قناعه وتحدث بصوت هادئ:

«سكالداني! فلوكين! أنديفو! ماتندي! لم نعد الوحيدين المدعوين لهذه الوليمة. هل تستطيعون أن تطوقونا ومن يتربص بنا؟».

ومباشرة جاءه صوت فاكسلنج وأنديفو بكلمات متداخلة، فصاح فاكسلنج بصوت أعلى ليطلق على أنديفو:

«باز، أنا آت من خلفك.. لا توجد قوات معادية من هذا الاتجاه».

«وأنت يا أنديفو هل واجهتم مقاومة في طريقكم للمكوك؟».

فأجاب أنديفو بصوت يدل على أنه كان يجري بشدة:

«لا.. أنا عائد إليكم ومعني فلوكين وسكالداني. تركت إيمان وتاتاليا وشاه..».

أوما الجنرال برأسه، ثم نظر لأجوان وسألها:

«هل استعدت صوابك؟ هل أستطيع أن أعتمد عليك الآن؟».

فأومأت له برأسها لأنها لا تملك كلمات أو وقتاً لما تريد أن تقوله وللأسئلة التي تتصارع في ذهنها. فأشار لها اليمين:

«في ذلك الاتجاه يقع المركز، ومن الواضح أنه تعرض للتفجير، وعلينا أن ننسحب للمكوك».

وهنا أشار ليسار، كناية عن موقع المكوك. ثم أشار للأمام:

وكان من يتربص بهم سمع حديثه فأراد أن يثبت صحة توقعاته، إذ انطلقت فوق رؤوسهم عدة طلقات، قوبلت في ثوان بطلقات من الجانب الآخر. خطر في ذهن أجوان أن ما يحدث حولها مشهد كابوس مجنون! هل كان طفلها في ذلك المركز الذي سمعته ينفجر؟ وما هم الآن محاصرون! ولا يستطيعون رؤية العدو بسبب كثافة الضباب، والذي زاد الطين بلة الدخان الذي بدأ ينتشر فوق رؤوسهم ليجعل الأوضاع أسوأ مما كانت عليه بوجود الضباب فقط.

وكان الموقف لم يكن مخيفاً بما فيه الكفاية، فلاح فوقها ظل هائل، فحاولت الانقلاب غريزياً على ظهرها، تنوي أن تستخدم سلاحها للدفاع عن نفسها ضد هذا العدو الغامض، ولكن حقيبتها اعترضت عملية الانقلاب، ثم لاحظت الظل يميل فوقها فلمحت شعار القوات الخاصة على صدر بذلته، فأدركت أنه أحد أعضاء فرقته، فأغمضت عينيها وحاولت أن تلتقط أنفاسها. وانبطح ماتندي بجانبها كصخرة جبارة، مما بث في قلبها بعض الشعور بالأمان. وزادها ثقة انضمام باقي أعضاء الفريق لهما على الأرض. ولكن التعليمات التي صدرت من الجنرال بعدها استوقفتها لغرابتها:

«أجوان، استخدم استشعارك لمعرفة عدد أفراد العدو ومكانه».

ورغم دهشتها من سخافة الطلب، فإنها لم تعترض ولم تُلْقِ أسئلة غير ضرورية في هذه اللحظات الحرجة، بل سمحت لدرعها أن تنزلق قليلاً، فاجتاحتها مشاعر كل من حولها، واختلطت جميعها في كومة من الأسلاك الشائكة التي انغرزت في ذهنها وأرغمتها على رفع الدرع ثانية. ولكنها تذكرت أهمية ما طلبه الجنرال منها، وأدركت أن عينيه تراقبها، لا انتظاراً لإجابة السؤال فحسب، بل لمعرفة ما تفعله الهالات المحيطة بها والتي لا يراها غيره.

أخذت نفساً عميقاً وأحكمت قبضتها الذهنية على أعصابها ثم خفضت درعها قليلاً، وفوجئت بالسلاسة التي أبدتها ذهنها في تأدية مهمته، فقد بدأ في تصنيف المشاعر المحيطة بها، فكان يتناول ما يأتيه من مشاعر ويتفحصها لمعرفة طبيعتها ومصدرها، ثم يصنفها ويزج بها جانباً بحثاً عما يليها. ولأنها انشغلت تماماً بما تفعله لم تلاحظ أنها كانت تجرُ بقوة على أسنانها، وأن أصابع قفازها قد انغرزت في التراب الرمادي المغطى بالحصى الصغير وأن عينيها المفتوحين لم تعودا تميزان ما تراه أمامها، فهي تطفو في شبه غيبوبة. ولم تزعجها يد الجنرال التي وضعها على ظهرها، فقد فهمت مباشرة أنها طريقته في تذكيرها بأن جسدها موجود وأنها مستلقية على بطنها على الأرض .. وأنه بجانبها وسيحميها من الخطر إذا باغتهم أثناء غفلتها عما يجري حولها.

انتهى ذهنها من تمييز وتصنيف مشاعر زملائها، ثم تراءت لها عن بُعد كومة جديدة من المشاعر الشائكة، وهالتها كمية الحقد والانتقام التي تغلغلت في كل ذرة من تلك المشاعر. إنها مشابهة تماماً لمشاعر أوراكا في تلك اللحظات الأخيرة التي سبقت موته. لقد كانت لمشاعر أوراكا نحوها مبرراتها، فهي التي تسببت في إصابة صديقه وأرغمته على الخروج من الدورة، لكنها لم تفهم لماذا يكرههم أصحاب تلك المشاعر المختبئة في

الضباب. ولأن ذهنها بدأ يعتاد وظائفه الجديدة، كشف لها ما أرادته في مدة قياسية أدهشتها وأعادت الثقة إلى نفسها.

عادت للحاضر، فذهلت لكمية الدخان التي غطت المنطقة وعاقَت الرؤية حتى باتت لا تميز وجه الجنرال وهو يقبع بجانبها، وللمرة الثانية حمدت الله على الظروف التي جعلتهم يرتدون الأقنعة، فلولاها لاختنقت هي شخصياً وفقدت الوعي قبل الجميع. ولكن الدخان لم يكن العدو الأكبر لهم، ففيما غفلت عما يجري، بدأ تراشق الرصاص بين وحدتها والغرباء المنتشرين في الدخان والضباب. وما أقلقها أن أصوات الطلقات تأتي من مكان قريب ولكن الجو الكثيف كان يشوه الأصوات ويجعل تحديد مصدرها الحقيقي أمراً صعباً. ومع ذلك، فهي تعرف الآن ما لا يعرفه غيرها.. فيعتبرها شعور غريب يشابه النشوة والانتصار، ويختبئ تحته بعض الخوف والرغبة من مرحلة جديدة في حياتها لم تحلم بها من قبل.

تحركت يد الجنرال على ظهرها لتهدئها وتعيد تركيزها للجحيم الذي يحوطهم جميعاً، فندمت على التواني التي أضاعتها وهي تتذوق هذه القدرة الجديدة، وأرخت قبضتها على التراب والحصى وقالت بصوت ينافس إطلاق الرصاص:

«4 أشخاص.. 3 ذكور وأنثى واحدة.. في تلك الجهة».

وأشارت إلى الجهة التي تجمعت فيها تلك المشاعر المتأججة، وفي الحال، جاءت بها الأوامر من الجنرال:

«فاكسلنغ، خذ ماتندي وأجوان وطوقوا العدو.. بهدوء.. الأرض الصخرية تفضح تحركاتنا».

وقبل أن تعترض أجوان وتساءل إن كان بالإمكان أن تتجه للمركز للبحث عن طفلها، ربّت ماتندي بيده العملاقة على سلاحها الملقى أمامها، فالتفتت نحوه وأصابها الهلع وهي تراه ينهض من مكانه متجاهلاً الرصاص المتطاير حولهم. وأحسّت بجسد فاكسلنغ وهو يزحف فوق ساقها متجهاً نحو موقع ماتندي، ثم ظهرت يد في مجال نظرها لتتطرق على قناعها المغطى برذاذ الدم، وسمعت صوت الجنرال في سماعها يقول بصرخة:

«هل أنت نائمة؟ اتبعيهم ونفّذي الأوامر.. هيا!».

لم تُضَيِّع أجوان الوقت في التفكير هذه المرة، وتبعت فاكسلنغ في زحفه الغريب على الأرض، وقلبها يطرق ضلوعها خوفاً من أن يلتقط جسدها إحدى الرصاصات المتطايرة في الضباب. ولكن زحف فاكسلنغ لم يطل، إذ نهض وبدأ يجري منحنيًا للأمام تجنبًا للرصاص، فقلدته أجوان وهي تتبعه وتحاول ألا تتعثر بأي صخرة. ولاحظت أن مسارهم يأخذهم بعيداً عن العدو، وأن الطلقات أصبحت على يمينهم وبدأ صوتها يخفت مع ابتعادهم عنها. وتمكنت أخيراً من سماع صوت حُطى فاكسلنغ وماتندي أمامها، وإن كانت الخطوات خافتة مقارنة بخطواتها المزعجة.

وفي خلال دقائق جاءت الإشارة من فاكسلنغ بالتأني في الجري ثم بالتوقف. فجثّت بجانبه وهو ينظر للوحة معلومات صغيرة مربوطة بمعصمه. ثم نظر لها وسألها:

«والآن؟ أين العدو؟ لا أريد تخمينًا، فهذه لحظات خطيرة ونحتاج إلى أن نرسم خط سيرنا بدقة كاملة لنباغتهم دون إصابات، كما أن الجنرال يود القبض على شخص واحد على الأقل».

أطلقت أجوان العنان لاستشعارها وتمكنت من أن تتعرف على موقع العدو، وأومات لفاكسلنغ في الاتجاه الذي تصدر منه المشاعر، فتقدمها فاكس وأشار لها بأن تتبعه، وعاد ليراقب لوحة معصمه وهو يمشي بحذر وصمت في الاتجاه الذي أشارت إليه. مع كل خطوة للأمام، كانت الطلقات تكسب بعدًا صوتيًا جديدًا يوحي بقربها وبانتشارها في كل مكان في الوقت ذاته. ثم توقفت الطلقات من جهة واحدة فأدركت أجوان أن الجنرال قد أوقف النار من صوبه حتى لا يصيب أحدهم. وبعد عدة طلقات متفرقة من العدو، توقف صوت الأعبيرة تمامًا من الجانبين، مما جعل أنفاسها تتسارع وبدأت دقات قلبها تملأ أذنيها، حتى خافت أن يسمعها العدو.

هل كان طفلي في المركز؟ هل فات الألوان على إنقاذه؟

توقف فاكس أمامها فجأة ولاحظت أنه جلس القرفصاء وقد حتى ظهره وكأنه يتفحص شيئًا. ولأنها لم تتلقَ منه إشارة للتوقف، وبالتالي لم تُعطِ الإشارة بدورها لماتندي ارتعبت من أن يصدمها زميلها العملاق ويسقطها مفا ويصدر صوتًا يلفت انتباه العدو، فأشارت لماتندي بالوقوف وتفادت الاصطدام بالاستدارة حول فاكس بسرعة، فلاح أمامها ظلٌ خائنه للوهلة الأولى جسد رجل، رفعت سلاحها تاهبًا لإطلاق النار، ولكنه لم يتحرك من مكانه، فلما اقتربت منه أدركت أنه عمود بأربعة جوانب مسطحة لا يزيد محيطه على نصف القدم. ورغم اكتسائه بلون الأرض نفسه ميّزت أنه ليس جزءًا طبيعيًا من تضاريس القمر، بل صناعي المنشأ. مدت يدها لتلمسه، ولكن قفاها منعها من أن تكتشف طبيعة المادة التي صنع منها، ومع ذلك تسلس بعض الدفء عبر قفاها إلى أصابعها، مما يعني أن العمود كان ساخنًا.

سمعت قرقرة في سماعتها، فتذكرت رفاقها والتفتت لليسار بحثًا عنهم، فلمحت وجه فاكسلنغ في الضباب موجهًا نحوها وهو يهز لها رأسه كناية عن استدعائها فأُسْرعت لتتضم إليه، وفوجئت بأنه يركع بجانب فتحة مربعة في أرض القمر تكفي لدخول شخص. نظرت لفاكسلنغ فوجدت أصابعه تطير على أزرار في لوحة معصمه ففهمت أنه يخاطب الجنرال. مالت للأمام وحدقت في أعماق الفتحة المظلمة فلم تميز شيئًا في الظلام، وفكرت في إضاءة المصباح المثبت في قناعاتها، ولكنها لم تجرؤ على القيام بذلك دون إذن من فاكسلنغ. وما إن انتهى من إرسال رسالته للجنرال حتى قام بنفسه بإشعال مصباحه الشخصي وسلّطه على الفتحة، فاستطاعت أن تلمح جزءًا من سلم معدني أسود اللون يؤدي إلى ممر مظلم يمتد باتجاه بعيد عن المركز.

ناولها فاكس سلاحه ثم خلع حقيبته الظهرية، واستدار وركع على الأرض وبدأ ينزل السلم حتى لم يبق في مجال نظرها سوى كتفيه. ورفع يده لها، فناولته السلاح، ونظرت في عينيه فميزت فيهما التصميم والعزيمة، ثم اختفى عن الأنظار. فمالت للأمام بحثًا عنه، وفوجئت بأنه لم يذهب بعيدًا وأن مصباحه قد أضاء له ممرًا أسود اللون. أخذ

فاكسلغ خطوطين في اتجاه الممر بعيدا عن الفتحة واختفى تماما هو وضوء قناعه، فحبست أجوان أنفاسها. وكان القمر بأكمله حبس أنفاسه معها؛ إذ لم تصدر من ناحية الاشتباك أية طلاقات منذ دقائق، وتساءلت أجوان إن كان بقية أعضاء وحدتها بخير. وهل جرح الجنرال خطير أم صغير ويمكن معالجته بسهولة؟

لمحت الحركة المفاجئة بطرف عينها اليمنى قبل أن يصطدم الظل بها بعشر الثانية، فلم تملك متسغا من الوقت للتصرف. وشلت المفاجأة أحبال صوتها فلم تصدر صوتا وهي تراقب الفتحة والأرض المحيطة بها تندفع نحو وجهها. حاولت أن توقف سقوطها ولكن يديها لم تجدا ما تتمسكان به فقد هوى الجزء العلوي من جذعها على الفتحة مباشرة، بينما ارتطم وجه قناعها بحافة الحفرة وسمعت صوت تهشمه، ثم انزلق جسدها إلى الجانب لداخل الحفرة، فأصابها الرعب وهي تنقلب على ظهرها وتوقع أن تسقط بزاوية قد تكسر رقبته وتقتلها أو تسبب لها الشلل. ولكن يديها امتدتا غريزيا للتشبث بأي شيء، فعلقت بإحدى درجات السلم فتمسكت بها، مما خفف من سرعة سقوطها. وكان لهذا الثقل العظيم أثره على مفصل يدها وكتفها إذ أحست بأنهما انفصلا عن باقي جسدها، فتركت السلم ووجدت قدميها تضربان أرض الممر. ولأنها لم تكن مستعدة لالتقاء قدميها بالأرض، انهارت قوتها فخرت على ركبتيها وهي تشهق في خوف وألم.

ولكن هناك أصواتا أخرى تصاحب شهيقها واندفاع الدماء في شرايين أذنيها، فهي تسمع زئيرا مخيئا فوقها، وتصاحبه أصوات صراخ وعراك ثم صوت صرير معدني. كل شيء حولها مظلم وهي لا تعلم ما يحدث فوقها، بينما لا تزال الرجفة تهز جسدها من أثر المفاجأة والألم. وكان هذا كله لم يكن كافيا، إذ انتهت لصفير يصدر من قناعها، فتعثرت أصابع قفازها وهي تبحث عن لوحة التحكم في جانب وجهها، إلى أن أدركت أن الصفير سببه شرخ أحدثته الصدمة في قناعها وأن هواء الأكسجين بدأ يتسرب منه ويستبدل به جو القمر الكثيف.

أصيبت بالذعر الأعمى وتخيلت أنها ستموت في قاع تلك الحفرة على سطح قمر مجهول، فهبطت من مكانها وبدأت تصعد السلم كالسعدورة ولكن بعد خطوتين للأعلى ارتطم رأسها بسقف صلب. أين الفتحة؟ ماذا حدث لها؟ هل أغلقها ماتندي أم العدو؟ جرّ جنونها وبدأت تضرب السقف بيديها وهي تصرخ طلبا للنجدة. ولكن الضجة التي سمعتها فوقها لم تنته بعد، ولا يمكن أن يسمعا أحد وهي في هذه الحفرة. وفي ثانية تذكرت أن فاكسلغ قد سبقها إلى الممر، فربما يساعدها لو عثرت عليه في سد الشرخ، فقفزت من السلم واستدارت لتتنظر في الاتجاه المعاكس، وأضاءت مصباح قناعها، فتمكنت من رؤية الشرخ الذي امتد من فوق حاجبها الأيمن إلى الجانب الأيسر من وجهها. وحينها فقط أدركت أن الصفير الذي كان يصدر من قناعها قد توقف، فجمدت في مكانها، وخلعت قفازها ووضعت أطراف أصابع يدها على وجه القناع.. فلم تشعر بأي غاز متسرب. كما أدركت أن تنفسها لم يبد صعبا.. وبأنها تشعر برطوبة في مجرى تنفسها ورئتيها فاستوقفتها هذه الأحاسيس وذهلت لأنها استوعبت أخيرا ما يحدث. قد لا يستطيع أعضاء وحدتها تنفس الجو الكثيف على هذا القمر، إلا أن أجوان كائنة مائية، وبالتالي فجهازها التنفسي يستطيع أن يتعامل مع الجو المشبع بالسوائل.

غمرتها راحة نفسية عميقة لمعرفة أنها ليست على وشك الموت. ولكن سرعان ما عاد الخوف لينشب مخالبه في قلبها، فهي لا تزال عالقة تحت الأرض في حفرة غامضة، بينما يصارع زملاؤها عدوا مجهولاً على سطح القمر. فاكسلنغ! يجب أن تعثر على فاكسلنغ! وحمدت الله على أن الضوء في قناعها لا يزال يعمل، فوجهته نحو أرضية الممر، فعدت على سلاحها والتقطته. ثم استدارت لتشع ضوء المصباح في اتجاه الممر فاكشفت أنه يمتد لأمتار معدودة فقط ثم ينتهي عند باب غريب الشكل وكأنه نصف أنبوبة مقطوعة طولياً، وعلى جانب من الباب لوحة صغيرة وعليها أضواء ولوحة مفاتيح.

لم تتمكن أجوان من رؤية اللوحة ومفاتيحها بوضوح فقد تشوه وجه القناع بالدم وبالشرخ الطويل. فمدت يدها وخلعت القناع ببطء وحبست أنفاسها.. ثم استنشقت الهواء بحذر فلم تجد صعوبة في التنفس. حينها فقط وجهت انتباهها للوحة واستخدمت مصباح القناع لتفحصها. لاحظت مباشرة أن اللوحة تعرضت لتخريب.. لا بد أنه فاكسلنغ، فمنحتها هذه المعرفة الثقة الكافية للضغط على المفتاح الذي خمنت أنه يفتح الباب. فصدرت هسهسة من جانب الباب ثم انزلق بنصف دائرة لتبرز وراءه مساحة صغيرة تغمرها أضواء زرقاء باهتة وتتسع لوقوف شخص واحد فقط. ترددت أجوان في الدخول للغرفة الصغيرة، ولكنها تذكرت ما يحدث فوق سطح القمر، وأنها بحاجة لمساعدة فاكس للخروج من هذا المأزق، فأخذت نفساً عميقاً ورفعت قدمها وتخطت عتبة الباب ثم توقفت وهي تقابل الناحية الثانية من الباب. فانزلق الباب وراءها بالصوت ذاته وانفجرت أمامها فتحة مشابهة للباب خلفها.

لم تعرف أجوان ما ستجده وراء الباب الدائري، ولذلك لم تتفاجأ بما اكتشفته، فقد امتد أمامها ممر مظلم ضيق منخفض السقف. ولولا الضوء المنبعث من مصباح قناعها لما ميّزت الأنابيب المعلقة في سقفه، أو الكابلات الممتدة على طول الممر. ولأنها لم تعد تملك خيارات أخرى، تركت المدخل الصغير وراءها وبدأت تمشي بحذر وقد أحنّت رأسها واستخدمت المصباح للتأكد من عدم ارتطام رأسها بشيء أو تعثر قدميها بكابل. وبعد بضع خطوات بدأت معالم الممر تتضح أكثر ولاحت نهاية الممر الذي يؤدي إلى منطقة مضاءة. ورغم لهفتها للتعثر على فاكس فإنها لم تستعجل الخروج من الممر، وما إن بلغت نهايته حتى أصدت ظهرها لجانب منه ورفعت سلاحها أمامها ومالت بجسدها لليسار لتنظر لما يقع خارج الممر.

أصيب بالدوار لأول وهلة إلى أن أدركت أنها تقف عند طرف منصة معدنية ترتفع عن الأرض عدة أمتار. قذرت حجم الغرفة التي تحوي المنصة وما يقع تحتها ببضعة أمتار فقط - أو هذا ما كان يسمح به مجال نظرها من حيث وقفت مستترية بحائط الممر. لاحظت أن المنصة تحوي عدداً من الأجهزة التي تُهمهم في الصمت الذي يغمر الغرفة، ولكل جهاز شاشة فوسفورية اللون. جالت أجوان بعينيهما بحثاً عن أثر لفاكس، وسرعان ما رأت سلاحه ملقى على أرض المنصة قريباً من سلم معدني آخر يقود لقاع الغرفة. فازداد قلقها وحذرهما وسارعت بإلغاء درعها الذهبية أملاً في أن ينفعها استعارها في معرفة ما قد لا تراه عيناها.

إذا كان ارتفاع المنصة قد سبب لها دوارًا مؤقتًا فإن المشاعر التي هاجمتها في تلك اللحظة جعلتها تغمض عينيها وتستند للحائط ثم تنزلق حتى جلست على الأرض الباردة. برق ورعد، وحرارة عالية وبرودة قارسة، وقرصات مؤلمة كقرصات قنديل البحر، وشرار متناثر ونصل سكين دقيق الصنع.. ودم يتطاير في كل مكان.. لحظات من التشوش والألم.. ثم رفعت درعها الذهنية ثانية قبل أن تصاب بالجنون. من يمكن أن يصدر مشاعر كهذه؟ هل هو نوع من المخلوقات الغريبة؟ كيف يمكن لأي شخص أن يحيا مع هذا الكم الهائل من المشاعر العنيفة؟!

انتظرت حتى عاد تنفسها لمستوى طبيعي يسمح لها بالوقوف دون دوار، وانكأَت على الحائط ثانية وأخذت الخطوة الأولى لتقف على المنصة. فدغدغ أذنيها أزيز خفيف قادم من يسارها، فاستدارت وسلاحها مصوب أمامها تحسبًا لآية مفاجآت، ولأنها خرجت من فم الممر تمكنت أخيرًا من رؤية الغرفة بأكملها. إنها ليست صغيرة كما تصورت، فتلك كانت زاوية واحدة فقط رأتها من موقعها عند فم الممر. والآن رأت أن المنصة معلقة فوق غرفة كبيرة تحوي أرضيتها توصيلات معقدة وأجهزة وطاولات متناثرة في كل زاوية، ويقع تحت المنصة مباشرة خزان ماء زجاجي كبير يستوعب أطنانًا من المياه وله حواف مرتفعة من كل جانب.

تلفتت حولها بحثًا عن مصدر الأزيز فראت رجلًا ضعيف البنية وقد أدار لها ظهره، وبدأ منشغلًا وهو ينحني فوق طاولة معدنية طويلة. لم ترغب أجوان في أن تنبيهه لوجودها، ولكن ما إن وقع نظرها على ما يقوم به حتى صرخت:

«توقف! ابتعد عنه!».

خفض الرجل الجهاز الصغير الذي كان يحمله وهو ما كان يصدر أزيزًا، واستدار ليواجهها وأعطى ظهره لفاكسلنغ الذي كان ممدداً على الطاولة وقد أوثقت ذراعه وساقاه بأربطة مثبتة في الطاولة. لوحت أجوان بسلاحها للرجل كناية عن رغبتها في أن يبتعد عن زميلها، إلا أنه جمد في مكانه وعيناه الذهبيتان تراقبان حركاتها باهتمام بالغ. خففت أجوان أنه في العقد السادس من عمره، وقد اضمحل جسده ليعطي انطباعًا بجسد ولد صغير، وإن كان شعره قد ابيض تمامًا وتشكلت بدايات أخايد في جبهته وعلى جانبي فمه. لم ترتخ لتعابير وجهه ولا لعينيهِ اللامعتين، وحتى سكون حركته أصابها بالقلق. فهو حتمًا مصدر المشاعر المجنونة التي استشعرتها منذ قليل، فلا يمكن أن تكون آتية من فاكسلنغ الذي باتت مشاعره مألوفة بالنسبة لأجوان.

ابتسم الرجل ابتسامة باهتة لم تتعدَّ حركة الفم وهمس وكأنه يعبر عن إعجابه بعمل فني:

«عيناك.. تمامًا كعينيهِ».

لم تملك أجوان نفسها فأسأله:

«عيننا من؟ وماذا فعلت بفاكسلنغ؟!».

أدار الرجل رأسه ونظر لفاكسلنغ ثم عاد لينظر لها، ولوح بيديه بطريقة من صرف نظره

«إنه نائم.. سنرى ما يخبئه لاحقاً.. أما أنت.. فعيناك كعيني الطفل الثالث»

لو انفجرت في تلك اللحظة قنبلة في وسط الغرفة لما استجابت لها أجوان من هول المفاجأة، ولاستمرت عيناها معلقتين بوجه هذا الرجل المجنون. وفي جزء من الثانية، قطعت المسافة التي تفصلها عنه وأمسكت بياقة قميصه الفضي، بينما دفعت بفوهة سلاحها لتضغط على رقبته، وهزته بعنف وقد التصق وجهها بوجهه وهي تصرخ فيه:

«أين طفلي! أين الطفل؟ أجبني أين الطفل؟»

فرق جفنه الأيسر، وحينها فقط لاحظت أجوان أن بؤبؤ عينه له شكل نجمي يتسع ويضيق بطريقة ليست لها علاقة بالضوء، فأدركت أن له عينيْن صناعيتين. واستغل الغريب انشغالها بعينه فمد يده نحو فوهة سلاحها ودفعها ببطء بعيداً عنه وهو يقهقه كفتاة صغيرة.

«عالم صغير! ربما أخطأت عندما فضّلت الطفل على الأم.. انظري كيف أنت بارعة بهذا السلاح.. خسارة!».

جنّ جنون أجوان فدفعته حتى مال على الدرابزين المعدني الذي يطوق المنصة، وبدأت تدفعه أكثر وهو يقهقه بصوت حاد وكأنها تدغدغه، مما جعلها تدفعه أكثر وهي تصرخ:

«أخبرني ماذا فعلت بطفلي! أخبرني! أخبرني! وإلا سأقتلك!».

وكان كلمة القتل أفاقته من نوبة جنونه فتوقف عن الضحك ومد يده لسلاحها مرة أخرى، ولكن فاجأها بأداة صغيرة مخبئة في كف يده، صدرت منها أشعة حمراء اخترقت قفازها السميك وحرقت يدها الممسكة بالسلاح، فصرخت أجوان وتركت السلاح يسقط. فأمسك الغريب المجنون بيدها المتشبثة بياقته محاولاً أن يرغمها على تركه، وتعارك الاثنان للحظات حتى صار ظهرها للدرازين بدلاً منه، إلى أن باغتها بأن شبك قدمًا واحدة وراء ساقيها ودفعها بأقصى قوته ففقدت توازنها ومالت بظهرها على الدرابزين، ولكنها لم تفلت قبضتها على قميصه. فانحنى قدر استطاعته وأمسك القماش المحيط بركبتها وسحبه للأعلى وقلبها رأساً على عقب لتسقط لقاع الغرفة السفلية، فصرخت وتشجّت أصابع يدها على ياقة قميصه. ولأن وزنها كان يفوق وزنه، فلم يتمكن من أن يمنع جسده من اللحاق بها فوق الدرابزين، وسقط كلاهما في حوض الماء الزجاجي فتطايرت المياه في كل اتجاه.

كانت مياه الحوض باردة ونظيفة، فلم تنزعج أجوان من استنشاقها، واستغربت من وجود مقعد وطاولة معدنيين مثبتين في قاع الحوض. اعتدلت بسرعة وهي تنوي الخروج من الحوض والاشتباك مع المجنون ثانية، ولكنها لمحتة يقاوم المياه بحركات خرقاء فأدركت أنه لا يعرف السباحة، فباغتته من الخلف وأمسكت بذراع واحدة وطوقت رقبته بذراعها وحركت رجليها حتى اصطدمت برأس المقعد فدفعته بكل قوتها فاندفع جسدها للأعلى حتى اخترقا السطح. ولكن الغريب لم يكن يتعاون معها فبدأ

يقاومها ويحاول أن يفلت منها، فضغطت بذراعها على رقبتها وصرخت في أذنه.

«توقف عن المقاومة. إنني أحاول إنقاذك».

وبعد عدة محاولات سكنت حركته وبدأ يفقهه ثانية، ولكنها كانت ضحكة ضعيفة ومنهكة. تلفت أجوان حولها بحثًا عن سلم يقودهما لخارج الحوض إلا أن جوانبه كلها كانت ملساء وبعيدة عن متناول اليد. ما سر هذا الحوض؟ لماذا وضعوا حوضًا كهذا ولم يزودوه بمخرج سهل الاستخدام؟ ثم تبادرت لذهنها فكرة مخيفة، فقربت فمها لأذن الغريب وسألته بنبرة غاضبة:

«لمن هذا الحوض؟».

قهقهه وبصق بعض الماء الذي دخل فمه وأجاب:

«للطفل بالطبع.. كان يعيش في الحوض في أوقات الراحة بين جلسات الكرونولوجي. ما كنت أتوقع مثل هذا النجاح من قبل! سيمجد التاريخ اسمي.. أنا بانديماس أعظم علماء هذا العصر.. مكافأة الطارق لي ستكون عظيمة!».

لم تفهم أجوان ما يتحدث عنه، ولكن قلبها كان يقول لها إن أمرًا رهيبًا كان يحدث هنا وإن طفلها في خطر مريع. فضغطت ثانية على رقبتها وسألته:

«ماذا كنتم تريدون بطفل صغير؟ ماذا تعني بجلسات الكرونولوجي؟».

تنهد الغريب وهز رأسه بحسرة من يحدث طفلًا جاهلًا:

«أخرجيني من هنا وسأشرح لك كل شيء».

أوقفت أجوان حركة ساقها التي تسمح لرأسها ولرأس بانديماس بالطفو فوق سطح الماء، فغاصا معًا، وبدأت مقاومة المجنون مجددًا وهو يحاول الصعود للسطح. وفي هذه المرة، أفلتته أجوان وراحت تنفرج عليه وهو يصارع الفرق. وما إن بدأت قواه تخور حتى أمسكت به ورفعته حتى عاد رأسه ليطفو فوق سطح الماء، فشقق ليأخذ أكبر قدر ممكن من الأكسجين وبدأ يسعل بحدة وهي تمسك به حتى لا يغرق. وبطرف عين واحدة لمحت حركة بجانب الحوض، فالتفتت بسرعة وهي تأسف على عدم امتلاكها سلاحها الذي سقط على أرض المنصة لا محالة. وكم كان ارتياحها عميقًا حين أدركت أنه وجه الجنرال يطالعه من الجانب الآخر. إذن فقد انتصرت وحدتها على العدو، ووجدوا طريقة لفتح المدخل لهذه المنشأة.

أعادت انتباهها لسجينها وأدارت جسده لكي يرى وجهها وهي تستجوبه:

«والآن.. قل لي ماذا فعلتم بالطفل؟».

ولأول مرة رأت الخوف في ملامح وجهه، وإن لم تعكسه عيناه الصناعيتان. وبدأ يلحق شفتيه بعصبية وينقل نظره حول الحوض وهو يراقب حركة وحدة لاشكار التي تجمعت خارج الحوض. فهزته بعنف لتعيد انتباهه لها، فقهقه بجنون مرة أخرى وبدأت الكلمات تنساب من فمه:

«إنها فكرة بارعة! نعم.. أن نخلق جيشًا خارقًا.. أن نصنعه ونصنمه بالطريقة التي نخدم أغراضنا.. ولم لا؟! فالكون يحوي معجزات لا تعد ولا تحصى.. ونحن أيضًا نصنع

عقدت أجوان حاجبها وهي تحاول أن تستوعب سيل الكلمات، ولكنها لم تقاطعه.
«نأتي بمخلوق يتمتع بموهبة.. بمعجزة! ونضيف له مواهب أخرى.. ونصنع عرفاً
جديداً.. سلاخا للطارق!».

وللمرة الثانية تساءلت أجوان عن معنى الطارق. هل هو جيش أم مجموعة من الناس..
أم رجل؟

تنهد بانديماس وأغمض عينيه وأضاف:

«صحيح أن بعض التجارب مؤلمة.. وأن هناك من لم ينج منها.. ولكنه العلم يا آنستي..
العلم الجبار فوق كل شيء».

ضاق صدر أجوان وهي تسمعه يتحدث بنبرة الحزن تلك، وتوقعت الأسوأ فأمسكت
بياقته ثانية وهزته بعنف وسألته:

«طفلي! أين طفلي؟ هل قتلتموه؟!».

حملق المجنون في وجهها لثوان ثم أجابها ببعض الضيق:

«لا .. لا .. لم يكن الكائن المائي ممن ماتوا في جلسات الكرونولوجي. وإن كان قد
عانى كثيراً من آثاره».

لم تستطع أجوان أن تمنع نفسها من أن تطوق رقبتة بأصابعها وتغرس أظافرها في
جلده وتضغط بقوة وهي تصرخ:

«إنه مجرد طفل رضيع! كيف يسمح لك قلبك بتعذيب طفل رضيع؟!»

وجاءها طرق عال من جانب الحوض فالتفتت لتجد وجه فاكسلنغ وبيده سلاح يطرق
به على جانب الحوض، ثم سمعت صوت الجنرال وهو ينادي اسمها من فوق المنصة:

«أجوان.. سترفعكما من الحوض قريباً.. أعطينا بضع دقائق فقط».

أدركت أجوان أن رفاقها لا يعلمون بما يحدث في الحوض، وأنها لا تملك سوى دقائق
قليلة قبل أن يأخذوا بانديماس منها وقد لا تستطيع أن تستخرج منه بقية المعلومات
بعدها. فأرخت أصابعها حول عنقه بعد أن لاحظت تغير لون وجهه إلى الزرقاء. وشهق
المجنون وهو يصارع من أجل التنفس وبدأ الرعب واضحاً الآن على وجهه بعد أن رأى
الموت في عينيه. تسارعت أنفاسها ثانية وهي تسأله السؤال الأهم:

«أين طفلي؟ أين أجده الآن؟ هل هو هنا في هذه المنشأة؟».

سكنت حركة بانديماس ونظر بقلق نحو المنصة حيث اجتمع الجنرال وسكالداني حول
أحد الأجهزة وهما يتحادثان بصوت غير مسموع، فهزته أجوان لتعيد تركيزه عليها، فلحق
شفتيه مرة أخرى وهمس لها:

«لقد تخرج من هذا البرنامج في سن الخامسة عشرة.. إنه من الناجحين.. وأصبح الآن
سلاخا للطارق».

أطبقت أجوان يديها على جانبي رأسه وحدقت في عينيه وسألته ثانية:

«الخامسة عشرة؟ إنه طفل رضيع».

ابتسم لها بانديماس ابتسامة النصر وأجابها بفخر:

«ليس بعد أن عرضناه لأشعة التغيير الزمني.. الكرونولوجي.. إنها مؤلمة جدًا.. كان يبيكي ويبكي.. ويبكي».

وبدا يقهقه قليلًا وينتقل بعدها لصوت بكاء طفل، ثم يعود ليقهقه. فقدت أجوان الإحساس بالماء البارد ويكل ما يحيط بها من أصوات أجهزة وأضواء، فلم يعد عالمها يحتوي إلا على قهقهة رجل مجنون وبكاء طفل رضيع. أمسكت بشعر بانديماس وسحبته معها تحت سطح الماء وأكملت العوم حتى بلغت الطاولة المعدنية. وبينما كان بانديماس يقاومها ويحاول أن يرفسها برجليه، كانت تقوم بمناورة جسده بحيث يتمدد على الطاولة، ثم أمسكت بالأربطة المتصلة بجانب الطاولة، وبدأت تثبت ذراعيه وساقيه. وما إن تأكدت من أن وثاقه محكم جيدًا حتى اقتربت من وجهه والتقت عيناها فقالت له بصوت مسموع تحت الماء:

«ستموت في هذا الحوض.. وسأحرص على ألا يعرف اسمك أحد.. لا مجد ولا خلود لاسمك».

ثم جلست في المقعد، وراحت تراقب محاولاته لفك الأربطة، والهواء يخرج من أنفه في شكل فقاعات وقد اتسعت عيناه من الرعب والجزع.

لم تطل محاولاته وبدأت حركته واهنة حتى توقفت تمامًا، وخرجت آخر الفقاعات من فمه الذي اتسع أخيرًا ليدخله الماء وشخصت عيناه الذهبيتان للأعلى. راقبته أجوان هكذا إلى أن نزلت للحوض حزمة من الكابلات المثبتة حول منصة صغيرة لا بد أنها كانت معلقة في السقف لهذا الغرض ذاته. حدثت أجوان في الكابلات دون أن تستوعب ما عليها فعلة إذ كان ذهنها قد استنزف من كل الأفكار والمشاعر ولم تبق سوى فكرة واحدة: أن تقبع هنا في قاع الحوض إلى أن تموت. ولكن يبدو أن زملاءها لن يسمحوا لها بتلك الرحمة الصغيرة، إذ عاد الطرق على جانب الحوض ثانية، وعندما أدارت رأسها لتنظر لمصدر الطرق، رأت الجنرال يراقبها وقد علت وجهه تكشيرة لا يمكن إساء فهمها. أمسكت بالكابلات وجلست على المنصة، فارتفعت المنصة ببطء في البداية، ولكنها تسارعت عندما تركت الماء.

توقفت المنصة في الهواء، وبعدها تحركت موازية للحوض ثم للأرض وبدأت بالانخفاض ثانية، حتى لامست قدمًا أجوان الأرض، فتوقفت المنصة عن الحركة. نزلت أجوان من فوقها وانساب المياه من ملابسها لتتجمع على الأرض حيث وقف الجنرال يراقبها، وقد عقد يديه أمام صدره وعقد حاجبيه. ولكن عندما فتح فمه ليعنفها، قاطعته قائلة:

«نعم قتلته.. أخيرًا أصبحت القاتلة التي تريدها في فرقتك!».

القلادة

تسارعت أنفاس أجنبي وهو يجلس بجانب براس جيريتو وعدد من أفراد فريقهم ممن صنعوا لأنفسهم حياة محترمة في انتيكوادو. ولم يعد أجنبي يكثرث بصلاية مقعدهم الحجري الذي كان يؤلم مؤخرته ويشغل باله أثناء النصف الأول من المراسم، فقد بدأ النصف الثاني الآن.. النصف الذي أمضى سنوات من حياته يعمل من أجل تحقيقه، وإن لم يكن يدرك أثناء تلك الأعوام الخطة الحقيقية للسيد الأعظم. وكم هو عظيم هذا الطارق الذي قادهم لهذه النورة الجبارة التي ستقلب حياة أسرته ومئات الآلاف في أورداد وغيره من الكواكب. وها هو يحظى اليوم بمقعد أمامي ليشهد لحظة تاريخية قلما تحدث إلا كل عدة أجيال.

ومن فرط سعادته، مد يده ليقبض على ذراع جيريتو ويشد عليها ليشركه الحماس والنشوة، ولكن عندما أدار رأسه لينظر لجيريتو وجده يحرق في يده بصمت وجمود وقد علت وجهه تلك التكشيرة المخيفة التي لا تفارقه إلا في مواقف نادرة. ويبدو أن هذا ليس من المواقف التي يعتبرها جيريتو جديرة بهجر التكشيرة ولو لدقائق. سحب أجنبي يده وكأنه يرففها عن سطح حار وأعاد بصره للمشهد الذي يتجلى في هذا المعبد الهائل الذي يتوسط المدينة ويعتبره الكثيرون قلب انتيكوادو وضميرها في الوقت ذاته، فهنا تجري طقوس جميع المناسبات الدينية، بالإضافة للعديد من المناسبات الوطنية.

واليوم يشهد معبد كويليري أكبر مناسبة ملكية منذ تولي ولي العهد الحكم في السلطنة، عندما وقف الولد الصغير هيريديرو في المكان ذاته منذ عامين، رافع الرأس وقد تحلق حوله الكهنة يباركون حكمه ويدعون له بطول العمر، ويضعون التاج السلطاني على رأسه، وسط هتاف الجمهور في داخل المعبد، والشعب خارجه وهو يراقب الأحداث على شاشات عرض هائلة الحجم. أما اليوم، فيجلس هيريديرو في الصف الأمامي والتاج ذاته على رأسه وقد علت وجهه ابتسامة فرح عريضة ذكرت الجميع بأنه ما زال شابًا يافعًا لم يبلغ سن الرشد، وأن والدته السلطانة هي الحاكمة الفعلية للسلطنة إلى أن يبلغ الثامنة عشرة من عمره.

اليوم يوم السلطانة ماريونيتا أدنيرادو وهي تعلن للوجود زواجها بمستشارها تروكار

أموريوس، الذي يمثل للشعب شخصاً عادياً ارتقى بجهده وتفانيه ليستحق منصباً مرموقاً في السلطنة. إنه بطل أيضاً فقد خلّص قلب انتيكوادو من جماعة إرهابية أوشكت أن ترزعزع ثقة الشعب بالسلطنة. ولذلك ففي تلك اللحظة يطوق المعبد مئات الآلاف من الناس الذين أتوا خصوصاً ليشهدوا تنويع جهود ابنهم تروكار بزواجه من سلطانهم المحبوبة التي كرست حياتها لخدمة ابنها والشعب.

ومع ذلك، فالصورة ليست مشرقة بالكامل؛ فهناك وجوه عابسة بين الحضور ممن استنكروا ما يحدث، ومنهم من حاول أن يثني السلطنة عن قرارها بالاقتران بهذا النكرة، فهناك بين النبلاء من هم أنقى منه دمًا وأعرق تاريخًا. ولكن كل جهودهم - رجالاً ونساء - باءت بالفشل، فقد رفضت السلطنة كل اعتراضاتهم، وتَمَّ تحديد موعد الزفاف واستكملت جميع الاستعدادات لهذا اليوم السعيد بكل المقاييس. فالشمس ترسل أشعتها الذهبية الدافئة في كل زاوية من زوايا المعبد، عبر نوافذه الواسعة على ارتفاع طول عشرة رجال. وارتفعت الموسيقى المصاحبة لأغنية الأطفال التي يؤدونها من على شرفة في الجناح الغربي من المعبد، تطل على الجمهور الجالس على كراسي رخامية تحيط بالمنصة الرئيسية على شكل حلقات يتسع محيطها ويرتفع كلما ابتعدت عن المركز.

وفوق المنصة الرئيسية وقف الزوجان وهما يتلقيان مباركة الكهنة بعد إنهاء الطقوس، وكانت السلطنة تشع نورًا داخليًا نابغًا من فرحتها العارمة، وترتدي ثوبًا خياليًا تحسدها عليه كل امرأة في الجمهور. ففوق رأسها ترتع تاجها الذي وضعه السلطان على رأسها في حفل زفافهما، بينما تكوّن ثوب الزفاف من طبقات متعددة من القماش الشفاف بكل أطراف اللون البنفسجي المتدرجة بالأرجواني الفاتح من الداخل إلى البنفسجي الغامق في الخارج، على شكل عباءة طويلة طرزت أطرافها وذيلها الطويل بخيوط الأورو على شكل شعار السلطنة؛ النحلة الملكية الذهبية. وفي هذه اللحظات الأخيرة من الحفل تعلقت أنظار الجمهور بما يحدث على المنصة، حيث بدأ كبير الكهنة برش الزوجين برذاذ من مياه نهر أنسيانو الذي يحمل دلالة عظيمة في قلب شعوب السلطنة، فهو موقع أول مستوطنة على الكوكب. ولذلك خففت السلطنة رأسها تقديرًا للرذاذ وهو ينتشر فوقها، بينما استمر العروس الذي أمسك بيدها طوال الحفل، في تأمل ما يحدث حوله وعلى شفتيه ابتسامة غامضة، قد يفسرها البعض بالخجل والفرحة. وما إن انتهى كبير الكهنة من صلواته ونشره للرذاذ حول العروسين، حتى ارتفعت أصوات الأطفال في أنشودة رقيقة تدعو للزوجين بالسعادة الأبدية.

وبينما بدأ الكهنة في الانتشار حول العروسين في نصف دائرة لتقديمهما للجمهور في المعبد وخارجه، لمح أجنبي السلطنة تشير لسكرتيرها كوبران الذي كان يقف وراء أحد الأعمدة المحيطة بالمنصة، وبجانبه طاولة صغيرة عليها صينية فضية تحوي صندوقًا خشبيًا صغيرًا مرصفاً بالأحجار الكريمة. أصلح كوبران ياقة قميصه وأشار لصبي صغير يقف عند نهاية السلم، فهرول الصبي لأعلى السلم والتقط الصينية وتقدم مع كوبران إلى حيث وقف العروسان يتهاامسان. رفع الصبي الصينية عاليًا، فمد كوبران يديه للصندوق وفتحته وأخرج منه قلادة طويلة مكونة من حلقات برونزية اللون وفي وسط كل حلقة قرص صغير بلون مختلف. إنها قلادة الوصي على الحكم التي تسلمها ولي العهد يوم

تنصيبه سلطاناً بعد وفاة والده منذ عامين، والذي قام بدوره بتسليمه لوالدته في اليوم ذاته، كاعتراف منه بأنها ستدير أمور السلطنة باسمه، حتى ينضج ويستلم المسؤولية.

حبس أجاني أنفاسه وهو يراقب ما يحدث، وبطرف عينه لاحظ جيريتو وهو يميل للأمام وقد اتسعت عيناه واختفت التكشيرة من وجهه، وتيقن أجاني أن جيريتو أيضاً قد حبس أنفاسه انتظاراً لما سيحدث في الدقائق القادمة. وعلى المنصة، التفتت السلطانة لسكرتيرها، وتناولت من يديه القلادة، وبحركة مدروسة، استدارت لتواجه زوجها الجديد وأومأت له برأسها فانحنى لها خافضاً رأسه، فوضعت القلادة حول رقبته لتستقر حلقاتها على كتفيه وصدره.

وضجت القاعة بمزيج مذهل من التصفيق وأصوات الاستحسان من ناحية، وصرخات الاعتراض ودك الأرض بالأقدام المعارضة من ناحية أخرى. نعم، إنه عهد جديد في سلطنة سيغوفيا، وهي تباشير رياح التغيير القادمة.

حصريا على روايات وكتب عربية وعالمية

<https://t.me/riwayat2025>

يسعدنا انضمامك لنا



مفاجآت

أغلقت تاتاليا باب الغرفة الصغيرة وأسندت ظهرها له للحظة وتنهت ثم توجهت لغرفة مجاورة حيث جلست شاها تنتظرها. رفعت شاها رأسها لتنظر لها بعينيها الغريبتين. ولكن تاتاليا جلست على الكرسي المعدني الصغير المخصص لها، ولم تقل شيئاً. لم تستطع شاها أن تواصل الصمت، فقالت:

«من كان يتخيل أن لهذه الفتاة الصغيرة طفلاً؟ وأنه كان في ذلك المختبر؟! لا أصدق.. لا أصدق!».

اعتدلت تاتاليا في جلستها ومطت رقبتها الطويلة في محاولة لتخفيف التوتر وقالت بصوت متعب: «أرجو أن ينجح الدواء في منحها بضع ساعات من النوم، فتركيبها الجسدية لا تشبه البشر ولا التاكاي، ولذلك خمنت نوع الدواء والجرعة اللازمة، وأتمنى ألا أكون مخطئة».

«وماذا الآن؟ هل نعتبرها مهمة فاشلة؟».

فتنهت تاتاليا بطريقة البشر وهزت رأسها تأسفاً:

«لم ينج أحد من وحدة فولاذ.. هذا ما فهمته من حديث الجنرال وإيمان على المكوك.. لم نفقد وحدة كاملة من قبل.. هل كانت الوحدة كاملة؟ 32 فرداً؟».

نظرت لها شاها والحزن يملأ تعابير وجهها وهزت رأسها:

«لا أدري.. ربما 27 أو 28 هذه المرة.. ولانفوردر لا يؤمن بالقدرات التبصرية، فلم يصطحب معه متبصراً مثلي».

مدت تاتاليا أصابعها الطويلة وغطت بها يدي «شاها» وضغطت عليهما برفق:

«لقد أنقذت حياتنا جميعاً يا شاها.. وليست المرة الأولى التي ندين فيها لك بحياتنا. لو نفذنا الخطة كما وضعها لانفوردر لقتلنا معهم».

«أه! كان شعوراً فظيماً يا تالي.. نار تبتلعني وتحرق روحي وكياني..».

ضغطت تاتاليا على يديها بقوة وهي تحاول أن تنقل لها الأمان والطمأنينة..

«انتهى كله الآن.. نحن في أمان..».

ظهر في مدخل الغرفة ظل تبعه جسد الجنرال. توقف عند الباب دون أن يدخل الغرفة الصغيرة حتى لا تزدهم بثلاثة أجساد. جال بنظره بينهما بسرعة، فسحبت تاتاليا يدها من يد شاها، ونهضت لتسمح للجنرال أن يدخل الغرفة، ولكنه أشار لها بالجلوس.

«قررنا أنا وفاكسلنج أن نعود لموقع الانفجار. وسينضم لنا فريق صغير من لجين، ومن المدمرة بيراهمي. يجب أن نعرف ما حدث في ذلك المركز».

ثم نظر خلفه للحظة وأشار لباب الغرفة التي ترقد فيها أجوان وسأل تاتاليا:

«هل هي في الداخل؟ لم تقل شيئاً في المكوك، وبدت مذهولة تماماً».

هزت تاتاليا رأسها وأجابته بثقة:

«لا، لم تُصَب بأي أذى جسدي.. ولكن.. سيدي.. لماذا لم تخبرنا من قبل باحتمال وجود طفلها في المركز؟ ربما كنا تصرفنا بطريقة أفضل لو كان لدينا علم..».

قاطعها الجنرال والضييق واضح في نبرة صوته وحركات جسده:

«نحن جنود في وحدة قتالية.. لسنا جليسي أطفال. وقد كانت تعلم المخاطر التي تحفُّ بهذه المهمة، وقمت بنفسني بشرح الوضع لها».

صمتت تاتاليا ولم تعترض على كلامه، فقد فات الأوان الآن. ومع ذلك سألته:

«هل يمكنني مرافقتكم؟ ربما يوجد مصابون..».

«لا داعي.. طبيب المدمرة سيرافقنا..».

واستدار ليغادر، ولكنه استوقف نفسه ونظر لتاتاليا مباشرة، وكأنه يضع المسئولية عليها كاملة دون أن يشمل شاها:

«راقبي أجوان.. لا نعلم ما ستفعله عندما تستيقظ.. إنها مصدر إزعاج لي حاليًا، فقد خالفت أوامري.. ولا أدري إن كانت ستستمر معنا في الوحدة».

وغادر بسرعة قبل أن تجيبه تاتاليا، فتنهدت شاها وأنزلت دمعان على خديها.

حددت أجوان في لوحة التحكم عبر نافذة الباب المعدني السميك الذي يفصل هذا الجزء من المدمرة عما يعتبر الغلاف الخارجي للسفينة. إنها تحقق فيها منذ ما يقارب نصف الساعة، متجاهلة الطاقم الذي يمر بها متجهًا إلى مهامه المتعددة على متن السفينة. كل شخص هنا لديه عمل يقوم به، إلا هي. ولذلك فإنها تقف هنا منسية تمامًا، إلا من تاتاليا التي تتبعها في كل مكان منذ أن استيقظت بالطبع. أخبرتها تاتاليا بأن الجنرال وفريقًا من المدمرة قد هبطوا على سطح القمر بنيتة البحث عن أسباب الانفجار وعن أي ناجين في المركز. بالإضافة إلى جمع كل ما يمكن معرفته من المختبر العلمي. لأول وهلة، ارتفعت معنويات أجوان بأمل العثور على طفلها حيًا. ولكن تاتاليا تابعت حديثها لتؤكد لها أن المركز قد تعرض لانفجار هائل وانهار هيكله، مما يعني أن جهاز الدعم الحيوي قد دُمِّر أيضًا.

فاستقرت قبضة جبارة داخل حلقها تعصرها مع كل نفس وحركة، ولا تسمح لها بأن

تعبّر عن مشاعر أو أفكار. ورغم قدرة تاتاليا على التخفيف من بعض الآلام الجسدية بمجرد اللمس - وهو ما فوجئت به أجوان اليوم- فإنها لم تكن تستطيع أن تخفف الآلام النفسية. وقد حاولت تاتاليا أن تقنعها بتناول شراب أو طعام، ولكن التبلد الذي خيم على جميع أطرافها وعلى ذهنها منعها حتى من أن تهز رأسها بالرفض. ومرت ساعات طويلة وهي تستلقي في سرير غير مريح في مشفى السفينة. ثم غمرها شعور بحاجتها للحركة، فخرجت من غرفتها الصغيرة واتجهت لقسم المدمرة حيث يقع حوض المكوك، ولكن لم تستطع أن تنفذ من أي من الأبواب المؤدية له، فهناك بطاقات خاصة لفتح تلك الأبواب لا يملكها إلا المصرح لهم أمنياً. وهكذا، وجدت نفسها تحقق في إحدى لوحات التحكم وتفكر في حياة قصيرة لم تحظ بالاستمتاع بحنان أم أو أب.. ثم انتهت قبل أوانها.

سمعت تاتاليا تجر حذاءها على سطح الممر المعدني، ولم ترغب في الحديث معها فتركته وتوجهت لباب آخر يبعد بضعة أمتار أخرى ويؤدي للمنفذ نفسه، ووقفت أمامه لتحقق عبر نافذته في لوحة تحكم أخرى. لو مرّ أحد أعضاء طاقم السفينة الآن، وفتح لها هذا الباب، لتوجهت مباشرة للوحة التحكم وفتحت الباب لتدخل غرفة الضغط التي تسمح بالخروج للفضاء. ستغلق الباب وراءها بالطبع، فهي لا ترغب في قتل طاقم السفينة، ولكنها تريد نهاية لحياتها العقيم. وستنفذ أخيراً خطة النيزك الذي فشل في قتلها عندما دُمّر كوكبها وأسرتها. وسترتاح من الألم واليأس والترقب، فقد انتهى سبب حياتها، ولولا طفلها لكانت اختارت الموت منذ البداية. أليس هذا ما كانت تفكر به دائماً؟ أن تُسلب حياتها.. رغم أن الهافيكي ينظرون للانتحار على أنه أسوأ أنواع الجبن والتخاذل. وعليها أن تتأبر وتراقب المنافذ جيّداً .. فسينسى أحد أعضاء الطاقم باباً مفتوحاً لمدة كافية تسمح لها بالخروج.

سمعت صوت خطوات ثقيلة، فتوقعت أنه أحد العاملين في طريقه إلى هذا الباب، فتراجعت للوراء لتسمح له بالمرور، ولكن ضوء الممر انعكس عن رأس مألوف .. أنديغو. هل أرسلوا أنديغو الآن ليحرسها بدلاً من تاتاليا؟ لا بأس.. على الأقل لن يحاول أن يحدّثها ويخفف عنها كما كانت تاتاليا تفعل في الساعات الماضية. تعلم أجوان أن تاتاليا نواياها طيبة، ولكنها لا تريد أي كلمات تعاطف أو تخفيف للمعاناة، فهي تعرف جيّداً علاج حالتها.

«أجوان، تاتاليا.. الجنرال يطلبكما هيا».

ودون أن ينتظر ردّاً منهما، استدار وعاد من حيث أتى. راقبته أجوان ولكن لم تتبعه، ثم التفتت فرات أن تاتاليا كانت تقف قريبة منها وهي تمد يدها لتمسك بذراع أجوان لتحتها على مصاحبتها. سحبت أجوان ذراعها بعيداً عن تاتاليا وهزت رأسها بالنفي. إن كانت تاتاليا تريد الانضمام للجنرال فهذا شأنها، أما أجوان فلم تعتبر نفسها جزءاً من الوحدة بعد الآن، فقد انضمت لهم لتحقيق هدف واحد وهو العثور على طفلها وإنقاذه. وقد انتهت المهمة بالفشل، واختفى الأمل.. وانتهى السبب في انضمامها إليهم.

هزت تاتاليا رأسها بحركة ضيق واضح، وأشارت للممر وقالت بصوت قوي لا يقبل المعارضة:

«الجنرال يطلبنا.. ولا أرى الحكمة في الوقوف هنا انتظارًا لمحاكمة عسكرية. هيا، تقدمي أمامي، فلن أترك وحدك في هذا الممر. أنت خطيرة إذا تركتك وحدك لا تقاوميني، وإلا دعوت أنديفغو، وسيحملك فوق كتفه إن استدعى الأمر. تقدمي!»

تجمع أعضاء الفريق في غرفة العمليات الخاصة بالدمرة، وتوقف الحديث بينهم فور دخول أجوان وتاتاليا. من الواضح أنهم كانوا يتحدثون عنها وعما حدث على سطح القمر، واستشعرت الشفقة والتعاطف من الجميع. نهض فاكسلنغ من مقعده واقترب من أجوان وأشار لمقعده لتجلس عليه، فلم تعرف أجوان كيف تتعامل مع هذا الموقف. هل تغضب منه لإحساسه بالشفقة عليها، أم تشكره للطفه؟ ولم يسفر تساؤلها عن إجابة، ولم تجد في داخلها طاقة كافية لتبدي أي عاطفة على كل حال، فجرت قدميها للمقعد، وانضمت لها تاتاليا وأجلستها بضغطة على كتفها.

وعندما جلست تاتاليا بجانبها وضعت يدها على ركة أجوان، فانسابت منها طاقة علاجية خففت الضغط الخانق الذي تجمع في قفصها الصدري. ومع انخفاض مستويات الألم، ارتفعت نسبة القلق في ذهن أجوان. ماذا سيقول الجنرال لهم في هذا الاجتماع؟ لقد غاب على سطح القمر لساعات طويلة حسب تقديرها.

لم يطل انتظارهم، إذ دخل الغرفة الجنرال باز ومعه ضابط لم تتعرف عليه أجوان وكان يرتدي ملابس السفينة، مما يعني أنه من الطاقم العامل فيها. وبدون أية مقدمات شرع الجنرال في عرض تقريره:

«كما تعلمون، كانت مهمتنا تقتضي اقتحام مركز أبحاث علمي لشكوكنا باستخدامه من قبل إرهابيين يهاجمون السفن التجارية ويختطفون الأفراد والمجموعات بهدف الحصول على الفدية. وكان علينا أن نتعاون مع الوحدة فولاذ للقبض على الإرهابيين والتحفظ على الرهائن والمسروقات».

توقف الجنرال وأخرج لوح معلوماته وبدأ يستخدمه وهو يكمل شرحه:

«بلغنا المركز في الدقيقة السابعة بعد انقضاء ساعة من هبوطنا.. ونفذنا المرحلة الأولى بإرسال فاكسلنغ لاكتشاف مواقع الحرس حول المركز، تمامًا كما اتفقنا مع الوحدة فولاذ. ولكن فاكسلنغ لم يجد أية حراسة، كما أشار إلى انعدام أية مؤشرات على استخدام الطاقة في المركز.. مما أوحى لي بأنه مهجور».

وهنا وقعت عينا الجنرال على شاها، التي كانت تحديق في أرض الغرفة، وقد شبكت أصابعها مكوّنة قبضة واحدة. رفعت أجوان عينيها عن قبضة شاها ولاحظت حركة من ضابط السفينة، فأدركت أخيرًا أنه يحمل جهاز توثيق، وهو موجه نحو الجنرال.

«ثم لاحظت إشارات من شاها بوجود مخاطر خفية.. مما جعلني أقطع التعتيم بيننا وبين فولاذ، لاستفسر عن نتائج بحثهم عن حرس. واتضح أن المحيط الشمالي أيضًا يفتقر لأي حراسة».

تنهد الجنرال ونظر لإيمان، فأومأت برأسها له بالمتابعة:

«لم يتفق لانفوردر معي في تقديري للموقف، فقد حاولت أن ألفت انتباهه لوجود بعض الغموض ولحاجتنا للحذر وعدم التسرع في الاقتحام. ولكنه أصر على الاقتحام وقطع الاتصال. ولأن وحدتي ليست بكامل قوتها، ونظرًا للمؤشرات التي كانت تظهرها المتبصرة شاها تو شي.. أصدرت الأوامر للفريق بالتوجه لمهبط المكوك، بينما استدعيت الكشف فاكسلنغ وانتظرتة على بعد مائتي متر جنوب المركز».

وأخيرًا، استدار الجنرال لينظر لأجوان وفي عينيه خيبة أمل، فقابلتها أجوان بنيران من الغضب والانتقام إلى أن أشاح بوجهه عنها وأكمل السرد:

«أثناء انتظارنا لفاكسلنغ، دوى انفجار هائل أسقطتنا قوته على الأرض. وما إن أفقت من الصدمة حتى بدأت البحث عن فاكسلنغ، ولكننا فوجئنا بوابل من الطلقات الآتية من عدو مجهول. اخترقت رصاصة كتفي وخرجت من الناحية الأخرى. واحتमित أنا وأجوان بالصخور الصغيرة حتى انضم لنا باقي الفريق».

شك الجنرال ذراعيه على صدره، وجال بنظره حول الغرفة وقال:

«اتخذت قرارًا بمباغطة العدو من الخلف، وأرسلت فاكسلنغ وماتندي وأجوان في ذلك الاتجاه بينما قمت وباقي الفريق بشغل العدو بمناوشات معنا».

هنا توقف الجنرال عن الحديث وأومأ برأسه لفاكسلنغ، فنهض فاكسلنغ وأكمل سرد الأحداث:

«بعد تطويقنا لموقع العدو، عثرنا على فتحة في الأرض بمحض الصدفة، وأخذت على عاتقي استكشافها لأن حجم ماتندي لم يكن يسمح له بدخول الحفرة، كما أن أجوان مجندة جديدة، فكنت الشخص الأنسب لاستكشافها رغم أن أوامري كانت تقضي بمباغطة العدو من الخلف».

تنهد فاكسلنغ وخفض نظره لأرض الغرفة وقال:

«كانت الحفرة تؤدي إلى باب في نهاية الممر، ولم أجد صعوبة في فتح الباب والولوج لمنطقة مغلقة تحت الأرض. وللأسف لم أكن متيقظًا بالشكل الكافي فقد هاجمني شخص غامض لم أره. ثم لم أسترجع وعيي إلا عندما دخل أعضاء لاشكار المختبر تحت الأرض لإنقاذي».

وما إن صمت فاكسلنغ، حتى التقط الجنرال طرف الحديث:

«أثناء ذلك، توقفت الطلقات من العدو، ولكن سمعنا عراكًا قريبًا فالتحطنا بالعدو حيث كان ماتندي يقاتل أربعة مهاجمين مجهولي الهوية. وبعد انضمامنا أنا وفلوكين وأنديفو وسكالداني للقتال، أسفرت المعركة عن إصابة ماتندي بطعنة في الفخذ، بينما قتل ثلاثة من العدو، وتم أسر واحدة منهم. وأخبرنا ماتندي عن وجود فتحة في الأرض، واستغرقنا بعض الوقت للعثور عليها واقتحامها».

وهنا أدار الجنرال رأسه بعيدًا عن أجوان وأكمل حديثه دون أن تبدو أية مشاعر في نبرة صوته:

«وجدنا مختبرًا علميًا متطورًا يحوي العديد من الأجهزة المعقدة التي نجهل

استخداماتها. وعثرنا على فاكسلنج مقبذا وفاقدًا للوعي. بينما كانت المجندة أجوان عالقة في حوض ماء مع عالم مجهول الهوية، ونعتقد أنه من هاجم فاكسلنج وأوثقه. وقد غرق العالم أثناء العراك مع المجندة».

قال الجنرال الجملة الأخيرة بسرعة واختصار، ثم جال بنظره حول الغرفة ثانية وسأل الفريق:

«هل لدى الفريق ما يريد أن يضيفه لملف التوثيق؟».

تبادل الفريق النظرات ثم هز الجميع رؤوسهم بالنفي، فنظر الجنرال لضابط السفينة، الذي أوما برأسه وأطفأ الجهاز وخرج من الغرفة تاركًا الجميع في صمت.

جلست أجوان في مقعدها وقد لمت يديها بين ركبتيها، وأطرقت برأسها كي لا تسمح لأحد بأن يرى الاحمرار الذي يحرق وجنتيها وأذنيها. لماذا لم يذكر الجنرال مخالفتها للأوامر؟ إن ما فعلته يؤدي لمحاكمة عسكرية إن تم توثيق الحادثة، أو على الأقل لإنذار أسود في ملفها العسكري. ومن سيلومه إن أراد أن يعاقبها على تصرفها الأرعن، ثم على قتلها لشاهد هام؟ ولكن الجنرال لم يذكر أيًا من هذه التفاصيل إطلاقًا. هل هي طريقته للاعتذار عن عدم مساعدتها على إنقاذ طفلها؟

«ماذا وجدتم في بحثكم سيدي؟».

بالطبع، إيمان ستسأل عن الحقائق والأرقام، ولكن كل فرد في الوحدة كان يود أن يسمع الإجابة إلا أجوان التي بدأت تتحرك على مقعدها وهي تتمنى لو تنشق الأرض وتبتلعها قبل أن تسمع ما سيقوله الجنرال.

«دمازًا هائلًا، وجثثًا متفحمة».

تنهدت شاها بحزن، وخرجت شهقة مخنوقة من أجوان فغطت فمها بيدها وابتلعتها بسرعة.

قفزت سكالداني وواجهت فاكسلنج: «كيف قلت إن المركز لا يملك حراسة، ثم يقابل فريق فولاذ بمقاومة تؤدي إلى تدمير المركز؟ كيف تخطئ بهذه الطريقة الفظيعة؟».

علت المفاجأة وجه فاكسلنج وهم بأن يجيب على الاتهام، ولكن الجنرال زعق من سكالداني بالجلوس.

«لم يخطئ فاكسلنج! لقد كان كميًا، تمامًا كما توقعت، وذهب ضحيته 28 جنديًا في القوات المسلحة».

قطبت إيمان جبينها وجالت بنظرها في الغرفة ثم عادت لتسأل الجنرال:

«إن كان المركز مفخخًا.. فهل كان مهجورًا أم كان يحوي مقاتلين ورهائن؟».

رفع الجنرال حاجبيه في إشارة واضحة إلى أنه يعاني من نفس حيرتها، وأجاب:

«لقد قضينا ساعات طويلة نبحث في الركام.. ولم نجد سوى 28 جثة متفحمة».

وحينها ركز نظره على أجوان التي بدت مذهولة من سلسلة المفاجآت، وأضاف:

«لقد كان مركزًا مهجورًا.. ولم نجد أثرًا لرهائن ولا لطفل».

أطل الطارق برأسه في غرفة ملابس ماريونيتا، فوجد خادمتها حولها، يساعدنها على ارتداء ملابسها. فرسم ابتسامة خجلى على شفثيه وتنحج، فاستدارت زوجته بسرعة وفوجئت بوجوده فاحمر وجهها البرونزي الجميل ليضيف مسحة رائعة لجمالها. هربت ماريونيتا إليه وطوقت رقبتة بذراعيها وقبلته وهي تضحك.

«ألم تفتقدني هذا الصباح؟ لم أجدك عندما استيقظت فتوقعت أنك قد خرجت لنزهتك اليومية».

ابتسم لها الطارق وهو يطوق خصرها بذراعيه ويتسلل بذهنه إلى رأسها ليزرع بداية فكرة في ذهنها.

«غاليتي، ماذا ستفعلين في هذا الصباح الرائع؟».

انسحبت ماريونيتا من ذراعيه وضربتة بخفة على صدره وأجابت:

«سؤال لطيف.. أنت تعلم جيدًا أن علي أن أعوض عن غيابنا لأسبوعي العسل. هناك أمور عالقة في الحكومة، والمستشارون ينتظرون مني القرار. أوف!! لقد استيقظت متأخرة ويجب أن أستعد للخروج إن أردت أن ألحق باجتماع اليوم الأول».

استدارت ماريونيتا لتعود لخادمتها اللاتي تجمعن في آخر الغرفة وقد خفض رءوسهن احترامًا لخصوصية الزوجين. ولكن الطارق أمسك بمعصمها بخفة وسحبها نحوه وقطب جبينه ودفع بشفتيه للأمام تمامًا كما يفعل الأطفال عندما يتضايقون وقال:

«ماريون! ماريون! لماذا تجهدين نفسك بهذه الطريقة؟! إنك تعملين منذ عامين دون توقف ودون استراحة حقيقية..».

ابتسمت ماريونيتا ولمست وجهه بأطراف أصابعها بحنان ورقة:

«أعلم أن سعادتي وراحتي تهفك.. ولقد حصلت على استراحتي لأسبوعين.. وأنت جائزتي على جهدي المتواصل لعامين..».

ضحكت وحضنته ثانية، فوضع يديه حول رأسها وبدأ بحياكة شبكته الأخيرة، ثم دفعها برفق لينظر في عينيها، فوجد أن حدقتها قد اتسعت بالطريقة المعهودة التي تشير إلى نجاح عملية الاستحواذ، وهمس لها:

«غاليتي، لست بحاجة لتحمل هذا العناء بعد اليوم.. لا تنسي أنك سلمتني قلادة الحكم، مما يعني أن لدي نفس صلاحيات السلطان.. أو أنني في هذه الحالة، الوصي على السلطان.. سأتركك اليوم تستمتعين بحماماتك الدافئة وجلسات التدليك المعطر. وعندما أعود في المساء سأخبرك بما استجد.. اتفقنا؟».

استغرقت السلطانة وقتًا طويلًا وهي تحقق في عينيه قبل أن تتحرك شفتها بكلمات واضحة:

«نعم.. أنا بحاجة للراحة.. والاسترخاء.. أنا متعبة.. متعبة».

ابتسم الطارق لها وضمها بحنان، وقادها مروزًا بخادمتها وهو يربت على يدها ويقول بصوت تسمعه الخادمت:

«غالبتي، لا يهون عليّ تعبك.. يجب أن ترتاحي، وسأقوم بطلب المدلكات بنفسي.. هممم».

ثم سألها لخدماتها وقضى بعض الوقت يوصيها على صحتها وما تحتاج إليه من هدوء وسكينة، ونصحها بعدم السماح لأحد بإزعاجها بالاتصالات. وبالطبع امتثلت الخدمات لأوامره وأعدن ملابسها للخزانة وانتقين لها ثوباً خفيفاً ترتديه عادة عندما تستعد لحماماتها الدافئة المعطرة.

تركهن الطارق وهن يدلن السلطنة ويقترحن عليها العطور المستخدمة في الحمام والتدليك، وأغلق الباب وراءه وتنفس الصعداء. وعلى عجل، قطع الممر الذي يفصل بين غرفة الملابس وباب الجناح السلطاني، ودلف منه ليجد القهرمان في انتظاره ومعه معطفه الكستنائي المطرز بخيوط الأورو اللامعة. استدار الطارق ليسمح للقهرمان أن يلبسه المعطف، وما إن انتهى من ربط الأشرطة الأمامية، حتى تركه الطارق وانطلق كالسهم لتبعه مجموعة حرسه الخاص. ضاعف الطارق سرعته وهو يقطع دهايز القلعة والكل ينفّض من حوله ويتحني له دون أن يلحظهم أو يعترف بوجودهم. حتى بلغ مدخل قسم مجلس المستشارين، حيث استقبله سكرتير السلطنة، وهو يمد عنقه بحثاً عن السلطنة. فوقف الطارق أمامه مبتسفاً وقد شبك يديه وراء ظهره ومال برأسه ليسار ولسان حاله يقول: هل ستتزحزح من طريقي؟

قفز كوبرار إلى جانب الباب الكبير وانحنى للطارق وهو يمر خلاله، ثم التصق بجانبه وسأله بلهفة:

«ألن تشرفنا السلطنة بحضورها هذا الصباح؟ لقد أبلغتني وصيفتها بضرورة وجود جميع المستشارين اليوم».

لم يلتفت الطارق نحو كوبرار ولم يتوقف إلى أن وصل لباب قاعة الاجتماعات، وعندها فقط أجاب عن السؤال:

«إن السلطنة متوقعة بعض الشيء، وأرسلتني لأنوب عنها في هذه الجلسة. افتح الباب!»

ذهل السكرتير لهذه التغيرات غير المتوقعة، وتذكر الشائعات التي انتشرت بعد زفاف السلطنة للمستشار وتسلمه قلادة الوصاية. هل كان المعارضون محقين في مخاوفهم؟ هل انتقل الحكم لهذا الرجل الذي جاء من إقليم صغير في أرياف سيفوفيا؟

تردد السكرتير للحظات، فالتفت له الطارق ورمقه بنظرة مخيفة لم يرها كوبرار على وجه المستشار من قبل، فقفز وفتح الباب المؤدي لقاعة الاجتماعات، مما جعل المستشارين ينهضون بسرعة، فهم يتوقعون دخول السلطنة في أي لحظة. جال الطارق بنظره حول القاعة واستمتع بنظرات الحيرة التي علت وجوه الحاضرين. وما إن همّ بعضهم بالجلوس، حتى بسط ذراعيه وكأنه يشمل كل من في القاعة، وقال بصوت قوي: «مولاتي السلطنة ترسل لكم تحياتها وتمنياتها بيوم مثمر.. وقد أوكلت لي مهمة النيابة عنها في الاجتماعات».

نزل الخبر على القاعة كالصاعقة، وخيم الصمت على الحاضرين، حتى كسره المستشار
نيقوسيو وهو أكبرهم سناً، فسأل بصوت متذبذب:
«ومتى ستعود السلطنة لحضور الاجتماعات؟»

فارتسمت ابتسامة عريضة على وجه الطارق، وتقدم إلى كرسي السلطنة وسحبته ثم
جلس عليه، وأجاب:

«لا أدري.. ربما لا تعود مطلقاً».

تجاهلت حلقات السياج التي تفصلها عن المياه، وتركت لعينيها الحرية في التجول عبر
الشاطئ الممتد على يمينها ويسارها. أغمضت عينيها، لكي تحجب كل ما يمكن أن
يشغلها عما تود التركيز عليه في هذه اللحظة التي سرقته من يومها. أشعة الشمس
الدافئة على وجهها.. ونسائم لطيفة تملأ رئتيها برائحة البحر المالح. لو كان بيدها
لاجتازت السياج وخلعت حذاءها وتركت حبيبات الرمل الناعمة تتخلل أصابع قدميها
الفائضة في رمال الشاطئ، تمامًا كما كانت تفعل في وطنها. حاولت أن تتخيل ذاك
الشعور المألوف، ولكنها متعبة جدًا.. لم تعد ذاكرتها قادرة أن تسترجع كل المشاعر
والأحاسيس التي تعيد لها وطنها عندما تود زيارته بذهنها. وصياح الطيور فوق رأسها
كان اتهامًا لها بالعقوق وبالإهمال.. كيف تنسين وطنك بهذه السرعة؟!

فرت من حلقتها شهقة ألم وحسرة.. وأوشكت أن تتعلق بالسياج حتى تذكرت أنه مغلف
بالكهرباء الصاعقة لكل من يلمسه، فسحبت يدها سريعًا واستعادت تماسكها.

«أجوان..»

إنه صوت الجنرال.. عليها ألا تظهر أي ضعف. أصلحت قميصها، ودست خصلة شعر
طائشة وراء أذنها، واستدارت لتواجهه. لم تسمح لعينيها أن تلتقي بعينيها، فهو حتمًا
سيرى الدموع المتجمعة فيهما، فنظرت للمباني خلفه واتخذت وضعية الانتباه.

«لدينا الكثير لنناقشه.. تعالي معي».

وتركها وانطلق بخطى واسعة نحو البوابة، فلاحظت كدمة غامقة على كتفه اليسرى. لا
بد وأنها بقايا الجرح بعد أن تلقى العلاج المناسب في المشفى. وتذكرت أن بها كدمات
مؤلمة جدًا في العديد من أجزاء جسدها. وشعرت ببعض الذنب لأنها تسببت بطريقة غير
مباشرة في هذه الإصابة للجنرال. فلو لم ترغمه على اللحاق بها لما وقع كلاهما في مدار
الصدمة ثم الهجوم المفاجئ من العدو. لاحظت أن المسافة بينهما قد اتسعت، فسارعت
باللحاق به، حتى اجتازا البوابة واتجها نحو الشاطئ. خطر في ذهن أجوان أن تخلع
حذاءها وتجري نحو الماء، ولكن الفكرة لم تجلب لها السعادة كالسابق. ليست أجوان
اليوم كأجوان الأمس.

توقف الجنرال فجأة وجلس على الأرض متريقًا ووضع كوعيه على ركبتيه، وأشار لها
بالجلوس. فنتت رجليها تحتها وجلست مستندة بيد واحدة على التراب الرائع وغرزت
أصابعها في رطوبته الباردة، فعادت لها ذكريات الوطن فأغمضت عينيها لثانية وأخذت

نفساً عميقاً لتعيد السكون لذهنها. وعندما فتحت عينيها، وجدت أن الجنرال قد أسند رأسه على يديه متكئاً على ركبتيه، وأنه كان يحدق فيها.

«أعلم أن فاكسلنغ وشاها قد شرحا لك عواقب تصرفاتك».

تسارعت أنفاسها واضطربت دقات قلبها، فغرزت أصابعها بعمق في الرمال، مصدر قوتها في تلك اللحظة. لقد شرح لها فاكسلنغ بالتفصيل الممل ما يمكن أن يحدث لها لو غير الجنرال في أقواله وكشف للقيادة أنها عصت أوامر مباشرة، وعرضت حياتها وحياته للخطر، ثم إنها قتلت شاهذا بدم بارد. فالعواقب قد تعني محاكمة عسكرية وسجناً لمدة أشهر أو تسريحاً من القوات المسلحة. ولكن لأنها تتمتع بقدرات خاصة، فقد لا يكون التسريح خياراً مفتوحاً للقيادة. وقد أوحى لها كل من فاكسلنغ وإيمان باحتمال «التخلص منها» إن كانت سلبيات وجودها كعضو في الوحدة أكبر من إيجابياتها. وقد تحول قلبها إلى قطعة معدن بارد عندما فهمت ما تعنيه عبارة «التخلص منها».

فهم الجنرال من صمتها أنها تدرك عواقب أفعالها، فأكمل:

«اسمعي جيداً.. إنني مسئول عنك منذ اللحظة التي غادرت فيها المعسكر التدريبي. كانوا سيتخلصون منك، فأقنعتهم بأن تنضمي لوحدة لاشكار.. لأنك قاتلة، وبالتالي أنا بحاجة لقتلة».

نظرت له أجوان بمرارة وهو يستخدم الكلمة ذاتها التي أطلقتها على نفسها في ذاك اليوم الأسود. فتفحص وجهها يبحث عن اعتراض على الكلمة فلم يجده، وبدا الرضا واضحاً على وجهه.

«أنت قاتلة! وعليك أن تقتلي ثانية لتستمر فائدتك للوحدة. وإلا فما جدوى انضمامك لنا؟ لسنا روضة للأطفال، ولسنا مكتب خدمة عملاء. نحن قتلة، وأنت لجأت للقوات المسلحة بمحض إرادتك للانضمام لصفوفنا».

فاستشاطت غضباً وأجابته بحرقة:

«فقط لأعثر على طفلي! لا لسبب آخر».

«وهل وجدت طفلك؟».

سكنت وأطرقت برأسها وعيناها تبحثان عن إجابة بين حبات رمل الشاطئ.

«إذن أنت ملكي. أرسلك حيث أرغب. وإذا أمرتك أن تقومي بعمل في المستقبل، ستقومين به دون اعتراض! لا أصدق كيف تجاهلت أوامري واتجهت للمركز بغباء وتهور. لو تأخر الانفجار 30 ثانية لكنت في عداد الأموات.. وأنا معكِ!».

غطت فمها بيد ترتعش، وقاومت الرغبة في النظر لوجهه، ولكنها تركت درعها تنخفض قليلاً، فحيرتها مشاعر الجنرال. رفعت رأسها لتنظر له فالتقت عيناها، واستشعرت الخوف والإحباط.. وشيئاً من القلق على سلامتها.

ثم انغلق باب مشاعره فجأة مما جعلها تفقد توازنها للحظة وتميل للأمام، فاستخدمت ذراعها لتثبت نفسها. ولم تلاحظه ينهض من جلسته ويقف فوقها وقد مد يده نحوها. راقبت أجوان يده كأنها تراها للمرة الأولى، ثم أدركت أنها دعوة منه للإمساك بها.

لمساعدتها على الوقوف. فمدت يدها له، وأحكم قبضته القوية عليها ثم سحبها لتقف بجانبه، فأدهشتها قوته وهو يسحبها دون جهد وكأنها طفلة في الثالثة.

أوما برأسه لها وقال:

«لم أنس قضية طفلك.. وإن لم يعد طفلاً الآن، إن صدقنا رواية ذاك العالم المجنون.. ولكن عمره لا يغير شيئاً، فستستمر في البحث عنه.. وفي المقابل ستتابعين تدريباتك وتمتثلين لجميع الأوامر كأى عضو حقيقي في هذه الوحدة. مفهوم؟»

أومات برأسها على مضض، ولكنه لم يكن قد أفلت يدها بعد، فشدها بقوة حتى أصبح وجهها على بعد شبر فقط من وجهه، وقال بهدوء مخيف:

«الإجابة السليمة يا جنديّة، هي: نعم سيدي!».

حاولت أجوان أن تبلع ريقها فاكشفت أن فمها كان جافاً جداً. ولكنها استجمعت قوتها من مخزون خفي لم تتوقع وجوده فقربت وجهها لوجهه حتى أوشك أنفها أن يلامس أنفه، وأجابت دون أن ترف عينها:

«هل تعطيني كلمة شرف منك بأن تعثر على طفلي وتنقذه؟».

خيل إليها أن عيني الجنرال قد ضاقتا قليلاً.. ثم ارتسمت ابتسامة خفيفة على جانبي فمه وأجاب وهو يشد بقوة على يدها:

«بشرفي!».

فأطلقت أجوان نفسها المحبوس في صدرها وأضافت:

«إن.. نعم سيدي!».

وهنا فقط أفلت الجنرال يدها واستدار وتركها على الشاطئ وحيدة إلا من برعم أمل بدأ ينشر جذوره في قلبها وذهنها.. نظرت إلى البحر الفيروزي الواسع الذي ينعكس في عينيها، ثم وضعت أطراف أصابعها على نحرها بطريقة الهافيكي عندما يقسمون، وتمتعت للبحر:

«أقسم لك بأنني لن أهدأ قبل أن أجذك يا طفلي.. يا .. ماذا أسميك؟ يا من تملك أفكارى في كل دقيقة من حياتي..».

«ماندان.. سأسميك ماندان».

هنا ينتهي الجزء الأول من رواية أجوان.

وللحكاية بقية في الجزء الثاني من الرواية.



نورة النومان

- خريجة بكالوريوس أدب إنجليزي (1986).
- ماجستير ترجمة (2004).
- عملت معلمة لغة إنجليزية، ثم أنشأت مكتب ترجمة قانونية في عام 1995.
- ترجمت كتاباً في علم الأديان المقارن، وآخر عن لوجستيات النقل.
- صدر لها ثلاثة كتب للأطفال: (القطعة قطنية) و(القنفذ كيوي) و(شمسة والسوشي). وهذه ثالث رواية لها لليافعين، أجوان، ماندان، سيدونية.
- تعيش المؤلفة في إمارة الشارقة، عاصمة الثقافة في دولة الإمارات العربية المتحدة.
- حائزة على جائزة اتصالات عن رواية (أجوان) للعام 2013.